الخامس

ســـــــــو

ت

نبـــوءة المطر الأحمر

"رواية مقتبسة من بعض الأحداث التاريخية"

الجزء الأول

(الحلم)

الكتاب: الخاسوت

المؤلف: أحمد الكاشف

رقم الإيداع: ٣٠٥١٩ \ ٢٠٢١

الترقيم الدولي: ٤ – ٠٦ – ٦٩٣٣– ٩٧٧– ٩٧٨

***

دار الميدان للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية

هاتف ٠١٢١٠٣٤٣٥٩٣/٠٥٥٢٣١١٤٠٨

Website: www.daralmidan.com

E- mail: almidan@daralmidan.com

FB: fb.com/dar.almidan



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، و أي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر دون أخذ موافقة كتابية من دار الميدان فإن ذلك يعرض صاحبه للمساءلة القانونية

الإهداء..

بعد حمد الله وشكره على ما وصلت إليه بالحياة أولًا وكتابي هذا ثانياَ..

أود أن أشكر وأهدي هذا العمل إلى:

أباً زرع بذرة الفكر الحُر ، وأمًّا روت تلك النبتة بمياه الشجاعة والإصرار، وجمالاً حسانًا في رحيق زهور إبداعه..

زوجة أحيت قلباَ كاتباَ بعد موته سنين عجاف..

إلى "ملك" حياتي و"آدم" روحي.

إلى مَن وقف بجانبي آملًا كعبدالله الحسيني في مُقدِّمة الأصدقاء..

إلى كل مَن بحث وكتب من السابقين لأستطيع أن أبحث بين أغصان شجرة التاريخ المتعددة الأوراق..

إلى كل من آمن بي يومًا، وإلى كل مَن حطم سفينة قلمي دهراَ..

إلى كل الأحداث التي وهبني الإله الخالق الواحد، مَن خلقت إلهام قلمي..

فالكل في هذا مشارك سبباَ..

حتى أنت أيها القارئ مَن تقرأ تلك الكلمات أهديك كتابي المتواضع.

أحمد الكاشف

مقدمة

هل نعلم حقيقة التاريخ؟..هل نتوقف بين سطوره؟

هل نتساءل عن ماهية تلك الأحداث وتفاصيل ما دار بين الأفراد ؟ .. تلك الامور التي لا نعلمها ؛ لأن المؤرخ الذي يدوِّن التاريخ لا يُهِمّه سوى مَن انتصر ومَن هُزِمَ، ومَن أحب ومَن كره، ومَن بنى ومَن هدم، مَن يُمثِّل الخير ومَن يُمثِّل الشر، نحاول أن نتخيل العديد من الأحداث بتفاصيلها إذا أردنا المعرفة. والفهم لما دار يختلف مِن شخص لآخر، فصفحات الزمن بها ما ليس به تفسير، وما ليس له تدوين، لما هو مفترض من أحداث تسقط بين التأريخ وقطع الآثار المُنَقَّب عنها في ثنايا الأرض.

في الصفحات التالية رواية تحاك بها خيوط الحقيقة و التاريخ بإبرة من الخيال لتنسج قماشاً قد تري ألوانه بين سطور التاريخ ولن نستطع البوح بمكنوناته أو حتى إثباته .. وما يتصاعد من فقاعات النظريات المتعدده علي سطح حقبة زمنية هامة في تاريخ مصر ، في ذلك الزمن الذي مازال ولا يزال به الكثير من الغموض ... زمن الخاسوت

المؤلِّف

أحمد الكاشف

الفصل الأول

الحلـم العظيـم

١- حلم الخاسوت:

في غضون الحيرة والأيام، في وقت الذروة.. ذروة المطامع، في كل شيء في حكم السلطة على العبيد في شتَّى أنحاء مملكة الخاسوت، في فينيقيا ومصر.. أسيرُ بلباسي الذي هو مزيج من ملابس الفينيقيين وملوك الفراعنة القدامى، والموكب حولي مُكوّن من العبيد يرفعونني عن الأرض، وأمامي يرفع كهنة إلهنا العظيم "ست" الطريق، نصل جميعًا أمام المركب الملكي، قدماي تخطو فوق رؤوس العبيد حتى لا تصل إلى الرمال..

لكنها تصل إلى الملمس الخشبي المكوَن للمركب، أهبط بسلام إلى مقعدي العظيم المُخَصّص لحُكَّام الخاسوت، يتحرك المركب ولكن لا أجد حولي عبيدًا ولا كهنتي، المركب يتمايل شراعه مع الهواء بلونه الأبيض المُميز بين ضفَّتيّ النيل. فجأة يتوقف في منتصف عرض النيل. أنظر خلفي أرى العبيد يهرولون والكهنة يبتسمون، ينظرون إلى سطح مياه النهر. أنظر إلى ما ينظرون.. إنها رأس شخص رأيته من قبل.. رأس "سقنن رع"، الدم الأحمر ينساب من فتحة في الرأس، يتدفَّق الدم بسرعة إلى مياه النيل، يتغيّر لونه العاكس لطبيعة السماء الزرقاء إلى اللون الأحمر الداكن تدريجيّا، حتى يحيط اللون الأحمر بمركبي، السماء يتغير لون سحابها إلى الأحمر الداكن، والشمس تستعد لغروبها، مختفية خلف السحاب الأحمر، تنهمر الأمطار الحمراء من حولي لتملأ المركب بالدماء، حتى تلامس قدماي وتتغلغل بين ساقي، فيندثر اللون الأبيض لبشرتي ويصبح جسدي لونه أشبه

بلون الدم المختثر.

ينادي عليّ المنادي:

- "يا حفيد سالتيس"

أنظر لأجد ملوك الفراعنة القدامى واقفون على الضفة الغربية من النيل يتزعَّ مهم الملك الطيبي الأصل "مينا" موحِّد الأرضين، ملك مصر الأول، يستطرد في حديثه السابق:

- لن تصل إلى أرض الخلود، دماء "سقنن رع" ستمنع الوصول.

أنظر إلى كفيّ لأجدهما صُبِغَا بالدماء، أشعر بالحرارة في جسدي، أحاول أن أتكلم ولكن لا أجد لصوتي سمعًا. تنفجر يداي في وجهي، أحاول أن أصرخ، ولكن بلا جدوى.

- "لاااا لاااا"

أصرخ بها، لأجد نفسي في مضجعي في غرفتي في قصري، أنظر إلى كفيّ إنهما كما هما معافاتان، إنني سليم، ولكن أسأل نفسي عمّا حدث والذي رأيته منذ قليل؛ هل هو مجرد حلم أم كابوس مزعج؟ أم أنها نبوءة بشيء مخيف يُزلزل وجودي على عرش الحكم، لا بد من تفسير وتحليل لما رأيته في منامي.

- "يا حراس!"

أنادي ليدخل الحراس مهرولين إلى مضجعي.

- "أعدَّوا الموكب لزيارة المعبد، وبلِّغوا ابني الأمير بالحضور للمقابلة في معبد الإله (ست)".

أعلم ما سيتم بعد ذلك، عندما يخرج الحارس ويبلغ الرسول المخصّص للرسائل الملكية، سيخرج الرسول من قصري المستوطن أواريس، صحيح أنه لم يكن القصر المركزي للحكم من قبل، ولكنه الأهم بالنسبة لي ولأجدادي من قبل؛ لأهمية أواريس بصفة خاصة لنا كحكام الخاسوت. سيسير بين طرقات المدينة المتلألأة بأنوار الشعلات ليلًا، سيبحث عن حرس ابني الأمير ويجده في إحدى بيوت البغاء والخمر كعادته التي أعاتبه عليها دائمًا، في ذلك البيت القديم والأشهر في المدينة لصاحبه الفينيقي الأصيل وامرأته المصرية، كما أبلغني "كشافيني" أنه يتردد على هذا البيت باستمرار في الآونة الأخيرة لولعه بفتاة ما هناك، سيدخل رسولي إلى ذلك البيت، سيعبر العديد من موائد العامة المقابلة لساحة الرقص، سيصعد بضعة درجات حتى يصل إلى المائدة التي أنشئَت خصيصًا للأمير، وعندما سيراه أميري سيتغير لون عينيه، وستتبدل ملامح وجهه من الفرح إلى الوجوم، يُشير بعينيه ليقترب الرسول منه ويبلغه رسالتي الشفهية في أذنه، يشير الأمير لحراسه أن يستعدوا للرحيل، يحيطون به على باب البيت ويبدأ حديثه المعتاد إلى كبير أتباعه من الحرس.

الأمير: هل تعلم لِمَ يطلب الملك استدعائي؟

كبير الحرس: صدقني جلالتك لا أعلم سبب الاستدعاء من جلالة ملكنا العظيم.

الأمير: ألا يوجد أحد من الكشافين يستطيع الإتيان بما يفيد لحين وصولنا إلى المعبد؟

كبير الحرس: سأحاول، لكن صعب جدًا لِقَصر المسافة من هنا حتى معبد الإله العظيم ست.

وبعد حديثه سيصعد الأمير إلى عربته الملكية، وخلفه عربات الحراس، يفكر في طريقه إلى المعبد وسيسأل نفسه ماهية سبب استدعائي له، هل هو الخلاف الجدلي بيني وبينه عن ماهية جنسيتنا، ذلك السؤال الذي سألته له إحدى النساء منذ عام، وأصبح الشغل الشاغل العام الماضي، ممّا جعله لا يلتفت لأي شيء آخر من أمور المملكة، وأصبح مُبرَ ره للغوص في بحر الخمر والتوغُّل في لهيب البغاء، ما زلت حتى الآن لا أ ستطيع مواجهته بإجابة مُقنعة شافية، فأبي وأمي هما من أصول فينيقية ومصرية، وجدي من أصول فينيقية كاسيدية، ولا أعلم عنهم سوى أنهم من أصول قوقازية، وكل ما أعلمه وما أستطيع قوله لأميري أننا الخاسوت، حكام لمملكة كبيرة تحت قوة واحدة، قوة الدين الذي يحميه السلاح.

- "المُعظَّم جلالة الفرعون الحاكم.. أبلغكم بحضور جلالة الأمير إلى المعبد".

أشير للحارس لكي يأذن لأميري بالدخول، يدخل وهو مترنِّح من أثر الخمر ويبتسم ابتسامة صفراء:

- "والدي العظيم فخر لي أن تستدعيني في المعبد...." .

أقاطعه بإشارة من يدي ليصمت والكاهن يُرتِّل التراتيل أمام حضرة تمثال إلهنا العظيم ست. يُنهِي الكاهن التراتيل وأضع إكليل الزهور أسفل اقدامه، وأنظر له داعياً في قرارة نفسي بما أتمناه بأن يكشف لي سر الحلم المُقلِق، وأن يكون خيرًا لا شرًا.

(دولة كبيرة ذات نظام قوي، فيه الجميع عبيد للفرعون، نظام ديني متعدد الآلهة، بلا فتنة بين العبادات المختلفة، فالدين هو أساس الدولة....)
***من البرديات المقدسة**
للعامو الأول

- "لا أستطيع أن أفسِّر ذلك الحلم يا جلاله الملك"

يقولها كاهن الإله رع الأول في مدينة أواريس وهو يقف خائفًا، فحوله كهنة جماعة الإله ست بلباسهم الأسود وسيوفهم ذات المعدن البرونزي القوي، وأمامه يقف الكاهن الأكبر لمعبد الإله ست والكل حاضرون أمام جلاله الملك، ملك الخاسوت صاحب الحلم المشؤوم.

"- تأدَّب يا كاهن رع في حضرة ملكنا المُعظَّم وانطق بما تعلمه من تفسير".

يقولها الكاهن الأكبر للمعبد في غضب شديد ومع نهاية جملته يَشهر رجال الجماعة سيوفهم في وجه كاهن الإله رع ويهم الأخير، ليضع السيف على عنق الكاهن الممتنع عن التفسير.

يشير ملك الخاسوت بيده ليوقف رد الفعل الغاضب للجميع، ثم

يبتسم ابتسامته الهادئة المعتادة في مثل هذه المواقف:

" يا كاهن رع.. أنت تعلم أن دخولك المعبد مُحرَم وأمري لك بالتفسير هو ما سمح لك بدخولك مدينة أواريس حتى المعبد هنا، وأنت تدرك جيدًا أن من يعصي أوامر فرعون مصر الحقاوخاسوت ما هو مصيره .

يجيب عله كاهن الإله رع وهو مبتسم ابتسامته الصفراء:

- "وإذا قمت بالتفسير سيكون مصيري هو مصير العصيان"
- "فسَر أولًا وأنا مَن أقرر مصيرك يا عبد رع"
- "بحكمة الإله رع وما تعلمته من حكمة آلهة مصر المقدسة سأقول آخر كلماتي لك يا ملك ست الأخير"

يقوم الأمير بوضع السيف مرة أخرى على عنق كاهن الإله رع مستشيطًا غضباَ.

"- انتظر يا أمير.. اتركه يكمل كلماته الأخيرة في الحياة"

يقولها الملك وهو غاضب.

يستطرد كاهن الإله رع وهو يرتجف والعرق يسيل من أعلى رأسه الأصلع حتى يصل إلى جبهته ومع وصول قطرات العرق إلى حاجبيه يقول:

- "بعد أن طال عمر مرض العامو في مصر، قد آن الأوان لينتهي عصر الفتن الدينية، قد آن الأوان لتتوقف أقدامكم عن سحق

رؤوس المصريين، قد آن الأوان لينتهي نهبكم للأرضين، قد آن الأوان لينتهي نسل "سالتيس"، فسلالة "سقنن رع" ستعود لتوحيد الأرضين، وتصبح مصر تحت إمرة أمير طيبي الأصل، لينتهي عصر حكم الإله "ست" بشروره، ويعود الإله آمون لحكم مصر مع إلهتها المقدسة أجمعين في سلام وقوة، وستدفن يا ملك الخاسوت بعيدًا بلا عزة بلا كرامة، ستدفن بلا مقبرة ملكية فرعونية، ستموت ذليلًا على يد الأمير الطيبي، وسيتوحّد رع مع آمون ثانية مثل سابق العهد، مثل أيام ملكنا الأول "مينا" المقدس موحد الأرضين، وستكون أنت وشعبك موتى تحت المطر و...."

- "اصمت يا عبد "

يقولها ملك الخاسوت وهو واضعٌ سيفه في منتصف جسد كاهن الإله "رع"، لتتطاير قطرات الدماء على ملابس الملك وعلى الكاهن الأكبر للإله ست.

- وسيكون النيل لونه لون دمائكم لتتحقق (نبوءة المطر الأحمر)"

يقول الكاهن الجريح كلماته الاخيرة متردِّدة في أنحاء معبد الإله ست بنبراته الممتلئة برائحة الموت، الموت الذي قرّر أوزيريس أن ينشر رائحته لينذر الخاسوت بقدومه لهم، ليس فقط لتقبض روح الكاهن المبشر بالنبوءة ولكن لقبض أرواحهم في اليوم المعهود.

- "لا تصدق كلام كاهن معبد (رع) يا أبي"

يقولها الأمير لأبيه الملك

- "أصمت أيها الأمير ولتنفذ قولي التالي.. تخرج من هنا إلى قائد الجيش وتأمره بتقديم العطايا والهبات للجنود والعتاد لجيش الخاسوت وتلقي عليه أمرَا بتدريب قوات الجيش ليل نهار استعدادًا للحرب".
- "لكن يا مولاي خزينة المملكة لا تكفي في الوقت الحالي".
- "افرض ضرائب زيادة، أؤمر كل حكام المقاطعات بهبات زيادة وضرائب زيادة على كل العبيد وغير العبيد في مملكة الخاسوت".
- "أمرك يا مولاي"

يشير الملك للأمير لكي ينفذ الأمر الملكي، فيخرج مسرعًا من باب القاعة الرئيسية للمعبد.

يعود الملك إلى الخلف بخطوات مترنحة على مقعده الملكي ناظرَا إلى جثة كاهن الإله رع ما زال غير مصدقٍ لما سمعه، لقد قضى على سقنن رع المتمرد، وعندما هب ابنه "كامس" بجيشه من طيبة أوقفه في مصر الوسطى جريحًا في ساحة القتال واضطرت "اعح حتب " أرملة "سقنن رع" بالتفاوض على هدنة تنسحب فيها قوات طيبة بعد العديد من المعارك.

لتعود إلى مدينتها الملكية في الجنوب، والهدنة تحولت بعد ذلك إلى أعوام من الجزية الكبيرة من ذهب وأحجار ومنتجات زراعية مُقدَّمة بلا ثمن إلى مملكة الخاسوت، فكيف يعود الأمر ثانية إلى سابق عهده وتعلن الحرب عن موعد دق طبولها بلا إنذار وبلا قائد؟

قائد؟ نعم، لقد نسي ملك الخاسوت أمرَا هامًا؛

- "أحمس"

يقولها الملك وهو شارد الذهن.

- "ابن سقنن رع يا مولاي"

يقولها كبير جماعة الإله ست ويعلم ما في ذهن ملكه، قد أتم أحمس ١٧ ربيعًا منذ فترة ليست بالقليلة، فقد أشيع في أنحاء مصر أن أحمس بن "سقنن رع" مريض بمرض خطير قد يؤدي بوفاته في أي وقت، وغير قادر على قيادة مدينة طيبة، ولكن الأعوام مرت وما زال أحمس على قيد الحياة.

- "بعد ثلاثة أيام سيتم الاحتفال بعيد للإله أمون في طيبة يا جلالة الملك"

يقولها كبير جماعة الإله ست.

- "كيف تذكر ذلك الأمر في حضرة إلهنا العظيم ست؟"

يقولها كاهن المعبد غاضبَا ومستنكرَا لحديث كبير الجماعة، ولكن يشير ملك الخاسوت للكاهن بالصمت.

- "أخرج"

يقولها الملك للكاهن، فيَهِمّ الكاهن بالخروج في خوف من غضب ملكه، ومع غلق باب المعبد من قِبَل الحراس.

- "تكلم يا كبير الجماعة"

قالها الملك لكبير الجماعة، فمَن يكون قائد جماعة الإله "ست" يلغى اسمه و يصبح النداء له باللقب فقط احتراماً لقدسية الجماعة.

- "أترك لي هذا الأمر يا مولاي، أنا والجماعة سنأتي بالحل الأمثل للقضاء على نبوءة الكاهن"

يبتسم ملك الخاسوت ابتسامته الهادئة وهو يعلم في قرارة نفسه ما سيتم في يوم الإحتفال وما ستقرره الجماعة سيكون هو الحل الأمثل لنبوءة المطر الأحمر.

٢- حلم النبوءة:

تولد السماء الشمس لتطل بأشعتها على أرجاء طيبة مثل كل يوم، لكن اليوم هو يوم مُختلف فهو اليوم التاسع عشر من الشهر الثاني في السنة، أي أنه يوم عيد (الأوبت)، والأيام الثلاثة الماضية كانت مدينة طيبة تجهز نفسها لاستقبال يوم العيد، فالعامة يحضرون ملابسهم وزينتهم وقرابينهم ويبحثون عن أماكن ليقفون فيها بالقرب من مسار الاحتفال، ومسار الاحتفال سيكون بالقرب من معابد الكرنك، مروراً بالنيل حتى الضفة الأخرى لمعابد الأقصر، أما موظفي المدينة وحاشية الملك "أعح حتب" وحاشية الأم الجدة الملكية "تيتي شري" منقسمون إلى ثلاثة أقسام، قسمًا يجهز ويشرف مع كهنة معبد الإله آمون على تجهيز مراسم الاحتفال وتجهيز القرابين وزينة المدينة، والقسم الثاني يجهزون ملابس وزينة الملوك والأمراء وأماكن جلوسهم على المنصة الرئيسية لمشاهدة الاحتفال، مضافًا إلى ذلك المركب الملكي والمنصة الملكية الثانية في معبد الأقصر لمشاهدة المراسم الملكية التي لا يشاهدها سوى العائلة الملكية في معبد الأقصر بعد الاحتفال الرئيسي، أما القسم الأخير فهو يخص كاهن واحد فقط؛ "مس" الشاب، كاهن العائلة الملكية الوفي، فقد وُكِّلَ له هذا الأمر الهام، تجهيز أوراق البردي الخاصة بالنبوءة، النبوءة التي أرّقت ذهن "تيتي شري" والأرملة "أعح حتب".

أخذ الشاب (مس) في تدوين الكلمات للسؤال عن النبوءة في ورقتي بردي، الأولى تفيد بنفي النبوءة والثانية تفيد بإثبات حدوثها في

القريب العاجل، وأثناء تدوينه الكلمات تذكر والده (تحوتي) الكاهن الأكبر للعائلة الخاص بالملكة الجدة (تيتي شري)، وسرده للأحداث السابقة الخاصة بالنبوءة، النبوءة التي بدأت مع زواج (تيتي شري) بـ(تاعا الأول) وتوليه إمارة طيبة كآخر مدينة لم يستطع دخولها الخاسوت لسنوات ، النبوءة التي تنبّأت بها (عرّافة آمون).

"أحفاد (تيتي شري) و(تاي الأول) من (سقنن رع) سيلاقون الموت مبكرًا على يدي المرض والخاسوت".

لم تلاقي تلك النبوءة في بادئ الأمر قلقًا من كهنوت المعبد، إعتقادًا منهم بأنه مع تقديم القرابين والتعبد والصلوات لآلهة طيبة سيقلب أمر النبوءة، ولكن بعد مرور الأعوام، وفي ولادة (سقنن رع) لم يكن طالع المولود جيدًا، فالإله (شوي) إله القدر، تنبّأ بنهاية حكم (سقنن رع) على يد الخاسوت، وبعد تولّي (سقنن رع) حكم طيبة خلفًا لأبيه وتزوّجه من (إعح حتب) ذات الدم الملكي، تنبّأت (عرافة آمون):

"سيلاقي نسل (سقنن رع) و(إعح حتب) الموت مبكرًا على يدي المرض والخاسوت مع سقوط المطر".

وعلى إثر تأكيد النبوءة جمعت الملكة الجدة (تيتي شري) كهنة المعبد لتلافي وقع النبوءة والاستنجاد بقوى الآلهة وإحلال الخير والرزق على نسل (تيتي شري)، وبعد تقديم القرابين والصلوات والتقرب من الآلهة (آمون وموت وخنسو) ثالوث طيبة المقدسة، وغيرها من آلهة مصر المقدسة، وعدم جدوى استخدام قوة (الحكا)* ....، توصّل كهنة آمون إلى أن عدم تسمية أبناء وبنات (سقنن رع)

بأسماء ملكية مقترنة بأسماء الآلهة كما جرت العادة لدى فراعنة مصر القدامى قد يُعطِّل حدوث النبوءة ويتم التسمية بإسم من أسماء عامة الشعب.

ورغم ذلك تحقق الجزء الأول من النبوءة، ومات للزوجين (سقنن رع) و(أعح حتب) أبناء على يد المرض، وتبقى الابنة (نفرتاري) والولدين (كامس) و(أحمس) والأميرة الصغيرة (أحمس) والأمير (بنبو)، ومع ولادة (أحمس) الابن تأكَّد الشق الثاني من النبوءة عندما تنبأت عرافة آمون:

"سيلاقي سقنن رع وأولاده كامس وأحمس حتفهما على يدي الخاسوت عند سقوط المطر".

****

مرت الأحداث وحارب (سقنن رع) الخاسوت وقُتِلَ على يد الخاسوت، وتلاه ابنه كامس في حرب الخاسوت ليلاقي مصير الأب، ولم يتبقَّ من نسل العائلة الملكية من الذكور سوى أحمس، لذا قررت (تيتي شري) و(أعح حتب) إصدار إشاعة مفادها مرض أحمس وعدم قدرته على تولي أمور حكم إمارة طيبة.

- "أين ستوضع الأوراق؟"

يسأل الكاهن سيد أسرار المعبد.

- "الأولى في الطريق البحري والثانية في طريق الحقول".

يقولها مس وهو يناولها لكاهن أسرار المعبد ويتركه ويسير في طريقه هائمًا، لا يفكر سوى في أمر واحد فقط وهو: هل الأوراق ستؤتي بثمارها وسنتأكد من أن مصير الأمير أحمس ما زال كما هو متوقع له؟ أم حدث تغيير؟، يصعد درجات المعبد الحجرية، يسير بين أعمدته التي تزيّنت بنقوشها الممجدة للإله آمون، يعبر تجمع المتطهرين الواقفين في حضرة الكاهن الأكبر تحوتي، يتلقون التعليمات الأخيرة قبل الخروج في موكب العيد، وعند ظهور (مس)، ينقطع سيل الكلمات من فم (تحوتي)، يشير تحوتي للمتطهرين فيهم المتطهرين للخروج من المعبد.

- "تم تجهيز الأوراق يا سيدي خادم إلهنا الأعظم آمون".

يقولها مس وهو ناظر إلى موضع قدميه.

- "مس".

يقولها تحوتي ولكن ليس ككاهن أكبر، ولكن كأب ينظر لابنه المرتدي ملابسه البيضاء من الكتان ويلتمع بها الخيوط الذهبية فوق كتفيه.

- "نضجت وأمسيت في موضع المسئولية".

يقولها تحوتي مبتسمًا

- "التزامنا بتعاليم الآلهة هو دورنا في نشر الدعوة مثلما علَّمتنا كتلاميذ لك يا كاهننا الأكبر".

يجيب مس بتلك الطريقة الرسمية و عينيه على جلد النمر المُغطَّى

لجسد تحوتي والده ومثله الأعلى حتى الآن.

- "لا تقلق .. ما ستقرره الآلهة سيكون فيه الخير مهما كان".

يقولها تحوتي لابنه مس وعينيه تنظر لليمين، ليهم بالتحرك لباب غرفته الخاصة، فيأذن مس من والده بالرحيل بهز رأسه للأسفل، يشير تحوتي بأنامله وعينيه مغلقة، يدور مس ويصوب وجهته لباب المعبد، يعلم مس بأن أبيه قلق أكثر منه، يتذكر ذلك الحديث الذي دار بينهم بالأمس القريب، في قرارة نفسه النبوءة لا مفر منها ستتحقق ستتحقق، عرافة آمون لا تكذب، *الحتحورات السبعة لا تخطيء، سيموت نسل سقنن رع، ومع نهاية أحمس نهاية (تيتي شري) ابنة الشريف (ثننا)، يتذكر عبارة والده بالأمس: "لو طيبة سقطت انتهت ديانة آمون"، ومعنى ذلك نهاية حياته وحياة والده على أيدي جماعة الإله ست.

****

خارج أسوار طيبة العالية، يقف ذلك المُلثَّم بالسواد بين خمسة من مُرتدي ملابس كهنة رع البيضاء، تلك الرؤوس الفارغة من الشعر ولا يوجد بها سوى على الجبهة ختم عين الشمس المُميّز لمعابد الإله رع، يعطيهم الإشارة للبدء في التحرك، يسيرون مسافات من الأقدام مبتعدين عن ذلك المُلثَّم، يقتربون أكثر من الحقول المترامية الأطراف يمين بوابات المدينة ورمال الصحراء يسار البوابات، وأمام البوابات يتوقفون أمام حراس المدينة المميّزين بالنقبة الحمراء حول الخصر والرماح السوداء ذات شعار الآلهة آمون المنقوشة على طول جسم

الروح، يتحقق الحراس من شخصية الزائرين، إنهم مجرد خمسة من كهنة رع قادمين من الشمال لحضور احتفالات عيد (الأوبت) كما جرت العادة في الأعوام السابقة، لا يوجد ما هو مريب. يدخل الكهنة الخمسة من البوابات يسيرون وسط مباني المدينة ذات العمارة الدقيقة في مواد البناء، فها هو مبنى عمدة المدينة المركزي المتميز بطابع عالي الفخامة في مواد البناء المختارة بدقة من محاجر الجنوب، وزخارف تتميز بلغة هيروغليفية دقيقة تعلن قدم المدينة، وتوحي بأنها أساس الدولة المصرية، وتُمجِّد الإله آمون، وأخيرًا وليس آخرًا تقدس العائلة الملكية، وها هو مبنى الخزانة المدجّج بالحراسة ببناءه العالي القليل الفتحات، وها هي مباني أخرى متراصّة ما بين بيوتِ للعامة ذات بناء اقتصادي متزِيّنة بالورود والبخور يخرج رائحته من نوافذها استعدادًا للاحتفال، أما بالنسبة لاتجاه سير العامة فالجميع يتجه اتجاهًا واحدًا أمام المعبد الشامخ خلف القصر الملكي، يقف الكهنة الخمسة وسط العامة في الردهة الواسعة أمام باب المعبد مصطفِّين يمينًا ويسارًا، وفي منتصف الساحة يوجد ممر المعبد المُزيّن بتماثيل الكباش المقدسة، وبين كل تمثال وآخر شعلة نارية ذات دخان ذو رائحة بخور مميزة، وبجانب باب المعبد توجد المنصة الملكية محاطة بالحراس وداخلها تجلس في المقدمة الملكة (تيتي شري) والملكة (أعح حتب)، وبجانبهم مقعد فارغ وخلفهم يجلس (سني) عمدة المدينة الجنوبية و(نفربرت) مدير الخزانة ومدير القصر و(أيوف) الموظف الخاص بشئون العائلة الملكية و(نشي) قائد الجيش والسفن الحربية، يخرج تحوتي من باب المعبد ويقف مميزًا بلباس

جلد النمر مبتسمًا ويتحدث بصوت عالي للجميع:

- "يا أهل طيبة.. إخوتي.. يا أبناء تلك الأرض السمراء، اليوم هو يوم مميز، نحتفل به كل عام، هو يوم عيد (الأوبت)".

تخرج هتافات العامة بصوتها العالي الناطقة بإسم الآلهة آمون وموت وخنسو، يرفع تحوتي يده فيصمت العامة عن الهتافات ليكمل حديثه السابق.

- "مئات من الأعوام مرت وما زالت أقدام الخاسوت تُدنِّس مدن مصر ما عدا مدينتنا، نحن ما زلنا صامدين يا إخوتي تحت قيادة عائلتنا الملكية المقدسة، أبناء الإله آمون، وسنظل صامدين ولن تدنس أقدامهم مدينتنا في رعاية إلهتنا لمدينتنا، وآمون وموت وخنسو، آمون رب عروش الأرضين".

يقولها تحوتي لتبدأ الآلات الموسيقية في العزف وتبدأها آلة الهارب بالعزف ومعها تصاحبها غناء زوجات الإله، ومع الغناء تخرج الزوجات بلباسهم الأبيض من باب المعبد وخلفهم يخرج المتطهرين حاملين المحفة الذهبية عليها تمثال الإله آمون مُغطى رأسه بغطاء من خيوط ذهبية اللون، وخلفهم تخرج محفة أخرى عليها تمثالين للآلهة موت و خنسو مغطى رأسهم أيضًا بغطاء ذهبي، ينزل الموكب الدرجات ويتحرك في الممر بين تماثيل الكباش، يعلم (تحوتي) أن مع بدء الاحتفال سيكون القلق صاحب اليد العليا في تفكير الملكة (تيتي شري) والملكة (أعح حتب) في انتظار نتيجة تحرك المتطهرين بالموكب، فالمتطهرين لا يعلمون بأمر الأوراق الخاصة بالنبوءة الموضوعة في

الطريق البحري وطريق الحقول، والمتطهرين هم مَن يقررون سير الموكب بأية طريق منهم حتى الوصول للنيل، كما تأمرهم الآلهة بالتحرك، يتحرك تحوتي خلف المحفتين بخطوات ثابتة، ينزل الدرجات ينظر حوله إلى العامة، يبتسم للكهنة الخمسة ويُرَى بوضوح ختم عين الشمس ليعلم بحضورهم مثل كل عام، يبتسمون له ويوطِّئون برؤوسهم احترامًا لهم، ينظر أمامه ويختلط عليه أمر ما، هؤلاء الخمسة ليس هم مَن قابلهم في العامين الماضيين، إنهم أشخاص آخرين، سيتفهّم الأمر عندما يقابلهم في الليل بعد الانتهاء من الاحتفال كما جرت العادة كل عام، هكذا هو قرر الآن، فالآن هو وقت الاحتفال، أما بالنسبة للكهنة الخمسة ينصتون السمع ليس للتراتيل المُغنَّاه من زوجات الآلهة، ولكن لحديث العامة عن عدم حضور الأمير أحمس للإحتفال ووجوده بالقصر لمرضه، بدليل مقعده الفارغ بجانب والدته (أعح حتب)، ومع خروج الموكب من ممر الكباش، يصبح الكهنة الخمسة مجرد كاهن واحد فقط، وتحت موطئ قدميه ملابس الأربعة البيضاء، ينظر خلفه ليراهم خارجين من بين الحشود بنقبهم السوداء فيبتسم ويقولها في قرارة نفسه:

"سيكون آخر احتفال للأوبت هذا العام".

****

يجلس ممتدة ساقيه في الحمام الملكي وتقوم تلك الجارية ذات الملابس الشفافة بصبّ المياه على جسده العاري لتتلألأ كقطرات على عضلات صدره وتتحرك أسفلًا إلى عضلات البطن وتقوم الجارية

الملكية بمسح تلك القطرات من على صدره محرَكة كفيها إلى أسفل منطقة البطن، فيقوم بإبعاد كفيها عن جسده تمامًا وبنظرة واحدة منه لها تستوعب أمره الملكي بالخروج من الحمام فتخرج مسرعة حتى لا تُغضِب الأمير (أحمس) في مضجعه بالحمام الملكي، ليست تلك المرة الأولى لها في إحمام الأمير ولكن هي المرة الأولى لها في وضع يديها على جسده، هي تعلم تمامًا بأنه لا يحب أن تلمسه أيّة جارية أو عبدة له، ولكن هذه المرة كانت فقط تُنفِّذ تعليمات من شخص آخر في القصر، مجرد أن تحاول الاقتراب وأن تحاول إثارته ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، أحمس يعي تمامًا لكل ذلك، فقد عانى الأمرّين من والدته (إعح حتب) في موضوع أن يلهو مع الجاريات مثل أي أمير فرعوني، ولكن في كل مرة يقابل الأمر بالرفض منه، ينظر أحمس إلى الأعلى منه إلى النقوشات المدوّنة بالحمام الملكي، برائحة البخور المميزة، يغمض عينيه يفكر في ماهية نتيجة السؤال في احتفال الأوبت؛؛ هل النبوءة ستتحقق بإرادة الآلهة؟، كما حدث مع أبيه وأخيه، هو في حيرة من أمره، والجارية خارجة من باب الردهة الخارجية للجناح المخصَّص للأمير أحمس بالقصر حزينة منه بأن العيب بها و لم تستطع تنفيذ الأمر الموجّه لها من قبل الملكات بإمالة أحمس إليها، ولكن هناك من يُميل رأسها إلى الأسفل ولا تستطيع التنفس من تلك الذراع القوية وحاولت أن تقاوم وحاولت فكَّها ولكنها تسقط بجانب جثتي الحارسين ويدخل صاحب الذراع القوية بنقبته السوداء إلى ردهة جناح الأمير أحمس يسير ببَطء حامل سيفه المسروق من حارس الجناح القتيل. يقترب من غرفة الأمير ويفتح بابها

لا يجد أي شخص بها، يخرج من الغرفة باحثًا عن الأمير، الأمير الذي يضع في رأسه أفكارًا وأفكارًا، ما بين النبوءة والحرب ومشاكل أخرى مع والدته، من ذلك الخوف الزائد عليه من (إعح حتب) ونشر إشاعة مرضه خوفًا عليه من ملك الخاسوت، فهو لم يعُد صغيرًا، ولن توقف إشاعة مرضه تقدم الخاسوت إلى طيبة، فالخاسوت لن يظلوا على أبواب طيبة طويلًا، سيحاولون دخولها عاجلا أم آجلًا، يقطع لمعان سيف صاحب الذراع القوية تفكير أحمس، يحرك رقبته بعيدًا عن نزول السيف ليصطدم بسطح المياه ببركة الاستحمام، ومع اصطدام السيف تتطاير قطرات المياه على وجه صاحب الذراع القوية ومعها قبضة أحمس في أنفه ليسقط أرضًا وأحمس فوقه منهالًا عليه باللكمات، ومع سقوط قطرات الدماء لصاحب الذراع القوية على أرضية الحمام الملكي، يرى أحمس سقوط قطرات المطر من نافذة الحمام بغزارة، غزارة الأمطار توقف تحرك المتطهرين بموكب الآلهة ويبدأون بالرجوع إلى المعبد ليعلن (تحوتي) للجميع بنبرة عالية إنهاء مراسم الاحتفال، ومع كلماته يسقط بقلب الملكة (إعح حتب) ألمًا شديدًا خوفًا على ابنها أحمس، فالمتطهرين لم يسلكوا أيًا من الطرق الموضوع بها الأوراق، والأمطار الغزيرة دائمًا ما تصاحب بفقدها لأحد من أولادها وأحمس بعيد عن ناظريها بالقصر الملكي، وفي القصر يسير (أحمس) في الردهة عاري الجسد مغطى صدره بدماء صاحب الذراع القوية يصل لجثة الجارية آخر الردهة وجثتي الحارسين وأمامها يقف اثنين من أصحاب النقب السوداء شاهرين سيوفهم برونزية المعدن، يبدأ الاثنين بتوجيه سيوفهما إلى صدر أحمس، أحمس هو ما يُقلق

الكاهن (مس) الشاب وهو متوجه بعجلاته الحربية إلى القصر الملكي، وعلى مرمى بصره يرى بوابات القصر مفتوحة وبدون حراس، ومع الإقتراب أكثر، يرى (مس) جثث الحراس أرضًا، أرضًا تسقط جثة الأول ويركض الثاني في خوف جعله يُبلِّل نقبته السوداء مما رآه من سرعة رد فعل أحمس وإمساكه بسيفهما بكفيه وهو لا يشعر بنزول الدماء من كفيه وإمساكه بالسيفين وضرب الأول بالسيف في رأسه ليسقط أرضًا، كل ذلك يدور في رأسه لا يعلم كيف أو متى سيصل لبوابات القصر المفتوحة، يعلم أنه لن يعترضه حارس، فهناك الشخص الرابع ذو النقبة السوداء منتظره على البوابة يصل إليه ويقولها في ذعر: "إهرب"، و بمجرد أن وصلا إلى خارج بوابات القصر يرون (مس) قادمًا بعجلته الحربية، يقفون مكانهم، فخلفهم أحمس راكضًا وأمامهم (مس) قادمًا، ولم تمر اللحظات هادئة، فأحمس يصل إليهما قبل (مس) قافزًا في الهواء شاهرًا سيفيّ كلًّا منهما، ساقطًا على عنقي صاحبا النقب السوداء، فتتطاير رؤوسهما لتسقط أمام حافري حصان العجلة الحربية للكاهن (مس)، فيرفع الحصان ساقيه الأمامية بعيدًا عن موضع الرؤوس فتقف عجلة (مس) ويحاول (مس) أن يهدئ من روع الحصان، ومع امتزاج دمائها مع مياه الأمطار على أرض طيبة.

- "وصلوا طيبة يا (مس)".

يقولها أحمس لـ(مس)، يستوعب الأمر كله الآن بعد أن رأى ختم عين الشمس على الرؤوس الملقاة أرضًا، هؤلاء هم من رآهم في الاحتفال مرتدين الملابس البيضاء في هيئة كهنة الإله (رع)، إذ أنهم رجال

جماعة الإله ست ومتخفِّين في زي كهنة (رع).

- "قتلت كم فرد منهم مولاي الأمير (أحمس)؟"

يجيب (أحمس) على الكاهن (مس):

- "أربعة".

ينظر أحمس في أعين الكاهن الشاب ليعلم بأنه ما زال هناك آخرين في المدينة، يومئ (مس) للأمير برأسه للانصراف فيأذن له (أحمس) وتتحرك عجلة (مس) الحربية مبتعدة عن بوابات القصر، معترضة موكب الملكات العائدين إلى القصر الملكي (أعح حتب) و(تيتي شري) اللتان اصطدمتا برؤية أحمس على بوابات القصر عاري الجسد وسط الجثث والرؤوس فتترك (أعح حتب) الموكب وتنزل من على الحافة الملكية راكضة إلى (أحمس) وتقوم بإحتضانه باكية.

- "أأنت بخير؟"

تقولها (أعح حتب) وهي تتفحّص جسد ابنها من أي إصابات.

- "لم يأتِ يومي".

يقولها (أحمس) مطمئنًا والدته، وتقوم الجاريات المصاحبة للملكة بتجفيف وتنظيف (أحمس) من المياه والدماء.

- "تحشَّم أيها الأمير في حضور الملكات"

تقولها (تيتي شري) الملكة الجدة غاضبة من موضع (أحمس) عاري الجسد تمامًا وسط الجواري، فيقوم أحمس بتمزيق ملبس إحدى

الجواري واضعًا قطعة القماش الممزقة على عورته وتسقط على إثرها الجارية ممزّقة الملابس أرضًا مغشيًا عليها.

"عذرًا مولاتي الملكة (تيتي شري)".

****

يخرج كاهن (رع) الخامس من بوابات طيبة راكضًا على الطريق الممتد بين الحقول على يمينه ورمال الصحراء على يساره وعلى مرمى بصره الملثَّم بالسواد واقفًا فوق عجلته الحربية سوداء اللون يصل إليه يلهث:

- "هل أنت آتي بالخبر اليقين؟"

- "سيدي (بس).. إن الرجال الأربعة لم يعُد منهم أحد لي بالخبر اليقين حتى الآن".

ينظر (بس) كاهن جماعة الإله (ست) المُلثَّم بالسواد في غضب إلى رجله المتخفِّي بملابس كهنة (رع) مخرجًا سيفه من غمده ورافعه في الهواء.

- "أرجوك يا سيدي (بس)"

- "الفشل لدينا في الجماعة ما هي عقوبته؟"

- "أرجوك يا سيدي" يقولها الرجل وهو يبكي

- "أجب" يصرخ بها (مس) في غضب

- "لا يا سيدي، لا" يقولها الرجل باكيًا

- "الموت"

يقولها (مس) بصوت عالي وهو قادم فوق عجلته الحربية الصفراء اللون موجَهًا سهمه إلى رجل (بس)، ومع سقوط الرجل صريعًا بينهم يستطرد الكاهن الشاب (مس) حديثه إلى (بس) كاهن جماعة الإله (ست):

- "لم يمت بعد يا (بس)"

- "إذًا الحاضر ليس بيوم أميرك (أحمس)"

يقولها (بس) كاهن جماعة الإله (ست) وهو يسحب حصان عجلته الحربية ليهِمّ بالرحيل، يقف الكاهن الشاب (مس) بعجلته الحربية ناظرًا إلى (بس) وهو راحلٌ عن المكان بعجلته الحربية عن طيبة وما حولها من أراضي، وكاهن الجماعة يفكر وهو في طريقه إلى أواريس كيف سيبرر للملك فشله، كيف سيقولها لملك الخاسوت..

(أن أحمس لم يمت وما زال وجود ابن سقنن رع يهدد عرشه لمملكة الخاسوت).

****

الغضب، ذلك الإحساس ذو اللون القاتم، يتغلغل في جسد أبوفيس غضب عارم، إحساس باليأس، التجرّع من الهزيمة بأكواب من شراب الفشل، النبوءة وما أحضرته معها من قلق داخل أبوفيس.

- "هذا ما حدث يا مولاي الملك أبوفيس"

يقولها (بس) كاهن الجماعة و الخوف من العقاب يجعله كفأرٍ مختبئ من قطة برية.

- "ماذا يا (بس)؟ أكبير عليك منصب رئيس الجماعة؟"

يقولها الملك (أبوفيس) ليشعل فتيل الخوف داخله، فهو أصغر مَن تولَّى ذلك المنصب، كان هناك الكثير من المعارضين لذلك القرار، ولكن لا يستطيع أي فرد داخل الجماعة الوقوف أمام قرار مجلس كهنتها في حضور الملك أيضًا، اليوم هو اختبار حقيقي له، وأول تجربة حقيقية تستطيع أن تُظهر قوة (بس) في التخطيط لمستقبل الجماعة وجعله مستقبل أفضل.

- "يا مولاي لا تُحمِّلني اللوم في الهزيمة قبل معرفة الأسباب".

يقولها (بس) لـ(أبوفيس) وهو يعلم تمامًا مدى قوة مبرراته وعلى يقين تام من قوة موقفه، يندهش (أبوفيس) لعبارة رئيس الجماعة.

- "ما أسبابك؟"
- "خطأ من الكشافين مولاي"
- "وضِّح أكثر"
- " كل المعلومات التي وردت لنا من جهاز الكشافين تتنافى تمامًا مع ما تمّ رؤيته لنا داخل طيبة".

يقولها (بس) ويتوقف عن الحديث ناظرًا حوله إلى حرس القاعة فيشير أبوفيس بأنامله إلى الحرس ليهِمّوا بالخروج من القاعة، فالشك في نفس كبير الجماعة في من حوله من أفراد من الأمور التي يشتهر

بها، لذا هو دائمًا مشهور بعدم معرفة أقرب مَن حوله بما يدور في رأسه.

- "أكمل حديثك يا كبير الجماعة".
- "ما تم إبلاغي به من رئيس الكشافين أن أحمس أمير مُدلَّل، لا يقدر على القتال، أهواؤه الشخصية تجعله في عزلة عن أمور قصر طيبة، وبالتالي أقل جندي من جماعتي يستطيع القضاء عليه بيديه، لكن ما وضح أنه على غير ذلك، مُدرّب جيدًا على القتال، سريع البديهة، وهناك حماية له من كهنة آمون، حماية عسكرية تحت مسمى الكهنة الشباب".
- "أتقصد جنود في هيئة كهنة دين؟"
- "أنا دائمًا أعجب بفطنة مولاي"
- "ليس وقت مجاملات.. أكمل حديثك"
- "خطتنا كانت مبنية على انشغال الحرس الملكي الطيبي بمراسم الاحتفال، وعلى ضعف الأمير، لكن المفاجأة من خطأ المعلومات أفشل خطتنا، وبالتالي ما تمّ حدوثه من فشل محاولتنا لقتل أحمس سيغير كل الحسابات لدينا، وسينبَههم لوجود كشافين لنا في طيبة".
- "والحل؟"
- "لا بُد من البحث في أمر هيكلة جهاز الكشافين"
- "ومَن يستطيع القيام بهذا الدور في رأيك يا كبير الجماعة؟"
- "رؤيتك الحكيمة لا يضاهيها رؤية كاهن مثلي يا مولاي"

يقولها بس وهو يعلم تماماً ما يريده من مولاه، ينادي أبوفيس بصوته العالي على حراس قاعته، يطلب منهم الإتيان لكبير ديوان القصر، يبتسم لكاهن جماعته ويعلنها له:

- "ستستلم من كبير الديوان مرسوم لأمر ملكي بتوليك الإشراف الكامل على جهاز الكشافين".

يبتسم (بس) لما سمع من مولاه، يسعد في داخله لتحقيق مكاسب جديدة للجماعة، ويفرح كثيراً لنجاح مخططه، مخطط الإحكام على مفاصل دولته، مملكة الخاسوت.

****

أفراد كثيرين لم يفهموا سبب ذلك التجمّع الضخم داخل القاعة الملكية بقصر طيبة.

- "على وجه السرعة الكل في حضرة الملكة "أعح حتب)".

كلمات رسول الملكة إلى الوزير، (نشي) قائد الجيش، كبير الحرس الملكي، (تحوتي) كبير كهنة آمون، (مس) الكاهن، (سني) عمدة طيبة، (نفربرت) مدير القصر ومدير الخزانة، وأخيراً (أحمس) الأمير.
يستقبل (أيوف) خادم الملكة الجميع في القاعة الملكية، الكل واقف في حضرة الملكة.

- "ملكة طيبة، سليلة الأشراف، وسليلة الآلهة مولاتي (أعح حتب)".

يقولها (أيوف) بصوته العالي ليعبر دخول الملكة (أعح حتب) إلى القاعة، تنحني الرؤوس إجلالًا، تجلس الملكة على عرش المدينة، تبدأ

في حديثها الغاضب:

- "اختراق.. هذا ما تم اليوم، إلغاء لإحتفال مهم، غضب الآلهة وحده لا يكفي في معاقبة المُقصِّرين، مَن يُهدِّد حياته بسبب التقصير، أمير طيبة، طلبي لحضوركم ليس مجرد تأنيب أو سماع لمبررات واهية لن يقبلها إلهنا آمون، ولن أقبلها في تهديد لحياة (أحمس) أميركم المُعظَّم.. اجتماعكم اليوم للتحقيق في الأمر، وتقديم المقصرين للعقاب الفوري".

تشير الملكة إلى (أيوف) تفرّد البردية بين كفيه، ويهم في قراءة محتوياتها بصوته العالي على الحاضرين:

- "بإسم إلهنا المُعظَّم آمون رب الأرضين سيد الآلهة، وبإسم ابنته الملكة (اعح حتب)، ملكة طيبة، سليلة الآلهة، سليلة الأشراف، قرر الأمر الآتي: التفتيش العام على جميع المتواجدين بالمدينة والبحث عن الجواسيس والخونة، ومَن يتم الشك به من قِبَل المفتشين سيتم قتله في الحال، وذلك تحت إشراف خادم جلالة الملكة، (أيوف)، وعليه.. هنا أمر ملكي سيتم تنفيذه من الآن".

ومع إنهاء كلمات أيوف غُلِّقت أبواب القاعة وتحرّك جنود الملكة وسط الحاضرين، وشاهرين سيوفهم حتى لا يحاول أي شخص التحرك من القاعة.

الأبواب من الخارج مغلقة في إحكام ومن الداخل الحاضرين في قلق تام، ينظرون حولهم لا يجدون الملكة بالمكان، يفتشون بينهم عن الأمير (أحمس) وعن الكاهن (تحوتي)، غير متواجدين، وفي داخل

القاعة يتحرك أيوف بين الجنود يشير بأنامله إلى الضيوف، هذا وذلك وتلك، ومن يُشار إليه يقوم الجنود بتقطيع أجزاء من ملابسه يبحثون عن علامات معينة، علامات تحمل انتمائاتهم، تنبه عن نواياهم، تبحث عن رأس ست سوداء اللون، رأس تشير على جماعة واحدة، تعبد إله لم يكن بالأصل إلههم، وتحوّل إلى معبودهم، وأخذوا خلف عبادته أهدافهم، رمز للإله ست، وهو رمز الجماعة، جماعة الإله ست.

لم يكن المتواجدين داخل القاعة فقط هم المشكوك في أمرهم، بل خارج القاعة كان البحث جارياً، بين حاشية القصر، بداية من الجاريات، الحراس، حتى الطهاة، ومَن كان يقوم بالفحص بين أعضاء حاشية القصر هو الشاب (مس) معه عدد من جنود من حراس معبد (آمون)، يسيرون بين الطرقات في هدوء، يُدقّقون في كل جنبات القصر، حتى وإن وصلوا إلى جارية تحمل ختم (ست)، لا يقتلونها في الحال بل يجرونها خارج القصر إلى عربة من عربات المعبد، حارس يجرّوه جراّ وهكذا..

كل هذا يحدث أثناء تبادل أطراف الحديث بين اثنين آخرين، نقاشهم الحاد لا يلمح لخلاف بينهم، بل هو تبادل فكري بين الماضي والحاضر، اختلاف ثنائي بين القديم والحديث، وتناقل خبرات من ماضي كبير إلى حاضر لمستقبل قريب، فيتساءل الأول ذو الاندفاع صاحب ال ١٧ ربيعًا.

- " صدقني يا خادم آمون لست مقتنعًا بتلك الطريقة التي استخدمتها الملكة الأم بأنها مفيدة، لماذا لم تتخذ القرار مباشرة

دون الإعلان عنه؟!"

يجيب (تحوتي) بهدوئه المعتاد في تلك الأسئلة:

- "ولِمَ لا تستنبط أن هذا الإعلان أهم من التفتيش نفسه؟".

يتوقف الأمير أحمس عن الترجّل فيُربِّت تحوتي على كتفه وهو مبتسم في توقعه لإندهاش الأمير من إجابته ويكملان سيرهما.

- "الخوف من الحقيقة قد تكون نتائجها عكسية، أحيانًا تعاملك مع الحقيقة بطريقة خفيّة يكون هو أقصر طريق لهزيمتك في ساحة المعركة".

يصل الاثنين إلى غرفة الملك السابق (سقنن رع)، يدخلان الغرفة التي بها العديد من مقتنيات سابقة له، التي لم توضع حتى الآن في مقبرته الملكية، والتي في انتظار دورها بالوضع بالمقبرة حين الانتهاء من اللمسات الأخيرة، يقترب (تحوتي) من خنجر موضوع في منتصف الغرفة على مقعد ذهبي صغير، يمسك تحوتي بالخنجر ويخرجه من غمده الذهبي ليكشف عن اسم (سقنن رع) الشجاع المدوّن عليه ويسترسل في الحديث الأمير (أحمس).

"من الأرض العليا خرج مينا مُوحِّد القطرين، ومن الجنوب تكمن قوة مصر حتى في أحلك أوقاتها".

من البرديات المقدسة

العامو الأول

---

٣ - حلم الأشراف

- "عندما حكم الأشراف المدينة (نفرو) و(ثننا) لم يكن في مقدورهم محاربة نظام قائم ولكن استطاعوا أن يعزلوا المدينة عن تدخلات الخاسوت في نظام المدينة القديم، (نفرو) و(ثننا) كانوا مجرد شريفين، ليسوا ذوي كهنة وقصور ملكية وسلالة طويلة من حكام مصر القدماء".
- "أتقصد أنه لم يكن بمقدورهم محاربة الخاسوت؟"
- "الخاسوت وجودهم كان أمر واقع، كان لا بد من التعايش معه"
- "لم أفهم"
- "حلم الأشراف كان تحويل طيبة من مجرد إمارة تحت حكم الخاسوت لمملكة منفصلة بذاتها.. أن لا يصبح الأمير مجرد أحاديث وألقاب تُسرَد للعامة مثل أي حاكم في أي إمارة في مصر، إنه حاكم الأرضين العليا والسفلى، وإنه حاكم لمصر كلها وبالتالي أمراء طيبة هم ملوك لمملكة طيبة، وهذا هو النهج الذي سار عليه جدك تاعا الأول الراحل وجدتك الملكة (تيتي شري)".
- "فبالتالي فكرة محاربة الخاسوت لم تكن من أهداف والدتي (أعح حتب) ووالدي (سقنن رع)".
- "بالضبط"
- "يا سيادة الكاهن الأعظم ما زلت لم تجب على سؤالي: لماذا الملكة أعلنت عن وجود جواسيس وخونة بيننا وكان من الممكن أن يقوم التفتيش دون الإعلان عنها؟"

- "إذًا لا بد أن نعود ليوم بداية الحروب بيننا وبين الخاسوت".

يقولها (تحوتي) الكاهن الأعظم للإله آمون ويسترسل في سرد تفاصيل الماضي، ماضي ليس ببعيد كل البعد عن واقع الأحداث، بل هو بداية لتلك الأحداث، لذلك اليوم الذي أتى به ذلك الرسول من حاكم الأقاليم المصرية، من أبوفيس في زمن ضربت بالأقاليم الضائقة، ضائقة بالمحاصيل الزراعية، وقلة المياه، ضائقة امتدت من فينيقيا وصلت لأقاليم مصر ولم يحسب لها حساب منه، ومن كان يمتلك المخزون الكافي لمواجهته هو إقليم واحد، إقليم طيبة، جاء الرسول على أعتاب طيبة أبلغ حراس بوابتها القصر الملكي، فإذا بـ(سقنن رع) يأمر باستقباله، تفتح أبواب القصر ويقف الرسول أمام أمير طيبة (سقنن رع) ويقرأ رسالته الشهيرة:

-"بإسم إلهنا المُعظَّم الإله (ست) وأسمائه الأخرى (بعل)، (سوتج)، (تشب) سيد آلهة الأرضين، ومن ملكه المُعظَّم، سليله، سليل الآلهة، أبوفيس، حاكم الخاسوت، حاكم الأقاليم المصرية والفينيقية، إلى أمير إقليم طيبة، أمر بأن يهجر فرس البحر ينبوع المدينة الجاري، لأن فرس البحر لا يسمح لجلالة الملك (أبوفيس) بأن يغشاه النوم ليلًا أو نهارًا، إذ أصواته المزعجة دائمًا تؤرق أذني جلالته".

الصدمة هي ما سيطر على تفكير (سقنن رع)، هي ما جعلته صامتًا، وما جعلته خائفًا، وما حوّلته إلى جماد، لا يستطيع أن يُحرِك ساكنًا، ترك مضجعه الملكي ودخل إلى الغرفة المجاورة للقاعة الملكية، تلك الغرفة التي كانت تنتظره بها، مَن أحبته، مَن اختارته من بين الجموع ليكون حبيبها، مَن فاز بقلبها، ومَن جعلته في الحكم شريكها، وفي

حكم الأشراف شريكها، زوجته (أعح حتب)، مَن كانت طوال الوقت تراه دائمًا في موقف الشجاع، مَن كانت دائمًا تبكي على صدره، لأول مرة في حياتها تستقبل دموعًا للشجاع، وتنساب أحزانه على صدرها، تضع أناملها بين خصلات شعره، تعلم في قرارة نفسها سبب بكاءه، تعلم ماهية حزنه، على ذلك الوعد، على ما قطعه على نفسه لها، بأن يحافظ على مملكة طيبة، بأن تصبح ذات شأن عظيم، ذلك الوعد لن يستطيع الحفاظ عليه، وتلك الرسالة من أبوفيس، ليس لها سوى معنى واحد؛ أن الوقت قد حان لسماع تلك الأصوات، أصوات دق طبول الحرب.

تحاول (أعح حتب) الحفاظ على قواها، أن لا تضعف مع ضعف زوجها، أن تخفي خوفها داخلها وتقول له:

- "حبيبي لا تخف.. لن يتمكنوا من دخول طيبة طالما أنت بها".

يتمالك (سقنن رع) مشاعره ويعود لسابق عهده بشجاعته المعهودة، تلك التي رأتها به يوم قيامه بإنقاذها من تماسيح النهر، يوم أن وقعت في حبه، وفي تلك اللحظة قرر قراره المعروف:

- "اجمعي كل المسئوولين بالمملكة الجنوبية لكي نستعد للحرب".

"سيلاقي (سقنن رع) وأولاده (كامس) و(أحمس) حتفهم على أيدي الخاسوت.. عند سقوط المطر".

نبوءة عرافة آمون

نبوءة المطر الأحمر

خرج (سقنن رع) إلى رسول (أبوفيس)، بعد أن تمت ضيافة الرسول كأيّ ضيف مُرحّب به في القصر الملكي، و بعد أن انتهى اجتماع (سقنن رع) مع وزير طيبة، وقائد الجيش، والملكات (تيتي شري) و(أعح حتب)، ذلك الإجتماع الذي أسفر عن حتمية الرد الرادع، إن الخوف وحده سيكون سبباَ في الهزيمة، وعليه خرج (سقنن رع) بقاعته الملكية جالسًا على مضجعه الملكي بكل ثقة، وفي قمة الشجاعة خرجت كلماته لرسول أبوفيس:

- "أبلِغ مولاك بأن جلالتي ملك طيبة لن يصرف أفراس البحر من ينبوع طيبة بنهر النيل، فلقد عاهد ملك طيبة شعبه بأن يحافظ على مقدسات شعب مدينته، وعليه لا يقدر أي كائن المساس بأفراس النهر في حضوري، و أن الاقتراب من مقدسات شعب، هو إعلان الحرب عليه".

اندهش الرسول من كلمات (سقنن رع)، ولم يستوعب ما تحمله من تحدي، هو يعلم تمامًا قدسية أفراس النهر عند أهل طيبة، ويعلم أن ملكه ما يريد إلا إشعال الحرب، ولكن أين الخوف في نفس (سقنن رع) الذي توقعه؟، لذا قرر أن يتأكد ممّا يسمعه:

- "جلالة الأمير.. أأنت متأكد من أنك تريدني أن أبلغ مولاي الملك (أبوفيس) تلك الكلمات؟"
- "تأدَّب في حضرة جلالة الملك"

تقولها الملكة الجدة (تيتي شري) التي دخلت القاعة الملكية فجأة

فانتبه الجميع لوجودها فأعاد الرسول كلماته على (سقنن رع):

- "عذراً يا جلالة ملك طيبة، هل تريدني أن أنقل كلماتك السابقة لمولاي جلالة الملك (أبوفيس) حاكم جميع أقاليم (تميرا)؟"

- "أضف على ما سمعت أن الملك (سقنن رع)، الإله الطيب، سليل الآلهة، ابن الإله المُعظَّم (آمون) سيد الأرضين، قرر أن يقطع أذنيك وأنت في مضجعك في أورايس".

وقعت الكلمات السابقة من (تيتي شري) على كل الواقفين بالقاعة الملكية كصوت الرعد، ذلك ما نتج منه برق هائل بسماء طيبة، وعليه انهالت الأمطار على أرضها السمراء، وعلى رداء الرسول وهو مغادر المدينة، لا يعلم كيف سيبلغ رسالة (سقنن رع) لأبوفيس، كوقع صوت الرعد على آذان (أعح حتب) وهي في غرفة نومها، تراقب أضواء البرق بالسماء مُتذكِّرة نبوءة عرافة آمون، تلك النبوءة تقترب بشدة من وقت حدوثها، تقترب مع اقتراب موعد الحرب القادمة لا محالة، كما قالت النبوءة، نبوءة المطر الأحمر.

****

يعيد (تحوتي) الخنجر في غمده ويستطرد حديثه لأحمس بغرفة مقتنيات (سقنن رع):

- "المشكلة في هذا اليوم أننا فكرنا في أمرين: الحرب والنبوءة، ونسينا أهم شيء.. ما إعتقادك في ماهية الأمر الذي لم نتداركه يا جلالة الأمير أحمس؟"

- "أوجود خونة وجواسيس بالمدينة؟"

- "من الممكن القول تصفية الخونة قبل الحرب"

- "وضح لي الأمر؟"

- "معنى علم الخاسوت في هذا التوقيت بوجود مخزون استراتيجي بالمدينة من المحاصيل الزراعية والذهب كفيلة بأن تغطي تلك الأزمة في أقاليم مصر هو وجود كشافين تابعين لنظام الخاسوت ينقلون كل معلومة تحدث في المدينة لهم، ولم يفكر أحد في ذلك التوقيت في أمر تصفية الخونة الموجودين بيننا، وبالتالي في الوقت الحالي لا بد من عدم تكرار أخطائنا، لكن حتمية مواجهتها بكل قوة وحسم"

- "أمن الممكن التوضيح أكثر؟"

- "أنظر للأحداث أمامك حتى تتعلم"

يقولها تحوتي وهو يفتح باب الغرفة فيَهِمّ أحمس من مكان جلسته.

يدخل من الباب (مس) الكاهن الشاب ناظراَ لـ(تحوتي) والأمير (أحمس) وينتظر الإذن له بالحديث، فيومئ له (أحمس) برأسه.

- "مولاي، عمدة المدينة غادر القاعة قبل التفتيش"

وهنا انتبه (أحمس) وراجع الأحداث، فالإعلان كشف عن أهم كشاف موجود بالمدينة؛ عمدة المدينة (سني).

- "جّهِّز الحرس الملكي يا (مس)"

يقولها أحمس وهو يَهِمّ بمغادرة الغرفة، وخلفه (تحوتي)، خارجًا إلى حرب جديدة، حرب داخلية وليست خارجية، حرب على الفساد، حرب على الكشافين.

****

- "الكشافين هم أهم أسلحة لنا في السيطرة على مفاصل الدولة".

يقولها بس وهو يعتدل في جلسته على مقعده، المتمثل في رأس المائدة، مائدة الإجتماعات الرئيسية بمبنى الجماعة، جماعة الإله ست، ذلك المبنى الذي يتواجد بمنتصف مدينة أورايس، وفي أعلى نقطة بالمدينة، يحيطه الحراس، حراس من نوع مختلف، يختلف عن حراس الملك، فهم لا يتلقّون الأوامر بشكل تسلسلي، من قيادات متسلسلة أسفل رئيس الجماعة، بل هم يتلقون التعليمات من قبل رئيس الجماعة بشكل شخصي ومباشر، ولاءهم لـ(بس) فقط لا غير، فهو من انتقاهم بنفسه، بعضًا من جنود الجيش، وبعضًا من حراس الملك، والبعض الآخر من الكهنة الشباب بمعبد الإله ست، يرون في أنفسهم أنهم المختارون، المختارون من قبل الأله، (ست) المُعظَّم، فهو من دوّن لهم ذلك القدر، مصير الإخلاص له، ولرئيس جماعته (المختار)، كل فرد منهم، لديه الفرصة في اتخاذ القرار حين يكون منفردًا لا ينتظر مركزية الأوامر في أوقات الطوارئ، بل يقرر ما في مصلحة الجماعة في تلك اللحظات الحرجة، كالتي بها الجماعة الآن.

- "الحراس في طريقهم لأطراف طيبة في انتظار المبعوث يخرج منها بسلام"

يقولها (بس) مستكملًا حديثه السابق.

- "أهمية (سني) بالنسبة للجماعة ليس للمعلومات التي يمتلكها عن طيبة، كل المعلومات المطلوبة منه وصلت إلينا، لكن خروجه في هذا التوقيت واستقباله هنا بأواريس هو الأهم".

- "أيقدر أحدكم على القول كيفية استخدامه في المرحلة المقبلة؟"

يقولها (بس) و هو ينظر للجالسين منتظرًا أن يجيب أحدهم.

- "فليَجِب أحدكم.. أسمعوني آراءكم..هه؟"

يرفع أحدهم يده ليجيبه:

- "نُعيّنه في جهاز الكشافين ويصبح مُختصًّا بشئون إمارة طيبة"

ينظر (بس) في هدوء مبتسماً.

- "ما رأيكم في هذا القول؟ نحن دائمًا نتخذ قرارتنا في مجلس الجماعة شورى".

ينظر جميع الجالسين لصاحب الرأي السابق ثم ينظرون لبعضهم البعض ويومئون بالرأس موافقةً على رأي زميلهم.

يبتسم (بس) للجميع ويقف أمام المائدة و ينظر للخريطة الموضوعة خلفهم ، تلك المخطوطة الموضوعة بها تفاصيل مملكة الخاسوت شرقًا من فينيقيا وغربًا حتى حدود لوبيا وجنوبًا حتى إمارة طيبة.

- "مملكة الخاسوت الكبيرة، قامت على أيدي أجدادنا، جيل وراء

جيل، كل جيل قضى نحبه في تأسيس المملكة، كل جيل قدم تضحياته من أجل المملكة، ومن أجل الجماعة، جماعة الإله بعل في فينيقيا، وجماعة الإله ست في مصر، جماعتنا العظيمة، لكي يعلو اسمها، وقوتها، ونفوذها يمتد من النهرين في الشرق، حتى النيل في مصر، ويصبح العالم بكامله تحت سيطرة كهنتنا".

يستدير (بس) بوجهه للجالسين، وبكلتا يديه على مائدتهم يسيطر، ويقرر في نفسه القرار الجديد، قرار يقلب الموازين.

- "إلهنا العظيم ست قرّر، واختار حاكم طيبة الجديد، أحد عُبّاده المخلصين، لما قدمه له من خدمات وقرابين، (سني) عمدة طيبة القديم، هو حاكم الإمارة الجديد، فهل فيكم على قرار إلهنا مُعين؟"

يومئ الجميع برأسه للموافقة على الأمر الجديد.

٤- حلم الخائن:

(سني) ذلك العقل الهادئ، الصوت الرزين، عمدة المدينة السابق، مَن اختاره (تاعا الأول) وهو شاب في مناصب قيادية، أبهر الكثيرين في آداء عمله، وغار منه العديد في ترقِّيه المناصب، حتى أصبح عمدة للمدينة، تحتوي غرفته على العديد من الأسرار الخاصة بطيبة، وبين يديه مقاليد طيبة، ينفذ بها رغبات الأشراف، سنوات في السلم وأخرى في الحرب، يجلس الآن في تلك الغرفة المغلقة، في قصره البعيد عن طيبة، منبوذًا في مزرعته القريبة من أهناسيا، والبعيدة عن أبيدوس بمسافة يوم ونصف، منتظرًا وصول مبعوثين الخاسوت، حراس جماعة الإله ست، ليتم نقله إلى أواريس، قلقًا من ملاحقة أتباع أحمس له، يعلم أنه في حدود إقليم إهناسيا، ذات حاكم ولاءه للخاسوت، ولكن في قرارة نفسه يهاب أتباع بلدته، يتذكر ذلك اللقاء الذي كان منذ سنوات مضت، في نفس الغرفة، ما يقرب من ستة أعوام مضت، يتذكر تلك اللحظة، عندما أتى لتلك المزرعة أول مرة، كزائر، يقابل بعضًا من الرجال، لم يكن يعلمهم سوى في تلك المرة، يتذكر دخوله للمكان، محاطة بحراس الجماعة ذو النقب السوداء، يتذكر مقابلته لذلك الشاب الذي لم يكن يعلم وقتها، ما سيصل إليه من نفوذ الآن، (بس) وهو جالس بجوار ذلك العجوز، رئيس جهاز الجماعة بالأسبقية لمملكة الخاسوت، جلس أمامها خائفًا ورزينًا، ابتسامته المصطنعة لا تخفي قلق العجوز ، لم يعلم ماهية سبب طلبهم للمقابلة سرًا، وفي ذلك المكان تحديدًا بعيدًا عن أعين (تاعا الثاني) سقنن رع حاكم طيبة في ذلك الوقت، تحت حكم مملكة الخاسوت، وتلك المقابلات السرية

أمراَ غير معتاد في تلك الفترة، وليس مع عمدة المدينة (سني) بدأ العجوز في الحديث آملًا (سني) في انقشاع الغموض.

العجوز:"بالطبع أنت لست بعالم لسبب المقابلة السرية، وتسأل نفسك ألف سؤال في الطريق من طيبة حتى هنا، و قلق طبعًا من أن أحد من الأشراف أن يعلم بالأمر".

يجيب (سني) بالإيماء برأسه فقط.

العجوز : "مملكتنا الكبيرة، في المساحة، وفي العمر، وعندما يمر وقت كبير مثل ذلك، يحدث نوع من أنواع الضعف في الموارد وهذا له أسباب عديدة، منها الفساد الإداري، الركود الاقتصادي، قلة الحروب والتوسعات، وبالتالي حتمية ووجوب إجراءات مٌتَّبعة لعدم الوصول لتلك المرحلة، أو بمعنى أدق لا بد من تجهيز كشافين، دورهم جمع المعلومات، من دورها توقُّع أيّة احتمالات للأخطار التي تضعف الدولة من ناحية، و في نفس الوقت تستكشف نقاط القوة التي تحمي المملكة من خيانات أو ثورات ضدها".

صمت العجوز ليحتسي رشفة من كوب الخمر الذي أمامه، فقرر (سني) الحديث:

- "أمن الممكن أن تخبرني بهويتك بعيدًا عن المقدمات الطويلة؟"

ابتسم العجوز:

- " جرأتك هي ما جعلتني أختارك وأرشحك لمقابلتي، أنا رئيس جهاز الكشافين ورئيس الجماعة في نفس الوقت، لا يوجد لي اسم

محدد، لكن تستطيع أن تُلقِّبني بالعجوز".

- "ما المطلوب مني؟!"

قالها (سني) بهدوئه المعتاد ليختصر أحاديث طويلة، وليعلم العجوز بأنه مركز قوة، وليس العجوز، فاستطرد:

- "أنتم مَن في حاجة إليّ، ولست أنا"

قام (بس) بسحب سيفه من غمده ولكن أوقفته إشارة العجوز له.

- "لو حاولت أن تُنهِي حياتي، فاعلم أنك لن تخرج أبعد من حدود المزرعة على قدميك".

قالها (سني) بكل ثقة، فحراسه يحيطون بالمزرعة من كل اتجاه، مختفين بين سيقان نبات البردي.

- "عدد حراسك بالمزرعة بين المائة و المائة والخمسين تقريباَ، ولكي يرسل حاكم إهناسيا الإمداد سيكون حراسي قضوا عليهم، وإذا لم أخرج لرجالي قبل الموعد المحدد سيقومون بتنفيذ ذلك الأمر فيهم وفيكم".

وفي نهاية جملته كان أخرج ساعته الرملية ليضعها على المائدة أمامهم.

- "الوقت يمر، من الجيد أن نتفق على المطلوب قبل الهجوم".

ابتسم العجوز ابتسامة عصبية واستطرد في حديثه:

- "أثبتَّ لي حسن اختياري لك، (سقنن رع) كفاه ذلك"
- "لماذا؟"
- "طيبة مكانها مهم، وحيوي، والذهب الذي يأتي إلينا من عند العبيد في الكوش، وأيضًا ذهب مناجمكم في مدينة القفط لا يصل منه لأواريس غير القليل"
- "والمقابل إذا قمت بمساعدتكم؟"
- "سيتم اختيارك كحاكم طيبة من قبل الإله ست المُعظَّم"

قالها العجوز، فضحك (سني) ضحكته المعتادة بصوتها الهادئ.

- "رئيس جماعة الإله ست وجهاز الكشافين، إذًا أواريس في أزمة مثلما ورد بتلك الإشاعات.. ما طرأ على مسامعنا في طيبة"
- "أنت عالم بواطن الأمور قبل مجيئك يا (سني)"

نطقها العجوز وهو في قمة غضبه، فحاول (سني) تهدئته.

- "لِمَ الضيق؟ لا تغضب، قبل أن أتخذ أية خطوة لا بد من التفكير بها.. عمومًا، أنا سأمنحكم حل منطقي وموضوعي، سقنن رع و(تيتي شري) الأم قوتهم في الحكم، باحترامهم لمعتقدات أهل طيبة الدينية، وبالتالي نقطة قوة الخصم، هي نقطة ضعفه"
- "ما مقصدك دون مقدمات؟"
- "سيادة العجوز الموضوع بسيط، رسول من جلالة الملك

(أبوفيس) لحاكم طيبة (سقنن رع) يطلب منه قتل أفراس النهر"

قالها سني وهو مبتسم ابتسامته الهادئة.

- "وبالتالي سيصبح أمام (سقنن رع) حل من اثنين: قتل أفراس النهر ومواجهة ثورة شعب طيبة ضده، أو رفض الأمر الملكي، وفي الحالتين لن تكون له القدرة على حكم طيبة".

يكمل العجوز كلمات (سني) وهو سعيد من كلمات (سني) ويستنتج في ذهنه النتيجة المرجوة، عزل (سقنن رع) عن الحكم، وعزل الأشراف، ويكون الاختيار الأنسب من يعلم مقاليد الأمور في طيبة، عمدة المدينة (سني) الذي استطرد في حديثه السابق:

- "وفي هذا التوقيت سيكون سهل اختيار الحاكم المثالي في وقت الفوضي داخل الإمارة"
- "صدقني ستكون أنت الاختيار المناسب"

وقعت كلمات العجوز على آذان (سني) كوقع الموسيقى الجنائزية التي تخيلها في ذهنه مع خيالاته المرجوة في حضوره لجنازة (سقنن رع)، ليقف (سني) وهو ينظر إلى ساعته الرملية التي أعلنت قرب انتهاء الوقت المُحدَّد للهجوم من قبل حراسه على المزرعة.

- "أعتقد أن المقابلة انتهت".

قالها (سني) وهو يصافح العجوز، وعند خروجه من باب الغرفة:

- "سني"

أوقفت كلمة العجوز عمدة طيبة عن الخروج.

- "فلتقبل المزرعة هدية تعارف، ومكان للقاء (بس) كاهن الجماعة مبعوثي لك للتعاون بيننا في الفترة القادمة".

نظرة واحدة من العجوز لـ(بس) الشاب جعلته يعلم ما يريد منه، فأمر (بس) حراسه:

- "يا حراس.. سلموا المزرعة لرجال مالكها الجديد".

تنقطع ذكريات (سني) على وقع كلمات حارسه القريبة، لتعيده إلى حاضره المهين، هارباً، بعد فشل العديد من مخططاته السابقة، للإطاحة بالأشراف من الحكم.

- "مولاي، رسول حاكم إهناسيا وصل"

فيشير (سني) له لإدخاله له، فيخرج الحارس الشخصي ليأمر من هو أقل منه رتبه من الحراس، فيتحرك أحد الحراس من داخل القصر ويسير بين النباتات الموجودة بالمزرعة حتى يصل إلى البوابة الرئيسية، لتفتح البوابة لرسول حاكم إهناسيا، يدخل ذلك القصير إلى المكان، محتاطًا بحراس (سني)، يتذكر وهو يصعد درجات القصر، ما أتى به لـ (عمدة طيبة) السابق، يتذكر ما قّرر بشأنه، يدخل من باب غرفة سني الرئيسية، ذلك الذي يتجرع من كأس خمرته، محاولًا نسيان الماضي القريب، ينظر إلى الرسول متسائلًا:

- "أخبرني بالترتيب"

يقولها وهو يتساءل عن ملامح وجه ذلك الرسول، ليست عليه بغريبة، فإذا أزلنا شعيرات الذقن القصيرة، سيكون أشبه بشخص رآه من قبل، و سيصبح وجه رسول إهناسيا مشابهاً تماما لمَن يكرهه..!

- "أحمس"

ينطقها (سني) ليسقط كاسه من قبضته، ومع سقوطه تبدأ الخطة المحكمة، تخترق جنود المازوي البوابة الرئيسية للمزرعة، أولئك المحيطون بنباتات البردي المحيطة بالمزرعة، مستغلون بعضًا من خدع الكاهن (مس) الشاب، المتمثلة في إشعال أدخنة وهمية في سيقان نباتات البردي أمام البوابة، فيتحرك حرستها مبتعدون عنها ليكتشفوا سر الأدخنة، فيخرج جنود المازوي من مخابئهم لتبدأ المعركة، وفي نفس الوقت المبارزة بين (أحمس) وحارس (سني) الشخصي في أوجّها، قوة حارسه تجعل (أحمس) يسقط على المائدة، ويرفع سيفه لينزل به على رقبته، مثلما تسقط جثث حراس (سني) في المزرعة من سهام (مس) الشاب ، أثناء ركضه في المزرعة متجهاً إلى القصر، ولكن ابتعاد (أحمس) في اللحظة الأخيرة عن سيف الحارس، يكسر ما تبقى من المائدة الخشبية، يبحث حوله عن (أحمس) الذي ركض نحو سيفه الذي سقط منه أرضًا، يلتقط السيف ويستعد لمواجهة حارس (سني) الشخصي، فإذا بثلاثة حراس إضافيين يقتحموا الغرفة على إثر صوت تهشُّم المائدة، فيصبح الممر فارغًا أمام (مس) الذي يقترب كثيرًا من الغرفة الرئيسية، يتصدى أحمس لضربة سيف الحارس الشخصي، فإذا بضربة الحارس الثاني التي تجعله يقفز من مكانه محاولًا تجنبها،

ينهال الأربعة بسيوفهم على جسد (أحمس) في مواضع مختلفة، ومع اقتراب السيوف على جسده، تتغير مساراتها إلى أرضية الغرفة مصاحبها أجساد الحراس، ينظر أمامه ليجد (مس) واقفًا على باب الغرفة ممسكًا بقوسه في يده ، وسهامه مخترقة أجساد الحراس أرضًا، يتساءل مس:

- "أين (سني) يا مولاي؟"

ينظر الاثنان إلى ذلك التمثال الموجود بالغرفة للإله (ست) وخلفه توجد فوهة في الجدار، تكفي لعبور شخص، في ممر طويلًا خلفه، ذلك الممر الضيق الذي سلكه (سني) منذ دقائق معدودة، لحظات أخرى وكان (سني) خارج المزرعة من بابها الخلفي السري، فوق عربته التي تجرها الخيول، يشق طريقه إلى إهناسيا، ومعه حراسًا آخرين، ليسوا بحُرّاسه، بل هم مبعوثين من قبل رئيس الجماعة، جماعة الإله (ست).

****

"هذا هو قرار الجماعة يا مولاي"

يقولها (مس) في حضرة ملكه (أبوفيس)، الجالس على عرشه الذهبي وفي يده كأسه المُرصّع بالأحجار الكريمة، عددها بعدد إمارات مملكته، وبداخلها أفخر أنواع خمور فينيقيا ، يضع كأسه جانبًا، ويقف على مقعده، يقترب بخطوات بطيئة من (بس) ويُربِّت على كتفه.

- "أمر طيبة لا بد أن ينتهي يا (بس)"

وفي تلك الأثناء يقترب الحاجب من موضع الملك (أبوفيس) يشير له الملك ليتحدث.

- "جلالة الأمير (بعل) يود مقابلة حضرتكم يا مولاي ملكنا المُعظَّم".

يشير (أبوفيس) للحاجب لكي يأذن للأمير بالحضور، يدخل (بعل) وكله شوق وترقب، خوف من آخر لقاء له مع والده، في تلك اللحظة السابقة، لحظة قتل كاهن (رع) يتناول (أبوفيس) كأسه مرة أخرى، ينظر إلى أحجاره الكريمة، بألوانها الجريئة المختلفة.

- "مسألة طيبة دامت لسنين، وحكام الأقاليم بدأوا يتهافتون، بدأوا يتساءلون في قرارة أنفسهم، ما فعله سقنن رع قبل موته أهَل ممكن أن يتكرر؟، وهذا الأمر أصبح يؤرقني، حكام إماراتنا بفينيقيا بدأوا بالتفكير، والتفكير ليس جيدًا لمستقبل المملكة ومستقبل جماعتكم يا (بس)، حسنا ما هو رأيك يا أمير؟".

يستجمع (بعل) قواه، ويحاول التقاط الكلمات، ليجيب عن ذلك السؤال:

- "جلالتك لا بد من وجود رد حاسم وقوي يِنهي تلك المسألة، وبهذا تكون رسالة لكل من تُخوِل نفسه في مجرد التفكير في التمرد".

- "هناك اقتراح من جماعة إلهنا المُعظَّم ست بتنحية عائلة الأشراف من حكم طيبة وتعيين عمدتها (سني) ما رأيك بهذا الكلام يا

ولي العهد؟"

- "جلالتك أنا أتفق مع هذا الرأي، لكن ممكن (سني) يهاب من مواجهة الأشراف".

يقولها (بس) فيغضب الأمير (بعل) لأنه أجاب على سؤال موجّه له.

- "وممّ يخاف؟ هو عالم بتفاصيل المدينة، مداخلها ومخارجها، وسيقود حملة عسكرية، وهو على رأسها لتسليم المدينة له".

- "جلالة الأمير، حماسكم للحرب لا يعني بوجوده عند (سني)، صاحب الخمسين ربيعًا من العمر، وهنا يتوجب علينا إعطاءه حافز أكبر حتى يوافق على تنفيذ الأمر من جلالة الملك".

- "أيّة حافز يا رئيس الجماعة الذي تتحدث عنه؟ ماذا يريد أكثر من أن يكون حاكم لإمارة طيبة بأمر من جلالة الملك (أبوفيس) نفسه؟! ومعه جنودنا...."

يقاطع (أبوفيس) ذلك الحديث بإشارة من يده، فيتوقف الاثنان، ويومئان برأسيهما احترامًا للملك، (أبوفيس) الذي يتجرّع من كأسه و يقرر:

- "الأمر الملكي لـ(سني) حاكم لإمارة طيبة، واختياره رئيسًا لحملتنا في بلاد الكوش للإتيان بذهبها للكأس".

وقعت الكلمات على آذان (بس) كالشافية، وعلى أوتار قلب (بعل) بالصادمة، ستأذن (بعل) بالانصراف من القاعة الملكية وفي خروجه

يأس، قلة حيلة، متى سيسمح له (أبوفيس) بالخروج للحرب. ذلك الشرف الذي يتمناه كأمير، مثل أي أمير سابق، متى سينسى (أبوفيس) خوفه الأبوي ويسمح له بالمجد الأبوي، ليدوِّن حملاته على جدران معابد ست، وفي مقبرته، يصل إلى خارج القصر يوقفه ذلك الصوت، الذى أتى من خلفه، ينظر لصاحب الصوت فهو (بس) الكاهن.

- "مولاي، تسمح لي نجلس لكي نتناول أطراف الحديث لبعض الوقت؟"

- "عن ماذا نتحدث يا رئيس الجماعة؟"

- "(بس)، قول لي يا (بس) ليس أكثر".

يقولها (بس) بخبث، يُقلق الأمير (بعل)، ليعلم أنها محاولة للتقرب منه، ولا يعلم ما سبب ذلك، فـ(بس) لا يقوم بذلك إلا لغرضه الأكبر..

- "ماذا تريد يا رئيس الجماعة؟"

- "لن ينفع الحديث هنا"

- "لماذا؟"

يقولها (بعل) وملامح وجهه بدأت ترتسم بالغضب

- "الأمر يخص البرديات المقدسة"

كانت العبارة كافية لـ(بعل)، ليتحرك مع (بس) كيفما يشاء، بالرغم من بدأ هطول الأمطار.

****

دائمًا الأمطار تقلق (تيتي شري)، وتجعلها لا تخلد إلى النوم ليلًا، تسأل حاجب غرفتها الملكية عن تحوتي، دقائق تمر في الانتظار، وهي تتذكر ما مضى، تتذكر تلك الليلة من ٦ أعوام أو أكثر، في القاعة الرئيسية بقصر طيبة، بعد خروج رسول الخاسوت منها، ذلك الاجتماع العاجل، الذي حضره كلًا من (سقنن رع)، وابنتها (أعح حتب) زوجته، و تحوتي كاهن معبد آمون، نفربرت (مدير القصر) والخزانة، رئيس الجيش، (سني) عمدة المدينة، و أخيرَا وليس آخرَا الأمير الشاب (كامس)، الابن الأكبر لـ(سقنن رع) و(أعح حتب)، تتذكر هطول الأمطار ليلتها مثل تلك الليلة الباردة، تتذكر القلق على وجه (أعح حتب)، والخوف على وجوه جميع الجالسين ما عدا شخص واحد، ذلك الذي دفن جثة الخوف داخله، واستقبل مولود الشجاعة بنفسه، قرر أن يسطع نوره على وجهه، لينشره في وجوه الجالسين كالموتى من رعبهم، من ذلك القرار السابق، رفض إطاعة أوامر (أبوفيس)، بقتل أفراس نهر النيل، (سقنن رع) الشجاع، قرر قطع الصمت:

- "ممّ تخافون؟"

لم يجب على استفساره أحد، فقرر مواصلة ما بدأه:

- "أمن النبوءة، أو من الخاسوت، أم تهابون من ضياع طيبة منكم؟"

يجيب (سني) على ما سبق من أسئلة بهدوئه المعتاد:

- "كل ما سبق يا مولاي، وأضف عليهم شعب طيبة".

غضبت (تيتي شري) من حديث (سني) السابق، وظهر ذلك في كلمتها التالية:

- "الأشراف على مدى عمرهم يحافظون على شعب طيبة ومُقدَّراته، ولم يحدث أن قرروا قرارًا ضد مصلحة شعب المدينة منذ أيام والدي ووالدتي (ثنتا) و(نفرو)، تذكَّر ذلك جيدًا يا (سني)".
- " مولاتي الملكة الأم أعلم جيدًا حفاظكم على شعب المدينة ومقدراته، وتاريخ الأشراف المشرف يعلمه كل أهل طيبة مولاتي".
- "اسمحيلي مولاتي الملكة".

قالها (سقنن رع) لوقف ما بدأ من انفعال وشجار بين (تيتي شري) و(سني).

- "بم تريد البوح يا (سني)؟ وضِّح كلامك أكثر".

قالها (سقنن رع) بكل دبلوماسية، ممّا أتاح لـ(سني) الاسترسال في حديثه:

- "مولاي (سقنن رع).. نحن لا نقدر على تنفيذ طلب ملك الخاسوت بقتل أفراس النهر، فذلك تدنيس لمقدساتنا الدينية، لكن يا مولاي في نفس الوقت نحتاج إلى رد دبلوماسي نرسله لملكهم، مصحوبًا ببعض الهدايا الذهبية، والمحاصيل الزراعية حتى نكتسب وده، ونبعد عن أذهانه تلك الفكرة".

- "وما توقعك لردة فعل (أبوفيس) على ذلك؟"

- "نكتسب بعض الوقت إلى أن نصل لكيفية تنفيذ تلك التعليمات، نخاطب الشعب، وهنا يأتي دور كاهن إلهنا المُعظَّم (آمون)، في إقناع الناس بضرورة قتل أفراس النهر، وتقديم قرابين للآلهة، لغفر خطايانا عن قتل الأفراس. أم رأي الكاهن (تحوتي) مختلف؟!"

أنهي (سني) حديثه بذلك السؤال محاولًا إمالة (تحوتي) لرأيه، فهو تحدث مع تحوتي قبل ذلك الاجتماع، وعلى علم بموافقة شبه مبدأية منه على رأيه، يحاول (تحوتي) في حديثه أن يكون عقلانيًا لا انفعاليًا، وفي كلماته المقتضبة أعلنها:

- "أنا مع رأي (سني) يا مولا ي (سقنن رع)".

ابتسم (سقنن رع) ونظر لجميع الحاضرين، كان قراره في رأسه، ولكن الإقناع سيكون صعباً، وقف من موضعه، قرر أن يشير بيديه إلى تلك الخارطة المرسومة تفاصيلها على المائدة التي تبدأ من أمامه بموقع مدينة طيبة ثم باقي حدود الإمارة عند أبيدوس في موضع (سني) في الجهة المقابلة له من المائدة.

- "وبعد تنفيذ تعليمات ملك الخاسوت، ما توقعاتكم لرد فعل الشعب؟"

لم يستطع شخص وقتها الإجابة على سؤاله، فالاحتمالات كبيرة وغير محتومة عند بعض الحاضرين، ومعلومة مؤكدة عند البعض الآخرين،

كل منتظر الآخر يجيب، فقرر (سقنن رع) إزالة الحرج عن الجميع:

- "سأجيب طالما أنتم خائفين، سيتمرد علينا الشعب، وليس ذلك فقط بل سنفتح باب الفوضى، فوضى شبيهة بفوضى عصر الاضمحلال، بعدما استبد أحفاد بناة الأهرام، الفقير سيقتل الغني، والملحد سيقتل المؤمن، والنيل سيَمسي لونه لون الدم، وبالتالي ستنتهي طيبة، مجرد أراضي تزرع لصالح الخاسوت، وطريق مُمهّد لغزو بلاد الكوش، وبلاد العبيد، وملك الخاسوت سيتوسّع أكثر في مملكته، محاصيل الإمارة يسد بها أزمة المملكة، وذهب بلاد الكوش في خزينته، ومَن سيبقى مِن أهل طيبة عبيد في جيشه جنباً إلي جنب أهل الكوش، لاستكمال فتوحاته إلى أقاصي منابع النيل".

تقع الكلمات على البعض كالفاجعة، مثل (تيتي شري)، و(أعح حتب)، وعلى (تحوتي) و(كامس) ورئيس الجيش متوقعه، وعلى (سني) وعمدة طيبة كالصادمة، فما خطَّط له مع أعوانه من الخاسوت فضح وتوقعه (سقنن رع).

- "عندما تم الإعلان عن زواجي من (أعح حتب) وتم إعلاني حاكم على الإمارة، عاهدت (تيتي شري) بأني سأحافظ على طيبة بدمي، وعلى عهدي أرسلنا لأبوفيس اختيار الإمارة لاستكمال حكم الأشراف وعليه طلبوا زيادة في حصة خزنة الملك من المحاصيل والذهب، وافقنا على ذلك، لم يكن هناك استيعاب لموقع طيبة الاستراتيجي بين إهناسيا وبلاد الكوش من قبل الخاسوت آنذاك،

لكن في ظل أزمة المملكة، اكتشفوا فجأة حلول لأزمتهم، وهذا سبب الرسالة التي وصلتنا من (أورايس) قتل أفراس النهر، حجة وحيلة، لكن عهدي الذي قطعته كملك لطيبة سأوفيه".

أمسكت (أعح حتب) بيد زوجها في خوف، حاول سقنن رع حبس دموعه في مقلتيه مبتسمًا ومستطردًا:

- "عرافة آمون دائمًا تتحقق نبوءتها، والخاسوت واقع لا بد من مواجهته لا محالة، ومع دخولهم طيبة مناصبكم ستزول، أتريدون أن تتنازلوا عن مناصبكم ونحافظ على شعب طيبة؟ أم تريدون الحفاظ عليها من دون شعب قد حلفتم على الحفاظ عليه؟"

الصمت، ما فرد جناحيه فوق الأسياد، لتغلق الأفواه، تثبت الألسنة في مواضعها، والأعين تمتلئ عن آخرها، فما قيل لا يحمل سوى معنى واحد، لقرار ثائر، قرار أقرب للموت عن الحياة.

- "سنخرج بالجيش لمحاربة حاكم إهناسيا، الانضمام إلينا ضد المملكة أو الموت ضدنا".

- "يا أبي هذا انتحار!"

أطلقها (كامس) وهو في هول صدمته واقفًا من حديث أبيه، فسألته (تيتي شري) وهي باكية:

- "أتحب أن تموت عبدًا أم تموت عظيمًا يا (كامس)؟"

ومع نهاية سؤال (تيتي شري) جلس كامس سقوطًا على مقعده، وما زالت (تيتي شري) مكملة لحديثها السابق:

- "لقد سمعتم قرار الملك، موافقين عليه أم لا؟"

لم يستطع الحاضرين النطق، فكررت جملتها الأخيرة بصوت عالي وبصيغة مختلفة:

- "قرار الملك قد قيل، أأنتم موافقون؟"

وقف رئيس الجيش من مكانه واضعًا يده على صدره، بموضع قلبه:

- "أعيد قسمي لرئاستي لجيش طيبة على الحاضرين، بأن أحافظ على أرض طيبة، وعلى شعبها، وعلى ملكها سليل الآلهة الطيب ابن آمون المُعظَّم، وأموت فداه، مولاي المُعظَّم (سقنن رع)"

يقف (تحوتي) من موضعه واضعًا يده على صدره بموضع القلب.

- "ببركة الآلهة (آمون وموت وخنسو)، سيكون كهنتنا في ركاب جيش إلهنا (آمون)، مولاي (سقنن رع)".

- "أوامرك يا مولاي الملك".

نطقها (كامس) بصوت خافت، محاولًا استجماع قواه، لمواجهة مرتقبة، بين طبول الحرب، ودماء الجند، بين مطرقة الخاسوت، وثوب المجد، لتنفيذ قرار لم يجرؤ على فعله السالفين، ولم يكن في تاريخ السابقين، فمجابهة الخاسوت هي المعنى الحقيقي لملاقاة الموت ذاته.

- "(كامس).. إجمع الجيش للخروج مع ضوء الفجر، (سني) جَهِّز

حراس المدينة، واجمع الشعب داخل أسوار طيبة، الاجتماع انتهى".

أنهت كلمات (سقنن رع) الاجتماع، فخرج كل في طريقه الذي حدد، أو كما توقع الجميع آنذاك، وعلى رأسهم (تيتي شري)، التي لم تكن علم أن (سني) خرج وقتها لأمر آخر، وأن كرهه لـ(سقنن رع) ما زال في قلبه، يملأ روحه بالغيرة منه، لم تكن تعلم أنه أرسل رسولًا لمبعوث الكشافين، في مزرعته الجديدة، التي دوّنت سطور جديدة، في تاريخ المملكة، مملكة الخاسوت.

****

- "مولاتي الملكة... سيادة الكاهن الأعظم (تحوتي)"

يقولها الحاجب ليقطع ذلك السيل من الذكريات، وتعود إلى حاضرها المضطرب، تشير له فيدخل (تحوتي) الغرفة.

- "مولاتي الملكة"
- "هل وصلوا إلى (سني)؟"
- "نعم يا مولاتي، ولكن هرب (سني) لإهناسيا مع حرس جماعة الإله (ست)"
- "ابنك (مس) هل طمأنك على (أحمس)؟"
- "رسالة (مس) أكدت سلامة الجميع (مس) والأمير (أحمس) وحتى جنود المازوي لم يجد بهم إصابات".

- "أخبرني يا (تحوتي).. أأنا أخطأت بشأن (سني)؟!"

يجيب صمته عليها.. فتستكمل (تيتي شري) حديثها السابق:

- "الوعد الذي وعدته لـ(سني) هل كان صوابًا؟، وعدم إيفائي للوعد أيضًا هل كان صوابًا أم خطأ؟!"

- "مولاتي الملكة، حكمتك دائمًا نتعلم منها...."

تقاطعه تيتي شري:

- "لا أريد كلمات مُنمّقة يا (تحوتي)، أأنا أخطأت حين وعدته؟ أم أخطأت عند عدم الوفاء بالوعد؟"

- "مولاتي اختياراتنا حتى لو كانت بإرادتنا فهي مدونة لنا من قبل الآلهة، ولو وفيتي بوعدك كان كل شيء قد تغير، لكن في نفس الوقت اختيارك الذي تم أعتقد أنه الأفضل، ويا مولاتي عرافة آمون باركت لنا اختيارنا، إذًا بركة الآلهة معنا، وفي صفنا".

- "ولكن خلقنا وحش بيننا، يتلاعب بنا طوال الوقت، ينقل أخبارنا وتحركاتنا خطوة بخطوة للخاسوت، (سني) لم يكن مجرد كشاف لهم، بل كان متحكم في الأحداث والنبوءة نبّهتنا لذلك الأمر ولكن أغشينا فلم نكن بمبصرين".

تتذكر (تيتي شري) كلمات النبوءة كاملة في بادئ الأمر، قبل إعلان (سقنن رع) حاكم طيبة..

- "أحفاد (تيتي شري) و(تاعا الأول) من (سقنن رع) سيلاقون

الموت على يدي المرض والخاسوت أثناء سقوط المطر ليتلوّن النيل بدمائهم ودماء آبائهم".

فالمرض ليس مُحدَّد بالنبوءة، تتذكر سؤالها للعرافة المختارة من زوجات الإله آمون.

- "بمَ تقصدين بالمرض؟"

وتتذكر تلك الإجابة المبهمة.

- "المرض في الأبدان وفي النفوس، والدواء في الأفعال وليس بيد الأطباء".

- "وضَّحي لي أكثر"

- "الاختيار بيد الإنسان لكن القرار في أيدي رب الأكوان الأوحد (آتوم)، والقدر سلَّمه لابنته (شوي)، والمكتوب على الإنسان أمر محتوم"



٤- حلم العامو

الأمر المحتوم.. ذلك ممّا شعر به (بعل) عندما جلس في غرفة (بس) بمبنى جماعة الإله ست بمدينة أورايس، بين الأرفف الممتلئة بالبرديات الملفوفة يجلس، وأمامه (بس) يمسك بكأس خمرته، يرتشف محاولًا ترتيب أفكاره في خلايا ذهنه، يقرر ما سيخبر (بعل) به، ما سيبدأ به حديثه، الضحية أمامه، والقوس في لسانه، في كلماته التي ستخرج كسهام مسمومة، مسمومة بغرضه، ما يريده من خلفها، وما يريده بعدها.

"مولاي الأمير.. نظرًا لرغبتك الجامحة في القتال، ما ظهر في نبرة حديثك، أثناء تواجدنا في حضرة ملك البلاد، تنبّأت بأن الوقت قد حان، لتعلم الذي لا يعلمه إلا ثلاث: الملك، كاهن معبد الإله ست، رئيس الجماعة وهو أنا، ذلك السر المتوارث من جيل إلى جيل، في المناصب الثلاث".

يستطرد (بس) حديثه السابق:

"البرديات المقدسة، وما تحمله من أسرار، عن أجدادنا في مصر، من العامو، كما لقبنا من أهل مصر، في سابق العهد".

يمسك (بس) بصندوق خشبي قديم، يفتحه ويخرج منه بردية صفراء اللون، مملوءة بتراب الزمن، وذكريات القدم، يعطها لـ(بعل)، يقوم (بعل) بفردها، لتظهر أجزاءها الممزقة، وخطوطها الممحاة:

"البردية الأولى من البرديات المقدسة، نطلق عليها "تعاليم العامو الأول"، سأتركك لكي تقرأها، ومن المؤكد أنك على علم باللغة المكتوبة بها أم نسيت؟"

يجيب (بعل) وهو مندهش، فهو لم يرَ هذه اللغة في مصر منذ سنوات مضت، فهو تعلمها في القصر الملكي، كجزء أساسي من التعليم المطلوب لولي العهد، فيعد أن فرض على المملكة، اللغة الهيروغليفية هي اللغة الرسمية للمراسلات والمعاملات المالية لجميع أنحاء المملكة لم تعد تظهر تلك اللغة إلا نادراً، ككلمات عابرة ولكن بحروف هيروغليفية وليس بحروف اللغة الأصلية، مجرد نطق للكلمة بحروف هيروغليفية للغة (العماليق)، أو كما أطلق عليها المصريون: لغة "العامو".

وتعود تاريخ البردية ل ٤٠٠ عام سابقة في بدايات الدولة الوسطى في عز أوجها .....

البردية المقدسة الأولى

تعاليم العامو الاول

سيدي كاهننا المُبجّل، كاهن إلهنا المُعظَّم، الإله (بعل)، إله قبيلتنا المُعظَّم، مَن أعطانا البركة، ومنحنا معرفتنا، من نور طريقنا الطويل، لقبيلتنا ولسائر قبائل شعبنا، بداية من نشأتها في بلاد ما خلف النهرين، مَن ساعدنا في دخول ممالك، كعبيد وعمال، حتى أصبح لنا بها شأن، مَن أرشدنا للوصول إلى بلاد الساحل، مَن قرر أن نكون ذوي حلم عظيم، لتصبح قبائلنا ذات شأن كبير، مَن وهبنا حرفنا في تشكيل المعادن والطين، بعد أن كنا مجرد للغنم راعيين، ليستقبلنا أهل المدن بحرفنا مبهورين، وكما حدث معنا في بلاد ساحل فينيقيا، حدث معنا في رحلتنا إلى تلك الأراضي الجديدة علينا، بلاد مصر كما نطلق عليها،

الكمت كما يطلق عليها أهلها، عند دخولك لها تبهرك عظمة معابدها، تلك العمارة المتقدمة، ذلك النظام الذي يسير به الناس في طرق حياتهم، فهم ليسوا كبلاد النهرين وبلاد فينيقيا مدن صغيرة منفصلة كممالك صغيرة، بل هم أشبه بالاتحاد الكبير، فإذا قارنَّا اتحاد قبائلنا تحت ديانة واحدة لإلهنا بعل، مجرد تجمّع لمدينة واحدة ببلاد (تميرا)، دولة كبيرة ذات نظام قوي ، فيه الجميع عبيدًا للفرعون، نظام ديني متعدِّد الآلهة، بلا فتنة بين الديانات المختلفة، فالدين هو أساس الدولة، ولو رجعنا في نشأة تميرا، فهي كانت مدن ثم ممالك، حتى تكوّنت مملكتين، الأولى في الشمال (مصر السفلى)، والثانية في الجنوب (مصر العليا)، حتى جاءت فكرة أن تصبح دولة واحدة، تلك التي جاءت من الجنوب، مينا بجيش من أبناء الجنوب، أخضع الجميع لحكمه، مؤسسًا بلاد (تميرا) دولة واحدة، تحت ابن الآلهة كما يطلق عليها المصريون، مينا (موحَد الأرضين)، مرتديًا التاجين، وأصبحت (تميرا) تحت حكم عائلته، أبنائه من خلفه، بنظام واحد، كل حاكم لإمارة، خاضع له، تقدموا في العديد من العلوم، أولها الزراعة، العمارة، التحنيط.. نعم التحنيط، فهم يؤمنون بحياة أخرى بعد الموت، وعليه بنيت المقابر، كأهرام موجهة للسماء، لإلهتهم بها، الطب، الرياضة، الفلك، العديد من العلوم، لديهم نظام سنوي للتقويم، يدوِّنون التاريخ بالمقابر، بالمعابد، كلٌّ حرّ في عبادته، ولكن ديانة العائلة الملكية، تكون الديانة الرسمية للبلاد، أنشأت الدولة القديمة بنظامها الإقطاعي، كلٌّ يصب في خزائنه، والناس عبيد له، أي أن كل الأرض ملك للفرعون، المحاصيل، المحاجر، ومع مرور السنين

تدهور الحال تخلله الفساد من الملك وحاشيته، فتقطعت مفاصل الدولة، وعاد الجميع لعصرها الأول، كل إمارة منفصلة عن الأخرى، عصر من الفوضى والثورة، الفقير يقتل الغني ويسرقه، حتى تلوّن النيل بدمائهم، والنيل هو نهر يمتد في سائر أنحاء تميرا، يمدهم بالماء العذب، ومع مرور الزمن، ظهرت قوة جديدة ، من الجنوب أيضًا، قائد الجيش، أصبح وزيراَ لحاكم إحدى الإمارات، أصبح فرعون لسائر (تميرا)، أخضع حكام الإمارات المصرية تحت حكمه، يدعى (أمنمنحات)، ذلك الذي بقوة جيشه ودهائه، صار فرعون جديد، قرر عودة دولة (تميرا) مرة أخرى للحضارة، بشكل جديد، فحكام الأقاليم حاولوا إسقاطه اقتصاديّا،، وعدم الخضوع لمؤسساته المالية، لذا قرر الاعتماد على نفسه، قرر عدم الحاجة إلى محاصيلهم الزراعية لتلبية متطلبات شعبه، وعليه بحث في استصلاح الأراضي الزراعية الجديدة في الفيوم، ونظرَا لكثرة العمل المطلوب من زراعة وإنشاء سدود مائية وحفر قنوات لأنظمة الصرف الزراعي، لم يكفِ جند جيشه لتلك الأعمال، فأنشأ نظامًا جديدًا، استيعابًا لكل مَن يريد العمل بـ(تميرا) من خارج أنحاء قطره، وأصبح هناك بين أفراد شعبه أفراد جديدين، الأجانب أو كما يطلق علينا المصريون، العمالة الأجنبية، وهم يروننا مجرد (عامو)، أي العمالة من أهل رعاة الغنم، هم يروننا كذلك، فهم يروننا أقل منهم في العلم والحضارة، أقل تقدمًا، أقل إدراكًا لعلومهم، التي تخلق نظامهم، في بادئ الأمر كنت أهاب كل ما أراه من علم، أدركته سحرَا، كيف بنوا تلك الأهرامات وحفروا تلك القنوات، ولكن مع مرور الوقت أدركت أنه مجرد الوجود في نظام، يجعلك تفعل ما

يفعله النمل بالصحاري، تستطيع فعل المستحيل بالتوحيد، تحت حاكم واحد، تستطيع أن توفر غذاءك، تعالج مرضاك، تدفن موتاك، تبني بيوتك، وتشيد مدفنك، أشياء كهذه تبدو لنا إنجاز، تبدو لهم بحياتهم اليومية أمر معتاد، هناك الكثير والكثير لنتعلمه، حتى نستطيع أن نعالج مرضانا، لا أن نعزله عن سائر القبيلة، وتركه وحيدًا لوحش الموت، حتى نستطيع أن نزرع غذائنا وغذاء غنمنا، لا أن ننتظر الأمطار ، و إذا جفت نذهب لمكان آخر بحثًا عن الماء، حتى نستطيع أن نضع قوانين نحكم بها، وألا ننتظر مجرد رأي من كبير القبيلة، حتى نستطيع أن نُبقِي بيوتنا ولا تتطاير مع الرياح، حتى نستطيع أن نبني جيشًا، يحمي شعبنا من أي معتدِ جبار، وجدت في إلههم (ست)، تشابه كبير جدًا بينه وبين إلهنا (بعل)، مجرد اختلاف الأسماء يوحي إليك بالعكس، لكن الحقيقة أنهما بالنسبة لنا واحد، قدمت له القرابين، وضعت تمثالًا في سكني في بداية الأمر، نهرتني زوجتي (عشتارت)، ولكن مع تشابه شكل التمثالين، وما سردته لها عن (ست) اقتنعت بالأمر، ذهبنا مرات عديدة إلى المعبد، قدمت نفسي كعامل في حفر المصارف، وزوجتي كصانعة الأواني الفخارية، انبهر الكهنة بما صنعته (عشتارت)، تحاكينا مع أحد المتطهرين عن قبائلنا بالساحل، و عن ما نريده من تعلم حتى نعلم أهلنا الأولين، رحب بالفكرة، وقدمنا لكاهن المعبد بالمدينة، كاهن معبد (رع)، أعجب بفكرتنا، أعجب بأواني (عشتارت)، و(عشتارت)، نعم زوجتي، جمالًا يختلف عن جمال بناتهن، تلك الأعين الملونة لقبائلنا شئ ندر الوجود بمصر، وتلك الخصلات الذهبية الناعمة الطبيعية، قليلة جدًا

بتميرا، في بادئ الأمر عرض على (عشتارت) أن تأتي لتعمل بالمعبد، كمساعدة منه لأسرتنا الفقيرة، لتوفير بعض المؤن لمنزلنا من قبل المعبد، و لكن مع مرور الوقت، رفضت (عشتارت) الذهاب إلى المعبد، أرسل لي أحد حراسه يطلب المقابلة، عرض على أمراَ، كان وقتها صعباَ، وعلى (عشتارت) أصعب، فكرت في مصلحة قبيلتنا ومصلحة شعبنا، اقتنعت (عشتارت) بأهمية تلك التضحية، قررت ذهابها إلى المعبد كما كان الإتفاق، أن تذهب إلى كاهن المعبد مرتان أسبوعيّا، لسبب أمام الجميع مخفيّا، في غرفته الخاصة، حتى بعيدًا عن زوجات الآلهة، وعلى أمطار الليل الحزين، جالس بين أطفالي وأنا على يقين، أن عشتارت بين أحضانه لا تلين ، حاول إخضاعها له مراراً، قاومت محاولة الإفلات من إصراره، ولكن المقاومة تزيد مع إصراره، تشعل نار رغباته، ضربت بكلتا يديها على باب الغرفة، وهل من مجيب؟ وهل من معين؟ حتى تسحب من قدميها أمام إلهه العتيق، تقلب على ظهرها وهي بلا قوة، بلا رغبة، تستسلم لذلك الأصلع الكبير، يثبتها بجسده الممتلئ، حتى ينزل شهوته كالحمم، تأتي إلى منزلنا باكية، ممتلئة بالدموع ككلب صارع وحده الذئاب، من أجل حماية ماشيته، نظرت إليّ وإلى أطفالنا باكية، قالتها لي بكل سخرية؛ (أنها لم تفعل ذلك من أجل القبيلة، بل من أجل أطفالها)، وفي كل مرة وهي ذاهبة، أخفي ألمي داخلي، أتذكر اتفاقي معه، (عشتارت) مقابل تعليم أطفالي، طبيب، مزارع، محارب، ومهندس. هكذا كان الاتفاق، وهذه هي تضحيتي للقبيلة، فمن أجل إقامة مملكتنا لا بد أن نتعلم، والعلم لا يأتي بلا مقابل، لذا سأعلّم أولادي، ومع أول مَن

أرسله مِن أولادي سأرسل لكم كَم من شباب قبائلنا أريد، لنكون أول قبيلة لنا داخل مصر".

****

ينتهي من قراءة البردية، ويمسح قطرات سقطت من عينيه، يقترب منه الكاهن (بس).

- "مولاي الأمير (بعل)"..

لا يجيب عليه (بعل) ويظل شاردًا فيما قرأه بالبردية المقدسة، لا يفهم قدر هذه التضحية، وكيف وافق عليها العامو الأول بهذه السهولة، دون تردد

- "أعلم يا مولاي أن هذه القراءات بالنسبة لك صادمة، لكن أجدادنا الأولين واجهوا صعاب كثيرة، كعمال وعبيد، من حكام جبارين، حتى إيماننا بإلهنا المُعظَّم (ست)، أو (بعل) كان باب للإضطهاد في بلاد كثيرة بداية من .. "

يقاطعه بكل عصبية:

- "أين باقي البرديات؟"
- "مولاي لا يمكن أن تقرأ البرديات كلها مرة واحدة، وثانياَ مولاي (أبوفيس) مانع منعًا باتًّا ان تقرأ البرديات المقدسة"
- "لماذا؟"
- "مولاي الأمير، لما لمسته من روحك من شجاعة وإقدام، ونبل ووفاء لمملكتنا العظيمة، رأيت أن الوقت قد حان، ورأيت أنك ستمسي أكبر معين للمملكة كلها في الفترة القادمة"

- "ما مقصدك يا (بس)؟"
- "مولاي الأمير، نظرًا لمكانتك، كنائب لجلالة الملك، وكقائد أعلى للجيش، أحتاج من سيادتكم أمر ملكي بسيط."

يقولها (بس) وهو يعطي (بعل) بردية جديدة مُدوّن بها ما يريده، بأمر ملكي بشراء أسلحة جديدة للجيش، ومع قراءة تفاصيل البردية، يتعجب الأمير من أعداد الأسلحة المطلوبة، من أقواس، سيوف، حِرب، عربات حربية، فتلك الأعداد لا تتناسب مع حملة (سني) لـ(طيبة)، فهي أعداد لحرب أكبر بكثير من طيبة.

- "سني يا مولاي هو مجرد الخط الأمامي فقط لحربنا العظيمة القادمة، ما سنحتاج إليه لثلاثة أسباب، الأول السيطرة على طيبة مرة أخرى، والثاني ذهب بلاد الكوش، وأخيرًا والأهم استمرار الحملات العسكرية حتى منبع النيل، لتوسيع المملكة، ولاستمرار الصناعات الحربية التي تشكل جزء كبير من اقتصاد المملكة"

ومع انتهاء حديث (بس) فكر (بعل) بالأمر، فإذا قام بعرضه على أبيه أبوفيس سيقتنع بنضوجه العسكري، وسيستطيع إقناعه بما يريد في نفسه.

- "فهمت يا (بس)، سأقنع الملك بذلك"

يقولها (بعل) وهو يهمّ بالخروج من الغرفة يسير بين جدران المقر للجماعة الإله (ست) وهو لا يرى سوى أمرًا واحدًا؛ تخيلاته لاغتصاب زوجة العامو الأول من قبل كاهن مصري، ألمًا في صدره من تخيله لألم العامو، ومع ركوب عربته، يضرب الجياد بسوته، لكن بوحشية،

وحشية الانتقام، ذلك الانتقام الذي كان في قرارة نفس (سني) وهو ذاهب إلى أسوار أواريس، ذلك الغضب من الأشراف، من (تيتي شري) و(أحمس) نسل غريمه التقليدي (سقنن رع) مَن نافسه وانتصر عليه في حكم طيبة وحكم قلب مَن أحبها، (أعح حتب) التي تجلس في الغرفة الملكية بقصر طيبة على مضجع الحكم، تتذكر حبيبها وزوجها (سقنن رع) مَن مات على أيدي الخاسوت، ولا تعد تفكر سوى في الانتقام منهم ومن حاكمهم (أبوفيس) الذي يجلس في مضجع نومه، لا يستطيع أن تغفل عيناه نومًا، ليس أرقًا من صوت أفراس النهر كما ادَّعى كالسابق، بل من كوابيس تأتيه كل ليلة بها ذلك الصغير المنتقم (أحمس)، (أحمس) الذي يجلس في مزرعة (سني) القديمة، يفتش بين أغراضه الكثيرة، من برديات تحوى معلومات هامة سابقة، عنه، وعن (سقنن رع) وعن أخوه الراحل (كامس)، ليعلم منها أن (سني) لم يكن مجرد كشاف عادي، بل هو أكثر من ذلك، أداة حرب في يد هؤلاء الخاسوت، هؤلاء من يريد الفتك بهم، مَن يريد الانتقام منهم، والانتقام لم يعد مجرد شعور بالغضب العارم فقط، لم يعد مجرد الألم الذي يجعل صدرك يضيق حتى لا تستطيع التنفس، بل أصبح قرار، يحتوى على العديد من الأمراء والعديد من الأحباء، فكلٌ في فلك الانتقام يسبحون.

الكمت: اسم مصر الأقدم بالهيروغليفية وتعني الأرض السمراء.
تميرا: أحد أسماء مصر وتعني الأرض السوداء
الحكا: لفظ هيروغليفي يشمل القوة السحرية والتعاويذ
الحتحورات السبعة: سبعة آلهة مختصون بشؤون المولود في المعتقدات المصرية القديمة



الفصل الثاني

فـــلك الإنتقـــــــام

سماء الليل الصافية، في سوادها الأعظم أنوار مدوية، كنجوم ترشدنا في طريقنا، لمجرد البحث عن غايتنا، هدفنا الذي نبحث عنه، لا نعلم ما هو، ولا نفهم كينونته، ولكن دوافعنا تفهم، تحلل، تثبت لنا دائمًا أحقِّيتنا، وتنفي نفوسنا ماهية أخطائنا، أحيانًا نتوقف في منتصف الطريق، بين نجوم الخير والشر، ونتساءل: هل نسلك هذا الدرب أم ذاك؟ هل دافعنا مقنع في ذلك الاختيار؟ هل أسرعنا في اتخاذ القرار؟ قرار الانتقام. ما جاء في تلك اللحظات، ليغير ذلك سماءنا، لنختار نجومًا بعينها، في بعض الأوقات دافعنا نراه من الحب، ولحظات يكون الكره، تمر الأيام بذلك الحلم، والدافع يجذبك بعرباته إلى ذلك المصير، ما هو محتوم، ومهما كلَّفتك تلك النهاية، تكون لك أنت البداية، لما لم تخطط له إطلاقا، ذلك الدرب اللا منتهي؛ درب الانتقام.

١-انتقام (سني)

يجلس (أحمس) في مزرعة (سني) القديمة، يستكشف بين مقتنياته العديدة، يجد برديات تحوي معلومات مرسلة، عنه وعن أخيه الراحل (كامس) وأبيه الراحل (سقنن رع)، ومعلومات عن طيبة، رسومات تفصيلية للمدينة من مداخلها ومخارجها، أشياء وأشياء، كل ما يمكن علمه لكي تدخل المدينة، يا لها من كارثة! كل هذه المعلومات وصلت للخاسوت، كل شئ، أمر يشعرك أنك أمام الخاسوت تقف دون سيف ودرع، حتى ملبسك فهو تقريباَ بهذه الطريقة غير موجود على جسدك، ولكن يجد من البرديات برديات أخرى في هذا الصندوق الذهبي المُرصّع بالأحجار الخضراء اللون، يفتحه ليكتشف أسرار أخرى، أسرار لا تخص الخاسوت، ولا تخص سوى عائلة الأشراف، فهي تحوي على سيرة ذاتية لـ(سني) وما يريد تدوينه في حياته الأخرى، يسرد بدايته وتفاصيل عن حياته في مدينة أحمس المفضلة (طيبة)..

"لم تكن حياتي مليئة دائمًا بالنجاحات، ففي أوقاتٍ كثيرة خيبت آمالي، وفي أحيانٍ قليلة وثقت في أصدقاء اكتشفت أنهم أهم أعدائي".

تلك العبارة لفتت انتباه أحمس، وهنا توقف عن القراءة السريعة، وبدا يتمعّن في التفاصيل، تفاصيل حياة ذلك الخائن، يقرأ حكاياته، ذلك الذي كما يسرد في بردياته بدأ العمل لدى أولئك الأشراف، مَن

كانوا نبلاء المدينة ، من استطاعوا لَمّ شمل أهل المدينة عندما تصارع إثنين منها على حكمها، أرادوا اقتسامها، فأرادوا الفتك بأهلها حتى يصل كل منهما إلى مبتغاه، وسيطروا على مقاليد الحكم باختيار أهلها، هكذا يحكي القدامى، كان أمله كأيّ شاب في هذا التوقيت أن يعمل بالقرب من ذلك الطيب كما لقبه أهل المدينة آنذاك (تاعا الاول). كان دائمًا قريب من أهلها، عامل مشترك بين أوقات الحزن والفرح حيث يشارك أهلها المناسبات الدينية، لا يحملهم ضرائب الخاسوت كاملة، فكان يخرج من أراضي عائلته ما يزيد للخاسوت من ضرائب من أرضه حتى لا يتحمل شعبه ما لا طاقة لهم به، كان صاحب حكمة في التعامل مع جيرانه من أهل الكوش، فكثيراَ حكمته استطاعت كسب العديد والعديد، وعلى الرغم من معرفته ضرورة عدم الثقة في أهل الجنوب إلا أنه كان حسن النية، ولكن حذر في تعامله، وجاءت تلك المسابقة من أجل اختيار إحدى موظفي مؤسسة الخزانة لمنصب رفيع المستوى، وفي يوم الاختيار قابله (تاعا الأول) وهو من اختبره وسأله ذلك السؤال المعتاد:

- "ما تريد تحقيقه في المستقبل؟"

- "أن أصبح مثلك"

كانت إجابة (سني) جريئة فلم يجب شخص مثل تلك الإجابة من قبل، فالسابقون في الإختبار كانت إجابتهم واحدة؛ (عند حسن ظن مولاي)، ولكن إجابة (سني) أدهشت (تاعا الاول) فسأله سؤالًا آخر:

- "لماذا؟"

- "لكي يُدوّن اسمي في التاريخ كأجدادنا، فما يبقى بعد رحيلنا إلى دار الآخرة في الغرب سوى تاريخنا"

- "من اليوم سيتم إختيارك من رجالي المخلصين" كانت تلك هي عبارة (تاعا الاول)، باب جديد لحياة (سني) المهنية، من وظيفة إلى أخرى، حتى وصل إلى تلك الوظيفة قبل وفاة (تاعا الاول) بأيام، وكانت لحظة هي الأهم لـ(سني) :

- "أنا اخترتك عمدة للمدينة حتى تحافظ عليها من بعدي، ولكي تظل بجانب (تيتي شيري) وأولادي بعد مماتي، وتلك وصيتي ليك"

حاول (سني) وقتها أن يطمئن سيده، أنه سيَشفى، وأنه سيظل على قيد الحياة، ولكن حدث ما حدث، حتى أصبح (سني) عمدة المدينة، أهم شخص عند (تيتي شيري) لم يكن وقتها لوجود لوظيفة الوزير أو رئيس الجيش سوى عند ملك مملكة الخاسوت، ملك البلاد أجمعين، ولكن كان يوجد رئيس أمن الإمارة وعمدة المدينة، هما أهم اثنين عند حاكم الإمارة، ولكن (سني) كان أهم شخص عند (تيتي شيري)، فكانت تستشيره في كل كبيرة وصغيرة، أكثر من خادمها الوفي (إيوف) حتى جاء ذلك الوقت، عندما رأى (سني) (اعح حتب) عن قرب، في رحلة الصيد هي وأخيها خارج حدود المدينة وبالقرب من حدود بلاد الكوش، وعلى ضفاف النيل كان يراها ليلًا جالسة تنظر إلى نجوم السماء، تطيل التفكير، حاول (سني) التقرب منها.. من خصلات شعرها السوداء.. ممّا تنطق به من جمال.. من احمرار وجنتيها

المتوردة.. وما تتحدث به من شباب.. من تلك الشفاه المكتنزة.. وما تخرجه من صوت أعذب من ألحان عازفين معبد آمون، اقترب منها وقلبه يتقافز .. يحاول الخروج من صدره هاربًا بعيدًا عن ملاقاتها.. تقدم بضع خطوات ثم جلس بقربها..

- "مولاتي الأميرة"

قالها (سني) وهو قلق.

- "نعم يا عمدة طيبة"..

قالتها بشكل رسمي بحت.

- "سني.. قولي لي يا سني فقط"

قالها (سني) وقد تزايد قلقه من رد فعلها.

- "سني هكذا.. على حد علمي لا أحد يستطيع مناداتك بإسمك غير والدتي (تيتي شيري) ووالدي (تاعا الاول) قبل انتقإله إلى الغرب بأرض الموتي".

- "مولاتي (اعح حتب).. فخر لي أنك تخاطبيني بإسمي مباشرة"

- "تمام، أفهم من حديثك رغبتك في إلغاء الألقاب بيننا؟"

- "عذرًا مولاتي الأمـ"... قاطعته قائلة:

- "(اعح حتب).. فقط (إح حتب)"

كانت ابتسامة سني وما حملته من خجل واحمرار وجنته داعيًا إلى

انفجار (اعح حتب) في الضحك.

- "أ عذرني ولكن وجهك مضحك جدًا وأنت خجول"
- " المفاجأة كانت شديدة عليّ"
- " أخبرني لماذا الملك كان يثق بك لتلك الدرجة؟"
- "والدك الملك كان طيب جدًا وكان يثق في حدسه في اختياره للناس"
- "لم أفهم.. وضِّح لي أكثر"

قالتها (اعح حتب) وهي ساندة على كفها وناظرة إليه نظرة تمعن بالغ لحديثه الأمر الذي ألهمه للحديث أكثر وما جعل حديثهم من وجهة نظر (سني) شيقًا أكثر إلى قلبه، ولـ(اعح حتب) كان أيضًا قريباَ لقلبها، ولكن من خلال حديثها عن والدها الراحل، استمرا في الحديث حتى تلوّنت السماء بلون الفجر الأزرق، مقرراً القيام لبدء يوم جديد في رحلة صيدهم وهكذا توالت الأحداث في أيام رحلة الصيد نهاراً هو واقف في خدمتها هي وأخيها في الصيد، وليلًا يتبادلا أطراف الحديث عن أبيها ليلة وعن أحوال المدينة ليلة أخرى، لتنتهي الرحلة ولا ينتهي معها الحديث ولا ينتهي الاشتياق، قررت الذهاب إليه في عمله، كل مرة لسبب غير السابق.. مرة للسؤال عن أحوال العبيد ومرة أخرى لطلبات تخص (تيتي شيري)، وفي كل مرة تتشابك الكلمات بينهما، لتنسج حديثًا جديدًا مختلفًا ومتنوعًا.. في بعض الأحيان شعر (سني) أنها تشتاق إليه كما هو اشتياقه، وفي البعض

الآخر، شعر أنه مجرد (صديق) لها لا يعلو لمرتبة الحبيب، مرت الأيام حتى ذهبوا مرة أخرى لرحلة صيد جديدة وفي تلك المرة حدث أمر غيّر كل شيئ بالنسبة لـ(سني) في أثناء تلك الرحلة البحرية سقطت (اعح حتب) في الماء، وعند سقوطها كانت المياه مليئة بالتماسيح، فقرر أخوها القفز في الماء وفي يده حربته، وجهها إلى فم التمساح القريب منها، فابتعد التمساح في الماء عنها، خرج أخوها بها ليستقرا على السفينة، وفي الليل لم تجلس معه، ظن (سني) أن الأمر مجرد عارض لما حدث نهاراً، ولكن في الليلة التالية ظل الأمر مثل سابقه، ومرت الرحلة دون تبادل أطراف الحديث، عاد (سني) للمدينة حزيناً، قلقًا على حبه، غير فاهم لسبب البعاد.. حتى انقطع صمت الأحبة بذلك اللقاء عندما أتته (اعح حتب) إلى مكتبه، فطرب قلب (سني) فرحًا، ولكنها لم تأتِ بطلب من (تيتي شيري) مثل كل مرة، فهذه المرة جاءت إليه وبشكل شخصي.

- "أريد الإستسفار منك بشأن ما يا (سني)"

قالتها (اعح حتب)

- "خير يا مولاتي؟"

- "ألم نتفق على إلغاء الألقاب؟"

هنا تأكد من عدم تغير شيء في علاقتهما حتى هذه اللحظة.

- "أخبرني هل ما يحدث في الأساطير من الممكن أن يحدث أو يتكرر مرة ثانية في حياتنا يا (سني)؟؟؟"

- "ممكن توضحي لي أكثر؟"

- "أعني المعجزات التي نسمع عنها في أساطير الآلهة، ممكن أن تتكرر..؟ مثلًا أسطورة إيزيس وأوزوريس"

- "تقصدين البعث مرة أخرى للإله أوزوريس؟"

- "لا يا (سني) أقصد الحب الذي كان بينهم، أيمكن تواجده بين البشر، أيوجد حب بتلك القوة؟"

- " الحب الذي كان يُكنّه (أوزوريس) لحبيبته (إيزيس) كان قوي جدًا، لكن قابله حب أكبر بكثير من (إيزيس)، جعلها تؤمن بقدرتها على إرجاعه لها، جعلها تصمد مع ابنها (حورس) في مواجهة (ست)"
- "أوجهة نظرك أن حب (إيزيس) أقوى من حب (أوزوريس) ؟

- "بالطبع حب إيزيس في الأسطورة كان هو الأقوى والأعظم وإيمانها به كان أهم بكثير في استمرار قصة حبهم".

- "أتظن أن حب مثل هذا قد نجده في حياتنا يا (سني)؟"

رقص قلب سني طربًا وأحس أنه اقترب كثيرًا من هدفه، أحس وقتها أنه على مشارف الإعتراف بحُبَه لها ولكن منعه ذلك الأمر الرسول الذي جاء فجأة إليه مع رسالة (تيتي شيري) إلى مكتبه :

- "مولاتي ملكة طيبة (تيتي شيري) في إنتظارك في أمر هام بالقصر".

همّ مع الرسول ذاهبًا إليها، وفي القاعة الملكية كان حديثها معه، بعيدًا حتى عن الحراس.

– "(سني) في أمر هام لا بد استشارتك به.."

قالتها (تيتي شيري) وهي جالسة على مضجعها الملكي و(سني) واقفًا أمامها مستمع لحديثها..

- "تعرف أن أهل طيبة لن يتقبلوا طويلًا أمري كحاكمة لهم"

"مولاتي حب أهل طيبة للأشراف ممكن يزيل أمر كهذا".

- "أنت تعلم أنني لا أحب الكلام المنمق، عاجلًا أم آجلًا سيطالب أهل طيبة بحاكم رجل منصب ومختار من قبل آلهة معبد آمون".
- "مولاتي صدقيني من الممكن وجود حلًّا لهذا الأمر مع (تحوتي)، ونجعل كهنة المعبد يقنعوا أهل المدينة بإختيارك كحاكمة للمدينة من قبل الآلهة".

- "(تحوتي) ما زال حديث العهد في منصبه ككبير الكهنة لمعبد (آمون)، وأمر مثل ذلك سيرفض من قبل الكهنة في المعبد قبل الشعب، لا بد من وجود حل آخر، ويوجد حل قد أعرض على وهذا ما أردت إستشارتك به"

هنا بدأ قلب (سني) في الدق سريعًا فقد بدأ يستدرك ملامح الأمر، فهناك شخصان فقط في عائلة الأشراف هم الأكبر سنًّا، وبالتالي هم لهم حق الولاية والتنصيب على أمور الدولة الأولى (تيتي شيري) والثانية هي ابنتها (اعح حتب)، فأخيها أصغر منها سنًّا وبالتالي تنصيبه ملكًا قد يؤدي إلى مشاكل أمام العائلة قبل الشعب
- "(اعح حتب) يوجد عرض معروض علىِ بخصوصها"

- "ما هو يا مولاتي ..؟"

قالها (سني) في ذلك التوقيت وهو يستشيط غضباَ من داخله، ولكنه أراد الحفاظ على ملامح وجهه أمامها فبدأ يزيل بكفيه ما تصبّب من قطرات عرق على جبينه.

- "ملك كريت، أرسل ابنه الأمير في زيارة تجارية إلى مدينتنا طيبة، ولبحث سبل التعاون الإقتصادي مع إمارات الخاسوت.. هذا جزء من نص الرسالة المبعوثة من ملك كريت لنا، لكن ما لا يوجد في نص الرسالة ومبعوث ملك كريت أبلغه شفهي هو عرض زواج من أميرة، والأميرة هي أميرة الأشراف (اعح حتب)".

وهنا كان (سني) قد تحوّل لونه إلى اللون الأحمر الداكن من الغضب، وقد بدأت ملامح وجهه تتغير إلى شخص يدافع عن أهل بيته من هجوم الحيوانات البرية عليه.

- "مولاتي أعذريني، أمرّ مثل ذلك سيصبح إعلان صريح منّا للعداء ضد الخاسوت، وأننا نستعين بعلاقات خارجية للحماية منهم".
- "عمومًا يا (سني) بالنسبة لتلك النقطة لا تقلق منها، لأن أمير كريت زار ملك الخاسوت، وفي طريقه للإمارة في خلال أيام، أما لو رفضت عرض (ملك كريت)، ما الخيارات المُتاحة؟"

يصمت سني لبرهة أراد أن يقول أنه هو الخيار، وأنه يريد الزواج من حبيبته (اعح حتب)، ولكن عجز لسانه عن الحركة داخل فمه.
- "أنا أخبرك.. خياران لا ثالث لهما: الانتظار لـ(ملك الخاسوت) يأمر حاكم إهناسيا بالزواج مني أو من (اعح حتب) ويُنصِّبه حاكم

للإمارتين، أو الانتظار حتى هجوم عبيد بلاد الكوش وندخل في حرب بين ملك الخاسوت وملك الكوش على إمارة طيبة .... ألست محقة في أمري؟؟"

هنا أجاب (سني):

-"لا لست على صواب .."

وقالها وهو في قمة الخوف والخجل.

- "إذًا ما الصواب يا (سني)؟"

قالتها (تيتي شيري) وهي في قمة غضبها من إجابة (سني) التي جاءت بصوت عال:

"أتزوجها أنا يا مولاتي".

قالها (سني) وشعر أنه لم يستطع السيطرة على لسانه أكثر من ذلك، فهو يرى مصير حبيبته المستقبلي وكل الخيارات بعيدًا عنه وعن الاقتراب من دفء حديثها.

-"أجننت..؟ زوجي رحمته الآلهة قرّبك من العائلة وأمسيت في موضع ثقة لكن لا يجعلك ذلك أن تتجرأ و.."

قطع (سني) ذلك الحديث بجملة جعلت (تيتي شيري) تعجز عن الكلام.

- "مولاتي أنا أحبها".

مرة أخرى قطع (سني) سيل من الأفكار بسيل آخر من الذكريات،

ذكريات رؤيته (اعح حتب) أول مرة، وهي فتاة صغيرة بالقصر وهو شاب مراهق بين جموع الشعب يستمع لحديث (تاعا الأول) في خطبة بجموع طيبة أثناء إعلان تولِّيه حكم الإمارة، عندما أنبهر بجمالها لا بكلمات خطبة (تاعا الأول)، ذكريات له وهو يتسلل إلى القصر ليراها، بعد الإجتماعات الأسبوعية لمسئولي شئون طيبة وذكريات لرؤيته لها أ ثناء حديثهما سويّاً برحلات الصيد.

-"أحبها من أول لحظة رصدتها عيناي، إحترامي لـ(تاعا الأول) وللعائلة هو الأمر الذي منعني من البوح بمكنونات قلبي يا مولاتي، لكن اليوم لا أقدر أن أحافظ على صمتي، من أجل مستقبل (اعح حتب).. ومستقبل طيبة".

- "أمدرك ما يمكنني فعله بك يا (سني)؟"

- "مدرك يا مولاتي لعقبات حديثي، لكن أظن أنه الوقت المناسب لاعترافي حتى لو الأمر كلفني حياتي".

قامت (تيتي شيري) من مضجعها الملكي وفي يدها خنجرها الذهبي فإذا (سني) ينكس رأسه أمام خنجرها منتظراً الموت، الموت الذي لو قد نفذ وقتها لكان سيريح قلبه من عذاب هذا الحب.

- "مستعد للموت يا (سني)؟"

- "إذا كان الموت من أجلها سأكون دائمًا مستعد"

- "وإذا تزوجتها؟"

- "سأعتزل العمل الحكومي وسأعمل كفلاح بسيط في أرض طيبة"
- "وإذا أنجبت منها؟"
- "سأعلِّم أولادي الزراعة ولن أطالب بأيّ حق لهم في سلطة أو جاه"

وضعت (تيتي شيري) خنجرها الذهبي في غمده وأشارت له بالوقوف، ومع ابتسامة عصبية على وجهها قالت:

"جَهِّز مراسم استقبال أمير كريت بالمدينة ووعد مني يا (سني) أنك ستصبح زوج (اعح حتب) وحاكم طيبة القادم".

****

ذلك الوعد ما دُوِّن في برديات (سني)، تلك الذكريات وما تحمله من أحداث، خفيت عن حامل البرديات (أحمس) الذي فوجئ عند قراءته لها، ولا يعلم هل ما دُوِّن حقيقة أم أنها مجرد إدِّعاءات، يسير (أحمس) وكاهنه الشاب (مس) في أروقة القصر، كل منهما يحمل بضعًا من برديات (سني) ما وجوده في مزرعته وكل منهما يحمل على وجهه تلك الملامح.. ملامح الدهشة والصدمة، يفترقان في طرقهما، يذهب (مس) إلى موضع أباه (تحوتي) عند (اعح حتب) بالقاعة الملكية، و(أحمس) يذهب إلى (تيتي شيري) بغرفتها، يسمح له الحاجب بالدخول، وعند دخوله ينظر في عينيها بأسئلة كثيرة، وهموم ثقيلة.

- "بماذا تريد البوح يا حفيدي؟"

قالتها (تيتي شيري) بحنان الجدة، فتزيل عنه حرج الرهبة، ليسأل سؤاله الأول:

- "سؤال واحد أريد إجابته"
- "بخصوص؟"
- "(سني)"
- "ما الذي تريد معرفته بخصوص (سني)؟"
- "الوعد"
- "نعم أنا وعدته لكن لم أفي بوعدي .."

قالتها (تيتي شيري) ليتأكد (أحمس) أن ما قرأه ببرديات (سني) ليس كذباً بل هي الحقيقة خالية من أي إدعاءات وتذكر كلماته الأخيرة بالبردية:

(إن عائلة الأشراف التي نراها مثال يُحتذى به في الحفاظ على وعودهم، لهو أمر غير صحيح، فهم عادة ما يخلفون وعودهم، وعليه قررت الانتقام لحقي، حقي في الحب وحقي في الحكم.. حكم طيبة).

****

٢- انتقام بعل:

- "نحن في حاجة ماسّة لدعم الجيش يا مولاي الملك من أجل الحملة الجديدة".

تلك العبارة التي أطلقها الأمير (بعل) على والده الملك (أبوفيس) في قاعته الملكية في قصره بأواريس وبين يديه بردية تحوي أرقامًا للعتاد والسلاح، ما يراه (بعل) مناسبَا من وجهة نظره، أو كما عرض على ملكه من أرقام أعطاها له (بس) في الخفاء، الأمر الذي تعصّب له (أبوفيس) متى كان ابنه للحرب طالبَا هكذا، وما كان بالأمس مجرد أمير مشاغب وللخمر طالب، أصبح اليوم للحرب باحث، وللدماء مُتعطِّش.

- "ألا ترى أن تلك الأرقام مبالغ بها بعض الشيء؟"

يقولها الملك (أبوفيس) ليستكشف دافع أميره، لماذا الآن؟، ذلك التحوّل في شخصية فتاهُ.

- "مولاي الملك، مملكتنا مملكة حرب، وعليه من وجهة نظري المتواضعة، أرى أن الحملة فعلًا لا يمكن اقتصارها على حرب طيبة وتسليمها لـ(سني)، أرى وجوب إمتداد الحرب حتى بلاد الكوش وما بعدها حتى منابع النيل".

يبتسم (أبوفيس) من أمر أميره الجديد، فذلك التفكير، كان ينتظره من سنين خلت، النضج الحربي، ما يؤهله بشكل أو بآخر، ليكون وليّا

للعهد، يرى في أعين ابنه ذلك الدافع، دافع الحرب والغضب والتعطش للدماء.

- "لماذا؟"

يسأل (أبوفيس) منتظرًا الإجابة، فيجيب (بعل) بكل سلاسة:

- "مولاي الملك، لو قسمنا الحملة الجديدة لأقسام فهي ثلاث أقسام: القسم الأول هو إعادة السيطرة على طيبة وإنهاء زمن المناوشات القديمة التي بدأت على ايد (سقنن رع) وابنه (كامس) والقضاء تمامًا على عائلة الأشراف كرسالة لجميع حكام الأقاليم في المملكة لعدم التجرؤ على سلطة الخاسوت من فينيقيا حتى طيبة والقسم الثاني هو بلاد الكوش، خضوع بلاد الكوش لحكمنا سيفيد المملكة، أولًا سيطرتنا الكاملة على ذهب الكوش، وثانيًا استخدام أهل الكوش المعروف عنهم تحمل الظروف الصعبة والقاسية كجنود مرتزقة كفيلق من فيالق جيش مملكتنا، وكخط أمامي في حروبنا القادمة..

  أما القسم الثالث هو التوسع في حدود المملكة حتى منابع النيل، بمناطق جديدة، تحتوي على نباتات نادرة، محاصيل زراعية جديدة، تدعم تجارتنا مع أهل جزيرتي قبرص وكريت، وما بعدها وبالتالي تصبح الفوائد التي ستعود علينا من الحرب فائدة إقتصادية، وفائدة سياسية".

يصفق الملك (أبوفيس) لأميره (بعل) عند الانتهاء من حديثه.

- "عظيم، تفكيرك نضج وأصبحت أهل للثقة في اتخاذ قرارات يا أميري".

يدخل الحاجب إلى القاعة ليبلغ مولاه الملك بحضور (سني) و(مس) إلى القصر، يأذن الملك لحاجبه، فيدخل الاثنان إلى القاعة، ينحنيان احتراماً لملك الخاسوت الذي يقف ويقترب من (سني) ويصافحه.

- "أهلًا برجلنا (سني) العظيم، لولا وجودك في طيبة لكان لـ(سقنن رع) و(كامس) أمراَ آخر في حروبنا معهم".

- "هذا تقدير كبير من جلالتكم لنا يا مولاي".

قالها (سني) وهو ينظر إلى (أبوفيس) لأول مرة فهو يسمع عنه.. لم يره من قبل، يَهِمّ (أبوفيس) بوضع يد (سني) بين كفيه.

- "بإيدك معانا هنكتب تاريخ جديد لمملكتنا، مملكة الخاسوت، التي ستتوسّع مع وجودك معنا وسنصل بها لأبعد الحدود، وأبعد البلاد سنعيد بها سيطرة مصر على بلاد الكوش وما بعدها".

يندهش (سني) لما قاله ملك الخاسوت ولا يفهم ما يقصده، فيتسائل:

- "معذرة يا مولاي ممكن توضح لي مهمتي القادمة؟"

يبتسم (أبوفيس) من حديث(سني) السابق.

- "مثل ما حكى عنك رئيس الجماعة ورئيس جهاز الكشافين الحالي.. فعلًا ذكي، وتستطع أن تنتقي كلماتك".

- "هذا فضل وإطراء كبير من جلالتكم يا مولاي، وهذا المدح أنا لا

أستحقه من جلالتكم".

- "قلت لك ذكي، إسمع يا (سني) بعد الإتفاق والتشاور مع رئيس جماعة الإله (ست) المُعظَّم والأمير الملكي (بعل) ونظراَ لما قدمت للمملكة من خدمات جليلة، ولتاريخكم المشرف في خدمة المملكة، قررت قرار ملكي بتعيينك حاكم لإمارة طيبة".

يتوقف (أبوفيس) عن الحديث ليرى رد فعل (سني) على ملامح وجهه، ذلك الوجه الذي لم يعرف هل يبتسم لما صدر من قرار ينتظره من أعوام مضت، أم يتجهّم لما يحمل القرار في طيّاته فيما يخص عائلة الأشراف وما يخص (أحمس) و(اعح حتب)، فقرر الابتسام، ولكن ابتسامة مصطنعة محاولة إخفاء ما يجري داخل نفسه من قلق، وما تحمله دمائه من خوف من خبث يراه في أعين (أبوفيس) ولكن في أعين رئيس الجماعة (بس) الذي يبتسم في خبث فهو قد وصل لمبتغاه، ذلك ما ينتبه له (أبوفيس).

- "ماذا.. لماذا تنظرون لبعضكم هكذا؟"

فيزيل (بس) سوء الظن من ملك الخاسوت بحديثه القادم:

- "مولاي الملك.. ملكنا المُبجّل، إن (سني) قلقٌ بعض الشيء من قِبَل عائلة الأشراف وموقفهم منه".

- "الأمير (بعل) لتقرأ عليهم الأمر الملكي الذي ستقرأه على جموع شعب المملكة.."

على أمر والده يقوم (بعل) بفرد البردية ويبدأ في سرد محتوياتها

على الحاضرين بالقاعة:

- "بإسم إلهنا العظيم (ست) إله مملكة الخاسوت المُعظَّم، سيد الأرضين وبأمر من ملكنا المُعظَّم (أبوفيس) ملك الأرضين القبلي والبحري تعيين (سني) عمدة مدينة طيبة السابق، كحاكم لإمارة طيبة ببركة إلهنا المُعظَّم (ست)، وباختياره الجليل، وعلى الأمر الملكي، يتم تسليم عائلة الأشراف مقاليد الإمارة للمختار (سني)، بإعتبارهم متمردين، تمردوا على حكمة إله مملكة الخاسوت المقدس (ست)، وقائدًا لجيشنا بجنوب البلاد، فاتحًا بأمر الآلهة بلاد الكوش وما بعدها وعلى الجميع الخضوع للأمر الملكي".

وفي نهاية كلمات الأمر الملكي، ما سقط على أذني (سني)، شعر بالسعادة والخوف بالفرح والحزن، لم يستطع النطق فهو نال ما أراده يومًا، حاكمًا لطيبة، وذلك الحق الذي لم يقدر على أخذه، وفي نفس التوقيت، محاربة (أحمس) وجهًا لوجه ـ لتسليم طيبة له وعليه (تيتي شيري) وكل ما يقرب لعائلة الأشراف من نسب حتى حبيبته (اعح حتب)، وهنا أتت له فكرة فقرر وبدأ العرض على (أبوفيس) مولاه الجديد.

- "مولاي المُعظَّم ملك ممالك الخاسوت، مَن له قوة الأمر لجميع الحقاوخاسوت من فينيقيا حتى جنوب (تميرا)، اسمح لي مولاي باقتراح بسيط".

ينظر له (أبوفيس) مندهشًا من جرأته فهو لم يلتقِ به سوى اليوم ومنذ لحظات، فكيف له أن يقترح عليه أمرًا، ولكن يتدخل (بس)

الذي أحس بخطورة الموقف، خائفًا من غضب (أبوفيس) أن يصبح غضبًا عارمًا.. الأمر الذي قد يجعله يرجع عن الأمر برمّته.

- "مولاي المُبجّل، معذرة لما صدر من (سني) فهو يتحدث لجلالتكم وهو يقدم ما يفيد المملكة، كما اعتدنا منه دائمًا، أليس كذلك يا حاكم طيبة؟"

انتبه (سني) لكلمات (بس) ليفهم ما فعله من أمر خاطئ فيبدأ في مجاراة رئيس الجماعة.

- "بالتأكيد يا رئيس جماعة الإله المُعظَّم (ست)، فما اقترحه أمر قد يجعل من عائلة الأشراف عبرة وعظة لجميع حكام أقاليم الخاسوت".

هنا يجلس (أبوفيس) على مضجعه الملكي، متناولًا كأس خمر ليرتشف منه ويشير لـ(سني) بالحديث..

- "بأن أقتل جميع ذكور عائلة الأشراف وجعل الإناث إماء في نفس القصر الملكي بطيبة من كُنّ به سيداته من قبل".

ابتسم (أبوفيس) من حديث (سني) السابق فيما يعرضه الأمر الذي سيجعل الأشراف من سادة القوم إلى عبيد لدى الخاسوت لهو قمة الذل والهوان.

- "وبذا ستكن الإناث لك إماء يعجبني هذا الإقتراح يا حاكم طيبة الجديد، وعليه سأزيد تسليح الجيش ولكن بجزء بسيط ممّا عرضه على أمير البلاد، وباقي الدعم من سلاح وعتاد عندما تتولى

أمور طيبة بيدك يا (سني)".

ابتسم (سني) لموافقة (أبوفيس) على اقتراحه، واطمأن قلبه على مصير حبيبته (اعح حتب)، فهو يريد الحفاظ على حياتها فقط دون باقي الأسرة.. أسرة الأشراف من حنثوا وعودهم معه، (تيتي شيري) ويريد القضاء على ما تبقى من نسل (سقنن رع)؛ (أحمس)، ولكن ليس بيده، ولكن بيد سيده الجديد حتى لا تكرهه (اعح حتب) لقتله ابنها الباقي من الذكور.. هنا يسمح (أبوفيس) للجميع بالانصراف. ولكن عند وقوفهم عند باب القاعة وقبل خروجهم منها صاح ملك الخاسوت:

- "(سني)"

قالها ليتوقفوا عند باب القاعة.

- "ستهبط في أواريس معنا في ضيافة أميرنا (بعل) حتى يتم إعلان الأمر الملكي ويصل لجميع أنحاء المملكة إلى مسامع الأشراف بطيبة وأريدك يا رئيس الجماعة في أمرٍ هام".

يقولها (أبوفيس) ليخرج على إثرها (بعل) و(سني) من القاعة ويظل (بس) لا يعلم فيما يريده الملك، هل هو أمر يخص (سني) أم يخص (بعل) أم أمر آخر؟

- "إسمع يا (بس) لحديثي جيدًا.. أنا لا علم لي بما تم بينك وبين

ابني، لكن أعتقد أنه فرق في شخصيته وأصبح يفكر بطريقة مختلفة، لكن ليس معنى ذلك أن تمرر من خلاله ورقة بالسلاح المطلوب للجيش، أعتقد أنه يوجد لدينا قائد للجيش وهذا دوره. ألست على حق؟"

غضب (أبوفيس) كان ظاهراَ في كلماته السابقة، فلا يمكن لأي شخص كان مكانته أو قوته بمملكة الخاسوت مجابة ذلك الغضب الذي بدأ يظهر في نبرة أكثر حدة من (أبوفيس).

- "أنا وافقت على جزء من التسليح المقترح من ابني ولي العهد كنوع من التشجيع مني على موقفه في حربنا القادمة، ليس أكثر أو أقل، والمرة القادمة سيكون لتدخلك فيما لا يعنيك أمر آخر يا رئيس الجماعة ورئيس جهاز الكشافين.. أظن حديثي واضح"
- "واضح يا مولاي"

يقولها (بس) في خضوع وخنوع تام من ملكه (أبوفيس)، ذلك الخضوع ظل معه حتى الخروج من القاعة، وبدأ في التبدل بأروقة القصر من الخضوع إلى الغضب العارم الذي لا يستطيع كبحه وهو يمتطي عربته الحربية، فالخيول أصبحت تركض بأقصى سرعتها على إثر صوت ارتطام ضربات سوطه الحاد.. لم يستطع أي من المارة الوقوف أمام تلك السرعة الجنونية حتى وصوله إلى مقر الجماعة بمنتصف المدينة، تفتح له أبواب المبنى من قبل الحراس، وهو لا يرى شيئًا سوى الغضب.. يتساءل كيف؟، كيف تجرّأ ذلك الملك ملك الخاسوت مَن كان سابقًا يهاب رؤساء الجماعة السابقين، كيف اليوم

يصيح بوجهه؟ وكيف له أن يوجِّه له تحذيراً بهذه اللهجة من أين له هذه الثقة في نفسه؟ أليس خائفًا من غضب الجماعة عليه؟ .. يصل إلى مكتبه يرسل أحد حراسه إلى شخص ما.. يجلس في غرفة الإجتماعات.. ينتظر مَن أرسل في طلبه، يفكر في كيفية الرد على ذلك التهديد وحتمية الرد القوي، فهو ليس مجرد كاهن عادي، بل هو رئيس جماعة الإله (ست)، أهم مؤسسة بالمملكة مَن تختار مَن يكون حاكمًا لإقليم، ومَن يكون وزيراً، ومَن يكون ملكًا. هي مَن تتحكم بمفاصل الدولة.. من تحرك المعبد وعليه يتحرك جموع الشعب، من ترسم الخطط المستقبلية للمملكة، مَن كانت ذات الضلع الرئيسي في بناء المملكة وعلى مدار أعوام وأجيال منها، ومَن آمنوا بفكرة الوطن الكبير بسائر بلدان العالم.. مَن ضَحّوا بحيواتهم من أجل إنشاء ذلك الوطن..... وطن الخاسوت.

- "مولاي السيد (حكا)"

يقولها الحارس وعلى إثره يدخل (حكا) ساحر الجماعة صاحب التعاويذ السحرية والأوهام البصرية. يشير له (بس) فيجلس ليأخذ موضعه بمائدة الاجتماعات.

- "قل يا (حكا) ماذا فعلت بما اتفقنا؟"

- "سيدي لقد نفذت الذي طلبته مني بالحرف"

- "منذ متى؟"

- "من يوم الحلم سيدي، حلم نبوءة المطر.."

هنا يتذكر (بس) ذلك الإتفاق الذي أبرمه مع ساحر الجماعة (حكا) بأ ن يضع في مشروب الملك المفضل مُركّبا سحريّا، الشيء الذي يجعله عندما ينام ليلًا يرى كوابيس بما يخاف.

- "ليس كافيَا.. أريدك أن تزيد الجرعة، تلك الجرعة لم تحقق شيء".
- "سيدي لو زادت الجرعة سيكون ذلك خطرَا على حياته، وهذا أمر لا أقدر على تنفيذه".
- "أتعصى أوامري؟؟"

ينفجر (بس) غاضبَا بوجه (حكا) وصوته العالي لأول مرة يصل إلى حراس الغرفة خارجًا، يجلس (بس) يحاول تمالك أعصابه ويبدأ في الحديث ولكن بصوت أقل:

- "إعذرني يا (حكا) ولكن لا أرى أية نتيجة مع (أبوفيس)"
- "أتقصد أنك لم تصل لمبتغاك يا رئيس جماعتنا؟"

ينظر له (بس) غاضبَا، فيحاول أن يُصلح ما قام بإفساده:

- "أقصد أننا لم نصل لنتيجة حتمية".
- "لا يظهر على وجهه ملامح قلة النوم أو القلق مثلما كنت متوقع، هدوءه في التعامل مع الأمور غير متوقع، في توقيت مهم سياسيًا بالدولة"
- "أتسمح لي بالنصيحة؟"

- "قل يا (حكا)"

- "ليس كل ما تريد تحقيقه يتم بالتعامل المباشر مع الامور"

- "لِمَ تريد أن تصل بحديثك يا (حكا)؟"

- "ما أريد قوله أننا قمنا بتجربة المركب السحري مع (أبوفيس) ولكن لم نقم بذلك مع (بعل)".

ومع كلمات ساحر الجماعة أتت تلك الفكرة الحديثة إلى رأس رئيس الجماعة، فكرة لا تأتي سوى مرة واحدة، فما أراد زرعه برأس (أبوفيس)، لما لا يُزرع برأس الأمير، ولي العهد، رأس (بعل).

- "كلامك منطقي يا عزيزي، مثلما زرعنا الخوف من (أحمس) في رأس (أبوفيس) فلما لا نزرعه في رأس أميره، وهذا لا يحتاج إلى مُركَّب سحري، يصنع الكوابيس في منامه، بل يحتاج لأمر آخر تمامًا، إذهب أنت الآن يا (حكا) وسنجتمع مرة أخرى في وقت لاحق، لنتباحث أمور أخرى تخص الأمير (بعل) وتخص (أحمس)".

يقوم (حكا) لينصرف ولكن قبل خروجه:

- "هناك نقطة أردت توضيحها لك يا رئيس جماعتنا"

ينتبه (بس) لحديث (حكا)..

- "المُركَّب السحري ليس له علاقة بحلم النبوءة"

- "ماذا تقصد؟"

لم يفهم (بس) مقصد حديث (حكا)

- "أقصد أن الملك لم يتناول المُركَّب السحري إلا بعد حلم نبوءة المطر الأحمر".

وقعت تلك الكلمات على آذان (بس) كالصاعقة، فما ورد في حلم الملك (أبوفيس) من زوال حكمه على أيدي نسل (سقنن رع) ليس من فعل مُركَّب ساحره (حكا) السحري، ومعنى كلماته أن الحلم ونبوءة المطر الأحمر حقيقية، وأن ما ورد من مصير ملكه على يد (أحمس) هو الخطر بذاته..

****

- "أنت لست عظيمًا"

يسمعها (سني) منه.. لا يتوقع تلك الكلمات، لا يفهم السبب، ولا يعلم من أين أ تى بتلك الجرأة إذا كان جريئًا، أم أنه مجرد إنسان وقح لا يستطيع انتقاء كلماته؟

- "جلالتك بما تحدثت يا مولاي (بعل).. عفوًا فلم أستمع جيدًا"

يسأله (سني) ولكن لا يجد سوى تلك الوقاحة وبشكل أوضح وأدق:

- "أنت لست عظيمًا مثل ما قالوا عنك يا (سني)، أنت مجرد خائن"

ينطقها بعل ثم يضع كأس الخمر الذي كان في يده على المائدة التي أمامه فارغًا، تلك المائدة الملكية بذلك البيت الأشهر للبغاء والخمر في

أواريس، لصاحبه الفينيقي الأصل وزوجته المصرية المنشأ.. يهم الخادمان المحيطان بالمائدة الملكية لصب الخمر في كؤوس الضيوف أمير البلاد (بعل) وضيفه حاكم طيبة الجديد (سني) مَن قام باختيار كلمات قوية للرد على وقاحته قائلًا:

- "ومَن قال أني أرى نفسي عظيم أو حتى خائن مثلما قلت أنت؟"

بدأ (بعل) في تناول جرعة من كأسه أثناء استطراد (سني) في حديثة السابق:

- "كل واحد يختار، ودائمًا الاختيار يكون نابع من أسباب هو مقتنع بها ومؤمن بأفعاله، وبالتالي لا أنا سأرى نفسي عظيمًا لأنني لم أصل للهدف المرجو، وفي نفس الوقت أنا مقتنع باختياراتي إذا لم أخن نفسي".

يصفق الأمير (بعل) وقد بدأت آثار الثمالة تتكون على وجهه ويحاول أن يتمالك نفسه كفريسة تقع في الشبكة العنكبوتية وتحاول الفرار بلا فائدة.

- "كم أنت عظيم يا (سني).. تستطع أن تنتقي كلماتك الذكية تلك التي تجذب انتباه كل مَن حولك، وعليه تستطيع الهروب من المأزق الذي أنت متواجد به بكل سهولة، حسنًا أيها العظيم أخبرني ما هو الهدف الذي لم تحققه حتى الآن؟"

هنا كانت السخرية كانت تسيطر على حديث (بعل) منتظرًا أن يرى رد فعل مختلف من (سني)، ولكن كان رد الفعل هادئ جدًا لا

يتناسب مع أجواء المكان من ضحكات بائعات البغاء المتعالية أو حتى مع الموسيقى الناشئة من الآلات الوترية.

- "الإنتقام طريق أوقات تختاره، في البداية تشعر أن النتيجة ستصبح في متناول يدك بسرعة وبسهولة، لكنك تجد أنها تستغرق وقت أطول مما كنت تتخيل، والإنتقام مثل الخمرة التي ترتشف منها، أشبه ببحر من الممكن أن تغرق فيه حتى الثمالة".

- "أأنت بعد كل هذا لم تنتقم من الأشراف يا (سني)؟ على حد علمي أنت ساعدت في هزيمة (سقنن رع) و(كامس) ولم يبقَ سوى (أحمس)".

- "الإنتقام في بادئ الأمر تدركه أمام ناظريك على هيئة أفراد، وعندما تتساقط الأفراد يظهر لك الوجه الحقيقي للإنتقام.. ما تقدر على استيعابه.. الإنتقام ليس ما يمثله موت شخص أو مجرد هزيمته.. أحيانًا تكون هناك أشياء أهم.. في بعض الأوقات مجرد الحقيقة.. الحقيقة المجردة هي العقاب الأمثل، وهي الانتقام الحقيقي".

ومع نهاية حديثه تتوقف الموسيقى، تخرج صاحبة الجمال، ملكة الليل الحزين، كما يطلق عليها رواد المكان وصاحبة الصوت العذب.. كما يحكي عنها أهل أواريس.. تبدأ الموسيقى مرة أخرى تتأرجح من على الأوتار ومعها تتأرجح الكلمات، أغنيتها الجديدة في الليل مثل كل يوم، في ذلك الوقت:

"طائر الليل الجميل / هل أنت عن الحب باحث؟ /هل الليل مكانك؟
لِمَ أنت دائمًا حزين؟ / أم أنت من الحزن خائف؟ / أم النهار هو أساسك؟
أسألك مثل كل يوم / أين أجد حبيبي / أين ذهب نصيبي؟
ولا تجيبني في آخر اليوم / مَن ذهب بقلبي بعيدًا؟ / من أراه في الأفق وحيدًا".

أثناء تلك الكلمات قد وقف الأمير (بعل) في مكانه، شعر (سني) بآثار الثمالة على وجهه وأنها هي مَن تحركه وليس عقله الذي يحركه، سأله (سني) ذلك السؤال الخبيث:

- "هل أنت معجب بها؟"

ولكن (بعل) لم يسمع سؤاله، فهو يسمع كلماتها فقط التي تكررها ثانية.. يسير بخطى مترنحة، يقترب من المسرح لتقلق من اقترابه، فهو الأمير (بعل) ولا تستطيع أن تمنعه كأيّ سكير من فعل أي شئ.. فكل شيئ هنا له مباح، يقف أمامها وينظر في وجهها الملائكي وهي ما زالت في غنائها مستمرة.. يتأمل ما يبوح به وجهها من تعبيرات من حزن وقلق، يضع كفه على شعرها الأسود المنسدل فتتوقف عن الغناء، تنظر إلى حراسه؛ آملة أن يفيقوه، ولكنهم يقفون خلفه دون حراك، ومع صمتها تتوقف الأوتار عن موسيقاها وتنتهي هنا همهمات كل مَن بالقاعة.

- "مَن حبيبك يا عشتار؟"

على إثر جملته أ خذت (عشتار) تركض خروجًا من المسرح إلى الخلف حتى وصلت إلى غرفتها ، تبكي وبكائها ليس حبًا وليس كرهًا أيضًا، بل كان خوفًا.. خوف ممّا قاله لها أبوها في مرات سابقة، عن محاولة مجاراته.. فهو أمير المملكة بأسرها وهم مجرد أصحاب لبيت للبغاء، كانت هناك عدة مرات حاول أشخاص أقل شأنًا منه التحرش بها، ولكن من السهل أن تطردهم بحراس البيت خارج المكان، وهذا لا ينطبق هنا مع (بعل)، فهو أمير، وكما قالت لها والدتها دائمًا؛ أنها ليست للبغاء مثل باقي فتيات البيت، ولكن إذا كان هذا طلب الأمير لن تقدر على الرفض..

يدق باب غرفتها فتتعدل في جلستها قبل أن تقول كلمتها: "أدخل"، ويدخل الطارق، فإذا به (بعل)، فتقف وتنحني احترامًا له..

- "مولاي الأمير"

يمنع الأمير انحنائها له بطرف إصبعه على ذقنها، فهو لا يريد أن يؤذيها، بل يريد رؤية وجهها الملائكي.

- "لا تنحني أمامي يا عشتار واتركيني لأرى ملامح وجهك الملائكي".

لا تنظر له وتظل ناظرة في الأرض، فيبتسم (بعل) وهو ينظر في عينيها ذات اللون الأزرق.

- "أحتاج رؤية عينيكي، لا تُشيحي بنظرك عني"

تبتسم (عشتار) إبتسامة صفراء وهي ناظرة له خوفًا، فيكمل (بعل) حديثه السابق:

- "تعلمين جيدًا سهولة حصولي عليكِ كجارية في القصر الملكي، لكن أنا لا أريدك مثل أية جارية أمتلكها.. أنا راغب في قلبك أن يمسي راغبًا فيَّ، أخبريني بما أقدِّم لكِ حتى تجد الرغبة طريقًا لقلبك وأن يقرر ذلك القلب التفكير في أمري؟"

تبتعد (عشتار) عن يده التي كانت ملامسة لذقنها وتنظر إلى مرآتها فتصبح ناظرة إليه خلفها ولكن من المرآة..

- "طلبي سيكون صعب يا مولاي الأمير"

- "أخبريني بأي شيء وسأنفذه.. أنتِ تتحدثين لأمير مملكة الخاسوت.. أقوى مملكة بالعالم"

- "صدقني هذا الطلب بالتحديد سيكون صعب جدًّا"

- "عشتار"

ينطقها (بعل) وهو غاضب..

- "رأس أحمس"

- "ماذا؟"

- "أريد رأس أحمس، وساعتها قلبي سيصبح ملـ...."

تنقطع كلماتها وتبدأ الحشرجة هي السمة الأغلب على صوتها من قبضة (بعل) على رقبتها وهو واقف خلفها".

- "مــ.........و.........لاي ....أر.......ج.......وك"

يتركها (بعل) لتسقط أرضًا ويخرج من غرفتها غاضباَ، ليسأل نفسه ألف سؤال: من/كيف/لماذا/متى/هل...

بضعة أدوات استفهام تدور في رأسه الملئ بالثمالة والحب والغضب، لا يعلم ما سيفعل.. هل وصل (أحمس) حتى إلى حبيبته..؟

يصل إلى (سني) بموضعه السابق على المائدة الملكية ببيت البغاء ويسأل نفسه ذلك السؤال: (كيف لها وهي مجرد مغنية ببيت للبغاء والخمر أن تطلب أمر مثل ذلك؟) هو لا يعلم إجابة سؤاله، ولكن (بس) رئيس جماعة الإله (ست) يعلم، فهو مَن يجلس معها في غرفتها، يهنئها على تنفيذها ما اتفق معها عليه، ونفذت أمره، ذلك ما قد أمره لها منذ لحظات قبل خروجها للغناء، تطلب رأس (أحمس) من الأمير (بعل) مقابل حبها له، صحيح أن عشتار رفضت في بادئ الأمر، ولكن أ مر مثل ذلك ليس صعباَ على (بس)، فتهديده لها بقتل أبيها وأمها بتهمة الخيانة لأهل طيبة هو الأسهل بالنسبة له، وعليه.. كانت ذاهبة لغناء أغنيتها الحزينة ولا تعلم كيف ستخرج من مأزقها.. ما حدث بينها وبين أمير الخاسوت، ذلك مَن جلس بجانب (سني) يردد عبارة واحدة:

"(أحمس) يجب أن يموت يا (سني)"

فالامر لم يعد كُرهًا لأهل مصر ممّا فعلوه بأجداده من العامو، فـ(أحمس) أصبح عدوّا أكبر له.. ومَن يقف في طريق حبه، وعليه سيكون الإنتقام، هو انتقام (بعل) القادم.

٣- انتقام أحمس:

كلٌ منا يحاول البحث عن الحقيقة وفهمها جيدًا، وكلٌ يرى في نفسه حاكمًا.. له الحق في إصدار الحكم المناسب على الأشخاص، ولكن هل نحكم بنفس الأمر على حقيقتنا؟ هذه هي الحيرة بعينها.. حيرة (تيتي شيري) بين حكمها على نفسها وبين حفيدها (أحمس)، مَن قرر الآن أن يكون جلادًا لها ولـ(اعح حتب) ولـ(سقنن رع).

– "جميعكم على خطأ، لا أحد بكم على صواب؟"

تستمع لعبارته (تيتي شيري) وكذلك ابنتها (إعح حتب) في القاعة الملكية، تلك التي أصبحت فارغة من الأشخاص سوى ثلاثتهم، لا حراس ولا خدم، على أوامر (تيتي شري)، مَن أتت بأحمس إلى أمه، لتجد حلًّا لجلادهم الجديد..

– "جلبته لكي حتى تسمعي بنفسك وتجيبي أنت عليه".

تقولها (تيتي شيري) وهي مغادرة القاعة تاركة الابن في مواجهة أمه (اعح حتب) التي بادرت باستفهامها عن معنى حديثه:

– "مَن هم على خطأ؟"

يستجمع (أحمس) كلماته محاولًا السيطرة على فيضان غضبه حتى يسترسل في اتهاماته القادمة:

- "جميعكم.. بدءاَ من جدتي (تيتي شيري) عندما وعدت بشيء لا تمتلكه وهو قلبك، و أنتِ يا (اعح حتب) عندما تمسّكت بحبك وتناسيت مستقبل طيبة، وأبي -رحمته الآلهة- في أرض الموتى (سقنن رع)، الشجاع الذي ظن أنه بمدينة يقدر علي مواجهة مملكة كاملة.. أيمكنك إخباري اختياراتكم وصلت بنا إلى أين؟ لا شيء سوى الضياع.. ضاع والدي وأخي (كامس)، وجعلتك تخفيني عن عيون الخاسوت بألف حجة لكي لا يعُدَّني الموت معهم من ضحاياكم في أرض الموت الغربية، ويبقى الدور على طيبة وأهلها مَن ليس لهم أي ذنب في اختياراتكم يا عائلة الأشراف".

هذه كانت الحقيقة في عينيه تلك التي يراها من وجهة نظره هو فقط، وأصدر حكمه بلا رحمة، بلا بحث حتى عن الأسباب والدوافع التي قررت أن تخرج كلماتها من شفاه (اعح حتب).

- "أمسيت القاضي وحكمت، رأيت الحقيقة من وجهتك أنت فقط. ألم تسأل حتى المتهمين أسباب ما فعلوه؟".

يقرر أن يواجهها بما أراد قوله من البداية ويطلق العنان للسانه والبوح بمكنونات نفسه:

- "المتهمين ظنوا أنفسهم مظلومين، وقرروا عدم المواجهة التي آن أوانها، جاء الوقت الحاسم لمواجهة حقيقة اختياراتنا وهذا هو اختياري، ولن يكون إختيار الأشراف يا مولاتي (اعح حتب).. عن إذنك".

يُنهي كلماته ويهمّ بالخروج، يصل إلى باب القاعة الملكية، ليفتحه حتى يواجه مصير اختياره الجديد، ويترك ملكته في مواجهة ذكرياتها، ذكريات نتجت عن اختيارها القديم لذلك الحب الكبير، الذي كان منذ سنين، مشتعل بينها وبين معشوقها الأبدي (سقنن رع).

تتذكر تلك الليلة التي كانت منذ سنوات خلت في شرفة غرفة نومها.. كانت تنظر إلى النجوم ليلًا في سماء طيبة، أتى إليها أخوها الأصغر، تراه أمامها.. فتمسك بيده قلقة خائفة مما أخبرتها والدتها بذلك الأمر المخيف لقلبها، فسألها سؤاله الحزين:"هل ستتزوجين منه؟" لم تُجِبه يومها سوى بدموع قلبها وبضع قطرات سقطت من أعينها على الوجنتين، ليسالها سؤاله الثاني بتلك الليلة:

- "وقلبك ما ذنبه؟"

سقطت رأسها على صدره، فقرر أن يُهدئها بمرور أصابعه بين خصلات شعرها. فسألته ذلك السؤال الذي دار في رأ سها حتى تكوّن بكلماته في طور الليل:

- "ماذا نستطيع فعله؟"
- "المواجهة طبعًا"

كانت تلك هي إجابته. نظرت إلى عينيه خائفة فطمأنتها قبضة يديه لكفيها، لتؤكد وجوده معها وأنها لن تصبح وحدها في تلك المواجهة مع (تيتي شيري)، يركض الأخوان معًا في ممر حياتهما الجديدة بذلك الوقت بماضيهما.. وقفا أمام أمهما، تلك التي وقفت بين نار سلطان

عائلتها ونار التضحية.. سألتهما عن ما يريدان، فأجاب أخيها الشجاع:

- "(اعح حتب) لن تتزوج أمير كريت يا أمي".

جلست (تيتي شيري) على مقعدها وسألت ذلك المقدام عن الأسباب، فأجاب بكل احترام:

- "لا تحبه ولا نعلم نواياه"

رأت (تيتي شيري) عدم وجود خيارات أمامها إلا في واحد..

- "يبقى مفيش غير (سني) صديق عائلتنا الوفي المخلص لأبيك الراحل"

لم تستطع (اعح حتب) أن تُخفِي نار حبها أكثر بين ضلوعها..

- "أنا بحب سقنن رع يا أمي"

وقفت (تيتي شيري) مصدومة من عبارة ابنتها بين أمرين؛ أمر ذلك الوعد لـ(سني) وأمر ابنتها التي اعترفت بحبها لـ(سقنن رع)، لم تعلم ماهية التصرف وصحة قراراتها القادمة. هنا نظرت إلى (اعح حتب) وهي تنظر إلى أعين حبيبها لترى في عينيه نظرة مشابهة لنظرة ذلك اليوم الذي قام بإنقاذها فيه من أفواه التماسيح.. مَن قفز بالماء محارباً من أجلها.. مَن رأت في خوفه عليها أمر لم يكن مألوف عليها.. إنه الحب.. تغيّرت نظرتها إلى (سقنن رع) في ذلك اليوم من مجرد (أخ) إلى كل العشق.

- "لكن هذا أخاكي.. أتعلمين معنى ذلك؟"

- "لا يهم، مهما كان الأمر لن يكون أهم من تواجدي معه"
- "المراد من حديثي أنكم عند زواجكم ستصبحون أنتما المسئولان عن طيبة مهما كلّفكم الأمر في المستقبل وأبنائكم لا بد من زواجهم من بعضهم البعض للحفاظ على الدم الملكي لعائلة الأشراف".

تتذكر (اعح حتب) عهد (سقنن رع) في تلك الليلة لـ(تيتي شيري):

- "أعاهدك مولاتي الأم بأن أحافظ على (اعح حتب) وعلى أبنائها، وأعاهدك على أن أحافظ على طيبة بدمي بإسم إلهنا العظيم آمون".

****

بخُطى ثابتة وعزم جديد بأروقة القصر الطيبي يتقدم (أحمس) المسيرة، وخلفه كاهنه الشاب (مس) ومن خلف (مس) جنديين شابين وهما الحارسين الشخصيين لـ(أحمس) الأمير، وهم (ابن ابانا) و(ابن بنخت)، ينزلون درجات ودرجات إلى أسفل القصر، حيث طريق ضيق أسفل الحديقة الرئيسية للقصر، وحيث لا يوجد نوافذ بل مجرد أضواء من نار المشاعل حتى يعبر الممر من أسفل الحديقة إلى سجن المدينة.. تُفتح الأبواب ويعبر من خلالها (أحمس) والأعوان ليدخلوا إلى ممر آخر ينتهى بباب قديم من الخشب الفينيقي.. يفتح بواسطة أحد حراس المكان ليدخل الجميع ويغلق خلفهم الباب الخشبي.. يوجد خلفه أربعة أشخاص آخرين وهم (نفربرت / وازد / خيان / سوسرن) مُكبّلين بالأصفاد والقيود الحديدية ويجلس أمامهم

(أحمس) على مقعده ويقف خلفه (مس) والحراس (ابن ابانا) و(ابن بنخت)، يسلمه (مس) بردية من برديات (سني) القديمة، ويبدأ في القراءة منها على المُقيّدين:

- "ولولا مساعدة كل من (نفربرت) (وازد) (سوسرن) (خيان) لما استطعت التخلص من (سقنن رع) أو حتى الدفع بـ(كامس) إلى أمره المحتوم، فهؤلاء ليسوا مجرد أنسباء من عائلتي أو حتى مجرد أقارب، بل هم أعوان لي على أمري".

ينتهي من القراءة وينظر لهم الأربعة ينتظر منهم تعليقًا أو حتى نفياَ لما تلاه عليهم فيقابل بصمت منهم.. يقوم (مس) بأخذ الدور من أميره ويبدأ في سؤالهم:

- "نريد معرفة معنى هذا الكلام.. الكلام الذي دوّنه قريبكم وكبيركم (سني).. ليست بكلماتنا"

يبتسم نفربرت ثم يبدأ في الضحك عدة ضحكات متتالية ومتعالية، ما يثير غضب (أحمس).

- "آخر واحد كان ممكن أن أشك بأمره هو أنت يا (نفربرت).. مدير القصر ومدير الخزانة الملكية أن تصبح مشارك في جريمة (سني)".

يضحك مرة أخرى نفربرت بصوت أعلى، مما يجعل (أحمس) ينتفض من مكانه غضباَ، ويمسك برأسه في قوة ويصدمها بقوة بالحائط حتى يتوقف نفربرت عن الضحك المستفز ثم يقف بينهم ويبدأ فيما يريد

منهم:

- "إنهاء حياتكم رحمة ليكم، كما أن تعذيبكم أمر تتمناه يداي وليتخفف العذاب، لا بد من جواب على أسئلتي".

- "ماذا تريد أن تعرف؟"

يقولها وازد الذي بدأ الحديث رغم ذلك الإتفاق بينه وبين نفربرت بعدم النطق ببنت شفة، الأمر الذي جعل نفربرت ينظر له نظرة غاضبة نافية الإهتمام لحديث (أحمس)، فيجيب وازد بإبتسامة على نفربرت:

- "سأتحدث يا (نفربرت) الصمت لن يعد ينفع بعد أن تخلى (سني) عنا".

- "أريد معرفة كل شيء".

يقولها أحمس مجيباَ لسؤال (وازد) السابق ثم يستطرد في حديثه:

- "من البداية وحتى وجودك هنا في سجن طيبة".

- "إذًا فلنبدأ الحكاية منذ ستة سنوات قبل الآن".

يقولها ويبدأ في سرد تلك الحكاية.. حكاية الخيانة منذ ستة أعوام مضت.....

رواية وازد

نحن لم نكن مجرد موظفين في مؤسسات المدينة، فطيبة بالنسبة لنا مكان نحلم بالتحكم به نحن كعائلة، عائلة نفربرت، أكبرنا سنًّا وأكثرنا خدمة لعائلة الأشراف، قرر نفربرت أن يضع كل منا في وظيفة جديدة يستطيع الفرد منها أن يوفر حياة كريمة لأسرته ولأولاده فوضعني أنا وازد في قوات الأمن الخاصة بطيبة، وبالتبعية وضعت أولاد (نفربرت) (سوسرن) و (خيان) في مناصب جيدة بعض الشئ بقوات الأمن، وأصبح (سوسرن) مسئول عن أمن مخازن المحاصيل والغلال، و(خيان) مسئول عن أمن قصر عائلة الأشراف إلى أن جاء طلب (سني) زوج ابنة نفربرت في الليلة السابقة لوصول رسول (أبوفيس) لــ(سقنن رع) في منزل نفربرت، كان الطلب بالاجتماع السري، حتى زوجاتنا لا تعلم بأمره، جلسنا مع (سني) وأخبرنا بأمره، أمر اللقاء بمسئولي الخاسوت بمكان سري، وما دار بينه وبينهم وكانت جملته التي لم تُنسى من أذهاننا "طيبة" سيدخلها الخاسوت عاجلًا أم آجلًا ومَن معهم سيبقى ومَن ضدهم سيهلك.. فما هو اختياركم؟"

كان الأمر بالنسبة لنا غريب بعض الشئ!

فالإمارة بطبيعة الأمر تحت حكمهم، فشرح لنا (سني) ما هو مُرتَّب لـ(سقنن رع) من ناحيتهم وأمر الرسول برسالة (أفراس النهر) إلى آخره، ولكن الاحتمالات كانت آنذاك بتنازل (سقنن رع) عن الحكم وعدم قتل الأفراس هو الأمر المتوقع من قِبَل (سني)، وعليه كان سيَعيَن كحاكم لطيبة من قبل حكام البلاد وسيصبح الحاكم بأمر

الخاسوت، ولكن تغيرت التوقعات من قرار (سقنن رع) باجتماعه الشهير، وعلى إثره اجتمعنا في منزل نفربرت الكبير، وضع لنا (سني) الأمر الجديد أمامنا وسألنا:"ماذا نحن بفاعلين؟"، فقوات الأمن بقيادة قائدها (نشي) ستصبح هي جيش (سقنن رع) في مواجهة حكام البلاد، أخبرنا (سني) بأن الأمر سيصبح كالانتحار واتفقنا على وضع أسرنا جميعًا في بيت نفربرت في حال الهجوم على المدينة وحدّد لكل منا دوره في جميع الاحتمالات المتوقعة في سقوط المدينة وقد تم الاتفاق على أن نفربرت يسيطر هو وابنه على قصر عائلة الأشراف، وسوسرن يستولى على المخازن، وأنا وازد أنقل كل تحركات وخطط الجيش خطوة بخطوة إلى (سني) عمدة المدينة آنذاك (سني) مَن أرسل بتلك الليلة برسوله إلى (أواريس) ليخبر الخاسوت بخروج (سقنن رع) إلى إهناسيا كبداية في الحرب على الخاسوت.. أتذكّر ذلك اليوم.. يوم الوصول إلى مشارف مدينة إهناسيا وخطى الأحصنة التى جعلت مياه النيل تهتز وقوات إهناسيا تستعد على أسوارها.. أغلقت جميع البوابات أمام (سقنن رع) وجيشه، الأمر الذي جعل (نشي) لا يعرف ما يفعل.. هل سيهاجم..؟ هل سيحاصر المدينة؟ أسئلة عدة بلا إجابات، فأنت مع (سقنن رع) لا تستطيع توقع قرارته، وذلك ما صعّب الأمر عليّ.. فكانت رسائلي لـ(سني) هي نتيجة للأحداث وليست خطط حرب، وقف (سقنن رع) أمام أسوار إهناسيا يطالب حكامها بملاقاته، وهذا ما أرسله مع (نشي) كرسول له، وحاكم إهناسيا حدد الموعد مع انتصاف الشمس لسماء (إهناسيا) وتقابل الحاكمين حاكم إهناسيا وحاكم طيبة (سقنن رع) ومعهم قائد القوات للجانبين

لإهناسيا و(نشي) لطيبة وأنا نائبه (وازد) أتذكر ذلك الحوار الذي دار بينهم جيدًا حيث قال (سقنن رع):

- "انضم لي وبقواتنا نحن الاثنين نحارب الخاسوت معًا".

فرد عليه حاكم إهناسيا:

- "من المؤكد أنك غير مدرك لخسارتنا نحن الاثنين أمام قوات جيشهم. هل تعلم عدد قواتنا من المشاة..؟ مجرد فيلق في جيشهم.. الأمر بمثابة انتحار يا (سقنن رع)"
- "صدقني خسارتنا ستصبح ثمنًا للانفصال عن حكمهم ليبقى الجنوب كله تحت حكمنا أنا وأنت"
- "كم من الوقت سيتركوه لنا يا (سقنن رع)؟ شهر؟ شهرين؟ وبعدها سيهجمون علينا مرة أخرى وأوانها نعدم أمام العامة بأواريس لنمسي عبرة لباقي حكام أقاليم الخاسوت"
- "إذًا ما هو اختيارك يا حاكم إهناسيا؟"
- "اخترت أن أموت حاكمًا لإهناسيا على الموت كمجرم حرب في أواريس".

أنهى حاكم إهناسيا المقابلة بتلك العبارة ولكن قبل رحيله أضاف جملة في واقعها.. خبر صادم لـ(سقنن رع):

- "للعلم حاكم أسيوط معي بداخل حصن إهناسيا العظيم.. أنت

وحدك يا (سقنن رع)".

فأجابه سقنن رع بكل ثقة:

- "إذًا أنت اخترت الحصار لمدينة إهناسيا"
- "حاول تدخل المدينة وصدقني ستفشل"

ومع رحيل حاكم إهناسيا عن مكان المقابلة توقعنا أنا و(نشي) فشل حملة (سقنن رع) وفشل حصار (إهناسيا)، ذلك ما أرسلته لـ(سني) الذي بدوره أرسله لأعوانه من الخاسوت، ما جعل (أبوفيس) مطمئنًا بعض الشئ في مقر حكمه بأواريس، أيام مرت علينا منتظرين أن ينجح ذلك الحصار، ولكن بلا فائدة، حتى تلك الليلة عندما أتى أمير أسيوط إلى الخيمة (سقنن رع) بمقر تمركزنا حول إهناسيا، أمير أسيوط أبلغ (سقنن رع) أنه سيتعاون معه، ولقد تغيّر موقفه عندما رأى حاكم أهناسيا مع رسول (أبوفيس) له، مَن وعده أن يظل على موقفه حتى يرسل له جيشًا من الحصن الذي يفصل الطريق بين مدينتي إهناسيا ومنف، وأنه في حالة هزيمة (سقنن رع) سيَمسي حاكم إهناسيا هو حاكم جميع الإمارات الجنوبية في مصر، لذا تبدل موقفه من حاكم إهناسيا، فلن يقبل أن يكون هو حاكم عليه، اتفق أمير أسيوط مع (سقنن رع) على التعاون.. سيسهِّل له دخول إهناسيا عند منتصف الليل، وعليه سيخرجان منها إلى حصن الخاسوت قبيل مدينة منف ليتملكوا الجنوب كله سويّا، لتنفصل مصر السفلى بحكمها عن هؤلاء الرعاة من الخاسوت، هكذا اتفقنا وهكذا فتحت أبواب إهناسيا مع منتصف الليل، ومع دخولنا المدينة بدأت المعركة، بين

قواتنا وقوات إهناسيا مَن كان منهم ما زال على قيد الحياة ولم نأخذ وقتًا طويلًا قبل الوصول إلى حكم إهناسيا، فالكثير قد استسلم خوفًا على حياته. وقتها وقف (سقنن رع) فجراَ في ساحة إهناسيا الكبيرة، وقال خطبته العظيمة التي لم أنسَها:

- "أيها المصريون.. يا من صنعوا حضارة لم تشهد مثلها أمم من قبل، يا مَن علَّموا شعوب الأرض.. قد حان الوقت لنقول لا.. لا ليحكمنا بعض من الرعاة.. لا لمَن يرانا مجرد سلة للغذاء.. يا كل فلاح مصري، ويا كل مهندس، ويا كل طبيب.. هل تقبل أن يكون حاكمك راعي من الأغنام.. هل تقبلون؟"

لم يجد آنذاك ردًّا من جموع سكان إهناسيا..

- "أتهابون جيشهم؟ أنتم معنا أقوى من أي جيش.. أتخافون سيوفهم؟ نحن أقوى.. أم تهابون الموت ؟ ألم تعلموا جزاء مَن مات مدافعًا عن أرض من محكمة الموتى؟ أتظنون أن أوزوريس لن يحكم لكم بالعدل؟ أليس من حق أولادكم أن يعيدوا أمجاد الكمت من جديد؟ اليوم سنذهب إلى حصنهم قبيل منف، مَن يرى مستقبل أفضل لأولاده فليحمل معي السيف، ومن يهاب الموت فليجلس في منزله منتظراَ ذلك اليوم"

تلك الخطبة كانت كالنار في الهشيم، الكثير من الفلاحين والكثير من العامة طلبوا حمل السيوف والرماح. عددنا أصبح ثلاث أضعاف ونحن خارجين من إهناسيا، وكان رسول (سني) قد وصل بالخبر الجديد إلى أواريس، ومع وصولنا ذلك الحصن العتيد.. أكبر حصون

الخاسوت بعد حصن أواريس، وقفنا أمامه حائرين.. هل بالسهام سنهاجم أولًا؟ أم سنطالبهم بالاستسلام؟ توقفنا لبعض الوقت ووضعنا خطة مع(نشي) و(سقنن رع) في سواد الليل حيث سننير سماء الحصن بنار سهامنا، ومع بداية انتباه مراقبين الأسوار سنكون بدأنا في دك البوابات. وبالفعل انقسم القوات إلى نصفين: نصف يُمهِّد لنا الدخول البوابات بإلقاء السهام المشتعلة بينما النصف الآخر يقوم بدكّ البوابات تلك التي لم تدُم طويلًا حاجز أمامنا.. عنصر المفاجأة كان العامل الأساسي في نجاح الخطة.. وبالفعل دخلنا ذلك الحصن العسكري المنيع وكانت أهميته بالنسبة لـ(نشي) و(سقنن رع) ما يحتويه من العتاد والسلاح، عربات حربية وأقواس بالسهام.. وعدد وفير من سيوف الكوبيش الجديدة، ورماح كثيرة، وعدد من الأحصنة لا بأس بها.. سقط الحصن ومعه الأسلحة التي نحتاج إليها.. أصبحنا الآن نمتلك جيشًا جيدًا.. جيش هو ثلاث أضعاف عددنا الأصلي ونمتلك أسلحة أكثر مما نحتاج.. وصلت رسائلي لـ(سني) ولكن هذه المرة لم يكن مجرد خبر، بل كان هناك أمرَا جديدًا، فقد بعث (سقنن رع) إلى أميره (كامس) ليأتي بقوة جديدة من طيبة، لتدعم القوات مع وفرة السلاح، وهنا كان الأمر الجديد، ذلك التخطيط من رتبة (سني)، فقد جاء مع (كامس) الأمير (سوسرن) و(خيان) على رأس القوة الجيدة، ومعهم ترتيب قد أمرهم به (سني).. في الليل والجميع نائمون والمطر يشتد، والكل يحتمي بمخبأه من الأمطار. فتحنا الطريق أنا و(سوسرن) و(خيان) لرجال جماعة (سني) ذو النقب السوداء متسللين خلفنا وذلك بعد وضع مُركَّب سحري في العشاء يجعل جميع الجند نيام

عدا قائدهم الذي كان نومه دون تأثير مركَّبنا السحري كما كانت تعليمات (سني)، دخلنا إلى موضعه نائمًا، أخرجوا سيوفهم التي أجهزت على صدره.. قلبه الذي كان يدق بالشجاعة والإقدام.. طعنات إثر طعنات، حتى فتح عينيه متألمًا فهشَّمنا رأسه ببلطتي حتى لا يرانا واقفين أمامه ويتذكر في أرض الموتى مَن خانه.. سالت دماءه على أرض كان مدافعًا عنها لتختلط بأمطار سماء على رحيله غاضبة، وتتلوّن المياه بلونها لتتحقق نبوءة الآلهة.. نبوءة المطر الأحمر.

****

القتل والدم.. ما أراده عندما أخرج السيف من غمده سيف الكوبيش الذي كان لوالده الراحل ثم لأخيه الأكبر الراحل ووضعه على عنق ذلك الخائن مَن أراد يومًا أن يعلم كنيته لينتقم لـ(سقنن رع) لحقه في سرعة كاهنه الشاب (مس) قبل أن يفصل سيفه رأس (وازد) عن جسده.

- "مولاي (أحمس) أرجوك لقد اتفقنا قبل دخولنا للمكان"

يمسك (مس) بالسيف بيده.. رأى نفربرت خروج الدماء فظن أنها دماء من عنق (وازد) فتحدث وخرج عن صمته:

- "يا غبي كنت أريدك أن تكسب بعض الوقت".

يقولها (نفربرت) وأنفاسه تتصاعد رعبًا من أن يكون مصيره هو التالي بعده:

- "أرجوك مولاي"

يقولها (مس) للمرة الثانية، مما يجعل (أحمس) يهدأ قليلًا ويبدأ بالابتعاد تدريجياَ عن عنق (وازد)، وينكشف للجميع أن مصدر الدماء هو كف الكاهن الشاب.. يدق الباب فيفتح (ابن ابانا) ذلك الباب ليجد جندي شاب آخر أبلغه رسالة في صوت خافت ثم يغلق الباب كما كان، ينظر له (أحمس) فيتحدث (ابن ابانا):

- "أسر نفربرت وسوسرن وخيان ووازد من زوجات وأبناء غير متواجدة بالمدينة".

هنا استدرك (أحمس) الأمر وعلم أن هناك ترتيب آخر من (سني) لا يعلمه، فجأة تعالت ضحكات نفربرت بالمكان حتى وصل الصوت خارج الباب.. الآن فقط علم لماذا أراد نفربرت كسب الوقت حتى تخرج أسرهم في سلام من المدينة، فلا يجد (أحمس) ما يستطيع تهديدهم به، هذا ما أراده نفربرت من البداية.

- "زوج ابنتي العزيز لا يترك شيء للصدفة"

يقولها نفربرت وتستمر ضحكاته يتذكر ما رتب من (سني) مع رسوله الذي أرسله له بعد أن وصل إلى أواريس، أن يخرج أسرهم من المدينة، وأنه ترك برديات بها حقائق عن مقتل (سقنن رع) بها أسماءهم ومَن شارك في خيانته للأشراف.. فيتم القبض عليهم.. فيصبحوا مسجونين غير محسوبين على عائلة الأشراف، فعند هجوم سني على المدينة ويتسلمها كحاكم يكونوا في أأمن مكان بطيبة بعيدًا عن الحرب وعدم تعرضهم لشيء ليحافظ على حياتهم حتى لحظة إلهجوم، بدأ أحمس في التفكير، وبدأ يتحدث مستنتجاَ الأمر:

- "(سني) لم يترك البرديات في المزرعة سهواً منه، (سني) كان يريدني أن أعرف الحقيقة حتى أنشغل في حقائق الماضي والنار تأكل عائلة الأشراف وفي نفس الوقت يكتسب بعض الوقت حتى موعد الهجوم على طيبة. (سني) سيهاجم المدينة. إذًا الخاسوت في طريقهم إلى طيبة.. إستنتاجي صحيح يا نفربرت؟"

أنهى (أحمس) حديثه بذلك السؤال منتظرًا إجابة نفربرت الذي توقف عن الضحك عند حديث (أحمس)، فيومئ (نفربرت) برأسه ليؤكد صحة إستنتاجات (أحمس)..

- "متى سيكون الهجوم؟"

- "في خلال يومين سيأتي رسول (أبوفيس) برسالة مفادها تسليم إمارة طيبة لحاكمها الجديد، زوج ابنتي العزيز في مدة أقصاها أسبوع، وإلا... "

يكمل (أحمس) حديث (نفربرت):

- "سيكون الهجوم على طيبة"

ومع انتهاء كلمات (أحمس) فتح باب المكان وخرج (أحمس) وخلفه (مس) والجنديين الشابين (ابن ابانا) و(ابن بنخت)، فيقول (نفربرت) بصوت عالي:

- "الأمر انتهى.. الأشراف انتهوا.. (سني) كسب يا (أحمس).. (سني) وصل لمبتغاه".

يغلق الباب بينما باب الأمل لم يغلق، هكذا كان يفكر المدعو

(أحمس).. فما كان في عقله، قطع رأس الأفعى، قبل أن تخرج السم وتنهي ما بقى من أمل في بقاء طيبة.

****

سقوط المطر، ذلك ما يُخيف (تيتي شيري)، تنظر إلى حفيدها (أحمس) مَن يأخذ الدرجات نزولًا من القصر، توقفه بعبارتها:

- "خذ هذا معك"

ينظر خلفه ويرى ما بيدها، الخنجر الذهبي!

- "هذا ما كان من المَفترض أن ينهي حياة (سني) منذ أعوام ولت".

تقولها وتتذكر ذلك اليوم.. عندما وضعت ذلك الخنجر على عنق (سني)، يأخذه منها حفيدها ويستقل عربته الحربية، يغادر ساحة القصر، ويغادر معه قلبها، هل ما اتخذه حفيدها من قرار صحيح؟ هل ما اتخذته هي من قرار بعدم إخبار أمه (اعح حتب) صحيح؟ هل قوة (المازوي) السرية ستؤتي بثمارها. والتي تأسست سراَ عن الجميع بقيادة (مس) وكهنة معبد آمون وهم من خيرة شباب المعبد.. أمام الجميع كهنة ومتطهرين.. والحقيقة هم جنود الاستطلاع وجنود المهام السرية تلك المهام التي تتم في أحلك الأوقات.. يلتقي (مس) مع (أحمس) وخلفهم الجنديين الحارسين (ابن ابانا) و(ابن بنخت) وعشرة آخرون من الكهنة الشباب، ليرحلوا بعيدًا عن طيبة، متجهين إلى عقر دار ملك البلاد، ومخبأ ذلك الجبان (سني) في مهمة قررها أميرهم (أحمس)؛ مهمة الإنتقام.. انتقام (أحمس).

****

٣- انتقام (بس)

عندما تبحث عن المكاسب وعندما تريد الفوز دائمًا، لا بد من إزالة كل عائق في طريقك مهما كان الثمن المُقدَّم.. هكذا كان يفكر رئيس الجماعة (بس) الذي لم يكتفي بمكسبه الأخير كرئيس لجهاز الكشافين والسيطرة على ابن (أبوفيس)، فهناك أمور أخرى لا بد من حسمها، وشركاء آخرين في المكاسب لا بد من إرضائهم حتى لا تخسر كل ما جنيت.. الطمع.. لا يمكن السيطرة عليه، وإذا سيطرت على طمعك فطمع الآخرين لن تستطيع أن توقفه، هذا ما كان يخيف (بس) وهو مجتمع بأعضاء جماعته البارزين ومعهم ذلك الأخير، قائد جيش الخاسوت مَن يُلقَّب بالعامو الفينيقي أو (الفينيقي). تزداد مخاوف (بس) بعد مقولة العضو الأكبر سنًّا التالية:

- "من أوان الهدنة الأخيرة بين (اعح حتب) و(أبوفيس) نخسر كل يوم يا (بس)، ولا بد من وجود حل، وأعتقد أنه آن الأوان لاتخاذ قرارات جديدة في الجماعة".

- "قرارات ؟"

يقولها (بس) مستنكرَا

- "أنت من اجتمعت معنا واتفقت أن (سني) سيصبح حاكم لطيبة، وعليه سيقود حملة جديدة على بلاد الكوش.. وهذا يليه تسليح جديد للجيش.. تجارتنا في السلاح ستنتعش مرة ثانية لكن

الإعتماد الأخير من قبل الملك لتسليح الجيش أقل بكثير من طموحاتنا"

- "إمم.. ما هي رؤيتك للسبب في تلك المشكلة من وجهة نظرك؟"

- "لا قدرتك في إقناع الملك نجحت ولا قائد الجيش الفينيقي قادر على إقناع الملك بالأمر، وأنتما خذلتما مجلس الجماعة الذي اختاركما في مناصبكم ورشحكما لها بكل قوته، وأعتقد أن جميع أعضاء المجلس يشاركونني نفس الرأي".

ينهي العضو الأكبر سنًا حديثه وهو ناظر إلى بقية الأعضاء وعلى وجوههم ملامح الموافقة على حديث أكبرهم، يبتسم (بس) إبتسامة عصبية محاولًا إخفاء غضبه مما حدث..

- "(الفينيقي) يتفق معي في أن ما سمعناه الآن هو تهديد صريح لقائد الجيش ولرئيس جهاز الكشافين.. وأعتقد أن هذا التهديد يؤثر بشكل قوي على أمن ممتلكاتنا، وبالتالي أمن شعب الخاسوت".

يشير (بس) بيده أثناء حديثه إلى حارس باب قاعة الاجتماعات مَن كان على ترتيب مسبق مع رئيسه رئيس الجماعة الذي له من الحارس كل سمع وطاعة.. يفتح الباب ويدخل حراس الجماعة ليلتفوا حول الأكبر سنًا، صاحب ذلك التهديد ويأمرونه بالخروج معهم.

- "وما يهدد مملكتنا وجماعة إلهنا المُعظَّم (ست) عقابه هو الموت".

- "كيف تجرؤ أيها الـ....."

نظرة (بس) للحراس كانت كافية لقطع حديث الأكبر سنًّا.. مع خروج الدماء من عنقه إثر مرور سيف الحارس عليها للقطع.. ومع تطاير الدماء على الوجوه سيطر الصمت وأخرست الألسنة ليتحكم لسان واحد في إخراج الكلمات على آذان بقية الأعضاء في مقر الجماعة بأواريس.

- "هل يوجد تهديد آخر على مملكتنا؟"

يتساءل (بس) وهو يفرك يديه منتظرًا أي لسان يعترض عليه أو على حديثه، فيشير له (الفينيقي) ويقول:

- "أكمل حديثك يا رئيس جماعتنا المُعظَّم، فكلنا آذان صاغية".

يبتسم (بس) له، فهو يعلم نواياه ومكاسبه من بقاءه في سلطته كرئيس للجماعة.

- "حسنًا أيها الأعزاء.. ما هي أكبر صفقة للجيش من سلاح وعربات حربية وسيوف الكوبيش والأقواس والرماح في آخر ستة أعوام؟"

يجيب (الفينيقي) عليه بكل سهولة ويسر:

- "يوم سقوط حصن (منف) المنيع في أيدي (سقنن رع) بما يحتويه من سلاح وعتاد كانت أكبر حملة تسليح لجيش مملكتنا تمت بأمر ملكي سريع من ملكنا المُعظَّم (أبوفيس)".

- "عظيم.. أي أنه لا بد من وجود حالة مماثلة واشتعال حرب

سابقة للأوان حتى تعود تجارتنا كما كانت، فأنتم يا أعضاء مجلسنا الموقَّر في أيديكم مفاتيح اقتصاد المملكة.. منكم مَن يصنع ويبيع السلاح للجيش ولكل حاكم إمارة يهاب من سقوط حكمه على أيدي أعدائه داخل إمارته.. ومنكم مَن يعمل في توريد الغلال والمحاصيل الزراعية للمملكة، وتسيطرون على التجار الصغار بين إمارتها فينيقيا ومصر، ومنكم مَن يعمل في تجارة السبائك المعدنية بين إمارات المملكة وبين المملكة والبلدان المجاورة ولنكمل كلنا بعضًا، فلا يجب أن تأتي تجارة على أخرى حتى يظل إقتصادنا صامدًا".

فيتحدث أحد الأعضاء وهو خائف من غضب (بس) متسائلًا:

"إعذرني يا رئيس الجماعة ألا ترى أن حملة (سني) على طيبة لتولي حكمها ستكون مكاسبها قليلة بعض الشئ؟"

يضحك (بس) وهو يقترب من موضع المتحدث الذي بدأ يتصبب عرقًا خوفًا من ردة فعل (بس)، ليربت (بس) على كتفه ويؤكد صحة حديثه السابق:

- "أؤيد ذلك الرأي يا عضو مجلسنا الموقر.. لذا أرى أن أقدم اقتراحي الجديد إليكم، ما سيكون أمرَا سريًا لن يخرج من هذه الغرفة إلى باقي أواريس".

يشير (بس) بيديه للحراس ليخرجوا جثة العضو السابق المنتهية

حياته، ولا يتبقى سوى أعضاء المجلس الثلاثة وقائد الجيش (الفينيقي) مع رئيس الجماعة الذي يبدأ في الاستطراد في حديثه:

- "الفتنة دائمًا ما تؤتي بثمارها جيدًا لإشتعال نار حربنا كما تعلمنا مع أسلافنا السابقين.. أولًا سيصر الأمير (بعل) على الذهاب في الحملة العسكرية مع (سني) لتسليم طيبة. وهنا دورك سيأتي أيها (الفينيقي). فما أنت بفاعل؟"

يفكر (العامو الفينيقي) قليلًا، ثم تأتي الفكرة برأسه:

- "حسنًا سأشكّك في نزاهة نوايا (سني) عند الملك، وعليه يستوجب وجود الأمير بحاميته في حال إن فكر (سني) الطيبي تغيير نواياه وتغيير الخطة المتفق عليها مع الملك ذاته وهو ما يستوجب زيادة تسليح الجيش وزيادة عدد الحراس الملكيين وسوف أرشح حراس الجماعة بصفة سرية لزيادة في التأمين على حياة الأمير (بعل)".

يبتسم بس، فما قاله قائد جيش الخاسوت هو أمر كان متفق عليه بشكل منفرد قبل الإجتماع، حتى يصبح هناك مَن يؤيد رأيه في الإجتماع ولأن المكاسب مشتركة بينهما فهذا ما جعلهما يتفقان.

- "عظيم يا قائد جيشنا الموقر.. الفكرة عبقرية.. هل يوجد مؤيد غيري لرأي (الفينيقي)؟"

ينظر الأعضاء الثلاثة إلى بعضهم البعض ويرون الأمر منطقيًا فيومئون برؤوسهم موافقين على فكرة (العامو الفينيقي).

- "حسنًا عندما يأتي إليك التسليح المطلوب للجيش فما أنت بفاعل؟"

يوجه (بس) حديثه إلى العضو الأول في الجلسة مَن كان قريبًا من موضع مَن قُتِل منذ لحظات، فيجيب الأول:

- "سأقوم بتوريد ما يطلب فورًا إلى الجيش"

- "لا"

نافيًا حديثه، قالها (بس) الخبيث ويتخذ من مقعده أمره الجديد ما سيعلنه عليهم من ترتيب..

- "ستورد عدد السيوف المطلوبة فقط، أما باقي العتاد المطلوبة ستأتي بنصفها فقط حتى التروس"

- "حتى التروس؟"

يقولها (الفينيقي) مستنكرًا

- "نعم حتى التروس، ستتحجّج بقلة الوقت لما هو مطلوب، وذلك في آخر يوم قبل خروج الحملة".

- "وما الفائدة؟"

يقولها العضو الأول المسئول عن السلاح والعتاد.

- "ستكون أضعاف للجميع إذا تمّ ما أرتبه الآن، فاسمعوني جيدًا"

بدأ الخبيث بشرح خطته، ما أراد قوله منذ البداية، بعد تولي (سني)

حكم طيبة ستعود الأمور إلى نقطتها الأولى، فسيكون طلب الأمير وقائد الجيش تنفيذ ما طُلِب من (سقنن رع) في سابق العهد.. قتل أفراس النهر حتى تفرض هيبة ملك البلاد، ومع خروج الأمير للعودة إلى أواريس لأمر جلل، سينفذ رجال الجماعة المبعوثون حريق بمعبد آمون، وفي انشغال معبوديه سيقتل كل من هم لـ(سني) معاونين ويُشاع في المكان أن (سني) هو أساس الفساد وأنه يكره معبودهم ولا يريد له البقاء، فيَترَك بلا جيش أو حماة أمام شعب طيبة المثار ويقتل منهم ولزيادة تأكيد سيقوم حراس الجماعة بالتنفيذ فتصبح طيبة بلا حاكم.. فيذهب الأمير (بعل) بحملة مضاعفة بالجيش ومعه أمراء إهناسيا وأسيوط، كُلًا يُمنِّي نفسه بالنفوذ، فنعيد ترتيب الأمور ويولِّى من هو مسئول عن الأراضي والغلال من الجماعة، ويبقى الجيش في الجنوب ويتبقى التجهيز من الأمير (بعل) للحملة الجديدة على بلاد الكوش للسيطرة على مصدر الذهب الكبير.. انتهى (بس) من شرح خطته على المتواجدين، الجميع أصابهم الذهول، حتى الفينيقي الحليف لم يكن لذلك الأمر عليم..

يبتسم (بس) مما رآه على وجوه الجالسين.. ويقرر قطع صمتهم بذلك الحديث:

- "هل على ما عرضته عليكم موافقين.. وعلى المكاسب الجديدة ببركة إلهنا المُعظَّم (ست) مكتفين أم تريدون المزيد؟"

لا يجيبه سوى الصمت، فكل فيما عرض عليه يفكر.. فعضو الجماعة الأول يحسب في عقله مكاسبه من بيع السلاح والعتاد المضاعفة

للجيش ولأمراء إهناسيا وأسيوط، والعضو الثاني ما سيفعله بمحصول أراضي طيبة الزراعية عندما يضع يده عليها.. والثالث يفكر في الذهب والأحجار الكريمة التي ستأتي له من بلاد الكوش.. و(العامو الفينيقي) يفكر فيما سيكسب من ثقة جديدة لدى ولي العهد.. وما سيتقاضاه من عمولات من أعضاء الجماعة لتأمين وتنفيذ مقاصدهم.. وعمولات من إهناسيا وأسيوط للحفاظ على مصالحهم عند ملك البلاد.. ويقرر الفينيقي قولها لـ (بس):

- "إنت داهية"

فيضحك (بس) الذي يقف مُعلنًا انتهاء الإجتماع، واعتبار صمتهم موافقة، يدخل حاجب القاعة لرئيس الجماعة، ويخبره بحضور الأمير (بعل) إلى المقر، فيتحرك (بس) مسرعًا لخارج القاعة لملاقاة ولي العهد الذي في قرارة نفسه سعيدًا بوضع أول خطوة في مصير طيبة الجديد ومصير (بعل) على يده في حملة الكوش.. لينتقم من ذلك المغرور.. ملكه أبوفيس يسير بخطى حديثة في درب انتقامه.. انتقام (بس).

****

٤- انتقام (اعح حتب)

- "أين.. أين هو يا قائد الجيش؟"

بصوت عالي وبطريقة رسمية وفي غضب ظهر على وجهها أمام الجميع في القاعة الملكية بقصر طيبة.. لا يستطيع الإجابة عليها قائد الجيش (نشي)، فتعيد السؤال عليه بطريقة مختلفة وبأكثر انفعالية:

- "ابني (أحمس) أين يا (نشي)؟"

إجابة (نشي) قائد الجيش صعبة ولا يعلم كيف يقولها ولكن...

- "صدقيني يا مولاتي لا أعلم مكانه، بحثت في كل مكان بطيبة وكل المعلومات بتقول إنه غادر من بوابة المدينة ليلًا كما أكَّد حراس أبواب المدينة، لكن إلى أين ذهب لا أعلم"

تغضب أكثر ويعلو صوتها أكثر ليصبح صياحًا في وجه (نشي):

- "ماذا تعني بعدم معرفتك بمكان ذهابه؟ قائد الجيش ولا يعلم أين الأمير؟"

تدخل (تيتي شيري) إلى القاعة الملكية فتتوقف (إعح حتب) عن صياحها..

- "ما خطبك؟ صوتك عالي بالقصر جدًا"
- "مولاتي الملكة الأم (تيتي شيري).. أحمس غير متواجد بطيبة"

- "أنا أعلم بمكانه يا (اعح حتب)"
- "أين هو يا أمي؟"
- "لقد ذهب لأواريس لكي يقتل رأس الافعى (سني)"
- "لم أفهم شيئًا يا مولاتي الأم".

يدخل تحوتي إلى القاعة الملكية وهو على عجلة من أمره ويطلب الإذن في الحديث فتسمح له (تيتي شيري) فيتحدث:

- "رسول ملك الخاسوت يا مولاتي يطلب المقابلة".

فتأذن (اعح حتب) ليدخل رسول الخاسوت برسالته وتشير له للسماح بقول ما حمل من رسالة يخرج البردية الملكية، ويبدأ في قراءتها وما تحتويه من أمر ملكي من قبل ملك الخاسوت بتسليم المدينة وإمارة طيبة لحاكمها الجديد، المعين من قبل (أبوفيس) (سني) عمدتها السابق وتسليم الأشراف أنفسهم له، ومع إنهاء حديثه بدأت (تيتي شيري) في الرد على حديث الرسول:

- "أبلغ مولاك أن ما جاء في رسالته أمر غير مقبول من عائلة الأشراف، وأن طيبة دائمًا تختار حكامها.. أبلغ سيدك أن ما جاء في رسالته متنافياَ مع الهدنة المقامة بيننا وبينه، لذا فنحن في انتظاره للحرب على أبواب طيبة".

تشير (تيتي شيري) للرسول لينصرف من المكان الذي خرج في طريقه إلى أواريس ليطلب (تحوتي) الإذن للحديث، فتشير له الملكة ليتحدث

ويخبر (إعح حتب) بما هو جديد:

- "مولاتي الملكة الأم (تيتي شيري).. مولاتي (اعح حتب).. لقد خرج (أحمس) الأمير على رأس قوة من المازوي السرية إلى أواريس للإتيان برأس الأفعى (سني) قبل أن يأتي إلى المدينة مع قوة من جيش الخاسوت حكام البلاد، وقد علمنا بذلك الأمر على إثر تحقيقنا مع المتهمين في قتل مولاي الراحل (سقنن رع)".

فتقطع (اعح حتب) حديث (تحوتي) كاهن معبد آمون ورئيس جهاز المازوي بسؤالها:

- "مَن هم المتهمون؟"

- "نفربرت مدير القصر، ووازد نائب قائد الجيش، وسوسرن وخيان مسئولي أمن القصر وأمن المخازن.. هم مَن ساعدوا الخاسوت مع تخطيط الخائن (سني) في قتل مولاي (سقنن رع) "

كان حديث (تحوتي) صادم لـ(نشي) قائد الجيش، فلم يتوقع وجود خائن في منصب وازد... مَن وثق فيه وائتمنه على أسراره وحياته، كما كان مفاجئ لـ(اعح حتب) في أمر (نفربرت) مَن كان قريب من زوجها الراحل وحبيبها، ومقلق لها على حياة أميرها (أحمس) ابنها الشاب:

- "ومَن سمح لـ(أحمس) بالخروج إلي (أواريس) في تلك المهمة؟"

- "أنا يا (اعح حتب)"

تقولها (تيتي شيري) وعينيها مليئة بالدموع والغضب، ثم تستكمل حديثها:

- "أنا أريد حق ابني (سقنن رع) مثلما هو حبيبك وأخوكي وزوجك هو ابني وأنا أريد دم مَن قتله لكي أشفي غليلي المكبوت في قلبي طوال سنين يا (اعح حتب)"
- "لكن ليس لكِ الحق في تعريض ابني (أحمس) للموت يا أمي"
- "مثلما أعطيتك الحق زمان في اختيار ابني كزوج وحبيب، يصبح لي الحق اليوم أن أختار مَن يأخذ لي ثأره".

تحاول أن تحبس دموعها في مقلتيها، وتستمر في الحديث.. ولكن هذه المرة لجميع الحاضرين في القاعة (نشي) و(اعح حتب) و(تحوتي)، وبصوت عالي وصارم:

- "إسمعوني جميعًا.. الخاسوت قادمين إلى المدينة، وتلك المرة ستكون الأخيرة، خيَروا شعب طيبة.. أيريدون الوقوف معنا في وجه الخاسوت أو التنازل من قبلنا كعائلة الأشراف عن الحكم، وتلك ستكون مهمتك يا كاهن الإله المُعظَّم (آمون)، و(نشي) سيكون على رأس الجيش أمام أسوار المدينة، ونحن لو اختارنا الشعب سنكون مع جيشنا في أول الصفوف أنا وابنتي (أعح حتب) وحفيدتي نفرتاري أرملة (كامس)، ولو اختاروا الخاسوت سيكون مصيرنا هو إعدام أنفسنا بأنفسنا.. في موكب جنائزي إلى الجبانة الغربية. هذا هو اختيار العائلة فيما سبق من حديث..

ولا أسمح باعتراض من أي من الحاضرين".

تقولها (تيتي شيري) وتخرج من المكان لتترك المتواجدين في صدمة من أمرها الأخير، ينظر (تحوتي) و(نشي) إلى مولاتهم (اعح حتب) يحاولون أن يسألوا هل ما تم سماعه سيتم تنفيذه، ولكن الألسنة لا تستطيع الحديث بذلك الأمر العسير، فترى (اعح حتب) ذلك في العيون فتقطع الصمت والحيرة بكلماتها الحزينة، على أمر الأشراف وما وصلوا إليه من قرار:

- "ما قيل من والدتي (تيتي شيري) لا بد من تنفيذه في الحال"

فيومئ (نشي) برأسه، ويهمّ بالخروج من المكان.. ويبقى (تحوتي) ويسأل (اعح حتب) ذلك السؤال:

- "مولاتي (اعح حتب).. هل من الممكن إنتظار أميرنا (أحمس) قبل تنفيذ الأمر الملكي؟

- "عزيزي تحوتي لقد خسرت حبيبي (سقنن رع) وابني الأكبر (كامس)، وألقت والدتي ابني الباقي (أحمس) إلى طريق الموت.. فلم يعد يهم أمر آخر يا كاهننا العظيم".

- "صدقيني يا مولاتي إيماني بأميرنا (أحمس) كبير"

- "نحن تحدينا النبوءة يا (تحوتي).. تحدينا ما كُتِبَ لنا من قدر في يد إلهتنا (شوي)، لم نفهم أن القدر ليس له من فرار.. نبوءة المطر الأحمر. لا يوجد هروب منها يا (تحوتي)"

تقولها وهي ليست تفكر في ما هو قادم، بل ما هو ماضي، ما حدث من ستة أعوام سابقة.. ذلك اليوم الحزين.. عندما أتى لها (كامس) بجثة حبيبها (سقنن رع) مَن قُتِل نائمًا على غفلة من أمره.. مَن بات منتصرًا وأصبح مقتولًا.. ذلك الغدر الذي جعلها تسقط باكية على جثته لتروي جروح صدره بدموع عينيها واضعة يديها على موضع ضربة البلطة برأسه، فهي آنذاك لم ترها، بل كانت ترى جماله السابق.. ترى إصراره وشجاعته التي أطفأتها أيادي الشر من حكام البلاد من الخاسوت، لم تكن في وقتها قوية مثل سابق عهدها بل كانت أضعف بكثير من حضور إجتماع الحرب السابق، ما قام بإعداده ابنها الراحل (كامس) الذي لم يتقبل تجهيز المراسم الجنائزية لوالده (سقنن رع) قائلًا وقتها:

- "لا تأبين قبل الانتصار في الحرب .."

الأمر الذي وافقته عليه جدته الملكة (تيتي شيري)، تتذكر مقولته الشهيرة في ذلك الاجتماع.. ما حُكِي لها بعد ذلك من (تيتي شيري):

- "كيف لي أن أهنأ بحكم طيبة ويحكم البلاد في الشمال مجموعة من الرعاع وفي الكوش عبيد من العبيد.. كيف لي أن أجلس على مضجعي الملكي هانئًا وأنا لم أنتقم من قتلة والدي (سقنن رع)؟!"

لم تمنعه آنذاك (اعح حتب) من أمر الحرب.. كانت آملة في أن يأتي لها (كامس) برأس (أبوفيس)، لكن اليوم الأمر مختلف.. اليوم تمنَّت بأن تموت وابنها (أحمس) بجانبها.. ما تبقى لها من شجاعة حبيبها الراحل (سقنن رع)، فاليوم لم يكن انتقامها الذي أرادته دومًا، بل هو

انتقام (أحمس).

عادت لتفكر مرة أخرى.. هل سيستطيع (أحمس) الإنتقام من (سني)؟ مَن خان حبيبها وساعد في قتله.. هل سيتمكن من تنفيذ انتقامها ليصبح انتقام (اعح حتب)؟

أواريس.. عاصمة البلاد، ومن اختارها الخاسوت يومًا منذ مئات السنين لجعلها هي العاصمة الفعلية لسلطانهم على تميرا وفينيقيا، فمنف عاصمة مصر السابقة كانت تبعد كثيرًا عن بلاد فينيقيا، على عكس موقع أواريس المميز تلك التي أنشات بعد دخولهم لمصر غازين على فرع النيل الثالث الفرع الشرقي، وبالقرب من قناة سيزوستريس الملاحية جنوبًا ومن البحر الأخضر* شمالًا.. تنقسم أواريس إلى نصفين القسم الأيمن يحتوي على القصر الملكي للخاسوت والمعبد الأكبر لمعبودهم (ست)، والنصف الأيسر مقر جماعة إلههم (ست) ومؤسسات الدولة من مبني الوزارة وما يليه من مؤسسات أخرى.. وما يقرب طريق منف القديم يحتوي على بيوت العامة من أهل المدينة وأهل الخاسوت، وفي منتصف أواريس يمتد فرع النيل الثالث ليقسمها إلى نصفين، وكل ذلك يقع خلف حصن منيع من سور عالي ضخم خلفه خندق كبير ملئ بالماء وتزينه بوابات الدخول في صورة ضخمة وممر يعلو فوق المياه ليربط جانبي المدينة يسير عليه ذلك الشاب ومعاونيه، ذلك الطيبي الذي وصل إلى مراده. يدخل المكان ويسمح له بالدخول مع معاونيه ليجلس أمام كبير التجار

ويبدأ الحديث في الأمر الذي أتى به اليوم:

منتو بن هر:

- "لقد أتيت إليك اليوم بحمولة كبيرة من الغلال كما كان العهد التجاري مع والدي الراحل (هر بن يعقوب) قبل مماته منذ أعوام".

فينظر له كبير التجار مُعزِّيًا:

- "لقد حزنت كثيرًا على رحيل والدك (هر) أكبر تجار المحاصيل التجارية بطيبة، ولكن عندي سؤال.. لقد كان موعد تلك الحمولة بعد شهر من الآن على أقل تقدير، فلمَ أ تيت بالحمولة مبكرًا عن الموعد المتفق؟".

الأمر الذي اضطرب له (منتو بن هر) بعض الشيء محاولًا انتقاء الكلمات المناسبة، ناظرًا إلى معاونيه قبل الحديث، ثم يجيب على سؤال كبير تجار أواريس:

- "سيدي كبير تجار أواريس.. لقد أُشيع مؤخرًا أمرًا أنت تعلم به جيدًا.. ذلك ما أتى بي إليك اليوم".

فيبتسم كبير التجار عالمًا نية (منتو بن هر) جيدًا:

- "تقصد ما أُشيع في أنحاء المملكة بخصوص تغيير حاكم طيبة؟ كم أنت ذكي مثل أبيك الراحل.. على العموم يا (منتو) أنا ضمنت نصيبي اليوم من غلال طيبة قبل الحرب المرتقبة.. لنتفق على ما

سأحتاجه منك بعد تولي المدعو (سني) زمام الأمور بطيبة".

- "أنا أتيت اليوم لأمر آخر غير الغلال الموردة لأواريس.. أنا أتيت لأتفق على نصيبي في الأراضي بعد تولي (سني).. أتمنى أن ما أمتلكه يزيد بعض الشيء في وجود الحاكم الجديد"

يغضب كبير التجار من حديث الشاب (منتو بن هر):

- "أنت تعلم جيدًا أن هذا الأمر ليس له علاقة باختصاصي.. أنا مجرد تاجر يا (منتو)".

يبتسم (منتو بن هر) ابتسامة خبيثة مثل أي تاجر يريد أن يصل لما يريده:

- "يا كبير تجار أواريس أنا أعلم أن الأمر خارج إختصاصك، لكن والدي الراحل حكى لي كثيراَ عن علاقة كبير التجار الطيبة بعضو جماعة الإله (ست) البارز (إسحاق)".

فيغضب كبير التجار من حديث (منتو بن هر) أكثر ويظهر غضبه في حدة الكلمات:

- "وأنا ما علاقتي بذلك؟ وأيضًا علاقتي مع السيد (إسحاق) لا تخصك.. فاهم؟"

- "أنا لا أريد سوى ترتيب موعد لمقابلة (إسحاق) وكذلك المدعو (سني) سوياً".

ينهي (منتو بن هر) كلماته، ومع انتهائها يُخرج أحد معاونيه سرة

ممتلئة ليناولها لـ(منتو) والذي بدوره يعطيها لكبير التجار الذي يتناولها في لهفة.. يفتحها ليرى ما تحوي من قطع ذهبية نفيسة من الذهب الخالص، فيبتسم لـ(منتو بن هر) ثم يتحدث وهو في قمة سعادته:

- "دائمًا كان والدك كريم في تعاملاته يا ابن طيبة الغالي.. سأرتب لك موعد مع (إسحاق) أولًا وبعد ذلك (سني)".

يتساءل (منتو) في خبث أكثر بينما كبير التجار مشغول بالذهب النفيس:

- "هل (سني) موجود هنا بأورايس؟"
- "نعم.. في منزل ضيوف الأمير (بعل) هو وأسرته"
- "إذًا أتمنى سرعة الترتيب في الموعد.. أريد أن أرتب معه تلك التفاصيل قبل وصوله طيبة يا كبير التجار".

يبتسم كبير التجار لـ (منتو بن هر):

- "لا تقلق.. طالما تحمل هدايا جيدة ستنول رضا (إسحاق) وسيوصي بالأمر لـ (سني)".

يضحك (منتو بن هر) بصوت منخفض مجاملة له ثم يهمّ بالانصراف، وقبل أن ينصرف يقول له كبير التجار:

- "إسترح اليوم ولتأتِ غدًا لتقابل السيد (إسحاق)".

يومئ برأسه للتأكيد ثم يخرج هو ومعاونيه الاثنين من المكان. يصلوا

إلى إحدى الطرق بالمدينة ليتوقفوا في ذلك السوق الكبير داخل أواريس ينتظرون شخصًا ما.. يأتي ذلك المنتظر فإذا به يقف أمام ثلاثتهم ليقول:

- "عربات الحمولة والبعير قد تم تفريغ حمولتهم بمخازن أواريس".

فيجيب ذلك المعاون:

- "عظيم، والرجال؟"
- "في الطريق يا مولاي"
- " نحن علمنا المكان وغدًا سيكون اللقاء".

يقولها المعاون الآخر وهو مبتسم لما وصل له من نتيجة، ومولاه ملامح وجهه جامدة ويفكر في أن الغد هو اليوم الموعود.. يوم قطع رأس الأفعى.. يوم إنهاء حياة (سني).

هكذا كان يفكر (أحمس)، ويبدأ في ترتيب تفاصيل الخطة.. خطة الغد المنتظر.

****

٥- انتقام العامو

- "لك أن تتخيل أن امرأة مثل تلك تريد رأس (أحمس)"

يطلقها (بعل) الأمير وهو جالس مع (بس) رئيس الجماعة وهما جالسان في غرفة الأخير في مقر الجماعة، فيبتسم (بس) ثم يحاول أن يُخفي ابتسامته ويرسم ملامح الإستنكار من حديث أميره:

- " كيف..؟ كيف واحدة مثلها مغنية في ماخور تفكر أن تطلب ذلك منك يا مولاي..؟ مالها هي وأمر (أحمس)؟"

- "صدقني لا أعلم من أين أتت بتلك الجرأة وتخبرني أنا تُرّهات مثل تلك. كيف يا (بس)؟ .. ولكن أنا أريد رأسه فعلًا حتى أثبت للجميع قوتي كأمير وكولي عهد لأبي (أبوفيس)".

يضع (بس) سبابته على ذقنه ثم يبدأ في مداعبتها وهو يفتعل ذلك الأمر ليوضح أنه يفكر تفكيرًا عميقًا فيما يُعرَض عليه من أميره، ثم يبدأ في شرح ما توصّل إليه من خطة مع جماعته..

- "مولاي الأمير.. أريد أن أعرض عليك أمر سري تم ترتيبه والإتفاق عليه في مجلس جماعتنا مؤخرًا.. حتى مولاي الملك المُعظَّم لا يعلم بأمره".

ينظر له الأمير (بعل) محاولًا فهم ما يريد أن يتوصل إليه ذلك الخبيث.

- "ماذا رتَّبت يا (بس)؟"

- "أنصت لي يا مولاي الأمير.. الأمر بسيط ويخص حملة طيبة المرتقبة".

يصمت (بس) منتظرًا أن يطلب منه الأمير الاستطراد في حديثه، فيومئ له الأمير برأسه سامحًا له بالحديث.. يبدأ (بس) في شرح خطته بعد أن يتولى (سني) الأمر في طيبة وما سيأمره به الأمير (بعل) بتنفيذ ذلك الأمر.. قتل أفراس النهر ما سيحدث من فوضى في المدينة، وحرق معبد آمون في طيبة وما سيخلقه من ثورة شعبها ضد حاكمها (سني) ما سيؤدي إلى مقتله، وما سيحدثه تدخُّل الأمير في وقف ما سيحدث من فوضى، ثم توليه حملة بلاد الكوش منفردًا وما سيجعله يكتب صفحات جديدة في تاريخ البلاد من فتوحات عظيمة لقوم الخاسوت، وما سيَعزِّ زه كولي للعهد وما سيجعله ملكًا حتى لو ظل في موضعه كأمير، وما سيصبح من أمر تحكم الأمير في مقاليد الأمور.. ينبهر (بعل) بذلك الحديث ومن خطة ذلك اللئيم ويخبره وهو مبتسم إبتسامة النصر:

- "كم أنت عظيم يا رئيس الجماعة! أنت فعلًا تستحق هذا المنصب دون غيرك".

- "مولاي.. الفتنة الدينية أمر مُجرّب ونتيجتها محتومة.. المصريين دينهم وإيمانهم بآلهتهم هو ما يحركهم.. مثلما جاءت تعاليم أجدادنا لنا يا أمير البلاد".

- "لكن أين موضع (أحمس) في خطتك يا (بس)؟"

يقولها بعل ليعود ذلك الغضب في عينيه مرة أخرى.. فيبتسم (بس) وبصوت هادئ بالقرب من أذن (بعل) يجيب على تساؤله:

- "أترك أمر (أحمس) عليّ وعلى (سني).. اطمئن"

يتحرك (بس) مبتعدًا عن موضع الأمير، يقترب من أكواب الخمر.. يضع بها قليلًا، فيتساءل الأمير (بعل) عن أمر آخر تذكره الآن:

- "بالنسبة للبرديات المقدسة.. ألن تطلعني على بعض منها يا رئيس الجماعة؟"

يُنهي سؤاله مع تناوله لكأس الخمر. يبدأ في ارتشاف البعض، يخرج (بس) بردية أخرى من ذلك الصندوق القديم.. ويناولها للأمير ويبتسم ابتسامته الخبيثة وهو على باب الغرفة..

- "أتركك مع البردية تقرأها على راحتك، وأستأذنك بعد الانتهاء لا تنسى وضعها في الصندوق".

يخرج (بس) من المكان يسير في أروقة المقر مزهوًا متناولًا ما تبقى في كأسه من خمر.. تاركًا الأمير في ذلك الأمر.. أمر البردية المقدسة تلك التي كُتِبَت بلغة العامو القديمة منذ ما يزيد عن مائتين وخمسين سنة سابقة، بها تعاليم جديدة.. وتفاصيل جديدة عن تاريخ قوم العامو في مصر.. قبل دخول الخاسوت.

البردية المقدسة الثانية (تعاليم العامو الثاني)

أنا الحفيد للعامو الأول الحفيد الأصغر للابن الأصغر، فعندما خرج أعمامي للقبيلة بما تعلمون، بقي هو لم يرِد الرحيل، فخرج لكم الطبيب والمعماري والمزارع، ولكن أبي المحارب ظل هنا في مصر، فهو قرر أن يتواجد في ذلك الجيش المصري تحت قيادة قائده التابع لملك البلاد حينذاك سنوسرت الأول.. من جاء بعد أبيه الذي قتل.. نعم إمنمحات الأول قُتِل من خدمه .. هذا ما حدث بالرغم ممّا فعله في تلك البلاد، من تقدم إقتصادي، واستطاع السيطرة على حكام الإمارات، أو كما يطلق علىهم الأمراء: الوراثيين بالإمارات المصرية، إلا أن قوته لم تدم طويلًا، وجاءت الخيانة في قصره، فقرر سنوسرت الأول أن يفتعل نبوءة أبيه له بتولي الحكم.. مثلما فعل أمنمحات الأول بافتعال نبوءة دينية تثبت أحقيته بالحكم.. وبعد ذلك قرر أن يقوم بالأمور بشكل مختلف.. الدين.. هو ذلك المفتاح لتلك الخزنة المصرية، نعم هو الأساس.. وهذا ما قرره سنوسرت الأول.. احترام الديانات.. إنشاء المعابد لكل الآلهة المحلية بالبلاد.. وإعادة التطوير لما هو قديم.. في كل مدينة بكل إمارة، ولكل ثالوث مقدس لآلهة محلية، قدم القرابين فأرتبط اسمه بكل إله، ابن رع، ابن آمون، ابن تحوتي، ابن أوزوريس، وهكذا.. صحيح أن ديانة آمون كانت هي الحاكمة للدولة والديانة الرسمية لها.. لكن هذا لم يمنع باقي المصريين في التعبد لآلهتهم. وعلى إثر ذلك التطوير احترمته العائلات الحاكمة

بكل إمارة واحترمه الأمراء الوارثين بكل إمارة واستطاع التوسع في البلاد جنوباً.. ليس للسيطرة ولكن للبحث عن مناجم جديدة للمعادن وتوسيع النفوذ الديني، فتحرك والدي في الجيش جنوباً في بلاد الكوش، ثم شرقًا ناحية الساحل الشرقي بالبحر الأحمر وذلك لإنشاء محاجر جديدة بحجة توريد الأحجار اللازمة للبناء والتعمير.. وميناء على الساحل الشرقي للبحر الأحمر لحملات إقتصادية إلى بلاد البونت. وما أتيت به تلك الرحلات بنباتات جديدة ونفوذ جديد ليس بالحربي ولكن بالثقافي، ما عاد على إنتشار الديانة المصرية خارج القطر.. لا أنسى أيضًا ذلك الخائن لأبيه أمنمحات الأول، سنوهيت.. الذي هرب إلى فلسطين بجانب قبائلنا، مَن علَّمهم الكثير وتزوج وأنجب بقبائلهم وكان في نهاية الأمر.. أعفى عنه وجاء إلى مصر ليموت بها.. ولتنشأ له مدافن بجانب الملوك للحياة الثانية.. حياة ما بعد الموت، تلك هي المكافأة. ما اعتبره سنوهيت كرمًا عظيمًا من سنوسرت الأول.. نعم الحياة ما بعد الموت. وهذا ما يعتقده المصريون في دياناتهم جمعاء.. إن المرء عندما يموت سيذهب إلى الحياة الأخرى، وسيحاسب على أفعاله شراَ كانت أم خير. وإذا نظرنا إلى أساس الديانة المصرية سنجد أن هناك إله واحد (آتوم) خالق (مون) من تزوج من (توت) وعلى سائر ذلك خلق باقي الآلهة والبشر والدنيا، وكل إله يمثل رمز لصفة، فهناك مَن يرمز للعلم (تحوتي) ويتجسّد في مظهر القمر، و(ماعت) رمز للحق.. وهناك آلهة حاكمة في صفاتها.. هناك ما يرمز، للسهول، للخصوبة، للأرض الزراعية إلى آخره من صفات، في كثير من الأحيان تشترك صفات الآلهة وتداخل

ولكن أمر كهذا لا يتعارض مع حرية كل فرد في عبادته ومذهبه، وعلى الرغم من ذلك فهناك آلهة محبوبة عند البعض وآلهة مكروهة عند البعض الآخر، وذلك ليس بفعل الأفراد ولكن بفعل حكايات الآلهة.. تلك الأساطير التي تمثل في مجملها ذلك الصراع.. صراع الخير والشر لتكون مثالًا واضحًا للإنسان، عن مصير مَن يقوم بأفعال الخير في جنة الخلد، ومصير مَن يعيث فسادًا في الأرض من عقاب ينتظره في أرض الموتى، فبداية من أسطورة بداية الخلق ثم أسطورة إيزيس وأوزوريس تلك التي مثلت الصراع بين الخير والشر بشكل مباشر، إيزيس وأوزوريس وست ونفتيس الإخوة أولاد رع.. تزوج أوزوريس بإيزيس الجميلة.. وست تزوج بنفتيس، ست مَن كان يغير من أوزوريس ويحقد عليه.. أراد الإنتقام منه فقتله في مكيدة مدبرة وقسم جسده إلى أجزاء ووزَّعها في جميع أنحاء البلاد.. عدد الأجزاء هو عدد الإمارات المصرية، إضافة إلى جزء ألقاه بالنيل كعقاب حتى لا يصل إلى أرض الموتى.. وقصة الحب العظيمة من زوجته إيزيس التي ظلت تبحث عن أجزاء جسده حتى جمعتها وعادت به الحياة، لتنجب منه ابنه حورس، ويبعث أوزوريس إلى أرض الموتى ويحارب الإله حورس عمه الإله ست في البلاد حتى يطرده إلى الشرق، أي بإتجاه موطننا، الحال وعليه يظل الإله (ست) هو الممثل الأقوى لقوى الشر والحروب ويصبح أوزوريس هو ممثل الخير إله الموتى في أرض الخلود، ويحيا كل يوم مارًا صباحًا بمركبه على أرض الأحياء في الشرق ويعبر النيل إلى أرض الموتى ليلًا في الغرب.. وأصبح أيضًا ممثلًا لصفة خصوبة البلاد.. فقصة البعث مرة أخرى أصبحت مشابهة في

اعتقاد المصريين لإنبات النباتات في الأرض.. ونال شرف رئيس لمحاكمة الموتى.. تلك التي يمثل أمامها الميت.. فإذا مثل في الدنيا كل الصفات الحسنة للآلهة أصبح متاح له العيش في أرض الموتى مع الطيبين جزاء لحسن أفعاله، وإذا لم يكن سوى مثالًا للفساد في الأرض.. إما الموت أو العقاب الغير منتهي، وعليه أصبح معبودهم أوزوريس عبادة منتشرة ومحبوبة في سائر أنحاء تميرا جنبًا إلى جنب مع آلهتهم المحلية للمقاطعة.. على عكس الإله (ست).. الذي أصبح عُبّاده قلة.. وانتشار معابده محدودة، تلك المشكلة هي ما واجهت في بادئ الأمر جدي العامو الأول، فبعد أن وجد في إلهنا (ست) المُعظَّم المثال الأقرب لإلهنا (بعل) إله قبيلتنا.. وجدنا مشكلة كره المصريين له، فقرر جدي قبل مماته نشر أمر جديد في تعاليم قبيلتنا بمصر وجماعتنا من كل ولد له وحفيد.. ذلك الحفيد يتعلم الكهنوت في المعبد للآلهة المحلية بمصر، يتعلم ويفهم، فهناك مَن التحق بمعبد (رع) بثالوث هليوبولس المقدس لإله الشمس، ومَن التحق بمعبد (تحوت)، ومَن التحق بمعبد (آمون) ومعابد أخرى من سائر العبادات، حتى ندرس الديانة المصرية جيدًا من ناحية، ومن ناحية أخرى نحاول تقليل ذلك الكره لمعبودنا (ست)، كما يوجد في أساطير أخرى هو محارب (رع) على سبيل المثال، وأنا ذلك الحفيد الأصغر للعامو الأول، كانت مهمتي مختلفة، ليست من جدي العظيم ولكن من أبي، مَن كان يعلم ذلك السر.. سر التضحية من جدي وجدتي حتى نثبت وجودنا في مصر.. مَن جعله كل يوم لا يعلم هل نسبه من جدي الراحل أم أنه ابن لذلك الكاهن المغتصب، أمرني بالالتحاق بمعبد (ست) وأن أقيّد في المناصب

للمعبد.. السلم الكهنوتي.. متطهر، فكاهن شاب، إلى كاهن خادم رئيسي في المعبد.. صحيح لعدم مصريتي مُنِعَت في بادئ الأمر من وظيفة الكاهن الأعظم ولكن خدمات أبي الجليلة في الجيش كانت باب لأصبح الكاهن الأعظم لمعبودنا الإله (ست) في (تيت اوى)* عاصمة البلاد في عهد ذلك الملك الحالي سنوسرت الثالث والذي أصبح يولي اهتمام أكبر للحملات العسكرية لتأديب حكام بلاد الكوش وإخضاعهم له مرة أخرى بجنوب البلاد وتأديب اللوبيين في غربها، وإخضاع قبائل الفنخو* جيراننا في شرق مصر، فمكانة أبي بالجيش جعلتني من يتولى طقوس التعبد لإلهنا (ست) في تيت أوى وقوتي رشحتني لترأس جماعتنا بمصر جماعة الإله (ست)، التي نشأت بقوام من عمالنا في بحيرة سنوسرت الجديدة بالفيوم، تلك التي يعمل عمال قبيلتنا في حفرها، وفي إنشاء سدود لعمل مخزون إستراتيجي لمياه فصل الفيضان لسائر البلاد في فصل الجفاف نجتمع أسبوعياً نتبادل بيننا شئون قبيلتنا في مصر وشئون قبائلكم في فينيقيا أرسل تلك الرسالة لأمر جلل، ذلك المشروع الجديد الذي أعلن عنه سنوسرت الثالث.. قناة سنوسرت الملاحية، فسيتم حفرها من خليج البحر الأحمر إلى فرع النيل الرابع لزيادة الحركة الاقتصادية عن طريق النقل الملاحي، ليربط ميناء البحر الأحمر بفروع النيل، تحمّس معظم حكام أقاليم مصر السفلى بالوجه البحري للأمر، فذلك المشروع سيخدم مصالحهم الاقتصادية.. وسيزيد من تجارتهم وأرباحهم.. أما نحن جماعة الإله (ست) نريد أن نستغل الأمر لصالحنا ولصالح قبائلنا العظيمة. ذلك المشروع سيحتاج الكثير من الأيدي العاملة

وجند الجيش، وغالب العمالة الموجودة تعمل في بحيرة سنوسرت، فسيفتح الباب للعمالة الأجنبية هذا ما أعلن في البلاط الملكي من قبل وزير مصر، أريد منكم إرسال كل الشباب.. كل مَن يستطيع العمل بمصر حتى يقوموا بحفر تلك القناة، وعليه تتوسع جماعتنا في النفوذ وإنشاء معابد جديدة لإلهنا بالشرق وتتوسع أعداد جماعتنا في مصر حتى يأتي ذلك اليوم الموعود يوم ضعف النفوس وانتشار الفتنة بين الجموع، ويتمهد ذلك الطريق، طريق الدخول إلى مصر، وتصبح مقاليد الحكم في يد جماعتنا جماعة الإله (ست).

****

ينتهي الأمير (بعل) من قراءة البردية المقدسة ويفهم ذلك الأمر الجديد بالنسبة له، أمر المصير.. مصير حاكم الخاسوت لم يأتِ من قبيل الصدفة، بل هو أمر تم التخطيط له منذ مئات السنين، وأنه إذا أراد أن يحدد مصيره لحكم البلاد فلا بد له من التخطيط جيدًا في التوسّع في الفتوحات، ذلك الذي يبدأ من طيبة، طيبة التي أصبح أميرها (أحمس) قاب قوسين أو أدنى من القضاء على ذلك الخائن الذي تحكم في مصير موت أبيه الراحل (سقنن رع) بخيانته، (سني) مَن شعر أخيرًا وهو بمضجعه بأواريس بوصوله لمراده وتنفيذ الإنتقام، من الأشراف، ذلك مصيرهم الذي خطط له على مدار الأعوام السابقة، لينول أخيرًا حكم طيبة، ومصير (اعح حتب) تلك الأخيرة في مضجعها بطيبة، قلقة على مصير ابنها (أحمس) بأواريس وابنتها أرملة (كامس)

الراحل (نفرتاري) وتتساءل سؤال لم تستطع مواجهته إلا ذلك اليوم: هل حبها لـ(سقنن رع) كان إختيارها وإختياره من الأساس، أم أن الزواج مجرد أمر من تخطيط لـ(تيتي شيري)، التي كانت تحلم ببقاء الأشراف في حكم طيبة لمئات السنين، ما جعلها توافق على زواج (سقنن رع) من (اعح حتب) لتستمر دماءهم في حكم الإمارة، لأبد الآبدين، ولكن اليوم ترى (تيتي شيري) تلك الحقيقة، حقيقة أنها اختارت ما وصّلها إلى موت ابنها وحفيدها، ليتحدد مصيرهما، ولكن لم تعلم أن ذلك الاختيار هو مجرد خطوة البداية، لاختيارات عائلة الأشراف في دربهم المُقدَّر بيد آلهتهم (شوي)، ليتحرك الجميع في طريقهم المرسوم منذ البداية، بخطوات الاختيار في درب المصير...

ملاحظات:

البحر الأخضر: هو اسم البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة الزمنية

الآلهة شوي: في العقيدة المصرية القديمة هي رمز وإله المختصة بتدوين القدر

اتيت اوي: هي العاصمة الرسمية للدولة المصرية في عهد الدولة الوسطى ابتداءاً من عهد الأسرات الأسرة الثانيه عشر، وقام ببناءها وتأسيسها الملك أمنمحات الأول، تتوسط المسافة بين منف وإهناسيا، وبالقرب من حدود الفيوم الحالية.


أسك زاد

الفصل الثالث

درب المصير

١- مصير أحمس

نسير دائمًا في ذلك الطريق، طريق الحياة، لا نعلم متى ستكون النهاية.. نعرف موعد البداية، أولى الخطوات.. ما نخطو به من قرارات.. ما نقرره بإرادتنا.. ونعتقد أن ذلك من صنعنا.. ولكن في النهاية نكتشف ما هو مدّون بالقدر.. ما له من مفر وأن مصيرنا محتوم ذلك غير المعلوم يأتي إليك دون موعد، المصير ذلك ما يدور في بال (أحمس) وهو يخطو بخطواته في طرقات مدينة أواريس، بجانبة (مس) وخلفه (أحمس ابن ابانا) و(أحمس بن بنخت) يرتدون ملابس من الكتان تتناسب مع تلك الأجواء.. فالمطر قريب السقوط، وهذا ما يقلق (مس)، وما يدور في بال (أحمس)، هل وصل (منتو بن هر) إلى دار اللقاء مع عضو الجماعة المنتظر (سني)؟ أعوان التاجر ذلك الذي جاء بالأمس ومعه معاونيه أمام الجميع، وهم في الحقيقة مولاه (أحمس) وكاهنه الشاب (مس) ومجموعة من جنود المازوي متوارين عن الأنظار، اثنين في السوق واثنين أمام مقر وجود (سني)، والبقية ينتظرون خارج أبواب المدينة، منتظرين خروج (أحمس) ومن معه، بعد الانتهاء من مهمته، تلك التي يقترب من تنفيذها، يصلون إلى أبواب مقر وجود (سني) وأسرته، فيقفوا أمام الحراس، ويسأل (مس) الحراس السماح بالدخول، فيسأل الحارس عن ماهيتهم، فيجيبون بأنهم معاوني ذلك الضيف الذي بالداخل (منتو بن هر)، فيزيد استفسار الحارس:

- "هل هو على علم بمجيئكم إليه؟"

فيجيب (مس):

- "إذا أردت تأكيد فادخل وتأكد بنفسك من القوم بالداخل"

فيدخل الحارس بضع دقائق ويترك زميله أمام (أحمس) ومَن معه، ثم يخرج ويفتح لهم الباب ليدخل (أحمس) و(مس) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت) إلى المنزل.. منزل (سني) بأواريس، يصلون إلى تلك القاعة المتواجد بها (منتو بن هر) وعضو الجماعة (إسحاق) و(سني). تغلق أبواب القاعة ويشير (سني) لهم بالجلوس، يجلس (مس) و(أحمس) ويظل (ابن ابانا) و(ابن بنخت) يبتسم (سني) إلى (منتو بن هر) وإلى إسحاق ويبدأ في الحديث:

- "حسنًا يا سيد (منتو) أنت في إحتياج لأن تزيد من نصيبك من أراضي طيبة".

- "الأمر متروك لك يا حاكم طيبة الجديد"

- "وما رأيك يا سيد إسحاق فيما عرض عليك؟؟"

- "والد (منتو) كان تاجر عظيم ودائمًا كان بيوفي بوعوده وإلتزاماته، وأنا أرى في ابنه مستقبل باهر في التجارة والزراعة بعون إلهنا المُعظَّم (ست)".

فيتناول (سني) قطعة من كعك الشعير الموضوع أمامه على المائدة المتوسطة جلسة الحاضرين ويقضم قضمه صغيرة ثم يقول:

- "اسمع يا (منتو).. بعد ما أدخل طيبة سآخذ عائلة الأشراف كعبيد لي في قصري وبالتالي أراضي العائلة الملكية ستكون من نصيبي، ممكن أن يصبح لك بها نصيب كبير".

هنا تبدأ ملامح الغضب على وجه (أحمس) عند سماع حديث (سني) وما جاء فيه من أمر عائلة كعبيد فوضع بيده على مقبض سيفه منتظراَ إشارة (منتو بن هر) في حديثه المتفق عليها التي تأتي كالآتي:

- "أنا لا أريد أراضي من عائلة الأشراف يا سيد (سني)"

ليتحرك (أحمس) شاهراَ سيفه وكذلك (مس) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت)، (أحمس) سيفه على عنق (سني)، و(مس) سيفه على عنق (إسحاق)، و(إبن ابانا) و(ابن بنخت) خلف باب القاعة المغلق:

- "هو قادم لروحك يا (سني)"

يُنهي (أحمس) جملته ومع انتهائها يجد سيفًا على عنقه، ينظر ليمينه لموضع (مس) يجد مَن خلفه بالسيف، و(منتو) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت) أيضًا.. ولكن من أين أتى الحراس؟ ذلك ما يدور في رأسه.

- " كانوا مختبئين خلف الستائر يا (أحمس)، لا تفكر كثيراَ".

وهنا قد انتبه لمجريات الأحداث، فعند دخولهم الغرفة لم يكن بها أي نافذة، فالأضواء هي أضواء المشاعل والحوائط الأربعة المكوّنة للقاعة مغطاة بستائر ذات اللون الأحمر، لقد كان يعلم إذن (سني) بحضورنا إليه..

- "يا رجل كنت في إنتظارك منذ يومين كاملين"

لا يفهم كيف علم (سني) بأنه قادم للنيل منه، ولكن يقطع (سني) تفكير (أحمس) بكلمات مستفزة له:

- "أنا راهنت على اندفاعك، وكسبت الرهان وجئت إلي"

- "معنى حديثك أنك كنت على علم بوجودي في المدينة؟"

يسأل (أحمس)

- "أنا من وضعت الخطة وأنت نفذتها بحذافيرها.. تركت البرديات في مزرعتي حتى تعرف الحقيقة التى أردتك أن تعرفها".

يدخل معه باب القاعة (بس) رئيس الجماعة والأمير (بعل) بالحراس، فيبدأ (سني) بالتحرك من مجلسه ويقف بعد نزول سيف (أحمس) و(مس) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت)، يصفق (بس) في قمة الزهو:

- "عظيم، كم أنت عظيم يا عزيزي (سني)، وعدت ووفيت"

- "مثلما قلت لك يا رئيس جماعتنا المُعظَّم، سيقرأ البرديات.. سيعرف الحقيقة، ستصبح قراراته مندفعة، ستجد أشخاص من طيبة يبحثون علي ،على مكان (سني)، وعليه سنعلم أن (أحمس) قادم للأخذ بثأر والده (سقنن رع)"

- "دائمًا خططك تبهرني يا (سني)"

يبتسم (بعل) ابتسامة النصر بما ظفر.

- "أأنت (أحمس) ابن المتمردين؟"

يقولها (بعل) لـ(أحمس) بإستهزاء، فيجيب (أحمس) بكل كبرياء:

- "ابن الأشراف حكام إمارة طيبة"

فيضحك (بعل) ضحكة عالية الصوت، ومع إنتهاء ضحكته يملأ الصمت جدران المكان، يمسك (بعل) رقبة (أحمس) محاولًا إخناقه، يظل (أحمس) يقاوم عدم ظهور الضعف على وجهه حتى تقطع أنفاس ابن الأشراف، ما يجعل وجهه شاحب اللون، يمسك بيده رئيس الجماعة، ويحاول منعه من قتل (أحمس).

- "ليس الآن يا مولاي الأمير، ستظفر به ولكن ليس الآن".

يقولها (بس) ومع انتهاء حديثه يترك (بعل) رقبته، ويحاول السيطرة على رغبته في قتل (أحمس)، وبكل غضب يأمر حراسه:

- "خذوا المتمردين من هنا"

الذل، الفشل، الإخفاق في تحقيق مرادك، ذلك ما يجعلك ذليلًا أمام الجميع، ما يجعل (أحمس) يسير مجروراً، مُكبّل اليدين، بذلك الحبل المتين، وخلفه مُكبَل أيدي أعوانه (مس) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت) و(منتو)، يتوقف للحظات، ناظرًا في أعين عامة الناس، مَن توقفوا بالطرقات، يشاهدون المتمردين، مكبلين مجرورين بعربة الأمير (بعل) الحربية، يقول (بس) الذي يقف بجانبه بالعربة الحربية:

- "أيها الناس، يا شعب أواريس، يا شعب مصر، أرأيتم غضب إلهنا

(ست) على من تمرد على إرادته ومشيئته، أرأيتم جزاء مَن طغى وعاث فسادًا في بلادنا؟ إن إلهنا لا مثيل لعظمته ولا مثيل لحكمته ، لقد ترك (سقنن رع) يعيث فسادًا ضد إرادته ليكون موته عبرة وعظة لِمَن يخالف سماحته، وترك (كامس) يتجرّأ على حكم ابن آلهتنا المحبوب ملكنا المُعظَّم (أبوفيس)، حتى يموت على يده، ليكون أيضًا عبرة وعظة لسائر عبيده، واليوم أتى إلينا بِمَن في سلالة متمردي طيبة من الذكور. فما رأيكم؟ ما جزاء من تجرأ على جلالته؟"

تبدأ أصوات الحاضرين من العامة تنطلق، بجملة أراد (بس) سماعها منذ البداية:

- "الموت، الموت، الموت، الموت...."

يظل الناس في ترديد ما يريدون في وجه أحمس ومعاونيه، ومع صيحات الموت، يبدأ البعض في إلقاءهم بالخضروات العفنة، ومن يلقي بقاذورات منزله، يتلقى أحمس في وجهه ما يُلقى عليه، ولا تتغير ملامحه من ملامح الجمود، يبصق عليه مَن يبصق، ويلقى على (مس) من يلقي، ويركل (ابن ابانا) من يركل، ويلكم (ابن بنخت) من يلكم، ويدفع (منتو) من يدفع، ولا تجد للمذلولين رد فعل، أو حتى ينطق أحدهم بصرخة ألم، تسير الجموع خلف عربة الأمير (بعل) وحراسه المحيطين به وبمساجينه، حتى يصل الموكب إلى أبواب قصر حكم بلاد الخاسوت، قصر (أبوفيس)، مَن كان واقفًا في ساحة القصر، في انتظار الأمير، فلقد كان كل شيئ مرتب من البداية، حتى مع ملك

الخاسوت، هذا ما أدهش (أحمس)، كيف علموا بدخوله ووجوده؟ وما يجعله يحزن من داخله ما وصل إليه من مصير، مصير الموت، هل سيموت اليوم وتتحقق نبوءته؟ نبوءة المطر الأحمر، تبدأ الأمطار في السقوط على أرض ساحة القصر، يأمر (أبوفيس) أميره الذي خرّ راكعًا لأبيه الملك، وعلى إثره خر جميع العامة راكعين عدا (أحمس) وأعوانه ليركلهم الحراس، فيسقطوا على وجوههم ليصبحوا راكعين أمام ملك البلاد الذي يبدأ في أمره:

- "آمرك أيها الأمير (بعل) بتنفيذ حكم الموت على المتمرد (أحمس) بن المتمرد (سقنن رع) من أعلى أسوار المدينة، وليلقى بجثته في النيل، فلا تصل إلى أ رض الموتى، لتظل روحه مُعذَّبة، أما معاونيه، أطردهم ذليلين من أواريس، بعد رؤيتهم لموت كبيرهم، ليكونوا لما رأوه رسلًا لعقاب الأمراء الوراثيين، مَن يفكر في إغضاب إلهنا المُعظَّم (ست)".

- "أمرك يا مولاي جلالة ملكنا المُعظَّم".

يقولها بعل إشارة منه لتنفيذ رغبته، فالمتمرد الذليل بأواريس ذات الحصن العظيم ما يحيط بالمدينة ويقسمها فرع النيل إلى نصفين، ما يجعل ذلك السور العظيم يتحول إلى قنطرة فوق النيل، كسور بفتحات تسمح بمرور المياه حتى تصل إلى قنطرة أخرى في الجهة المقابلة من منحنى دائرة السور في الجهة الأخرى من المدينة، بها فتحات للسماح بعبور المياه إلى خارج الأسوار، خارج مدينة أواريس وحول السور العالي، ما يحيط بالمدينة وما يحيط بالسور نفسه، تلك

القناة التي تحوي مياه عذبة، ما حفر لتحويل مسار المياه حتى يتم بناء القنطرتين على مجرى النيل نفسه، وعندما تم الانتهاء من البناء للحصن العظيم وفتحات القنطرتين، عاد النيل إلى مجراه الطبيعي، ولم يتم إلغاء القناة المائية حول الأسوار لتصبح أواريس، العاصمة العظيمة للخاسوت، محاطة بالمياه من كافة الجهات والأطراف، أسفل السور، داخل المدينة، يقف الجموع، على شاطئ النيل، ينظرون للأعلى، موضع أعلى قنطرة النيل، يظهر ظهر المتمرد الذي حكم عليه بالموت مكبل اليدين وأمامه يقف الأمير الذي وكّله ملك البلاد بتنفيذ إرادته بقتل أمير المتمردين، يمسك الأمير (بعل) قوسه المكسو بالطلاء الذهبي، يناوله أحد الحراس سهم الموت، وعلى يمينه يقف (مس) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت) و(منتو بن هر) مكبلين الأيدي، بحبل واحد هو حبل الذل وهم يرون قائدهم وأميرهم (أحمس)، ذليلًا منتظرًا حكم الإعدام، يبدأ (بس) كاهن جماعة الإله (ست) في التحدث بالصوت العالي على جموع سكان أواريس ليطلق كلمات خطبته:

- "اليوم.. هو يوم عظيم.. يوم حانت فيه تنفيذ إرادة الآلهة، إرادة إلهنا المُعظَّم الجليل، مَن جلس على عرش حكم مملكتنا الممتدة من سواحل فينيقيا إلى جنوب تميرا، (ست) العظيم، اليوم يا أيها الناس، سننهي ما بدأ من إرهاب، إرهاب لشعب بلادنا، ولعباد (ست) المخلصين، عندما جاء في يوم سابق، الجرأة لبعض من أبناء طيبة مَن ظنوا أنهم قادرين على نشر الرعب في قلوب المخلصين للعظيم (ست)، مَن كانت حكمته الكبيرة، في وضع

نهاية عائلة الأشراف، مَن طغوا في البلاد، وقتلوا من قتلوا من جنودنا الشجعان، مًن تجرأوا على حكمته، في حكم مصر، عباد آمون، مَن ظنوا يومًا أن الحظ حليفهم، في نشر الفساد في الأرض، اليوم ستكون نهاية سليل المتمردين، (أحمس) الواقف أمامكم، ابن الخائن (سقنن رع) وأخ الخائن (كامس)، مَن خانوا ثقة ملكهم وملكنا.. الإله الطيب (أبوفيس) مَن أصدر حكم اليوم في المتمرد (أحمس) ببركة إلهنا العظيم (ست) والذي سينفذه أميرنا المُعظَّم (بعل) ولي العهد.. الحكم بموت (أحمس)".

تنتهي الخطبة وتبدأ الطبول في دق النفوس دق القلوب ومعها يستعد الأمير (بعل) في تنفيذ الأمر الملكي، بقوسه الملكي الذي يشد وتره، ممسكًا بسهمه، وخلفه أربعة حراس، اثنين على يمينه واثنين على اليسار، ممسكين بأقواسهم، موجِّهين سهامهم، إلى قلب المتهم، مَن يقف ذليلًا يتذكر وهو طفل رؤيته لجثة أبيه المقتول غدرًا، يتذكر وهو مراهق رؤيته لجثة أخيه (كامس) المقتول شجاعًا، يتذكر كلمات (تيتي شري) جدته، من أمرته برأس الأفعى (سني)، مَن كان أذكى حتى النهاية، هل ستكون تلك النهاية، تبدأ الأمطار في الهطول، على أرض الحكم الموعود، لتجيب على تساؤل (أحمس).. حتمًا ستكون تلك النهاية، لتحقق النبوءة، ليكون موت سليل (سقنن رع) على أيدي الخاسوت مثل والده وأخيه، تنتهي الطبول من إصدار دقاتها ويطلق (بعل) سهمه الذي يخترق الأمطار بسرعته، في طريقه إلى قلب الموعود بالنبوءة، ليستقر في جسده بالقرب من موضع قلبه، ورد فعل جسده تجعله غير متزن في الوقوف، تنطلق سهام الحراس

خلف سهم أميرهم، يرجع (أحمس) بقدمه التي لا تجد سوى الفراغ أسفلها موضعًا، ليفقد اتزانه ويسقط على إثر سهم من السهام الباقية في موضع كتفه، يتحرك الحراس في سرعة، مقتربين من موضع (أحمس) السابق، يرمون بسهام جديدة، إلى أسفل الأسوار، خلف جسد أحمس الساقط من أعلى قنطرة أواريس، تتسارع جثته مع سرعة قطرات الأمطار، حتى يرتطموا بسطح مياه النيل وخلفهم سهام البقية القائمين بتنفيذ حكم (أبوفيس)، تغوص جثة (أحمس) القتيل، في مياه النهر المقدس لدى المصريين، وترتطم معها قطرات دموع (مس) الكاهن أرضًا، فأمام نصب عينيه يرى النيل قد تلوّن، بدماء أميره (أحمس) الراحل، لتتحقق نبوءة العرافة، نبوءة المطر الأحمر، ومع بدء ظهور ملامح الجثة المندفعة مع سرعة المياه بالنيل، يقرر (سني) قول كلماته لـ(مس) بصوت خافت:

- "أعتقد أن الوقت حان أن ترجع لطيبة وتعرّف والدك تحوتي أن النبوءة قد تحققت".

يدفع الحراس (مس) ومعه معاونيه المكبلين ليسلكوا طريق الهزيمة في حروبهم السابقة، طريق خارج أسوار أواريس، طريق طيبة، ومع وصولهم لأبواب المدينة، تصل جثة القتيل مع مياه النيل المندفعة إلى القنطرة الثانية، يشاهد الجموع المشهد في صمت، صمت لم تعهده أواريس من قبل.. صمت الموت، ما هو نهاية الدرب.. درب المصير؛ مصير أحمس.

****

٢- مصير نفرتاري

– "لقد حان الوقت يا مولاتي الأميرة".

يقولها الحاجب للأميرة (نفرتاري) لتخرج على إثرها من غرفتها الملكية إلى الرواق بالقصر الطيبي، تسير وخلفها يسير الحراس، تتذكر في عقلها يوم آخر قريب لذلك اليوم، هكذا هي تعتقد، ذلك اليوم عندما خرج زوجها الراحل (كامس) من طيبة في طريقه إلى حصن (منف) المنيع، ذلك الأخير ما قتل به (سقنن رع) غدرًا، ليلًا تتذكر ما قرره زوجها الراحل مع أمير أسيوط مَن قرر استمرار حربهما على الخاسوت، للاستقلال بمصر السفلى.. صعيد مصر كمملكة منفصلة بذاتها تحت حكمهم، بعد سقوط أقوى تابع من حكام الإمارات التابع لهم، حاكم إهناسيا، على يد (سقنن رع)، تتذكر أنها قررت خوض مسئولية الحكم في طيبة، بتعليمات من (تيتي شيري) لحالة (اعح حتب)، من وقعت للمرض إثر تلقيها صدمة وفاة زوجها، تلك النصيحة التي أثنى عليها (سني) عمدتها السابق، على أهمية القرار وتتذكر كيف كان حالها وهي تقف أمام جموع الشعب بمدينة طيبة و(تحوتي) كاهن آمون الأعظم يعلن على أن مقاليد الحكم في يدها لحين رجوع (كامس) بالنصر، تتذكر تلك الصيحات من الجماهير بالترحيب وتتذكر أيضًا خوفها من الأمر الجديد فما أشبه اليوم بالبارحة، فاليوم هي بطريقها في أروقة القصر، لتلاقي جموع الشعب، لكي يتم الإعلان عن الأمر الجديد، تصل للنافذة الملكية، ما

يطل على ساحة القصر، تصل لتقف بجانب (تحوتي) الكاهن الأعظم بمعبد الإله (آمون) ومع رؤية الجماهير لها، تتوقف الهمهمات بالساحة، ويبدأ (تحوتي) بالحديث العالي، على آذان الحاضرين:

- "نظرًا لخروج الأمير (أحمس) لأمر عظيم، يعلن اليوم على الحاضرين، ببركة إلهنا (آمون) بتولي الأميرة (نفرتاري) تولي مقاليد طيبة لحين عودة أميرنا الشاب (أحمس)"

يُنهي (تحوتي) كلماته ويومئ برأسه للأميرة، وعلى إثرها يحني الحاضرين بالساحة رؤوسهم إحترامًا وتقديرًا لأميرتهم، تلك التي تبدأ في الحديث:

- "يا شعب طيبة العظيم، يا مَن آمنتم بشجاعة والدي (سقنن رع) وزوجي (كامس)، أخيّركم ما بين أمرين، الأمر الأول هو تنازل عائلتنا، عائلة الأشراف عن حكم طيبة وتسليم المدينة إلى (سني) عمدتكم السابق مَن خان ملككم (سقنن رع) ونفذ تعليمات قتله غدرًا".

تتوقف عن الحديث، لترى ملامح الصدمة على وجوه الحاضرين بساحة القصر، تحاول أن تحبس الدموع بعيونها، وتحاول أن تحبس الغضب بين ضلوعها، وتقرر أن تستطرد في حديثها:

- "نعم (سني)، فلقد قرر ملك الخاسوت، بتعيين (سني) حاكمًا لكم وما هي إلا أيام وسيصل أسوار طيبة بجنوده لتنفيذ حكم أبوفيس".

لتبدأ همهمات بين الجموع بكلمات مثل (كيف) و(لماذا) وكلمات أخرى مستنكرة: مثل (سني) و(أبوفيس) وكلمات أخرى غاضبة: (خائن) و(قاتل)، فتطلق كلماتها تلك الأميرة استكمالًا:

- "والأمر الثاني هو أن تختاروا استكمال حكم عائلة الأشراف، والوقوف جنباَ إلى جنب خلف الأسوار وأمامها، في مواجهة (سني) وجنوده وعدم تنفيذ أمر (أبوفيس)".

تنتهي من حديثها وتبدأ الكلمات تصدر من الساحة، من مواطني طيبة، فتطلق جملة: (نحن مع الأشراف إلى النهاية حتى لو كان الموت)، وجملًا أخرى مناقضة مثل: (لا نقدر أن نقف في وجه أمر (أبوفيس))، فتقرر (نفرتاري) قطع الأحاديث التي بدأت تنمو بين الجموع بجملة مؤكدة:

- "جيش طيبة سيقف أمام الأسوار حامياَ طيبة حتى لو كان إختياركم إنهاء حكمنا، سيظل جيش الإمارة يقوم بحمايتها، من يُرِد الانضمام إلى (سني) يجلس في بيته آمنًا هانئًا، ومن يرد الدفاع عن طيبة فلينضم إلى جيشها".

تنتهي نفرتاري وتدخل إلى مبنى القصر، مغادرة الشرفة، تبدأ دموعها تنساب، وتبدأ خطواتها في الذهاب إلى غرفة (تيتي شري) تلك التي كانت تنتظر بغرفتها، تصل لـ(تيتي شري)، وبعد أن سمح لها الحاجب بالدخول، تبدأ (تيتي شري) في السؤال:

- "ما تظنين هو إختيار الناس؟"

- "لم أرَ يا جدتي في الوجوه سوى الانقسام والحيرة"

تقولها نفرتاري وهي باكية، فتسأل الجدة:

- "لماذا تبكين؟"

لم تجب (نفرتاري) سوى بالدموع، فتفتح (تيتي شري) ذراعيها، فتلقي (نفرتاري) بجسدها في أحضان جدتها، تلك التي تحاول أن تظهر بمظهر القوة والصمود والحقيقة أنها من داخلها لا تحمل سوى الألم والخنوع، تضع كفها على خصلات شعر حفيدتها، وتتذكر ذلك اليوم وكأنه كان بالأمس، وما لا تعلمه أن الأمس أصبح أشبه باليوم، تتذكر منذ أربعة أعوام في غرفتها، عندما كانت تجلس مثل تلك الجلسة، وحفيدتها بين أحضانها، قلقه على أحوال زوجها بالحرب، على حدود منف، تتذكر كيف كانت تساندها، وكيف كانت تؤكد لها، حتمية النصر لـ(كامس)، وأنه على مدار عامين من المناوشات من المؤكد أنه سيظفر بحكم الجنوب بمصر السفلى كاملة وسيتوّج عند عودته لـ(طيبة) ملكًا لصعيد مصر، تتذكر سعادة (تحوتي) السابقة بما كان يأتي بأخبار مؤكدة بعدم انهزام (كامس) بعد تحالف قوي مع أمير أسيوط، الذي أصبح معه جيش أسيوط وجيش إهناسيا سواسية، (تحوتي) الذي كان أمام (تيتي شري) واثقًا في نجاح (كامس) وفي نفسه كان يُمَنِّي النفس بالطمأنينة بدلًا من الخوف الذي كان يحمله نظرًا لنبوءة عرافة آمون، نبوءة المطر الأحمر.

****

- "أتعتقد أن أحمس سيعود قبل وصول (سني)؟ إذًا أنت واهم".

يقولها نفربرت في وجه (تحوتي) من يقف أمامه وأمام ولديه (خيان وسوسرن) و(وازد) المكبلين بزنزانة سجن طيبة فيجيب تحوتي بكل ثقة:

- "أنا طوال عمري أثق في الأشراف يا نفربرت ولم أكن لهم الطمع مثلك"

فيضحك نفربرت بسخرية على كلمات (تحوتي) السابقة ثم يتساءل في سخرية:

- "تكن لهم الطمع؟ إلام تحتاج يا (تحوتي)، أنت معك كل شيء، معين على رأس كهنوت معبد آمون ومعك أسرار العائلة، واحترام شعب طيبة، يا رجل أنت حتى لا تحتاج إلى راتب كي تعيل به أسرتك، أنت الكاهن الأعظم"

يغضب (تحوتي) من حديث (نفربرت):

- "لما يا (نفربرت)؟ لِمَ طاوعت (سني)؟ إنت كنت في منصب لا تحلم به، لم تكن تحتاج إلى شيء، لست أنت من تحدثني عن صعوبة المعيشة ولا أنت أيضًا من تشكو من مسئولية إعالة أسرة، منصبك كمدير للقصر ومدير للخزانة الملكية كان كافي لم تكن مضطراَ إلى فعل كل ذلك، ولم تكن في حاجه للسير كالأعمى وراء مطامع زوج ابنتك.."

يقطع (نفربرت) حديث (تحوتي) غاضباَ:

- "زوج ابنتي، أنت نطقتها، صدقني أنت نطقت بالسبب، ماذا كنت بفاعل عند علمي بأمر خيانته؟ أبلغ عنه أم أقتله..؟ لا يا صديقي، لا يمكن.. صدقني لو كنت مكاني لن تفعل سوى ما أنا فعلته".

يبتسم (تحوتي) وينادي:

- "يا حراس"

فيقوم أحد الحراس الواقفين أمام باب الحجرة بفتح الباب كما أمر كاهن (آمون) الأعظم، ذلك مَن قرر أن يقول كلماته لصديقه السابق.

- "عمومًا (سني) كان مجرد ستار لك، وستار لحقودك على الأشراف يا صديقي السابق"

يقولها ويخرج من المكان، ومع غلق الباب يترك (نفربرت) في بحر من الذكريات القديمة بين جنبات قصر طيبة، في يوم معهود في تاريخ الأشراف هو يوم عرس (سقنن رع) على (اعح حتب) ويتذكر ذلك اليوم جيدًا، ليس تلك التفاصيل المصاحبة للعرس، بل تفاصيل أخرى بعد انتهاء العرس، في ساحة القصر ، عندما رأى (سني) جالسًا أرضًا، ثملًا، باكيًا، نادمًا على ضياع حبه غاضبًا من زواج (سقنن رع) من حبيبته، ملأ كأسه ببعض من الخمر وتناوله في جوف جف من الحزن، مالئًا جرح لن يلتئم.. جرح القلب، اقترب (نفربرت) من موضع جلسة (سني)، فنظر له (سني) بعينين متسائلة عن مراد (نفربرت) منه، ابتسم له (نفربرت) وقال له:

- "ما بك يا (سني)؟ أنت انهارت من أول صدمة؟ استسلمت بكل بسهولة؟"

- "ماذا تريد منيبي....يبيبي.. يا مديييييير القصر؟"

قالها (سني) محاولًا استجماع قواه مما تملكته من الثمالة، فضحك (نفربرت) ضحكته المعتادة ثم جلس بجانب (سني) وتناول منه كأس خمرته، تجرع منه ما تجرع، وقرر أن يخبره بما حمل في قلبه من غضب:

- "أتعرف يا (سني)، لو فعلت مثلك لم أكن وصلت لمكانتي الآن، لم يكن منصبي مدير القصر، يوم ما اختار حكام البلاد الأشراف لحكم طيبة (نفرو) و(سننا) والدي (تيتي شري) بديل لجدي الراحل، عندما غضبوا عليه، وقرروا تغييره، أعالم جدي كيف مات يا (سني)؟"

لوح (سني) بيده مستنكرًا حديث (نفربرت)، فهو عالم لتلك الأمور كما يعلم باقي سكان طيبة.

- "ط..ي..بة بأكملها عالمة بذلك يا (نفربرت)"

- "أتشعر بمعنى أن تتربى تربية الحكام والأغنياء وفجأة تطرد من ذلك الأمر لمعيشة مغايرة تمامًا؟ أتفهم معنى أن والدك بعد ما كان يعامل كولي عهد لحكم طيبة ويتحول فجأة لمجرد فلاح بسيط؟ أتدرك معنى أن كل يوم وأنت في السوق تنظر لبيتك القديم؟ قصر طيبة به أناس غيرك قاطنين به"

- "إلام تريد أن تصل من كلامك؟ أنا لا طاقة لي في سماع كلام كثير الآن، اما تبلغني بما تريد.. او تتركني في أمري".

قالها (سني) آنذاك وهو غاضب، حاول أن يقف من مكانه، ولكنه سقط أرضًا، ما أثار سخرية (نفربرت) منه واستكمل حديثه السابق:

- "أنصت يا (سني).. في القدم عندما كان فرعون البلاد يريد أن يعزز قوة حكمه كان يحاول كسب تأييد كل العائلات الملكية الحاكمة لإمارات مصر، والقرب من أمراءها الحاكمين للإمارات المصرية، لو نجح فذلك الأمر ضمن قوة حكمه للبلاد، ولو فشل يكتب أول سطور في مصير فشله، أنا أعلم أنك لن تفهم كلماتي، لأنك مجرد ابن لفلاح بسيط من فلاحين طيبة، لكن هعرض عليك أمر، أتمنى عدم رفضه"

بدأ (سني) المحاولة في الانتباه لحديث (نفربرت) الذي استطرد في كلمات عرضه..

- "انت عمدة طيبة وأنا مدير القصر، انت تعبت لكي تصل لذلك المنصب، وأنا شقيت وحاربت حتى أصبحت بمكاني في القصر، ضع يدك في يدي، إجعل من شأننا أن ننشئ طبقة جديدة في طيبة، طبقة القوة والتحكم في كل شئون الإمارة، لنصبح العائلة المسيطرة على كل شيء في طيبة، نتوسع في نفوذنا ونفوذ عائلتنا في كل المناصب، حتى يأتي اليوم المناسب، وتنفذ انتقامي لعائلتي وانتقامك من (سقنن رع)، حتى تأتي الفرصة المنتظرة لكسب حقنا الشرعي في حكم طيبة".

فتساءل (سني) في لهفة للإنتقام وهو قابض بيده على كف (نفربرت)"

- "وكيف ذلك؟"

- "تتزوج ابنتي، نخلق تحالف جديد بيننا"

قطع خلوة وأحاديث الاثنين اقتراب خطوات شخص مرتدي زي الكهنوت الأبيض، ثم نادى:

- "صديقي (نفربرت) والعمدة (سني) يحتفلون بعد العرس من دون وجودي؟"

فإبتسم نفربرت ناظرًا لصديقه (تحوتي) قائلًا:

- "يا (تحوتي) نحن فعلًا نحتفل لكن ليس بعرس مولاي (سقنن رع) ومولاتي (اعح حتب)"

- "أفرحوني معكم وضموني للاحتفال، لكن أعلموني بما تحتفلون أولًا".

قالها (تحوتي) وهو واقف أمام موضع جلستهم فضحك (نفربرت) ضحكته المعتادة ثم أعلن عن سبب احتفإله:

- "بنحتفل بخطبة (سني) على ابنتي يا صديقي الكاهن"

صُدم (تحوتي) في بادئ الأمر، ولكن مع جمود ملامح وجهه لم تكتشف آنذاك مكنونات قلبه من قلق من ذلك الأمر، ما أقلقه من عائلة نفربرت قد توسع نفوذها بالمدينة، فبنسب الاثنين أصبحت

مقاليد الأمور كلها بين يدي أهم اثنين، عمدة المدينة (سني) المكسور قلبه ومدير القصر (نفربرت) مَن بقي من عائلة الحكم السابقة لطيبة......

تقطع قطرات الذكريات برأس (نفربرت) مع فتح باب الحجرة من قبل حراس السجن، ليرى نفربرت شراشف فستان ملكي، يعتلي بنظراته ليرى مَن هي صاحبة الفستان، آخر شخص توقع مجيئه إلى ذلك المكان، سليلة الأشراف (نفرتاري)، تدخل وتشير بأناملها للحراس فيغلق الباب بعد أن يتبقى حارس معها داخل الغرفة وتبدأ بذلك السؤال حديثها، ما جعلها تأتي إلى ذلك المكان بالأساس:

– "مَن بكم من كان مع زوجي (كامس) يوم مماته؟"

لا يجيب على سؤالها أحد، فتنظر إلى الحارس، ويخرج سوطه ويبدأ بالضرب على أوجه الأربعة (نفربرت) و(وازد) و(خيان) و(سوسرن)، ولكن بلا إجابة.

– "تمام.. إبدأ بـ(نفربرت)".

تقولها (نفرتاري) ليخرج الحارس سيفه من غمده، ويقرر أن يرفعه إلى الأعلى وينفذ أمر مولاته، أمر الموت لنفربرت:

– "أنا"

يقولها (خيان) خوفًا على حياة والده، ولا يعلم ما تريد من سؤالها، ولكن إجابته كانت كفيله لوقف أمر سيف الكوبيش من التنفيذ،

تقرر نفرتاري في إلقاء سؤالها التالي:

- "أريد معرفة معنى الكلمات ببرديات (سني) فيما يخص أمر (كامس) والدفع بـ(كامس) إلى أمره المحتوم"
- "ما الذي تودين معرفته بالتحديد يا مولاتي؟"

يقولها (خيان) خائفًا مرتجفًا من ردة فعل (نفرتاري) من حديثه:

- "أريد معرفة كيفية خداعكم لزوجي.. (كامس) ما كان ينخدع بسهولة، أريد معرفة كل شيء"
- "أنا سأخبرك بكل شيء يا مولاتي، كل ما حدث لكن أرجوكي إبقي على حياة والدي مهما كان كلامي سيغضبك مــ...."

يقطع (نفربرت) بعصبية كلمات ابنه:

- "أصمت يا غبي، لا تتحدث"
- "إسمعي جيدًا ما سأقول"
- "قلت أصمت"
- "تبدأ الحكاية كالآتي..."
- "خيان قلت لك أصمت"
- "في يوم قرار الهجوم على منف.."
- "أصمت"

- "لم يعد يفيد الصمت يا أبي، لم يعد يفيد"

يقولها (خيان) ليصمت والده.

- "اكمّل"

تقولها نفرتاري ليبدأ (خيان) في السرد في ما دار منذ أربعة أعوام سابقة لتعلم مصير زوجها الراحل الذي جعلها الآن أرملة (كامس).

****

أسماء زاد

٣- مصير كامس:



في ذلك الزمان عندما كان (كامس) بتحالفه مع أمير أسيوط يتحكمون بنصف البلاد، عندما أمسى تحالفهما قويّا في صد غارات الخاسوت على مصر السفلى، محققين بذلك الحصن المنيع القريب من منف، ما يتوسط الطريق بين (منف) وبقايا العاصمة القديمة (اتيت آوي)، ما جعل عام ونصف العام يمضون في حروب بين التحالف الجديد وجيوش الخاسوت، وما أثمر ذلك عن رواج تجارة تعد من أخطر التجارات وهي تجارة الموت والسلاح، وأصبح تجار وصانعي تلك الأسلحة يكسبون مكاسب جيدة من الجانبين، فهم يبيعون السلاح ويصنعون العتاد لجيش المملكة من الخاسوت، وفي الجهة الأخرى

يبيعون السلاح ويصنعون العربات الحربية لجيش التحالف، وذلك الرواج ما زاد من الطلب على الذهب في البلاد، ذلك المعدن النفيس الذي بدأ يقل في الأنحاء ويزيد ثمنه بعض الشئ ومع زيادة الطلب من بلاد الكوش بدأ الثمن في الازدياد.. هكذا كان الأمر، أمر بدأ يقلق حاكم البلاد في أواريس، وأيضًا يقلق كامس وأمير أسيوط، من كانا جالسان في قاعة اجتماعاتهم بالحصن المنيع يتباحثان شئون الحرب التي ما زالت دائرة على مدار العام، وعلى مائدة الإجتماعات، تمتد خريطة تميرا، ما تحوي أنحاء مصر الممتدة، وخصوصًا موقع الحصن المنيع، ما به بقواتهم متمركزون، ومدينة منف، ما بها من قوات الخاسوت أصبحوا متمركزين حول العلامات الموضحة لتمركز قوات التحالف في الحصن وحوله، وموضع رموز أخرى ممثلة لقوات الخاسوت بمنف وما حولها، طرح (كامس) ذلك السؤال على شريكه بالتحالف:

- "يا أمير أسيوط.. حتى متى سيأتي لهم الإمداد بالجنود والجيش من شعوب فينيقيا وفنخو؟"

تنهد أمير أسيوط لأنه لا يعلم متى ستكون نهاية تلك الحروب على حدود ما استولوا عليه من أراضي، فاضطر (كامس) إلى الإجابة بدلًا عنه:

- "أنظر يا صديق والدي الراحل، أعتقد أن الإجابة على السؤال لن تكون معلومة، لكن هناك سؤال أهم في الحسبان.."

قالها (كامس) ليصمت قلقا من طول فترة الحرب، وعن إمكانية

مواصلتهم محاولات الصد للأعداء، فيقرر أمير أسيوط الحديث مع مَن أصغره سنًّا:

- "إلى متى سنظل صامدين في وجه الخاسوت؟"

جلس (كامس) على مقعده أمام مائدة الحرب، وبدأ أمير أسيوط في الاستطراد لحديثه السابق:

- "سنظل صامدين حتى أن يُقر الخاسوت بإعلان فشلهم في كسر التحالف يا (كامس)، تلك الإجابة التي كان والدك (سقنن رع) سيقولها لو هو موجود معنا الآن وليس في أرض الموتى".

- "أتظن أن شعوبنا ستصمد حتى توقيت إعتراف الخاسوت بهزيمتهم منا؟"

دخل حاجب القاعة إلى الأميرين (كامس) و(نخت) أمير أسيوط، فأذنا له بالحديث:

- "السيد (سنحيو) يريد الإذن في اللقاء".

أومأ (كامس) رأسه بمعنى الموافقة، فينادي الحاجب:

- "السيد (سنحيو) في حضرة جلالة الأمراء.."

دخل (سنحيو) إلى المكان بإبتسامته الخبيثة المعتادة وبعد إلقاء التحية، سمح له بالجلوس على مقعده بالقاعة أمام الأميرين..

- "لقد طلبتما مقابلتي منذ أيام يا جلالة الأمراء"

قالها (سنحيو) في خبث، فهو على علم بسبب المقابلة..

قرر (كامس) الحديث:

- "إسمع يا (سنحيو).. توريدك للسيوف والأقواس والرماح قد تأخر علينا عن موعده المعتاد، وهذا أمر غريب لم نعهده عليك من قبل"

- "مولاي الأمير، جلالتكم على علم بأن هناك أزمة الآن في المعادن بالبلاد، وخصوصًا الذهب يا مولاي، والذهب هو العنصر الرئيسي في تجارتنا بالأخشاب من بلاد الشرق، الذهب مقابل الخشب اللازم لصنع الأقواس والرماح والعربات الحربية، وأنا لا حول لي ولا قوة، فأنا مجرد تاجر جلالة الأمير"

في تلك اللحظة قرر (نخت) أمير أسيوط الحديث مع التاجر اللئيم:

- "(سنحيو).. قل ما تريد؟"

- "ذهب أكثر مولاي، الأمر متوقف على الذهب جلالة الأمير (نخت)"

- "أنت تعلم جيدًا يا (سنحيو) أن الذهب المتوفر الآن غير موجود إلا ببلاد الكوش، ونحن لن نقدر نوفر لك الذهب الممكن في الوقت الحالي، لا بد من وجود حل آخر يا (سنحيو)، ولا أوامر (أبوفيس) لك فقط هي ما تنفذ دون مقابل من الذهب؟"

هنا ارتسمت ملامح القلق على وجه (سنحيو) فيما سمعه من

(نخت)، فهو بذلك على علم بما ورّده (سنحيو) من أسلحة إلى جيش الخاسوت، حتى دون مقابل من الذهب.

- "إياك والظن أني لا أعلم بأمر تجارتك مع الخاسوت يا (سنحيو)"

حاول (سنحيو) أن يبحث عن كلمات مناسبة للخروج من مأزقه أمام (نخت) و(كامس)..

- "مولاي أنت على علم ببواطن الأمور وظواهرها، وأنت تعلم أني لا أقدر على عدم إطاعة أوامر الملك (أبوفيس)، فعائلتي تقطن بأواريس وأنا أخشى على أسرتي من بطش الخاسوت، وخصوصًا جماعة الإله (ست)".

هنا الصمت دار في القاعة بين ثلاثتهم، فـ(سنحيو) أجاب بكلمات لا يوجد لها رادع، والذهب لم يمتلكه الأمراء في ذلك الزمان، والحلول لم تعد تتواجد بالمكان، فقرر (نخت) أن ينهي ذلك الجدال عديم الجدوى بعبارته التالية:

- "المقابلة انتهت يا (سنحيو)، وسنبعث في طلبك بعد أيام".

قام على إثر الكلمات من مضجعه للمغادرة تاركًا الأميرين في حيرة من أمرهما، كيف سيوفران المراد لعتادهم، ذلك المعدن الأصفر، فقرر كامس قطع الصمت الذي خيّم لساعات على الأميرين في القاعة، وأتى بمناداة الحاجب، الذي أتى مسرعًا على طلب مولاه:

- "إجمع لي قادة الجيش أيها الحارس"

خرج الحاجب إلى الخارج باحثًا عن مراد الأمير (كامس) الذي سأله (نخت):

- "في ماذا تفكر أيها الشاب؟"

- "ستعرف يا صديق والدي بعد لحظات"

أتى المطلوبون لمقابلة (نخت) و(كامس)، أتى (نشئ) قائد الجيش الذي أصبح قائدًا لجيش التحالف، ومعه (خيان) و(سوسرن) وقائد جيش أسيوط والكاهن المرافق للأمير (كامس)، الكاهن الشاب (منتو بن هر)، وقفوا في حضرة الأميرين وبدأ (كامس) في السؤال على الجميع:

- "من أين نأتي بالذهب اللازم لتوريد السلاح أيها القادة؟"

وقع السؤال على الجميع وقع الحجر بالماء، فلم يعلم الحاضرين كيفية إجابة الأمير الذي استطرد في حديثه لهم:

- "لم يُجبني أحد على سؤالي، حسنًا سؤال آخر.. مخزون طيبة الإستراتيجي من ذهب مدينة القفط ولىَ ومخزون الغلال والمؤن الزراعية.. هل نقدر على السحب منه لشراء الذهب من بلاد الكوش؟"

أجاب (منتو بن هر) على سؤال أميره:

- "على حد علمي يا مولاي الأمير، إن مخازن طيبة لا يوجد بها سوى ما يكفي لسكان طيبة في الستة أشهر القادمة من الغلال

فقط يا مولاي، وهذا مما ورد لي من تجار الغلال بطيبة".

وهنا ظهر اندفاع (نشئ) قائد الجيش في كلماته بالإقتراح الذي جاء:

- "مولاي الأمير (كامس) ومولاي الأمير (نخت) أقترح على جلالتكم إرسال قوة من الجيش بقيادة (مرسو) ابن جلالة الأمير (نخت) والأميرة (نفرتاري) زوجة الأمير (كامس) إلى بلاد الكوش للإغارة على مخازن الذهب بالكوش والإتيان بما نحتاجه من الذهب".

غضب (نخت) من حديث قائد الجيش واستنكر ذلك الاقتراح:

- "هذا اندفاع يا (نشئ) وسنفتح على أنفسنا جبهتين للحرب في آن واح،د في الشمال بمنف وبالالفنتين في الجنوب، وهذا أمر غير مقبول في الموقف الحالي وغير منطقي يا قائد الجيش"

- "وأنا أتفق مع هذا الرأي يا أمير أسيوط".

قالها (كامس) ليؤكد عدم صحة حديث (نشئ) السابق، وبدأ في عرض ما خطر في رأسه من تلك الفكرة الجديدة، ما جعله في الأساس عقد الاجتماع بقادة الجيش، وقف (كامس) أمام المائدة، واضعًا إبهامه على موضع بالخريطة..

- "دديسوت إحدى ضواحي منف، وأكبر مخزن للغلال في منف، هذا هو الحل للأزمة".

ومع انتهاء حديث (كامس)، استوعب أمير أسيوط الفكرة، الإستيلاء على غلال منف، لسد حاجة الأميرين، فما سيخرج من غلال سيكون

هو ما يقدم لحكام الكوش للحصول على الذهب وعليه حل أزمة السلاح مع تاجر السلاح الخبيث (سنحيو) هكذا كان الأمر وهكذا كان رأي (نخت).

- "فكرة عبقرية يا (كامس)، لكن هناك ثلاث مشكلات ستواجهنا في التنفيذ".

أشار نخت بإصبعه على الخريطة مع حديثه:

- "أولًا: الطريق من هنا حتى دديسوت مستحيل عبوره دون خسائر فادحة في الجيش لأننا لا بد نعبر حصن مدينة (منف) ونشتبك مع جيش الخاسوت المتمركز بمنف، ثم بعد الإستيلاء على منف نسلك الطريق بسهولة إلى المخازن بـ(دديسوت)".

كان إبهام (نخت) قدم على موضع مدينة (منف) ثم وصل بجانب إبهام (كامس) بموضع دديسوت:

- "ثانياَ: ما كيفية نقل الغلال يا (كامس).. بالعربات الحربية؟ صدقني لن تكفي، هذا غير أننا سنترك الجيش دون عربات كافية في مواجهة الموجات القادمة من جيش الخاسوت لاستعادة منف مرة ثانية"

ابتعد (نخت) عن موضع المائدة وهو ناظر إلى قادة جيشه مستطردًا في الحديث:

- "ثالثًا: نحن لا نعلم مخزون الغلال في تلك المخازن موجود فعلًا أم تم تفرغته من قبل الخاسوت لدواعي الحرب في الفترة

الماضية، مع العلم أن التجارة بين الشمال والجنوب مرتبكة مع حروبنا معهم"

هنا عقد (كامس) كفيه خلف ظهره كناية عن الثقة من فكرته وشرح ما في خاطره:

- "النيل.. النيل يا سيد (نخت) هو الحل، بمعنى أدق نحن لا نستطع الخروج من حصننا بكامل الجيش لأن هذا مراد الخاسوت على مدار العام السابق، وثانياَ: المخازن بـ(دديسوت) متمركزة على النيل للشحن والتفريغ للسفن، إذًا نهاجم بالسفن من النيل، على إثر ذلك سنهرب من المواجهة المباشرة مع جيش الخاسوت بمنف ونسلك المسار النهري بالنيل خلف تمركزهم ونستولي على مخزونهم من الغلال، وقبل أن يتم استيعاب الأمر في حصن منف، نرسل قوة لعمل مناوشات على أسوار منف، نكتسب بها بعض الوقت حتى ما تعود السفن من (دديسوت) محملة بالغلال"

تحوّلت ملامح الحاضرين من الحيرة إلى المفاجأة من تخطيط الأمير، ما أرّق ذهن (خيان)، فهو في عقله أراد ذلك الاندفاع للخروج من حصنهم المنيع كما كانت تعليمات (سني) له، حليف الخاسوت السري آنذاك، فحاول أن يسأل سؤالا ليجعل أميره يلغي أمر السفن فجاء ذلك السؤال:

- "مولاي الأمير كيف سنحصل على تلك العدد من السفن لما يلزم تنفيذ تلك الخطة العظيمة؟"

ضحك (كامس) ضحكة خافته منتشية وقال:

- "الموضوع بسيط يا (خيان).. سنرسل (منتو بن هر) لتجار طيبة ولـ(سني) عمدة طيبة بأمر بإرسال كل سفن التجار إلى الحصن، لكن سيبقى هناك أمر بسيط، هو إرسال مَن يتأكد لنا من مخازن (دديسوت) هل يوجد بها مخزون كافي من الغلال أم تم تفريغها.. وتلك مهمتك أنت و(سوسرن) بجنود الاستطلاع من قبائل (المازوي)".

- "ببركة الإله آمون.. موافق على خطتك أيها الشاب (كامس)"

قالها (نخت) معجباً بتفكير الأمير (كامس) وما وصل إليه من ترتيب عبقري للأمور، ثم قرر أن يصدر أمراً لـ(نشئ):

- "(نشئ) جهز الجند والسلاح للأمر الجديد، وكل فرد كلف بمهمة يبدأ في تنفيذها".

بدأ الحاضرين في التحرك من القاعة حتى جاء أمر مناداة (نخت) لـ(منتو بن هر) قبل مغادرته:

- "(منتو)"

توقف المدعو منتظراَ لأمر (نخت) الذي سأل:

- "تحضير السفن كم من الوقت سيحتاج؟"

- "أسبوع يا مولاي"

أجاب (منتو) على (نخت) بعد بضع لحظات، هنا نظر (نخت) إلى

(كامس) مقتنعان الاثنين بأن المدة كافية لتحضير الجيش لتلك اللحظة الجديدة، وكافية لجنود الاستطلاع للبحث في أمر ما يوجد من غلال في مخازن (دديسوت).

- "أعتقد أنها مدة كافية يا (كامس)"

أومأ كامس برأسه مؤكدًا على حديث (نخت) سعيداً بخطتهما الحديثة، على عكس (خيان) و(سوسرن)، اللذان كانا يفكران فيما هو قادم، هل سيبعثان لـ(سني) فقط أم يكتفيان بما سيرسل (سني) لهما من تعليمات، تذكر (خيان) تعليمات (سني) الأخيرة له بحتمية خروج (كامس) من حصنه المنيع إلى أسوار مدينة منف، لا يعرف ما سيقوم بعمله في تلك اللحظة، وهنا لأول مرة قرر (خيان) أن لا يرسل خبراَ عن التطورات في الحرب، كما هو معتاد، بل قرر أن يصدر أمراَ لـ(سني)، لأول مرة أرسل (خيان) تعليمات مع رسوله إلى (سني) بطيبة، فقد دوّن في برديته المرسلة كل تفاصيل الخطة، وما قرر الأميرين (كامس) و(نخت) وأمره بضرورة إرسال الأمر إلى الحلفاء من الخاسوت، وضرورة تجهيز مكيدة حربية، تمركز الجيش الخاسوت حول مخازن (دديسوت)، حتى تكون الفرصة مواتية للقضاء على الأميرين معًا، وعندما وصلت البردية إلى العمدة (سني) في ذلك الوقت، قرر إرسال الأمر في سرعة إلى الحلفاء، أرسل برديته إلى العجوز رئيس الجماعة آنذاك في أواريس، من أخبر ملكه (أبوفيس) بالأمر في مضجعه الملكي، الذي جعله يجلس على كرسيه الذهبي مبتسمًا مقرراً أمرَا جديدًا في مصير إبن (سقنن رع) الراحل، وكانت أوامره للعجوز

ولرئيس جيش الخاسوت (الفينيقي):

- "أرسلوا قواتنا إلى (دديسوت) في الحال إلى مخازن الغلال، دون دراية لذلك الأمر لقواتنا المتمركزة في مدينة (منف)"

كانت تعليمات ملك الخاسوت واضحة، وذلك خوفًا من أن يتسرب الأمر لأعدائه بحصنهم القريب من (منف) لتحقيق ذلك الأمر ووضع نهاية لذلك التحالف.. تحالف المتمردين عليه..

****

يتوقف (خيان) عن السرد بما حدث في تلك المعركة السابقة منذ أربعة أعوام معركة (كامس) الأخيرة..

- "لِمَ توقفت عن الحديث؟ أكمل يا خائن مولاك"

تقولها (نفرتاري) غاضبة، فلا يلبي خيان أمرها بل يتحدث الآخر:

- "دوره حتى تلك النقطة قد انتهي يا مولاتي وما بعد ذلك يخصني أنا يا مولاتي"

يقولها وازد نائب قائد جيش طيبة السابق قبل خيانته لأهلها.

- "أكمل يا وازد"

فيجيب على سؤال مولاته الأول في حديثهم عن ما كان دورهم في الدفع بـ(كامس) لمصيره.. بدفعه للموت!

- "التخطيط يا سيدتي كان من نصيبي أنا.. كيفية التنفيذ..."

يقولها وازد وتبدأ الذكريات في الحضور إلى ذهنه لتلمع عيناه

بالدموع، يسترسل في الحديث بذلك الصوت المصحوب بحشرجة ليكشف التفاصيل.. تفاصيل الدرب.. درب الخيانة.

****



٤- مصير الخيانة:

(وازد) نائب قائد الجيش، مَن لم يحضر إجتماع قادة الجيش مع الأمراء آنذاك لإنشغاله بترتيب الجيش، علم بشكل رسمي للخطة الجديدة التي تخص مخازن (دديسوت) بمنف من (نشئ) قائده وقائد الجيش، وعلم بشكل شخصي من (خيان) نسيبه، وشريكه في شبكة الخيانة، ما أنشأه (سني) و(نفربرت) سوياً، أخبره بما قرر وأرسله لـ(سني)، وأخبره بما طلب منه من الأمير (كامس) فيما يخص جنود الاستطلاع لمعرفة ما تحتويه مخازن الغلال في (دديسوت)، ورتب وازد كل شيء، فيما كُلف بمهمة الاستطلاع من الجنود، وما أقنع به (نشئ) في ترتيبات الحملة على (دديسوت).

****

الليل ذو سماء مليئة بالغيوم قليلة النجوم، ما رآه (كامس) من على سفينته بمجرى النيل، في طريقه إلى (دديسوت)، تلك التي تقع بعد أسوار (منف) من طريقه، يقترب التحالف بالسفن من أسوار منف، لم يشك حراس الخاسوت في (منف) بأمر السفن البتة، واصلت سفن (كامس) و(نخت) طريقهم، شقوا صفحات مياه النيل، حتى وصلوا إلى (دديسوت)، انحرفت السفن يسار مقدماتها، حتى اقتربت من مرسى السفن للمخازن، كانت السفينة الأولى رست أمام الممر الخشبي، المصنوع مخصوص لنزول عمال المخازن، ولتحريك الحمولات من وإلى بوابة المخازن الرئيسية، نزل جنود التحالف

بأوشحتهم الحمراء التي تغطي وجوههم في حذر، عشرة جنود يتسللون على الممر بخطوات خفيفة الصوت، خمسة منهم حاملي أقواس وساحبين الأسهم في وضع الاستعداد لظهور أي جندي من جنود الخاسوت، وخلفهم الخمسة الآخرين شاهرين سيوف الكوبيش في مواجهة السيوف الفينيقية المائلة، يقتربون من نهاية الممر الخشبي مقتربين من الشاطئ، تاركة أقدامهم آثارها على رمال الشاطئ، باحثين حولهم مرتقبين أي من حراس الخاسوت بنقبهم السوداء، أو حتى يلمحون ترس من تروسهم، فلم يجدوا.. اقترب (كامس) هو و(نخت) بسفينتهم من الشاطئ ، مرتدين دروعهم الكتانية المُزيّنة بالقطع المعدنية على عضلات الصدر، عدَّل (نخت) تاجه المزينة برأس الأفعى ويشير بيده الإشارة المُتَّفق عليها، نزل الجنود العشرة الآخرين بأمر وازد نائب قائد الجيش، ولكن بالماء، ذلك الذي جاء مستواه يغطي عضلات أسفل الركبة، وصلوا بآثار أقدامهم إلى الرمل خلف زملائهم، فأصبحت الحملة عشرون، عشرة مشدودة أوتار أقواسهم وخلفهم بفارق خطوات عشرة شاهرين سيوفهم، و(كامس) واقف فوق سطح سفينته مراقبَا لوصول الجنود لبوابة المبني الرئيسية، منتظرَا الاشتباك، مفكرَا في أمر خطته وما بها من تفاصيل أخرى تخص (نشئ)......

مَن خرج ومعه ثلاث فرق.. فرقة مشاة وفرقة تحمل الرمح وفرقة تحمل الحربة متسللين في الزراعات، ما يميز الأراضي المحيطة بمنف، مختبئين بين النباتات، فلا يستطيع حراس الخاسوت أعلى أسوار منف رؤيتهم وبالقرب من نهاية الأراضي الزراعية، توقف (نشئ) ونظر إلى (خيان) المتواجد بالخلف مع فرقته رماة الأقواس، رفع خيان ذراعه

بالهواء، فقام الجند بإشعال السهام، ومع توسط ذراعه بالهواء، شدت أوتار أقواسهم، وعندما نزلت يده إلى جانبه، أرسلت سهامهم في الهواء عالياَ، تلك الأقواس المعدلة عن سابقتها مثل أقواس قوات الخاسوت أنارت السهام بنارها سماء منف، مما جعل الحراس أعلى أسوار منف ينتبهون ولكن بعد فوات الأوان بدأت نزولها على الأسوار، ما رآه (نشئ). بدأت النيران تشتعل بالأسوار مُتسببَة في هرج ومرج من قبل حراس الخاسوت على الأسوار والسيل الثاني من أسهم التحالف كانت نيرانها تلتهم حراساً على الأسوار ما جعل بوابة المدينة تفتح، لتخرج فرقتين من المشاة بعربات حربية تعد خمسة من الخاسوت، مع عدد المائة جندي الخاسوتي المكونين للفرقتين، هاجمين على المتخفيين بالنباتات بالأراضي الزراعية، استعد مشاة التحالف والحرابين للهجوم، أشار (نشئ) بإشارة البدء بالهجوم ومعها انطلقت صيحات جنود التحالف راكضين فقابلوا الخارجين من منف، ومع الركض توقف مشـاة الخاسوت والعربات الذين ولُّوا أدبارهم عائدين لبوابة منف.....

وفي تلك الأثناء كان (كامس) و(نخت) واقفين مع جنودهم من المشاة والرماة ما وصلوا إلى السرية بأكملها من ألف جندي، بفرقها المكتملة من مشاة ورماحين وحرابيين حتى فرقة العربات الحربية ما سيحمل عليها الغلال، ولكن لم يتواجد أي جندي من حراس الخاسوت على البوابة التي كُسِرت من قبل جنود التحالف ما جعلها في

اللحظات الماضية مفتوحة على مصراعيها لمبنى المخازن، الأمر الذي جعل كل من (كامس) و(نخت) قلقين مما رأياه مِن خلوّ المكان من قوات الأمن الخاصة بالمخازن، وخلف البوابة الرئيسية للمبنى لم يتواجد حينئذٍ سوى الظلام.. الظلام الدامس، دخل جندي بشعلته في المبنى الدائري فرأى (كامس) و(نخت) آخر ما كان متوقع...

والتوقع بخروج جنود الخاسوت بعرباتهم الحربية من بوابة منف كان أمر معلوم لدى (نشئ)، ولكن خروجهم مرة أخرى أوقفه وأوقف جنوده من التحالف، فما لا يفهمه لِمَ الفرار من الحرب، ثوان معدودة وكان هناك هجوم آخر من الجانبين، يمين ويسار قوات التحالف بأربعة فرق يمنى وأربعة أخرى يسرى، أولئك من خرجوا على قوات (نشئ)، يميناً فرقة مشاة وفرقة حرابين وفرقة عربات حربية ويساراً كذلك وخلف الفرق الراكضة، إنقضت فرقتي (الرماحين)* الخاسوتية على جنود التحالف المتواجدة بالمنتصف.. حاول جنود التحالف تفاديها بتروسهم لتخترق منها ما اخترق التروس واخترق منها ما اخترق الدروع بالأجساد لجنود التحالف...

وعلى الجبهة الأخرى بـ(دديسوت) وقف (كامس) و(نخت) على مشارف المبنى، داخله ببضع خطوات من البوابة الرئيسية للمبنى، ما كان يدور به جنوده بمشاعلهم باحثين عن الغلال تلك التي جاء على لسان (خيان) له، إنها ممتثلة على آخرها حسب ما علم ورأى جنود

استطلاعه، أكان هذا كذبًا.. أم خيانة له؟ كما كان يفكر (نخت) آنذاك.. بحث (نخت) وقتها عن (وازد) الذي كان من المفترض أنه قد نزل معهم من سفينته منذ دقائق.. لم يجده، بدأ (كامس) في استيعاب أن (وازد) و(خيان) قد خانوه، ولكن (وازد) كان قد قفز في ماء النيل فارًّا إلى حصن التحالف المنيع متذكرًا ما رُتِّب من قبل في الأيام القليلة الماضية، فعندما عاد جنود الاستطلاع لـ(خيان) لإخباره بأن المخازن فارغة، ما كان منه سوى الذهاب بهم إلى قائده في التسلسل الوظيفي بالجيش، كان (وازد) على شاطئ النيل بجانب حصن التحالف المنيع، وهناك كان منتظرًا (وازد) و(سوسرن) للجنديين، وعندما أخبروهم بحقيقة المخازن سأل وازد ذلك السؤال:

- "أَعلِمَ أحدٌ بذلك؟"

ولما كانت الاجابة بالنفي، فكان رده بكلمة (عظيم) هي الإشارة المتفق عليها بين الثلاثة الأقرباء (خيان) و(سوسرن) وأكبرهم (وازد)، فاخترقت سيوفهم أجساد الجنديين وتخلصا منهما في مياه النيل الذي كان يتعكر هادئًا أثناء سباحة (وازد) في هروبه إلى الحصن الذي تحصَّن به (سوسرن) كمسئول عن شئون الحصن لحين عودة الجميع كما كانت الخطة الموضوعة من (وازد) لترتيبهم بالحرب، ذلك الذي اقترح خروج (خيان) معه على أسوار منف.. (خيان) الذي كان يهرول بين المزارع عائدًا إلى حصن التحالف المنيع، كما هو متفق عليه في خطة الهروب وذلك لهجوم جنود الخاسوت على قوات التحالف أمام بوابات منف.. ذلك القائد الذي كان يصول ويجول بسيف الكوبيش

الفضي اللون.. قد تلوّ ن سيفه بدماء رقبة جندي خاسوتي وفجّر الدماء من صدر من جاء خلفه منخفضًا أرضًا متفاديًا ضربة من أمامه قاطعًا ساقيه بانحناءة سيفه الكوبيشي.. ولكن هم أكثر من جنده الصرعى أرضًا...

على عكس (كامس) و(نخت) اللذين كانا واقفين مع جنودهما في منتصف الصمت، وشعلات جنودهم قد وصلت إلى آخر المبنى الفارغ من المراد من الغلال.. لحظات وقد بدأت مشاعل أخرى في الاشتعال تدريجيّا مع الدوران الممثل للبناء حتى ظهر من هم أصحاب المشاعل.. إنهم قوات جيش الخاسوت المختبئة داخل المبنى.. تلك هي المفاجأة.. وخارج المبنى بدأ هجوم قوات الخاسوت على سفن التحالف المرساة على شاطئ النيل بـ(دديسوت) بعرباتهم الحربية ومشاتهم وسهام رماحيهم المشتعلة.. ما بدأ بإشعال النار في سفن التحالف وفي نفس التوقيت قد بدأ هجوم قوات الخاسوت المختبئة داخل المبنى على قوات التحالف بالمخازن، أضواء المشاعل أظهرت أمام (كامس) و(نخت) الأمور جيدًا. الأمطار بدأت في الهطول خارج المبنى وكانت رائحتها في أنف (كامس) ما أكدت أن موعد نبوءته قد حان.. إذًا فالموت محاربًا.. هذا كان قراره وقرار (نخت).. فأخرجا سيوفهما لمرادها.. دماء الخاسوت هنا دخل (كامس) المعركة عينها ببلطته الذهبية وسيفه الكوبيشي بخطوات جريئة أطاحت برأس جندي بالسيف وفتح صدر آخر بالبلطة ليجد أن جندي من قواته يُطعن بسيف جندي من الخاسوت.. ذلك الأخير الذي وجدت رأسه منتصفها موضع جيد للبلطة الذهبية مخترقة خوذته.. وجندي آخر

خاسوتي تجرّأ ونزل بسيفه الفينيقي بجسد (كامس) من الخلف، ولكن سرعة سحب (كامس) للبلطة من رأس المقتول كانت أسرع، وأصبحت بلطته في جبهة مَن جاء خلفه، فأخذ سيفه الفينيقي مع سيف الكوبيش لينزل على جنديين آخرين خلفه ثم أخرج السيفين فقطع رأس اثنين جاءا من على جانبيه و(نخت) كان يقتل جندي بأطراف ترسه المدببة وكان يقطع رأس مَن يأتي من خلفه بسيفه، ثم دار باحثًا عن (كامس) نازلًا أرضًا محتميًا بترسه وبانحناءة سيفه، أتى الجنديين أمامه من ظهرهما فسقطا على ترسه صرعى.. فألقاهم على جنديين قادمين خلفهما واقفًا، متلقيًا سهمًا غادرًا في كتفه، فصاح: (كاااااامسسسسسس)

ذلك من انتبه لمناداته بإسمه رأى (نخت) خلفه، من كسر السهم المتمركز في كتفه، وبدأ في قطع ثلاثة رؤوس لجنود الخاسوت، ركض (كامس) مخترقًا جموع المتعاركين، ضاربًا بسيفه كل مَن أتى من جانبيه، عشرات قطعت بطونهم بسيفي (كامس) في خطوات لحاقة بـ(نخت) ذلك الذي سقطت ركبتيه أرضًا واضعًا ترسه أمام جنود الخاسوت القادمين من أمام موضعه، وضاربًا بسيفه من هو قادم من خلفه، وصل (كامس) لمكان (نخت)، قاتلًا مَن أمامه من جنود.. صائحًا في جنوده:

- "اقتلوهم"

وأخذ بيد (نخت) ليوقفه، وباليد الأخرى قاذفًا بمَن يأتيه بسيفه إلى مصرعه قتيلًا.. وقف الأميرين (نخت) و(كامس)، ظهرًا إلى ظهر

وصدريهما في وجه محاربيهم، سيف (كامس) شق البطون وسيف (نخت) أطار الرؤوس من على أكتافها ليتحركا بخطوات بطيئة أثناء قتالهم، مقتربين من بوابة المبنى.

وفي الجهة الأخرى أمام أسوار منف، كان (نشئ) القائد الشجاع، هرب بين المزارع بمن استطاع الخروج به من جنوده، بعد أن صُرع الكثير من جنود التحالف أمام بوابة مدينة (منف)، مُصاباً في ساقه اليمنى، ينظر خلفه لا يجد من جنود الخاسوت القدوم خلفه، فهم قد نفَّذوا ما طُلِبَ منهم ولم يعد يهم بالنسبة لهم مطاردتهم في الأراضي الزراعية، ذلك ما تأكد به من صيحاتهم بالنصر، ممّا جعل عينيه ممتلئة بالدموع على هزيمته، تلك التي لم يشعر بها سوى يوم وفاة مولاه العظيم (سقنن رع).

وفي تلك الأثناء كان قد وصل (خيان) و(وازد) إلى مخبأهما خارج أسوار حصن التحالف المنيع بما هو متفق، لن يظهروا سوى في الصباح، مصابين من فعل أنفسهم.

أما في (دديسوت)، في مبنى المخازن، أصبح معظم جنود التحالف داخل المبني صرعى، وصل الأميرين (كامس) و(نخت) إلى البوابة ناظرين أمامهم خارج حدود المخازن، فرأوا هطول الأمطار، ما سقط على نيران سفنهم المشتعلة لتبطئ سرعة انتهائها خلف جنود الخاسوت الواقفين منتظرين نتيجة معركة المخازن المرتبة يتوسطهم قائد الجيش (العامو الفينيقي) وعلى جانبه الأيمن (بس) الكاهن الشاب لجماعة الإله (ست) وخلفهم واقفًا بعربته الحربية ملك البلاد

(أبوفيس) ، يبتسم (كامس) حزينًا، ومع ابتسامته يقرر جندي خاسوتي ملقىَ أرضًا في جراحه أن يغرز سيفه المائل في ساق (كامس) اليسرى، وما هي إلا لحظة التي احتاجها (كامس) حتى يطير كف الجندي الخاسوتي من مكانها بساعده، فأصبح السيف في الهواء ساقطًا من ساق الأمير (كامس)، بدأ (العامو الفينيقي) في رفع أنامله للإشارة في البدء الهجوم إلى داخل المبنى على الأميرين، وما بقي من جنود التحالف، فتوقف أمره لأمر آخر من مولاه ملك البلاد.

- "أتركوهم"

قالها (أبوفيس) الذي نزل من عربته الحربية أرضًا واقفًا أمام قائد جيشه و(بس) الكاهن لتصبح وقفته مواجهة لموضع الأميرين المصابين (كامس) و(نخت)، ممسكًا بسيفيه الفينيقيين المائلين، ملتمعان بلونهما الفضي بمياه المطر، عاكسان أضواء المشاعل، والصمت من البشر، فلم تتواجد أصوات في الأفق غير صوت تآكل أخشاب السفن بنارها الغاضبة، وصوت ارتطام مياه الأمطار بأرض (دديسوت) المتلونة بدماء جنود التحالف:

- "هؤلاء المتمردين من نصيبي"

قالها (أبوفيس) بصوته العالي ناهياَ جنوده من الاقتراب من صيدهم، ليس كملك لبلاد متحضرة مثل (تميرا)، وليس كأي فرعون من فراعين مصر السابقة، بل ككبير قبيلة من قبائل بدائية تعيش بفينيقيا، قرر (كامس) و(نخت) ذلك القرار، قرارهم الأخير، أن يموتا عظيمين، أمسك كامس ببلطته وقد ناول سيفه الكوبيشي لـ(نخت) صديق

والده المتوفي.. ذلك الذي تخلى عن ترسه، نظرا لبعضهما كأنهما يتواعدان بالمقابلة في أرض الموتى، ركض الاثنان، كأميرين محاربين اصطدمت أقدامهما بالأرض، فطارت مياه الأمطار مبتعدة عن خطوات مجدهما، وركض (أبوفيس) بسيفيه، بعد أن غُرِزَت قدماه بالأرض مغتصبة طينتها قبل انطلاقه في العدو مقتربًا منهما..

قفز (أبوفيس) في الهواء محاولًا الابتعاد عن بلطة (كامس) وسيف (نخت)، وواضعًا سيفيه رأسيًا في جسدي الأميرين، لتُغرس في جسدهما، سيف في رأس (نخت) حتى وصوله لصدره، وسيف في كتف (كامس) الأيسر حتى وصل إلى مكان نبضه.. القلب.. وقف (أبوفيس) متساقطة دمائه من قدمه إثر ضربة كامس له بالبلطة، وتفور دماء (كامس) و(نخت) لتختلط دمائهما بمياه الأمطار قبل سقوطها أرضًا، فيصبح المطر أحمر اللون. (كامس) مبتسمًا متمنيًا قبل موته ملاقاة (أحمس) أخيه ليقول له أمنية واحدة قبل موته؛ أن يقضي على (أبوفيس) قبل موعد نبوءته التي تنبأت بها عرافات آمون، نبوءة المطر الأحمر التي تحققت على مرأى الواقفين.. مَن رأوا جسد (نخت) و(كامس) أرضًا ليتحقق مصير (نخت) ومصير (كامس) وتتحقق مصير الخيانة مما خططته، مصير موت كامس نسل (سقنن رع).

****

٥- مصير الأشراف:

- "هذا كل ما حدث".

يقولها (وازد) لنفرتاري مُنهيًا حديثه السابق عن ما حدث منه هو و(خيان) و(سوسرن) في خيانة قائدهم السابق وزوجها الراحل (كامس)، تتحرك ذراع (نفرتاري) وتخرج سيف حارسها من غمده، وفي سرعة تطاير الدماء على وجه (نفربرت)، ذلك الأخير الذي يصبح قلبه أليم، لرؤية ابنه الكبير.. رأسه في الهواء تطير، ما يجعله ينادي بإسمه متألمًا، وباكيًا:

- "خيااااااااااااااااان.. خيااااااااااااااااااااااان.. ابني"

تناول نفرتاري السيف لحارسها وتتحدث في كل ثقة وثبات لـ(نفربرت):

- "أنا وعدت بأني لن أنهي حياتك يا نفربرت، لكن لم أعد بشيء لحياة أولادك".

يبكي (نفربرت) من منظر ابنه بعد أن سقطت رأسه أرضًا، وجسده ملقى ببركة من دماءه بجانب (سوسرن) أخاه الذي ما زال بكاءه مستمراَ ولكن دون صوت على أخيه، ينظف الحارس سيفه من دماء (خيان) القتيل ويناول السيف لمولاته (نفرتاري) مرة أخرى، تبدأ في الحديث:

- "اسمعني جيدًا يا نفربرت.. أنا سأخبّرك.. أبدأ بمَن (وازد) زوج ابنتك الصغيرة وابن أخيك؟ ولا (سوسرن) ابنك الأصغر؟"

يبكي نفربرت وفي محاولة منه أن تعدل عن قرارها:

- "أرجوكِ كفا، إقتليني أنا ليس هما"

- "وأنت عندما قررت أن تنتقم لعائلتك، ولما وضعت نهاية لحياة والدي (سقنن رع) وزوجي، عندما قمتم بخيانته ألم تكن على دراية بمجيء ذلك اليوم؟"

تقولها غاضبة ودموعها من عينيها ساقطة وبنبرة أكثر عنفًا:

- "يجب أن تشعر بما شعرنا به أنا وأمي وتيتي شيري على ابنها وحفيدها، الآن عندما جاءك الموت لكي يختار ابنك بكيت؟ الآن لست بقادر أن تعيش تلك اللحظة لحظة واحدة من ما مر به الأشراف وما شعروا به على موت أعزائهم؟"

- "اقتليني أنا يا مولاتي، اقتليني أنا وأنهي ذلك العذاب"

- "أستختار أنت ولا أختار أنا بغتة؟"

تقولها (نفرتاري) وهي واقفة، أما المرتعبين من العقاب، (وازد) و(سوسرن) وفي المنتصف بينهما جثة شريكهما في الخيانة (خيان)، يحاول (نفربرت) أن يقترب من موضع نفرتاري ليترجاها، لتصبح رأسه عند موضع قدميها، تنزل بالسيف على رأس (سوسرن)، ذلك مَن أغمض جفنيه محاولًا البحث عن تراتيل مناسبة، تراتيل الموت، ولكن

جاء صاحب التراتيل في الوقت المناسب، مَن وضع يديه في مسار هبوط السيف ليتوقف عن تنفيذ قرار الموت، وأمام ذلك الوجه، تتوقف نفرتاري عن إنهاء انتقامها:

- "إبعد يا تحوتي"

تقولها (نفرتاري) ناهية.

- "ليس الآن يا مولاتي، أحتاجك في أمرٍ جلل"
- "ليس هناك أمر أهم من موت الخونة"
- "إنه بخصوص الأمير أحمس"

يقولها (تحوتي) ما جعل الأميرة تسقط سيفها أرضًا بجانب رأس (نفربرت) الذي حمد الآلهة عما حدث، وعن تدخل (تحوتي) في ذلك التوقيت ، الذي دخل قبل لحظات للغرفة راكضًا واضعًا جسده أمام سيف القرار، تهمّ (نفرتاري) في الخروج قلقة خائفة على مصير أخيها، وخلفها (تحوتي)، من نظر إلى صديقه السابق بنظرة لا يفهمها سوى الأصدقاء، ما جعل (نفربرت) ينظر له شاكرًا لما فعله، وفي الأروقة تخطوا (نفرتاري) بخطوات هائمة، لا تعلم ما ستلاقيه، هل سترى (أحمس) أخاها في القاعة الملكية بالقصر الطيبي، تصل هي و(تحوتي) إلى باب القاعة التي يفتحها الحراس أمامهما، لترى بالداخل (اعح حتب) والدتها، مَن على عرشها واقفة، ناظرة إلى (مس) و(منتو بن هر) و(ابن ابانا) و(ابن بنخت) و(تيتي شري) بجانب باب القاعة لا تستطيع حتى أن تهم بمغادرتها من هول الموقف.. موقف لم تكن

تتوقعه مثلما توقعته ابنتها (اعح حتب) التي كانت غير مصدقة لما قاله (مس).

- "لا أنت تكذب..هه؟ ابني سيأتي الآن، هو هنا بالتأكيد.. أليس كذلك؟"

تقولها وتخرج من القاعة مهرولة في أروقة القصر، توقف الحراس وتنظر في وجوههم، متمنية رؤية ذلك الوجه المنتظر.. لا تراه.. تظل تهرول بين ممرات المكان.. حتى تصل إلى غرفته لتفتح الباب متمنية أن تراه أمام ها مثلما اعتادت رؤيته مبتسمًا لها، فهو ما كان سندًا لها في دنياها بعد رحيل زوجها وفراقها لإبنها الأكبر.. تتحدث لصورته التي وضعتها نصب عينيها مستحضرة إياها من خيالها:

- "يخبروني إنك مت، وأنا لم أصدق ترهاتهم"

تقترب منه ودموعها تهرب من عينيها، تلك العالمة بحقيقة الأمر عن صاحبتها التي وصلت لموضع ابنها.. لتتلاشى صورته من أمامها لتسقط على ركبتيها صارخة صرخة مدوية تهتز لها كل أرجاء المكان.. ذلك القصر اعتاد على رحيل أصحابه وعلى مدار سنوات، لم تسمع جدرانه صرخة مثل تلك الصرخة التي جعلت (تحوتي) على مولاته راكضًا.. ليلحق جسدها قبل سقوطه على أرض الغرفة.. غرفة الراحل.. آخر سليل لعائلة الأشراف من الذكور، كما قالت العرافات، يخرج (تحوتي) من الغرفة حاملًا (اعح حتب) التي اعترتها إغماءة وأثناء فقدها الوعي تحرك (تحوتي) بمولاته مناديًا على حراس المكان بصوته العالي يقول:

- "يا حراس .. أحضروا الطبيب فوراً"

يصل (تحوتي) بمولاته إلى غرفتها، ليضعها على فراشها وما هي إلا ثوان معدودة وكانت (نفرتاري) بجانب الفراش محتضنة يد أمها بكفيها، يصل الطبيب محاولا إفاقة (اعح حتب) ولكن بلا فائدة، فينظر إلى (تحوتي) الذي يعلم بما يريد فيخرج بـ(نفرتاري) من الغرفة ليقوم الطبيب بعمله، وفي القاعة الملكية تقف (تيتي شري) أمام (مس) ورفاقه وتأمر ذلك الأمر، أمر ملكي لا يقبل فيه الفشل:

- "أريد جثة حفيدي يا (مس)، ائتني بجثة (أحمس)"

ليخرج (مس) ورفاقة من القاعة بخطوات هائمة لا يعلم أيّا منهم كيف سيجدون ضالتهم، فأميرهم مع مياه النيل رحل، وفي طور الحياة (تيتي شري) ما زالت تأمل في الآلهة.. آلهة طيبة المقدسين.. آمون وموت وخنسو.. أن يأتوا لها بجسد حفيدها (أحمس) وأن تحضر قرابين المراسم الجنائزية له وأن تطمئن على تحنيطه بنفسها وأن يوضع معه في مدفنه.. المؤن الكافية للحياة الأخرى، وأن تضع بيديها تراتيل كتاب الموتى بجانبه، فهي تأمل أن يلحق بابنها في أرض الموتى.. تحاول أن تحبس حزنها داخل قلبها، تمنع نزول دموعها من مقلتيها، مرتقبة تلك اللحظة، لحظة اللقاء، لقاء حفيدها (أحمس)، (أحمس) المتوفي، ليكتب ما أرادته الآلهة من مصير.. مصير الأشراف.

****

٦- **مصير (بعل):**

"الاحتفال اليوم هو بأميرنا المحبوب.."

ثـ م ضحكات متعالية من ذلك الصوت الأنثوي الناعم وهي مشيرة لإحدى الفتيات التي تقترب من المائدة الملكية لمخصصة لـ(بعل) ببيت البغاء، تجلس الفتاة على ساق (بعل) وتبدأ في تقبيل رقبته، الذي يرتشف جرعة من الخمر غير مهتم بما تفعله الفتاة بأيديها في كتفه وصدره من لمسات رقيقة بأناملها لبشرته البيضاء اللون، وعلى إثر ذلك تقف صاحبة البيت مغادرة المائدة وتنظر لبقية الفتيات بالمكان نظرة هم عالمين بمعناها، نظرة الأمر، ما يجعل فتاتين أخرتين تتحركان مقتربتين من الأمير، ليجلسن واحدة على ساقه الأخرى والثانية تجلس أرضًا بجانب موضع قدميه، مع ألحان الآلات الوترية تتحرك أيادي الثلاث على ساقيه، وعلى عضلات صدره، وعلى عضلات بطنه، أما الشفاه، تتحسّس طريقها في الإغواء، باحثة عن شهوة صعبة المنال، لذلك مَن لا يرى في تلك اللحظات سوى صورة لحبيبته مَن يتمنى ملاقاتها راضية، من طلبت منه مهرًا لقلبها، وهو حققه أخيرًا، (عشتار)، ومع اقتراب الشفاه من ملامسة عضلات صدره يزداد القلب في الخفقان، ومع زيادة الخفقان، يرى الفتاة التي تُقبَل شفتاه.. إنها (عشتار).. محبوبته.. تتمنى إرضاءه.. تريد ارتشاف بضعًا من قطرات حبه.. بين شفتيه تبحث بلسانها عن رحيق الحب، ومع ابتسامتها له.. نظرة في إرادتها له.. تشتهي جسده بما به من مواضع كثيرة تعبر عن

ذكورته، عن فحولته التي دائمًا أ راد إثباتها بذلك الجسد الذي دومًا ما كان يتدارى خلف ملابسها الحريرية ذات اللون الأحمر، ينظر لما يشقّ الملبس بموضع صدرها وما يراه من ثدييها.. مَن حلم كثيرًا بالاقتراب من تلك الأشياء، التي يريد لمسها بأصابعه ويتحسس ما رسمته آلهة الجمال من إنحناءاته، ومن جسد يتدلى ثدييه في خفة ودلال.. ليعلن عن رقة صاحبتها.. (عشتار).. مَن أراد يومًا عصر فخذيها بيديه ليقبض على موضع أنوثتها ليشعر كما تمنى دائمًا بحرارته، ما جعله في قمة إثارته ليريد أن يضع يده بموضع حرارتها كاملة.. تأوهاتها ما يشعر بها في إغماض عينيها.. يتحسّس بإصبعيه جفنيها.. يشعر بتلك اليد التي تدغدغ مكان حرارته، ما يعبر عن رجولته، فيئنّ طالبًا الرفق، فمراده يحبسه في النفس منذ أعوام، لكن المداعبة تستمر ما يجعل أعصابه التي تئن وتعلن استسلامها لما أراد.. يقطع تخيلاته ذلك الصوت الذي صدر من حنجرة عشتار، تلك التي وقفت على المسرح بالمكان منذ لحظات تتغنى بكلمات جديدة على أوتارها الحزينة:

- "يا قلبي التائه.. ها قد أتى العاشق.. يا حبي الدائم.. ها قد رأيت مرادي.. يا عيني الفرحة.. املأي جفنيك بصورته.. يا أنفي المرحة.. املأي نفسك برائحته.. يا أناملي الصغيرة.. اشعري بوجوده.. إرتمي في أحضانه.. إرتشفي من خمرة آهاته.. ما صدر عن لقاءه".

يستفيق (بعل) من أثر تخيلاته وما خيله له حبه تحت تأثير خمره،

ليجد أن مَن كانت أمامه ما هي إلا مجرد فتاتين من فتيات الدار تجلسان على سيقانه، ومَن وضعت يدها على مكان فحولته فتاة ثالثة تجلس تحت أقدامه تبحث عن الهوى، تنقلب ملامح الشهوة والهوى إلى ملامح الغضب والعنف، ما جعل الفتيات تتوقفن عما كُنَّ تفعلنه من إثارة لشهوته.

- "إنصرفوا"

يقولها (بعل) غاضباً، فتغادرن ساقيه وتسحب الثالثة يدها من على موضع رجولته، مغادرات مائدته الملكية، ما جعل الجالسان بجانبه (بس) و(سني) مندهشان مما حدث، فيتساءل الأول:

- "هل صدر من الفتيات ما أزعج أمير البلاد؟"

فيجيب (بعل) محاولًا التركيز بعض الشيء في رؤية صاحبة الصوت الهادئ:

- "لا يا (سني).. أبغي سماع (عشتار)"

يبتسم (بس) ابتسامته الخبيثة المعتادة، ويُربِّت على كتف (سني)، وبصوت خافت:

- "أتركه"

فيستوعب (سني) الأمر الذي يريده (بعل) بقوة.. أن يظفر بصاحبة ذلك الصوت .

< هل هنا هو اللقاء.. هل حان ذلك الميعاد.. ما أردته من قدم الزمان.. لقاء الأحباب.. ببركة الأرباب.. في رباط أبدي.. هل حبنا سيبقى.. في قدر أزلي.. كما هو حب إيزيس لأوزوريس.. كما هو عشق إيزيس لأوزوريس.. هل ستفرقنا الأيام.. أم ستُبقنا الأقدار.. كمحبوبين في الشرق.. ومعشوقين في الغرب.. حتى لو جاءنا الموت>

كلمات تجعل (بعل) يفكر ويتساءل في نفسه: هل سينال قلبها فعلًا..؟ هل ما نفذه في أمر (أحمس) كافي لكي يظفر بقلبها؟ هل ستلاقيه الليلة لقاء الأحبة؟ وتقولها له في سعادة:

(لقد ظفرت بقلبي)

يفكر كثيرَا في تصورات عديدة لذلك اللقاء، ما كان يشغل بإله وهو يضرب بسهمه في قلب عدوه (أحمس)، وما جعله فرحًا طوال الأيام السابقة، ففي الأيام السابقة كان مشغولًا في الإعداد لحملة طيبة.. واليوم هو آخر يوم له في أواريس.. قبل الخروج قرر اليوم المجئ ليودع حبيبته.. تلك التي أنهت غنائها منذ لحظات، مغادرة إلى الداخل.. فيقف (بعل) ويتحرك باتجاه غرفة حبيبته.. فرحًا متخيلًا مع فتح الباب أنها ستنهال في أحضانه وتقول له كلمة ينتظرها منذ سنوات.. كلمة مكونة من حروف بسيطة:(بحبك).. يفتح فعلًا الباب استجابة لنقراته السابقة عليه، ليراها واقفة أمامه تنحني أمام أميرها كما اعتادت مع عبارتها المعتادة:

- "أمرك مولاي الأمير"

يبتسم (بعل) واضعًا أنامله على ذقنها، ناهيًا عن الانحناء لتعتدل في وقفتها ويقرر (بعل) الحديث:

- "أنتي على علم بأني ظفرت بمرادك؟"

تومئ (عشتار) برأسها حزينة، حزينة على نفسها فلقد نفذت أوامر كاهن جماعة الإله (ست) ولم يعد هناك أمر آخر تستطيع به مماطلة أمير البلاد عن مراده بها، هنا تحاول أن ترسم بسمة على شفاها.. لكن عضلات وجهها تأبى

- "وأنا عند وعدي لمولاي"

تقولها وهي تفك ذلك الرباط لفستانها الحريري الأبيض ورباط عنقها الدائم لينزل الستار عن نهايتها الآن، ففي تلك اللحظة تسقط ثيابها لتصبح أمام أميرها عارية، فقد حان موعد إنهاء عفتها الماضية وأصبح موعد قطف ثمار جسدها.. ما جعل الأمير بعينيه سابحًا في بحر آيات جمالها وما رسمته الآلهة من خطوط حانية حاملة أجمل ملامح الأنوثة وتضئ بأجمل ألوان الرشاقة.. يقترب الأمير بخطوته متمنيًا ملامسة ذلك الجلد الناعم.. تقترب شفتيه من عنقها ليشتم تلك الرائحة لجسد حبيبته، فيملأ رئتيه به وبأعين مغلقة يضع سبابته على ثدييها، لمراده.

- "أنا أشتهي قلبك يا (عشتار)، أنا حققت مرادك.. فهل يا تري قلبك سيحقق مرادي؟"

لا يجد لسؤاله إجابة، بل يجد ارتجافة ناتجة عن الخوف من هجومه على جسدها، فيقرر (بعل) أن ينحني أرضًا ليتناول فستانها ليغطي به جسدها العاري، وفي سعادة منه بالغة:

- "لا أريد سماع الإجابة منكِ الآن، عندما أعود من حملتي من طيبة سأسمع منك كل الكلام، لكن ليس هنا، بل في قصر (أواريس)، كزوجة أبدية لي، حتى أجعلك أميرة على جميع البلاد".

يُقبَل (بعل) وجنتها قبلة حانية، ثم يتركها في أمرها، بغرفتها باكية.. ففي أمر أميرها غير راضية، فهي لا تريد الزواج منه، ولكن أمر ولي العهد لا بد وأن ينفذ..

أما (بعل) فخرج متذكرًا أمر سابق بيوم سابق، وذلك ما حدث بينه وبين والدته (نفتيس) زوجة (أبوفيس) مَن اعترضت في بادئ الأمر على قرار ابنها (بعل) عندما ظهر الغضب والإستنكار على وجهها، وأطلقت من فمها كلماتها كالسهام في قلب ابنها (بعل):

- "أنت كيف تفكر في الزواج من واحدة تعمل هي وأهلها في البغاء؟"

فكانت عبارته لها نافية:

- "هي تعمل في الغناء وليس البغاء"

- "لا يهم، بدل أن تأتي لتفرح قلبي بطلب الزواج من أميرة سليلة لإحدى العائلات الوراثية الحاكمة لأقاليم بلادنا، أفرغت بلادنا من

ما فيها من بنات غير تلك؟ يوجد في فينيقيا أميرات في جمالهن آية من آيات الآلهة (عشتار)"

هنا ابتسم (بعل) قائلًا:

- "(عشتار) هو اسمها يا أمي، وجمالها فوق الوصف"
- "كلامك ليس شفيعًا لطلبك"
- "وقلبي الذي تعلق بها يا أمي؟"
- " حبك لن يكون شفيعًا لها أيضًا"

غضب (بعل) يومها كثيراَ وقرر أن تكون كلماته في تلك اللحظة صارمة وحاسمة لموقفه:

- "قراري استحالة الرجعة فيه يا أمي، زواجي منها هو أمر نهائي"

تحرك بعل من القاعة تاركًا والدته التي ركضت خلفه لتوقفه منادية إياه:

- "بعل.. انتظر"

قالتها له حانية:

- "حبيبي لا تخف سأحقق لك مرادك.. لكن إرجع منتصر من طيبة"

ظلت نظراته لها قلقة ليس من أمرها، فهي دائمًا توفي بوعودها، عكس والده (أبوفيس)، ذلك ما جعله في لحظتها قلقًا، خائفًا من

رفضه، خائفًا من ردة فعله. ذلك ما قرأته (نفتيس) في عينيه.. هيبة والده، فقررت أن تطمئنه فربتت بكفها على كفه المتراخي على كفها الآخر وحاولت صنع الابتسامة وقالت:

- "أمر والدك أتركه لي، لا تخف.. أنا سأقنعه"

يقبل (بعل) يدها شاكرًا تفهّمها له واحتواءها لرغبة وليدها (بعل) الذي غادر المكان تاركًا (نفتيس) في حيرتها في كيفية إقناع (أبوفيس) برغبة ولي العهد من الزواج من فتاة تغني ببيت من بيوت البغاء.

- "مولاي الأمير أترغب بكأس جديد؟"

تقطع كلمات فتاة البيت ذلك السيل من ذكريات الماضي القريب، فينتبه لجلسته في الوقت الحاضر، على مائدته الملكية بجانب (سني) ينتبه لعدم وجود (بس) على مقعده، يشير بيده للفتاة حتى تأتي له بالمزيد من الخمر ويتساءل بكلمات قلقة:

- "أين (بس) يا (سني)؟ إلى أين ذهب؟"

يتوتر (سني) لعدم معرفته، ولكن يجيب بكلمات مُنمّقة:

- "لا أعلم يا مولاي الأمير، لكنه قال لي أنه ذاهب من أجل أمر هام"

ابتسم (بعل)، فهو منذ فترة يعلم أن (بس) يذهب في ذلك التوقيت من الليل لملاقاة حبيبته، تلك السيدة السرية ، التي لا يعلم عنها شيئًا مثله مثل العديد من المقربين منه في جماعة الإله (ست)، البعض ظن

سريتها تعود لوجودها بالقصر والبعض الآخر تطرق إلى لكونها ذات شخصية خطرة فأطلق البعض على (بس) أنه على علاقة بإحدى زوجات الإله بمعبد الإله (ست)، وإذا صحّ الأمر ستكون نهايتها ونهاية (بس) لمخالفة القوانين والتعاليم، فزوجات الإله لا يمسّهن أي شخص، فهم يهبون حياتهم في خدمة زوجهم إله المعبد، أما الحراس من حوله شكُّوا في أنها زوجة لأحد المسئولين في الدولة كزوجة لوزير المملكة أو حتى ابنته، ولكن حتى ذلك اليوم لم يكن أحدًا يعلم كنهة تلك المرأة التي تجعل (بس) يركض بعربته خارج أسوار أواريس ليلًا، منفردًا دون حراسة حتى يصل إلى مزرعته الشخصية تلك التي تتوسّط مساحات شاسعة من الأراضي المزروعة لفلاحين مصريين والذي نبّه عليهم أن لا يأتي أحد بالقرب من المزرعة مساءً، ذلك ما أعلنه حراس مزرعته، تلك التي تحتوي على بيت (بس) الخارجي والذي يقطن به وحيدًا بعد وفاة العجوز وبعد أن أصبح رئيسًا للجماعة بعد العجوز ليبقى وحيدًا كما تعوّد في الأعوام القليلة الماضية وفي كل ليلة ينتظر تلك الليلة.. ليلة رؤيتها تلك التي تعرف عليها في فترة ليست بالقليلة ولكن علاقتهما تطورت في فترة وجيزة، وعلى الرغم من وجود الكثير من العوائق بالعلاقة إلا أن ذلك لم يمنع (بس) من التقرب لها وأن يعترف لها بحبه، وأن تعترف هي أيضًا له بحبها، صحيح أن هناك فارق بينهما طبقي إجتماعي، وأيضًا من حيث السن، إلا أن السيدة قررت أن تترك نفسها لما أراده قلبها، وأن تنجر معه في شلالات مشاعرها، وأن تقطن بجزيرة عشقها لذلك الشاب (بس) ذو الشخصية القوية، مَن أثبت نفسه في جماعة الإله (ست)

في وقت قصير ومَن تقرب لرئيس الجماعة السابق وأقنعه بقوته في ذكائه، حتى يسمح له بذلك المنصب.. منصب رئيس جماعة الإله (ست)، يصل (بس) إلى باب المكان ليرى عربة عشيقته متواجدة فيغادر عربته.. يفتح الحارس باب المنزل فيدخل ليجدها متواجدة فترتمي في أحضانه ويضمها إلى صدره بقوة ويُربِّت بيده على شعرها المنسدل لتسقط عباءتها، ما يخفيها عن أعين العامة وهي خارجة من مكانها هاربة إليه:

- "افتقدتك"

تقولها له وهي ناظرة إلى عينيه، ممتلكة بأناملها وجنتيه، يبتسم (بس) اشتياقًا:

- "احبك"

يقولها (بس) ليجعلها مرة أخرى متسائلة في نفسها ما الذي يجعله يعشقها هكذا؟ ما بها يجعله يحبها من قمة رأسها حتى أخمص قدمها؟ فلا تجد إجابة سوى ابتسامته الساحرة، فتقرر أن تطبع قبلة على شفتيه الشابتين وتسحبه من يديه خلفها إلى غرفة (بس) ليجلسا على فراشه، تسأله سؤالها المعتاد:

- "ما أخبارك وأنت بعيد عني؟"

فيجيب إجابته المعتادة:

- "مشتاق لكي طوال الوقت"

فتبتسم السيدة وتلقي سؤالها التالي:

- "ستبعد عني كم يوم؟"

يقف بس ويقترب من مائدة الطعام بالغرفة ويتناول كعكتين يعطي واحدة لحبيبته ويقضم الثانية.

- "أعتقد أنك ستطيل تلك المرة يا (بس)"

لا يجيب (بس)، فهو لا يعلم حقيقة الأمر، هل ستطول الأمور فعلًا في طيبة أم أن الأمر لن يتعدَّى الأسبوعين، يشرد في التفكير لبعض من الوقت، فتلاحظ عشيقته أمره فتسأله:

- "بمَ بتفكر يا حبيبي؟"

يقف (بس) شارداً ناظرًا من نافذة غرفته إلى الخارج.. إلى تلك الأسوار المتزينة بالشعلات المضيئة لحدود مدينة أواريس، يفكر في ما هو قادم، وما سيفعل، وهل ما يخطط له سيتم أم لا.

- "ولي العهد أتي بمهر حبيبته عشتار.. رأس (أحمس)"

- "كانت فكرة حلوة مني يا (بس) أليس كذلك؟"

- "نعم لكن هل نحن كنا متوقعين أن (أحمس) سيأتي لأواريس بتلك السهولة؟"

- "أليس هذا كان وعد (سني) لك؟"

- "نعم كان تخطيطه وأعوانه في طيبة ساعدوه في هذا الترتيب،

لكن الآن الوضع قد اختلف، ودافع ولي العهد للحرب على طيبة أقل لأنه جلب مهر حبيبته وهذا ما يقلقني يا حبيبتي"

تقترب السيدة من موضع وقوف (بس) أمام النافذة وتحتضنه من ظهره وتقول له:

- "أتقلق وانا بجانبك يا (بس)؟"

يبتسم (بس) في محاولة منه في إخفاء قلقه فيلتفت لها ويُقبَلها على وجنتها ويقرر أن يبدأ حديثًا مختلفًاً عن سابقه.. حديثًا من الحب:

- "عندما رأيتك للوهلة الأولى لم أكن أتوقع ولا حتى أحلم أن تكوني معي مثل اليوم، ولما صارحتك بحبي لم يكن توقعي وجود منك القبول وحتى تلك اللحظة لست بمصدق أنني قادر على لمسك بيداي"

تضحك سيدته وتجلس على فراشه وهي متناولة كأس خمرتها ترتشف منه ثم تستلقى بظهرها على الفراش وتشير له بيدها حتى يقترب منها.. يجلس على أطراف الفراش، ممسكًا بيدها ويقبلها قبله حانية:

- "عشقي لكي هو حياتي يا مولاة قلبي وعقلي"

- "قلبك ممكن أصدقك، لكن عقلك صعب أن أصدقك".

تتراجع في الفراش مبتعدة عن موضعه لتقف مرة أخرى تاركة فراشه:

- "عمومًا أنت عقلك يفكر في الجماعة.. في الحرب.. في الحكم"

- "حكم ايه؟"
- "لن نخدع بعضنا يا (بس) ولا تحاول أن تتذاكى عليّ أنا، أنت تفكر في موضوع الحكم يا (بس).. تحلم باليوم الذي ستصبح به مكانه"

يبدأ التوتر يرتسم على ملامحه وتتكون قطرات العرق على جبينه ليبحث عن زجاجة الخمر.. تقاطع بحثه بكلماتها التالية:

- "عمومًا يا (بس) أنت تعلم أن أمر مثل ذلك لا يمكن أن يتم في المملكة، لا الشعب ولا حكام الأقاليم سيقبلون في تميرا أو فينيقيا، لكن ممكن أن تكون تحت (بعل) متحكم في كل الأمور، الحكمة تخبرني بذلك"
- "صدقيني يا حبيبتي، عمري ما أحلم بحكم لأني كل ما أتمناه أن يصبح حبنا في النور ليس في الخفاء"
- "وأنت تعلم أيضًا أن ذلك لن يتحقق غير في وجود (بعل) في الحكم، وهذا هو الحل الوحيد يا (بس)"

دقات الحارس على باب المنزل ، يذهب (بس) مسرعًا إلى الباب فيقول للحارس:

- "تكلم أيها الحارس؟"

فتأتي كلمات الحارس من الخارج:

- "مولاي.. إن الأمير (بعل) هنا ويريد مقابلتك يا مولاي الكاهن"

يرتبك (بس) ويقول لحارسه:

- "انتظر"

يركض إلى غرفته وينظر لحبيبته نظرة هي تعلمها جيدًا وعلى إثرها تخرج من الغرفة تركض إلى باب المنزل الخلفي وترتدي عباءتها لتتوارى ملامحها عن الأنظار، تفتح الباب وقبل أن تخرج تنظر لحبيبها فيومئ لها ليطمئنها، تغلق الباب وهي خارجة ومع خروجها يفتح (بس) الباب الرئيسي لمنزله، ليظهر (بعل) واقفًا ليقابله (بس) الذي ينخفض بجسده أرضًا كتحية له فيدخل (بعل) مسرعًا، محاولًا البحث عن ما بالداخل، ولكن يحاول إخفاء نيته بعبارته:

- "أهكذا تتركني في الاحتفال وتعود لبيتك يا كاهن جماعتنا العظيم؟"

يبتسم (بس) لأنه في تلك الأثناء ومع دخول الأمير، أصبحت سيدته تركب عربتها مغادرة المكان عائدة إلى (أواريس)، يجلس (بعل) على مقعد بالمكان ويتحدث متسائلًا:

- "يا ترى ما الذي يجعلك تترك الأمير في الاحتفال وتعود لبيتك في عجلة من أمرك يا (بس)؟"

يجلس (بس) على المقعد المقابل لمقعد أميره، ويتحدث مستغربًا:

- "ويا ترى يا مولاي ما هو سبب الاحتفال؟، فلو كنت أعلمه لما تركته مهما كان الأمر"

يبتسم (بعل) إبتسامة غاضبة، فهو يعلم أن سيدة (بس) قد غادرت المكان من ملامح الطمأنينة على وجه (بس):

- "عمومًا، سيدتك الخفية قد غادرت، هذا يظهر على وجهك"

يرتبك (بس) لا يعلم كيف يخفي توتره، ويفكر في كلمات لحيلة جديدة من حيله على أميره (بعل) ولكن التوتر لا يعطيه فرصة مثلما ثقة الأمير قررت مواصلة الحديث:

- "اسمع يا (بس) أنا أريدك في أمر غير أمر سيدتك الخفية، ليس ذلك بالأمر الهام، الأمر الذي أريدك به أهم"

يتمالك (بس) أعصابه، وتهدأ أنفاسه المتصاعدة، ويحاول أن يسأل ولكن الأمير لا يعطيه الفرصة بإشارة من أنامله..

- "إسمعني يا (بس)، نحن سنخرج بالحملة غدًا على طيبة، وعند العودة سأتزوج (عشتار)"

يحاول (بس) أن يرسم ملامح الدهشة على وجهه فهو يعلم مسبقًا بحب (بعل) لـ(عشتار) وهو من أخبرها بأمر رأس (أحمس) كمهر لها، ولكن يريد أن يرسم ملامح الدهشة والمفاجأة في نبرة صوته:

- "(عشتار)؟! تقصد المغنية ببيت الـ..."

يقطع (بعل) حديثه بصوت عال:

- "نعم عشتار المغنية.. ألديك اعتراض؟"

- "لا يا مولاي لا أقدر على معارضة رغباتك"

- "المهم، أثناء وجودنا في الحملة أريد أعوانك من الجماعة يجهزوا لأمر الزفاف الملكي في القصر، ويجهزوا (عشتار) نفسها لذلك الأمر، الملكة الأم (نفتيس) ستساعد أعوانك في ذلك الأمر"

- "وهل الملك (أبوفيس) على علم بذلك الأمر يا جلالة الأمير؟"

يقولها (بس) في خبث، منتظراً إجابته التي يعلمها مسبقًا:

- "لا"

فيستطرد (بس) في حديثه الخبيث:

- "إذًا هل تريد أن أقنع مولاي الملك بالأمر يا سيدي؟"

فيضحك (بعل) على حديثه ضحكات عالية نافية لتساؤله:

- "لا يا (بس) أنا أريدك في أمر آخر.. أمر أكبر من مسألة الزفاف، لما ننتصر في حملة طيبة بأمر إلهنا المُعظَّم (ست) سيكون الجيش كله عائد أمره تحت سلطان حكمي وبما أنك تتحكم في أمور الجماعة ورئيس لجهاز الكشافين بالمملكة، أريدك أن تمهد وتنشر لأمر أهم وأكبر من أمر الزواج وضرورته".

وهنا لم يعد لـ(بس) أية توقعات في ذهنه لمبتغى الأمير، ويحاول أن يفهم ما يريد بعل منه:

- "هل من الممكن أن توضح لي أكثر يا مولاي ما هو الأمر الأهم من الزفاف؟"

- "انتصارنا في طيبة وبدء حملة الحرب على بلاد الكوش سيكتب

سطور جديدة في تاريخ مملكة الخاسوت، وهذا يستدعي التغيير في سياستنا"

يشعر (بس) بخطورة حديث (بعل) الأمير، وأن الأمر الذي يريد ترتيبه أكبر بكثير من توقعاته:

- "إسمع يا (بس).. أنا وأنت قوة جديدة لا يُستهان بها"

يضع (بعل) يده في يد (بس) المندهش.

- "ضع يدك في يدي لنعلن حكم جديد لمملكة الخاسوت"
- " اية حكم ؟! أنا لم أستوعب مقصدك يا مولاي"
- "عندما نعود من طيبة يجب أن نتخلص من حكم (أبوفيس) ونعلن حكم (بعل) كملك للبلاد"

يقولها الأمير.. ليقرر الصمت أن يغمر أرجاء المكان بقسوته في ليل طويل يحوم بلونه الأسود على (أواريس) لتحديد مصير (بعل) ومصير ملك البلاد، مصير (أبوفيس).

****

٧- مصير أبوفيس :

يتناول نقبته من على الأرض، يرتديها وخلفه تقبع في ملابسها الممزقة على أرضية الغرفة، تتناول ما يمكن تناوله منها وتحاول أن تدارى صدرها العاري وجسدها الذي تنهال منه الدماء.. يشير لها بالمغادرة، فما أراده منها انتهى. فتحاول أن تقف ولكن أرجلها لا تستطيع فتستند بذراعها على مائدة الخمر.. فتهتز لتسقط زجاجة الخمر أرضًا، ومع اختلاط الدماء بالخمر ينادي بصوته العالي:

- "يا حراس"

يدخل الحراس على إثر مناداة مولاهم، ينظر لهم نظرة كافية ليقوموا بمساعدة الفتاة في النهوض من على الأرض، تلك التي تسير بخطى مرتعده بسيقانها المهتزة وضعف يتخلله الدم على سيقانها.. يخرجون بها من المكان لتدخل الخادمة العجوز وتقوم بتنظيف الأرضية من بقايا الدم المخلوط بالخمر الذي زيّن ليلة مولاهم.. مولاهم الذي اعتاد كل أسبوع على فعل ذلك، وكانت وما زالت مهمة الكاهن الأعظم لمعبد (ست) بأواريس أن ينتقي كل أ سبوع فتيات عذارى سراً يقدمهم لمولاه لينَهي بهم ما يريد من شهوة وبعدها يتناول كاهن المعبد ضحيته لتصبح بين زوجات الإله بمعبد الإله (ست) أو فيما يراه الكاهن الأعظم لمعبد الإله (ست) مناسباَ وذلك على مدار أعوام، كان هذا الأمر لم يوقفه تزوجه من (نفتيس)، لم يمنعه حتى بعد ولادتها لابنه الوحيد (بعل)، بل هو مستمر في فعله حتى اليوم، تدخل

(نفتيس) إلى الغرفة، على حين غرة، ليتفاجئ الملك بوجودها أمامه..

- "أأنتهيت؟"

يعتدل (أبوفيس) في جلسته أمام زوجته محاولًا أن يجد كلمات لنهيها عن دخولها المفاجئ عليه:

- "كيف تدخلين على دون إذن؟"

فتبتسم (نفتيس) إبتسامة غاضبة:

- "أهو ممنوع أن أدخل على زوجي في مضجعه يا (أبوفيس) أم أنك لا تجد ما تقوله من كلمات تداري بها على أفعالك المشينة التي لا تنتهي؟"

ينظر (أبوفيس) حرجًا إلى موضع الخادمة العجوز، فتنتبه (نفتيس) إلى نظرة زوجها، فتشير بيدها حتى تخرج الخادمة لتغادر المكان.

- "ما بك يا زوجي العزيز؟ أخاجل أنت من الخادمة ولست بخاجل من زوجتك؟"

- "كيف تحدثيني بتلك الطريقة أمام الخدم يا (نفتيس)؟"

يوجه كلماته لها غاضباَ ويستكمل:

- "أين إعتباراتك لهيبتنا أمام الخدم والعبيد حتى يا(نفتيس)؟"

تبتسم نفتيس إبتسامة غاضبة:

- "وما أنت قائم بفعله أين به حساب أو إعتبار لهيبتي أو هيبتك

أنا وأنت أمام الخدم والعبيد؟"

يغضب (أبوفيس) من حديث زوجته ويتحدث لها بصوت عالي بنبرة غاضبة كالثور الهائج:

- "نفتيس، لو أنت قادمة إليّ للتحدث في ذلك الأمر فأظن أن الحديث به منتهي"

تقرر (نفتيس) أن تتحدث بصوت هادئ محاولة أن تسيطر على مشاعر غضبها:

- "أنا قادمة لك في أمر يخص (بعل)"
- "ما به ابني؟"
- "يريد أن يتزوج يا جلالة الملك"
- "ومَن سعيدة الحظ يا ترى؟"

يقولها (أبوفيس) وقد تغير حاله من الثور الهائج إلى الحمل الوديع:

- "عشتار المغنية"

يرفع (أبوفيس) كأس الخمر، ويلقيه بكل قوته ليصطدم بالحائط، لتسقط قطرات الخمر وتتناثر بالمكان، حتى تصل إلى وجه نفتيس.

- "هذا أمر غير مقبول طبعًا، أين هو هذا الولد الأهوج؟.. يا حراس"

يدخل الحارس إلى الغرفة على إثر مناداة مولاه له.

- "أرسل للأمير لملاقاتي في الحال"

يومئ الحارس برأسه ثم يخرج في طريق تنفيذ أمير سيده، ومع خروجه تتحدث (نفتيس) في كل هدوء إلى زوجها:

- "لا تعتقد أنني موافقة على هذا الأمر، لكن هناك أشياء نفعلها مضطرين يا زوجي العزيز، من أجل مصلحة المملكة، مثل زواجي منك يا (أبوفيس)".

يجلس أبوفيس على مقعده وهو مستنكر لحديث نفتيس:

- "وما هي مصلحة المملكة في زواج أميرها من مغنية ببيت بغاء يا جلالة الملكة؟ حتى تغني للأمير فيحكم البلاد وهو في مزاج جيد؟ انطقي بسبب مقنع يا نفتيس"

- "جلالة الملك.. ابنك على مشارف حرب جديدة.. حملة على بلاد الكوش واسترداد طيبة تحت حكمنا وفي حاجة ماسة لحافز يحارب من أجله، ومن ناحية أخرى عندما يتزوج الأمير من عامة الشعب، سيكون لها دور تحفيزي كزوجة للأمير، تخطب في العامة لكي يناصروا الحرب، ويقدموا أبناءهم الشباب للجيش، شخصية محبوبة للناس، تأثيرها عليهم سيكون أقوى بكثير من الأمر الملكي للتجنيد في جيش مملكة الخاسوت".

يقف (أبوفيس) تاركًا مقعده ومتجهًا إلى الباب، وقبل ان يخرج تضع الملكة يدها على كتفه..

- "لا تظن أنني سأقبل بواحدة مثل تلك أن يُنصِّبها ابني أميرة على

البلاد، بعد ما تقوم عشتار بدورها سيأتي دوري أنا في القصر للتخلص منها يا (أبوفيس)"

ينظر (أبوفيس) الغاضب إلى زوجته:

- "أبغي منك أن تهنئه على قرار الزواج واتركه يخرج للحرب يا (أبوفيس)"

تنهي عبارتها ليتركها (أبوفيس) وحدها بالغرفة، وفي عقلها الكثير من الذكريات.. ذكريات غاضبة، في ليلة بعيدة من الماضي، ماضي كانت هي به أميرة، وكان والدها الملك يصارع المرض الذي عجز الأطباء عن إيجاد حل له، فظلت تبكي بجانب جسده الهزيل، لا تجد حلًّا، فالمرض كان أقوى من إرادتها، وإرادة الآلهة هي مَن قررت إنهاء حياة ذلك الملك الذي عاش طويلًا، تتذكر طلب أخيها الأصغر لملاقاتها في تلك الليلة، جلسا الاثنين في القاعة الملكية بقصر أواريس المُفضَّل للعائلة، بعيدًا عن أعين الحراس والخدم، بعيدًا عن أعين الشعب وبعيدًا عن أعين جماعة الإله (ست)، وتحدث وقتها الأخ الأصغر بكلماته التى لم تنسها حتى اليوم:

- "إسمعي يا (نفتيس).. بعد المشورة مع كهنة معبد إلهنا المُعظَّم (ست)، وبعد التشاور مع رئيس جماعة الإله (ست)، مجلس الجماعة قرر أنه لا يمكن لسيدة أن تكون هي الحاكم لجميع البلاد".

استنكرت في وقتها حديث أخيها الأصغر، وقالت له:

- "لكن أنت تعلم أنني أنا الأكبر سنًّا، وأن هذا كان قرار والدنا".

قاطعها أخيها الأصغر:

- "والدنا مات، أنصتي جيدًا، أمامك أمران لا ثالث لهما.. يا الزواج يا الموت، والحراس في إنتظار لإشارتي لتنفيذ الأمر".

صمتت نفتيس من هول الصدمة، فلقد كان أخوها متخذًا قراره، وإذا كان جماعة الإله (ست) في صفّه فهي حتما خاسرة.

- "إذًا الصمت يعني موافقتك يا نفتيس"

قالها أخوها الأصغر ثم نادى على الحراس، من دخلوا القاعة على نداداته، ليطلق وقتها أول أمر له:

- "أعلنوا أمري الملكي الأول بزواجي أنا الملك (أبوفيس) من الأميرة (نفتيس) غدًا بأواريس"

****

الشمس تلقي بأشعتها تحت أقدام الخيول، وظلال الجنود تلون الطريق المؤدي إلى بوابة طيبة، أصوات الخطوات تعلو وتعلو، مقتربة من آذان أهل طيبة. تتوقف أقدام القادمون ويحوم الصمت على الواقفون من جنود الخاسوت والمترقبون أمام بوابة طيبة.. تتحرك جنود الخاسوت متنحيّة وتنشق الجموع ليخرج الرسول على عربته الحربية متجهًا إلى بوابة طيبة حتى يصل إلى موضع (نشئ) الواقف أمام طيبة وسط جنوده حاملًا كل هموم المواجهة المرتقبة بين جنوده وجنود الخاسوت..

ينزل الرسول من فوق عربته، يقف أمام (نشئ) ويقرأ رسالة مولاه (أبوفيس)، من كلمات مدوّنة بالبردية التي بين يديه:

- "بأمر جلالة ملك البلاد، سليل الإله الطيب جلالة الملك أبوفيس والأمر الملكي بخصوص إمارة طيبة، تسليم الإمارة من قبل عائلة الأشراف إلى المخلص له والمخلص للإله(ست).. (سني) عمدة طيبة السابق، وحاكمها الحالي، وعليه إعتبار أفراد عائلة الأشراف خائنين، يتم تسليمهم إلى الأمير (بعل) حتى يتم محاكمتهم في عاصمة البلاد، (أواريس)، من قبل ملك البلاد".

ينهي الرسول الكلمات المُدوّنة في البردية حتى يبدأ في الرسالة الشفهية من قبل مولاه:

- "لديكم مهلة من الآن وحتى فجر اليوم الجديد كما أمر مولاي، جلالة الأمير (بعل)، وابتداءا من الحين المدينة تحت حصار الجيش حتى تنفيذ ما جاء في الأمر الملكي، وإذا لم يتم التنفيذ في خلال المهلة المحددة، سيقوم الأمير (بعل) بمهاجمة المدينة لتنفيذ الأمر الملكي بالقوة"

تنتشر جنود كتائب جيش الخاسوت، يحومون حول مدينة طيبة، فبعد أن كان الجنود صفوفًا، أصبحوا صفًّا واحدًا، ولكن الفارق أن ذلك الصف أصبح كدائرة تحيط طيبة من جميع الاتجاهات، أما العربات الحربية أصبحت تتحرك باتجاهات دورانية، تؤمن محيط جنود المشاة، والأمير (بعل) وأعوانه، كانوا على بُعد ثلاثة آلاف ذراع ملكي من مدينة طيبة، يجلس (بعل) داخل خيمته الملكية وبجواره

كاهنه (بس)، ينظر (بعل) إلى ما بيد الكاهن.. ذلك الصندوق الذهبي، وما يحتويه من برديات مقدسة، يفتح (بس) الصندوق ليتناول الأمير (بعل) البردية المتواجدة، البردية الثالثة.. بردية العامو الثالث، يفردها (بعل) ويبدأ في قراءة مفرداتها، بلغة العامو القديمة، ومع مرور لحظات كان (بس) خارج الخيمة تاركًا (بعل) وحيدًا في قراءته.

****

٨- مصير العامو:

البرديات المقدسة

تعاليم العامو الثالث

" لقد كتبت إليكم هذه البردية في ذلك التوقيت تحديدًا، لأعلن لكم أن الوقت قد اقترب، وما انتظرناه طويلًا لنا في مصر قد بدأ، أكتب هذه البردية، وأنا في منصبي الجديد، وما اشتريته بقطعي الذهبية من وزير مصر، أدوِّن مخطوطتي كأمير وارثي لمقاطعتي، نعم أصبحت حاكمًا لإقليم من أقاليم مصر، جاء ذلك بعد تعب وشقاء، وأيام مرت في دراسة وتخطيط، أيام من التقرب لطبقة البلاط الملكي، وخدمات مشروعة وغير مشروعة لأفراد من حاشية العائلة الملكية، لم تعد جماعتنا في مصر مثل سابق العهد، جماعة الإله (ست)، أصبحت تتكون من طبقات، هناك طبقة العمال والجند وطبقة الموظفين، وطبقة الكهنة في معابد آلهة مصر، هناك طبقة أخرى جديدة في هذا الجيل الحالي، طبقة المعماريين والأطباء، لم يعد نفوذ جماعتنا في مصر يقتصر على العدد فقط، العلم أصبح نفوذًا والمناصب في مؤسسات الدولة المصرية أمست قيودًا لبعضنا، ومنفذًا لبعضنا الآخر، جماعتنا تخللت داخل مفاصل ذلك العملاق المصري، عملاق الشرق الكبير، لم تعد تعوقنا أجنبيتنا في بناء صروح من معابدنا لإلهنا المُعظَّم (ست)، لم تعد تواجهنا مشاكل في تمويل ذلك، كل منا يعلم مهنة كل ابن من

أبناءه يوم مولده، كل منا يعلم ما هي مهمته من أجل علو شأن جماعتنا، في كل أسبوع يجتمع أعضاء مجلس جماعتنا، ذلك المجلس الذي أصبح غالبية أعضائه مختلفين الفئات، لم يعد مثل سابق العهد، فأمسى هناك مسئول التمويل لأنشطة الجماعة، وآخر مسئول التوظيف والتعليم، وأيضًا مسئول التوجيه الديني، وغير ذلك مسئول التخطيط، وهكذا كل أمر يهم جماعتنا له مسئول، وكل مسئول ينحدر أسفله أفراد من جماعتنا، تنفذ ما هو مطلوب منها في الخفاء، نهارًا كلٌ في عمله المعلن على أرض مصر، وليلًا كلٌ في جماعتنا المُعظَّمة، أصبحنا كدولة داخل الدولة، ننتظر اللحظة المناسبة لتعزيز نفوذنا وقوتنا، خطواتنا أصبحت أسرع، مدروسة أكثر، في طريقنا لذلك الحلم العظيم، ومع منصبي الجديد في الدولة المصرية، سيصبح إقليمي مسرحًا لجماعتنا، فنهارًا سأكون حاكمًا لمقاطعتي، وليلًا حاكمًا ورئيسًا لجماعتنا، في انتظار ذلك اليوم الموعود، يوم يكون فيه إلهنا المُعظَّم (ست) هو الحاكم لآلهة مصر، حاكمًا لـ(آمون) و(رع) يوم يكون فيه نسل العامو الأول حاكمًا.. تلك الأراضي السمراء، أرض مصر".

****

٩- مصير طيبة:

ذلك الأزرق ما يلوِّن السماء في خجول الشمس فجرًا، تلك التشكيلات من أفراد مشاة جيش الخاسوت، في الخلف رماة السهام وفي المنتصف جنود المشاة بسيوفهم وفي الأمام يتزين المشهد بتلك العجلات الحربية، وفي الجانب الآخر، أعلى السور العالي لمدينة طيبة، تقف تلك الجريئة من نسل (الأشراف)، تنادي بين أفراد شعب مدينتها:

- "يا أهالي طيبة، يا مَن كنتم دومًا سندًا وسببًا، سندًا لنا في مواجهة الخاسوت وسببًا في عدم التخلي عنكم وعدم تسليم مدينتنا لـ(أبوفيس)، اليوم لم يتبقَّ (سقنن رع) بينكم أو (كامس) أو حتى (أحمس)، فكل منهم قد ضحى في سبيل طيبة، في بقاء عزتها كجوهرة أرض مصر، لم يتبقَّ لكم سوى كرامتكم، مَن أراد منكم أن ينال كرامة الموت في عزة طيبة فليبقى، ومن خاف على حياته فليظل في مسكنه، منتظرًا قدوم الخاسوت لنهب محاصيلكم، وضياع عزّة إلهكم (آمون) المُعظَّم، من يرضى أن يعيش ذليلًا تحت أقدام الحقاوخاسوت، فليتوارى عن الأنظار، ومن أراد أن يعيش مصريًا حرًا، فليمت بجانبي تحت أضواء (رع) المُعظَّم".

تنتهي (نفرتاري) من حديثها وتنظر إلى (نشئ) قائد جيش طيبة منتظرة ما سيَسفر عنه الحديث في جموع الجماهير، الصمت بقيَ للحظات، تبادل فيه الناس النظرات والهمهمات، حتى نطق ذلك الشاب ببضع كلمات:

"نموت ولا تموت طيبة، نموت ولا تموت طيبة.. نموت نموت ولا تموت

طيبة".

ينظر حوله ليجد أنه ما من أحد يردد النداء خلفه.. يتحرك بضع خطوات مقترباً من جند جيش طيبة يقف ناظراَ للجماهير، وفجاة:

"نموت نموت ولا تموت طيبة، نموت نموت ولا تموت طيبة..."

جاءت الصيحات من كل حدب وصوب خارجة إلى أعالي السماء، ليصل الصدى إلى موقع أمير سائر البلاد، فيغضب (بعل) ويرفع ذراعة شاهراَ سيفه، معلقًا إشارته، يستعد الرماة برفع الأقواس، سهامهم رؤوسها تستعد لغزو سماء طيبة، ينزل (بعل) سيفه، وهنا يرفع قائد جيش الخاسوت يده، ومع حركتها، تبدأ المشاة في التحرك، تدوس الأقدام على ما زُرِع أمام أسوار المدينة، ومع كل خطوة من الخطوات تقترب لحظة المعركة، ذلك العدد الكبير أمام ذلك العدد القليل، من مشاة جيش طيبة، ما توزع حول أسوار المدينة أمام بوابات (طيبة)، ترفع (نفرتاري) سيفها، و ينادي (نشئ) في جنوده بالاستعداد، فتُرفع أسهم الرماة أعلى الأسوار، لا صوت يعلو فوق صوت خطى أقدام جند الخاسوت، حتى أصوات الجياد لا تسمعها ولكن يعلمها الجند من حركة أفواه الجياد، وما هي إلا لحظات معدودة، حتى تحوّل الصوت المسموع إلى صوت صيحات الجند، جند الخاسوت وهم يركضون، يتخلّلهم العربات الحربية، إستعداد جنود طيبة في تشكيل الدفاع، بدروعهم مع اقتراب التلاقي، انطلق أول سهام المعركة، متلألئًا في أشعة الشمس الذهبية، يقترب هو الآخر من ضحيته، ويخترق ذلك الجسد الضخم، لتفلت منه الحياة هاربة، وتقع جثته هامدة من أول

الخطوط أمام أقدام جنود (طيبة)، وأعين جنود الخاسوت، لذلك السهم الذهبي اللون، تندهش الأعين من موضع السهم، فجثة جندي الخاسوت، السهم بها جاء من الخلف وأصاب الجندي من ظهره، وليس من صدره، أي أن السهم لم يأتِ من رماة طيبة، ولكن من الخلف، ومن اتجاه رماة الخاسوت، ولكن أسهم جيش الخاسوت لا تمتلك بينها سهمًا مطليّا بالذهب، ولا حتى الأمير (بعل)، وجند طيبة يعلمون أن الأميرة (نفرتاري) لا تحمل قوسًا، تتوقف الأقدام، وتدور الرؤوس، لتبحث العيون، عن صاحب القوس الذي يلتمع بلونه الذهبي عاكسًا ضوء الشمس، مُعلنًا الصمت.. أفواه مفتوحة.. عاجزة عن التفوّه بكلمة واحدة.. دموع في أعين البعض.. وغضب على وجوه آخرين، الذهول يشل حركة الجميع.. فقد مضى ذلك العهد الذي تتحقق فيه الأساطير.. تتساءل الأذهان: هل الآلهة أرادت أن تُعيد للأذهان إيمانها؟ أم أرادت أن تعيد أسطورة محببة للمصريين؟ فما هي إلا لحظات ويبدأ جند طيبة في النزول على الأرض راكعين، وتسقط السيوف من أيدي جنود الخاسوت، فما رأوه أمامهم لا يمكن أن يكون موجودًا خلفهم ، يأتي صوت صاحب القوس الذهبي عاليَا:

- "لا تنحنوا يا أهل طيبة، فهذا ليس دوركم اليوم، بل هو دور الخاسوت"

وما بين فرحة (نفرتاري) وذهول (بعل)، يقف (نشئ) سعيدًا، ويحاول (سني) عدم الغضب، و(بس) كاهن الجماعة ألا يفقد إيمانه بإلهه، فالأسطورة بدأت تعيد ذاتها ثانية.. أسطورة الحرب المقدسة بين (حورس) و(ست)، ولكن في ثوب جديد، أسطورة (أحمس).


أسك زاد

الفصل الرابع

أسطورة أحمس

١- أسطورة الموت:

السقوط وما يملك الإنسان في تلك اللحظة، عندما يفقد كل شيء، كل ما وصل إليه في الحياة، كل ما فعل، كل مَن عرف، كل ما ملك، ذلك الاصطدام بسطح المياه المقدسة، منبع الحياة، ومع كل قطرة متناثرة أمام الأعين، تحوي في داخلها ذكريات، ذكريات سعيدة وأخرى حزينة، بين صفحات المياه، يفقد السيطرة على جسده، يفقد الأنفاس، تقل الأضواء، وينتشر الظلام، يشعر بخروج آخر هواء من صدره، ليمتلك الظلام الأعين، تفتح الأعين مرة أخرى، باحثة يمين ويسار، قشعريرة عودة الروح إلى الجسد البارد، حركة الأطراف المحكومة في ذلك التحنيط الملكي يحاول مرة أخرى، لتتمزق الأربطة الحاكمة لذلك الجسد، فتتطاير القطع الكتانية، مع محاولة الخروج من ذلك التابوت الذهبي، تدفع الأيدي غطاء التابوت، ومع سقوطه، يحاول استنشاق الهواء بكل ما أوتي من قوة، لتمتلئ رئتيه ومع خروج الهواء من الضلوع، يعتدل للجلوس فيسقط ناظره على جدران المقبرة الذهبية، بكتابتها الرسمية، وتلك الدعوات الإلهية، تضئ الكتابات بتعاويذها المدونة بلونها الأسود، ليتحول اللون إلى الأبيض، مكونة هالة من النور الأبيض داخل الغرفة، تصبح الهالة في شكل فتحة باب في الجدار، يعلم صاحب المقبرة أن الموعد قد حان، ينزل من التابوت محاولًا الوقوف على أقدامه، فيسقط في المرة الأولى، كطفل يتعلم السير، يستند على ذراعيه، يحاول النهوض، ليصبح واقفًا بجسده العاري أمام

الفتحة المضيئة، يبدأ في خطواته الأولى نحو الضوء، لتتحول قطع الكتان المتبقية على جسده إلى لباس أبيض اللون، على شكل نقب أبيض مربوط بحبل ذهبي اللون وتخطو أقدامه في ممر جنباته بيضاء اللون، ومع تقدمه في الخطوات يدخل غرفة، ليست بغريبة عليه، إنها غرفة في قصر طيبة، ينظر أمامه، ليرى (تيتي شيرى) جالسة أمام رأس ذلك الشخص النائم، و(اعح حتب) تدفن رأسها في صدره، ومع اقترابه من الجمع، يركض (كامس) خلف (نفرتاري) إلى المكان، يحاول إيقافها، لكن يفشل لتنضم إلى (اعح حتب) في الموضع والبكاء، يقترب أكثر ليتعرف على صاحب الجسد، يرى أنامل تيتي شيرى مليئة بالدماء، ينظر إلى صاحب الجسد ليعلمه جيدًا، وقبل أن يتعرف على تفاصيل وجهه أسفل الدماء تقطع تفكيره تلك العبارة: "أبي"، ينظر إلى صاحب العبارة، يرى طفلًا صغيرًا، باكيًا، جالسًا في أحد أركان الغرفة من الخوف، إنه هو، أحمس وهو صغير يتذكر ما حدث في تلك الليلة، إنها ذكرى وصول جثة (سقنن رع) إلى قصر طيبة، تتجسد أمامه وتنقشع الرؤية أمامه جسده يترنح ليعود مرة أخرى إلى ذلك الممر الأبيض، يسير بخطى حزينة، بفكر لا يحمل سوى الهموم، ينتهي الممر مرة أخرى إلى غرفة أخرى، يهاب دخولها، ولكن يقترب أكثر ينظر من موضعه ليرى نفسه بالغًا صبيًا في عمر الرابعة عشر، واضعًا هو رأسه على صدر جثة أخيه (كامس)، يتذكر ما وعده في تلك الليلة، وعد الانتقام له ولأبيهما، عهد قتل (أبوفيس) تنحدر المياه من سقف الغرفة ، وما هي إلا لحظات ليجد نفسه عائدًا إلى صفحات المياه، تقذفه أمواج النيل إلى ذلك المركب الذهبي، يقف ليرى السفينة قد

وصلت إلى وجهتها، ينزل بأقدامه إلى شاطئ النيل الغربي، أمام صرح كبير، يسير بين جنبات الصرح المعماري الضخم، مدوّن على عمدانه نقوش الآلهة المضيئة، يسير حتى يصل إلى باب كبير، يفتح الباب الذهبي على مصراعيه، ويجد في يده برديته.. يدفعه الهواء إلى الداخل وتغلق خلفه الأبواب، ينظر أمامه إلى الجالسين، إنهم آلهة مصر ، يعلم جيدًا مكانه الآن، إنه في حضرة آلهة محكمة الموتى بقاعة (ماعت)، وعلى الترتيب من اليمين إلى اليسار (حورس) (تمو) (شو) (تفنوت) (سب) (نوت) (إيزيس) (نفتيس) (حور) (حتحور) (حو) و(سا).

تبدأ نبضات القلب تتباطأ ومع تباطؤها، تبدأ أرض القاعة في التشقق، ليخرج منها ميزان صغير، ثم يبدأ الميزان في التضخم للوصول إلى حجمه في سرعة، تتشكل صورة وشكل قرد صغير برأس كلب على محور إرتكاز الميزان (رفيق الإله تحوت)، ثم تضئ القاعة بنور الإله (أ نوبيس) ثم ينقشع النور تدريجياَ حتى تظهر ملامح رأسه التي هي كرأس (ابن آوى)، يبدأ (انوبيس) في اختبار الميزان قبل المحاكمة لتدخل إلى القاعة الآلهة (شاي) آلهة الحظ وخلفها الإلهتان (مسخنت) (رننت) إلهتي ولادة وتربية الأطفال، ظهرتا فجأة من العدم، ومن خلف مجلس الآلهة يتحرك الإله (تحوت) ممسكًا بالبردية التي سيدون بها أحداث المحاكمة، وتظهر خلفه من بعيد قليلًا أعين الملتهمة (عممت) الحمراء، تتساقط الدماء من أسنانها البيضاء اللامعة، في انتظار نتيجة المحاكمة، يتحرك (تحوت) من موضعه منضماً إلى الآلهة الجالسين أمام الميزان.. يدق الإله (حورس)

بصولجانه الأرض مرة واحدة، فتسقط من سماء الغرفة ريشة الإله (ماعت) الذهبية حتى تصل إلى كفتها في الميزان، تبدأ دقات قلبه في التوقف تدريجياَ حتى يخرج القلب من صدره دون قطرات من الدماء وكأن شيء لم يكن. ومع ابتعاد القلب عن صاحبه يبدأ جسده في التحول إلى جسد طائر أبيض اللون، وتظل رأسه كما هي رأس إنسان، يصل القلب إلى الكفة المقابلة لكفة الريشة على الميزان ليصبح القلب في الكفة اليسرى للميزان وبجانبها الآلهة (شاي) (وسخنت ورننت) والريشة في الكفة اليمنى بجانب الإله (أنوبيس) الذي يبدأ في تدوين تفاصيل المحاكمة، على لوح الكتابة الذهبي، يبدأ فم أحمس يفتح ليبدأ لسانه في النطق بكلمات تدريجياَ كمن هو يريد النطق وليس صاحب اللسان:

- "قلبي.. أمي.. قلبي.. أمي.. قلبي يجئ إلى الوجود عسى ألا يكون هناك شيء يعوقني أثناء المحاكمة، عسى أ لا يكون هناك اعتراضًا من الزعماء، عسى ألا تهجرني في وجود حامل الميزان... يا من أنت قرين (كا*) جسدي الذي يحبك ويقوى أوصالي، لعلك تتقدم إلى موضع السعادة حيث أتقدم، لعل الشنيت** لا يسببون تلطيخ اسمي، ولعله لا توجد أكاذيب تقال ضدي في حضرة الإله".

يتوقف لسان أحمس عن حديثه السابق، يبدأ الميزان في تأرجح كفتيه، بعد أن قام (رفيق الإله تحوتي) في تحريك الميزان ومع تحرك الكفتان، يملأ القلق عينا أحمس، وتكشر (عممت) عن أنيابها شيئًا فشيئًا، تستعد للإلتهام ، فمن يكون مذنباَ هو من نصيبها، تتساوى

الكفتان في الارتفاع معًا، وتدريجيًا تبدأ كفة ريشة الحق تنزل تدريجيًا، ويقل ارتفاعها عن الأرض، وبالتالي تصبح كفة قلب أحمس، أخف وزنًا، تعبّر (عممت) عن غضبها بصوت يجمع ما بين فحيح الأفعى، وزئير الأسد، وزمجرة الذئب، صوت لا تستطيع آذان أحمس في تمييزه إلى أي حيوان أشبه، فهو مختلف عما سمعه على أرض الكمت، يقرر (تحوت) إله العدل والحق بالحديث كقاضي هيئة الإلهى المهيبة الكائنة:

- "لتسمع ذلك الحكم، إن قلب (أوزوريس - أحمس) بالحقيقة قد وزن، وروحه وقفت شاهدة عليه، لقد وجد أنه لا تشوبه شائبة شر، إنه لم يفسد القرابين في المعابد، إنه لم يات بالأذى في أعماله، أنه لم ينطق بألسنة السوء عندما كان على الأرض، لقد وجد صادقًا عند وضعه على الميزان العظيم".

ينظرون آلهة المحاكمة إلى بعضهم البعض ويأتي صوت الآلهة إيزيس، لتصدر قرار المحكمة الذي اتُّخِذ:

- "ليقضى بما نطق به فمك يا تحوت إن (أوزوريس - أحمس) ابن (اعح حتب) قد ظفر، عادل ومبجل، لم يخطئ، لم يفعل شرًا ضدنا، لن يعطى للملتهمة (عممت) لتبتلعه، سوف يمنح هبات اللحم، سوف يمنح الدخول إلى حضرة الإله (أوزوريس)".

مع انتهاء كلمات الآلهة (إيزيس) يقوم الإله (حورس) بسحب سلسلة حديدية ذات لون أحمر من كثرة الحرارة بيده اليسرى، فتظهر بقية السلسلة التي هي مُقيّد بها رقبة (عممت) الملتهبة، ومع

قوة سحب يد (حورس)، تختفي عينا (عممت) لتختفي الملتهمة من المكان، مع أصواتها الغاضبة يتحرك الإله (حورس) يرى (أحمس) الميت جسد (حورس) الإنسان ذو رأس (صقر) ذهبي ويتحدث إلى (أحمس):

– " (أوزوريس - أحمس) إتبعني إلى حضرة الإله (أوزوريس) المُعظَّم".

تتحرك ساقي (أحمس) فهو الآن مُسيّر فقط لا يملك خيار في التحكم في جسده، تتلاشى صورة القاعة من عينيه ليجد موضع قدميه فوق سطح الماء وأعلاه سماء الليل بسوادها الحالك متزينة بقناديل النجوم المتلألئة، يبدأ الإله (حورس) في التحرك أمامه، فتخطو خطوات (أحمس) ولكن مع كل خطوة تظهر ملامح جسر من الذهب فوق سطح المياه، وعلى الجوانب ترتفع زهور اللوتس الذهبية خارجة من المياه محمولة فوق أ عمدة ذهبية، تصل الزهرات المتراصّة إلى عنان السماء.. يرى (أحمس) على سطح الماء صور من ذاكرته لأبيه (سقنن رع) مبتسماً ولـ(اعح حـتب) وهي تداعبه رضيعاً و لـ(تيتي شري) تنصحه طفلًا ولـ(تحوتي) بمعبد آمون معلماً له وبالغًا، صوراً لـ(كامس) يُدربه على حمل السيف في سن المراهقة.. يقترب الجسر الذهبي من الانتهاء ومع النهاية تظهر ساحة ذهبية دائرية، فوق سطح المياه، بينها وبين المياه لا يوجد سوى الفراغ، فوقها يظهر عرش الإله (أوزوريس) الذهبي، مرتدياً رداءه الذهبي الجنائزي، وفوق رأسه تاج ذهبي، ممسكًا في يده اليمنى العصا المعقوفة بجانب السوط

الذهبي، وفي يده اليسرى الصولجان الذهبي، تقف بجانبه على جهة اليمين الآلهة (إيزيس) وعلى يسار العرش أخته الآلهة (نفتيس)، يصل الإله (حورس) ومعه (أوزوريس - أحمس) إلى الساحة الذهبية، يبدأ (أحمس) في الانحناء أمام حضرة الإله (أوزوريس) ويبدأ الإله (حورس) في الحديث:

- "لقد أتيت إليك يا (أون - نفر)* وأحضرت إليك (أوزوريس - أحمس) قلبه كان على الميزان نقياً، لم يرتكب خطيئة ضد إله وآلهة، لقد وزنه (تحوت) وفقًا لأمر هيئة الآلهة وانه بالحقيقة عادل وحق، إمنحه حق الدخول إلى (سخت - حتبو)** ودعه يدخل إلى حضرة (أوزوريس) عسى أن يكون شأنه شأن أتباع (آمون) و(حورس) وكافة آلهة مصر الجليلة، أعطه مستقراَ في الأراضي الإليزية*** إلى الأبد"

يشير الإله (أوزوريس) إلى (أحمس) فيتحرك جسد (أحمس) متحرراً من موضع الانحناء ليصبح واقفًا ويبدأ الإله (أوزوريس) في الحديث:

- "لن يمنح هذا الحق".

تسقط الكلمات على مسمع الحاضرين كالصدمة، وفي آذان (أحمس) مستنكرة، يتساءل عقل (أحمس) عن كيفية حدوث تلك الكلمات، فما تعلمه على أيدي كاهنه (تحوتي) في روايته عن الحياة والآخرة في علوم الدين أن شرط دخول الأراضي الإليزية للمتوفي هو إجتياز المحاكمة، فكيف سيحرم من نعيم (سخت - حتبو) وهو من الصالحين، يبتسم الإله (أوزوريس) ويجيب عن تساؤله قارئًا لأفكاره

وتساؤلاته:

- "لا تندهش يا أحمس".

يشعر (أحمس) بأثر الكلمات كأنها حررت جسده من أن يصبح مُسيّرَا لا مُخيّرَا، فهو يقدر الآن في التحكم في جسده، يقرر تجربة الحديث، ليرى هل ما يدور في باله سيخرج إلى لسانه وتنطلق أفكاره عبر فمه:

- "سيدي الإله (أوزوريس) رب الأبدية، لماذا؟"

يشير الإله (أوزوريس) بإبهامه ليسمح له بإستكمال ما بدأ من تساؤلات:

- "لماذا الآن يتغير القرار، فنتيجة المحاكمة توضح أني لست مذنبَا"

فيبتسم (أوزوريس):

- "أنت لست مذنبَا بالأفعال، بل مذنبَا بعدم الاقتناع"

يقف الإله (أوزوريس) من موضعه ويخطو بضع خطوات إلى موضع وقوف (أحمس) مستطردًا في كلماته:

- "أنت لست مقتنع بماهية أنك تستطيع الاختيار، أنت مقتنع أنك مُسيّر فقط لما ورد في نبوءتك.. أليس كذلك؟"

يحاول (أحمس) استجماع شجاعته، ليخرج من فمه ما يريد من حديث، وينطق لسانه عن مكنونات صدره:

- "لقد ورد في النبوءة أني سأموت كوالدي (سقنن رع) وكأخي (كامس) على يد الخاسوت، وهذا ما حدث بالفعل، فأين هو الاختيار في ذلك يا إلهي المُعظَّم؟"

- "وما هو معنى الاختيار يا (أحمس) ابن (اعح حتب)؟"

لا يجد (أحمس) الكامت المناسبة للإجابة عن سؤال الإله (أوزوريس) الذي بدوره يضع يده على كتفه فيشعر بتلك القشعريرة التي جعلته يشعر بالضعف الناتج من تغلغل الصقيع داخل أوصاله..

- "لماذا تشعر بالصقيع أيها الفاني؟"

يقولها (أوزوريس)، ليجيب (أحمس) الفاني:

- "لأنك وضعت راحة كفك الجليلة على كتفي".

- "خطأ.. ليس هذا هو السبب.. بل لأنك اخترت أن تشعر به، والآن جرب أن تشعر بالحرارة".

هنا يحاول (أحمس) أن يُقنع نفسه بوجود الحرارة في كف الإله (أوزوريس) فتبدأ تدريجياَ قطرات العرق في التساقط من أعلى جبينه نتيجة لشعوره بتلك الحرارة التي تجتاح جسده كمن يقف فوق ماء مغلي.. ينظر ليد الإله (أوزوريس) فيجدها تتحول من اللون الذهبي إلى اللون الأحمر، كمعدن منصهر من شدة الحرارة، يبعد (أوزوريس) راحة يده عن جسد الفاني..

- "النبوءة هي ما دُوِّن لك ولأبيك ولأخيك، ولكن أفعالك هي

اختياراتك حتى مماتك، لقد علم (سقنن رع) بموته كما ورد بنبوءته ولكن اختار كيف سيحيى حتى يوم حدوث نبوءته، و(كامس) لم يقتنع بنبوءته فقرر محاربتها حتى لحظة مماته، وأنت.. ماذا اخترت قبل لحظة فناءك؟"

فيقرر (أحمس) أن يطلق غضب أفكاره في تلك الحروف:

- "ولكن نحن مجرد بشر فانون لا نستطيع أن نتحدى النبوءات ولا نقدر على صنع المعجزات، كما ورد في أساطيركم أيتها الآلهة الجليلة".

لم يكن حديثه موجّهًا فقط لأوزوريس، بل لجميع الحاضرين من آلهة في القاعة ل(أوزوريس وإيزيس ونفتيس والشجاع حورس)، تقترب (إيزيس) من موضع وقوف الفاني و(أوزوريس) زوجها العزيز، يسيطر ضوء جمإلها على المكان، ما يبهر أعين (أحمس) الشاب فلم يرَ على الأرض جمالًا مثل جمالها، فيسمح لها (أوزوريس) بالحديث، والاجابة عن عدم فهم ذلك الفاني كما ورد في غضب أفكاره.

- "إذا لم تكن مقتنع بأسطورة إيزيس وأوزوريس فلم تكن ترانا اليوم أنا وزوجي، ونتيجة تحدينا للشر في ابننا (حورس) الشجاع".
- "أيتها الآلهة (إيزيس) لقد وجدت الأساطير لتعلم البشر مبدأ الخير والشر ولتعلمهم مبادئ الحياة الصحيحة ونتيجة إختياراتهم في الدنيا لأفعإلهم من خطأ وصواب.."
- "ولتضع الأمل في نفوس الفانين أيها الشاب"

تنطق بها (إيزيس) لتقطع حديث الفاني، فيقرر (أحمس) الصمت والاستماع لحكمة الآلهة..

- "الأمل هو ما يصنع الخير.. هو ما يشرع القوانين الحاكمة للخير والشر، الأمل في دخول الأراضي الإليزية هو ما يجعل الفانون يتعاملون مع بعضهم البعض بالحق والعدل، الأمل في البقاء هو ما يدفع الفانون في صنع الأحفاد، الامل في الحياة هو ما يفعله الفانون من صنع الدواء ووضع علوم الطب.. الأمل هو ما يصنع المزارعين والمهندسين.. الأمل في عظمة العيش هو ما يقوم بتدوينه الكاتب على جدران المعابد والمقابر من تاريخ، والأمل في الفانين هو ما يُبقي أساطير الآلهة مُخلَّدة في وجدان البشر يا ابن (اعح حتب)".

ينتهي (أوزوريس) من سرد حكمته على مسامع الحاضرين، ويخرج من يده كرة من الضوء..

- "ذلك ما صنعه (سقنن رع) و(كامس) للفانين، الأمل في عيش حياة حرة عن حكم عُبّاد أخي (ست) للأرض، تلك هي أسطورتهم، فما هي أسطورتك؟ وما هو صنع اختياراتك؟"

ينظر (أحمس) إلى أرض الساحة الذهبية بعينين محبوسة بها دموع الحسرة واحمرار الندم، فلا يقوى لسانه على النطق، ولا تقدر عيناه عن النظر إلى عظمة الآلهة، ولا تستطيع رؤية أفعال أبيه وأخيه المضيئة في كرة الأمل بيد (أوزوريس)، يضع (أوزوريس) كرة الضوء في صدر (أحمس) العاري..

- "هذا ليس بموعدك أيها الفاني للدخول إلى النعيم، فلتذهب ولتصنع أسطورتك".

ومع انتهاء كلماته يضئ صدر الفاني، ويخرج من يده قوس من الذهب، متكونًا به أحرف ملكية صاحبه، يبحث في يده الأخرى عن السهم لا يجده، فينظر أمامه ليجد أن الإله (حورس) مصوّبًا السهم ناحية صدر (أحمس)، يحاول أن يمنعه عن تسديده إليه ولكن سبق السهم اللسان ، ليندفع جسد الفاني بعيدًا عن الساحة الذهبية، طائرًا فوق الجسر الذهبي، تتلاشى الصورة وقبل اختفاء المكان تسمع الآذان الكلمات:

- "عُد أدراجك إلى ذرى السماوات، قد مجدت في صورة (حورس) وهبت تاج (نيمس) أيها الفاني عساك تعبر منطلقًا وتأتي منطلقًا إلى الأفق السماوي لينظرك هؤلاء الذين يقطنون أقاص السماوات ويخشاك آلهة العالم السفلي لتعرف مسالك السماء ولتسكن الريح جسدك، فالثور الذي يثير الرعب في (الرجال) لن يدفعك إلى الوراء، ليكن وجهك مثل وجه الصقر المقدس، ولتتسلح بأسلحة سيدك، لتراك الآلهة مراقبة، وعين (حورس) الرابض في الظلام تساعدك".

ومع انتهاء الكلمات يتحول جسد (أحمس) البشري إلى جسد صقر، يضرب بجناحيه السماء، ومع لمعان الجناحين تحت أشعة السماء، يتحول ريش الصقر إلى معدن الذهب، يتغلغل الذهب من الأجنحة إلى الجسد، ومن الجسد إلى الوجه والأعين.. يسقط الصقر سريعًا إلى

مياه النيل، تغلق العينان من قوة الذهب ويتحول اللون الأصفر للمعدن النفيس إلى الظلام الدامس، ذلك الداكن الذي يولد أسطورته الجديدة.. أسطورة البعث.

****



٢- أسطورة البعث:

الألم وما يصنعه في جسد الإنسان ما يجعله يفتح عينيه باحثًا عن موضع الألم بجسده. هذا ما كان أحمس يبحث عنه عندما فتح عيناه ليجد سقف الغرفة أمام ناظريه يحاول أ ن يحرك ذراعه متألمًا تقترب يده إلى مكان الألم ليجد قطع من الكتان فوق موضع الجرح، وعندما تلمس أ نامله قطع الكتان يصرخ متألمًا.. يدخل من باب الغرفة على صوت آهات (أحمس)، كهل مسن، ينهيه بإشارة من يده للتوقف عن الحركة:

- "لا تتحرك حتى لا يزيد عليك الألم".

يستمع أحمس إلى نصيحة الرجل المُسنّ، يغلق جفنيه مستسلمًا للظلام الدامس مرة أخرى، لا يعلم لكم من الوقت، عندما فتح عيناه مرة أخرى.. تلك المرة التي رأى فيها فتاة جالسة بجانب فراشه تحمل في يدها طبق فخاري به مادة سائلة تقرب الطبق من فمه تومئ له برأسها لكي يشرب ذلك السائل، يرتشف منه بعضًا، يتألم حلقه من الابتلاع، يحاول الحركة للنهوض ولكنها تنهاه عن فعل ذلك، تمرر أناملها بين خصلات شعره، فيستسلم لذلك النوم العميق لا يعلم كم مضى من أيام في ذلك الأمر، ولكنه ظل على هكذا الحال.. مرت تلك الفتاة بجانبه ومرة أخرى الرجل المسن يقوم بتضميد جراحه وهكذا في سلسلة متكررة من الأحداث ما بين تناول الدواء وتضميد الجراح وقوة الألم حتى أتى ذلك اليوم الذي وجد فيه أن الألم أقل ويمكن

احتماله.. يفيق من حمته ويتكئ بذراعيه على الفراش ليعتدل في جلسته وينظر حوله إلى مقتنيات الغرفة، غرفة بسيطة، لا يوجد بها سوى فراش، وبعض المقتنيات من تماثيل الآلهة، يدقق النظر في ماهية أصحاب هذه التماثيل من الآلهة، فيجد (رع) و(حورس)، يفهم أنه في مكان لشخص ما يتعبد للإله (رع)، يحاول الوقوف يجد أن ساقيه يؤلمانه، يحاول مرة أخرى، يقف مستندًا على الحائط بذراعه، تقع الشمس على ناظريه، كأنه يراها لأول مرة، يغلق جفنيه من شدتها..

- "لمَ تغلق جفنيك؟"

يفتح جفنيه ليرى صاحبة السؤال، عينان ذات لون أزرق، شعر ذهبي اللون ينتهي بخصل مجعدة فوق الخصر، ابتسامة تكشف عن أسنان بيضاء تلتمع في ضوء النهار، يجيب عن سؤالها بسؤال:

- "أين أنا؟"

تضحك صاحبة القوام الممشوق ضحكة منخفضة الصوت:

- "إجلس وأنا سأحكي لك كل شيء".

يجلس على مقعد خشبي قديم موضعه جانب فراشه السابق، وتبدأ هي في سرد تفاصيل ما حدث الأيام السابقة بالتفصيل..

****

تسير بخطوات هائمة، خارجة من أبواب تلك المدينة وما تحمله لها من هموم، همّ ذلك الأمير المُحبّ لها ابن حاكم البلاد، مَن لا تستطيع

أن ترفض أي فتاة في وضعها طلباته فما هي سوى مجرد ابنة لوالدين بسيطين في وجهة نظرها، وفي نظر الآخرين أب يمتلك حانة وبيت للبغاء ما اعتادت أمها ممارسته منذ أن تزوجت من ذلك الأب الفينيقي لأمها المصرية، كانت تعتقد أمها في بداية الأمر كما أقنعها زوجها أنها تُرضي الآلهة في عمل ذلك، ومع مرور الوقت تفهّمت أن الأمر لا يوجد به أي ترضية للآلهة، هذا ما علمته من كهنة معبد الإله (رع)، تتذكر ذلك الشجار الذي دار بين أبيها وأمها بشأن ذلك وهي طفلة لتتكرر الدموع في السقوط من أعينها متذكرة تلك الليلة التي ضرب أبوها أمها، وتهديده لها أن يوهبها لكهنة معبد الإله (ست)، ليفعلوا بها ما يشاؤون هي وابنتها (عشتار)، تتذكر موافقة أمها على الاستمرار في عملها بالبغاء واستقطاب الفتيات الراغبات في ذلك على شرط أن تظل (عشتار) خارج أنياب ذلك الأمر، تتذكر غناءها لأول مرة في تلك الليلة واختلاط الصوت مع صوت هطول الأمطار، تتذكر ملامح وجه أبيها كمن وجد كنزًا في تلك الليلة في صوت (عشتار) العذب، تنظر خلفها إلى أسوار أواريس، تحاول أن تُغلق أبواب الماضي بهمومه، تستكمل خطواتها إلى ذلك المعبد القاطن خارج أواريس، بجانب ضفة فرع النيل، تقف أمام المياه تحت شمس القيلولة تنظر إلى السماء وتشكي حالها إلى الآلهة، ولكن يلفت نظرها أمر آخر، جسد لشخص مُغطًى بالدماء، تفزع من المنظر لوهلة، تقترب بخطوات مرتعدة لتتضح ملامح الأمر، فهي لشاب في مقتبل العمر.. تتساءل هل هي لميت..؟ تقترب من صدره لتسمع أنينه وتعلم أنه ما زال حيًا لتهرول مبتعدة عن المكان وتصل إلى أبواب المعبد.. معبد

الإله (رع) تسأل الكاهن الشاب وتخبره عما رأت على بعد أمتار من أ بواب المعبد ليخرج معها مسرعًا.. ويصلا سويّا إلى موضع صاحب الجروح، ومع خروج أصوات الأنين من فمه يحاولون سؤاله عن اسمه، فلا تخرج سوى أحرف غير واضحة، يقترب الكاهن بأذنه من فم المصاب ليسمع جيدًا..

- "أ....ح....م....س"

بضع دقائق تمر في ذلك الأمر، يقرر الكاهن بعدها التأكيد على عشتار ألا تخبر أحدًا بما رأت، يذهب لجلب المساعدة، ويأتي ذلك الكاهن المُسنّ ومعه شاب آخر من المتطهرين من معبد (رع) يحملوه بعيدًا عن المكان وعن المعبد، تحت أشعة شمس القيلولة.

****

- "هذا كل شيء يا أحمس".

تُنهي (عشتار) تفاصيل حكايتها عن كيفية ملاقاتها لأحمس في ذلك الوضع.

- "أين أنا إذًا يا عشتار؟"

تجيبه (عشتار) في هدوء:

- "أنت في بيت الكاهن (سخم- رع) من قرر أن يستضيفك في بيته حتى أن تشفي جروحك".

يبدو القلق على وجه (أحمس) وتدور أسئلة كثيرة في عقله ويسأل:

- "هل أنا في أواريس؟"

- "لا، خارج أسوار أواريس"

يقولها ذلك المسن، الذي رآه أحمس في مرضه أكثر من مرة أثناء مرضه في تلك الفترة الماضية.

- "لِمَ أنت متوتر؟ كل ما نعرفه عنك اسمك فقط"

- "لست متوتر، كل ما في الأمر أني غريب عن أواريس ومن مدينة ثانية"

- "من أين أتيت؟"

تقولها (عشتار) ليبدأ القلق يتملك جسد (أحمس) كاملًا، لا يعلم كيف يجيب على هذا السؤال ولكن يقرر ما سيقول وما هي القصة التي ينوي حكيها عن نفسه أمام الكاهن (سخم – رع) و(عشتار).

- "من طيبة"

يقولها منتظرًا رد فعل الكلمة على الوجوه، تتغير ملامح (سخم - رع) وما زالت ملامح (عشتار) كما هي، فيكمل حديثه:

- "كنت حارس لبعض من التجار من مدينة طيبة، اللصوص هاجمونا، وكل ما أتذكره أنني أُصبت بأسهم اللصوص، هذا كل ما حدث"

يحوم الصمت بجناحيه على الغرفة، تنظر الأعين إلى بعضهم البعض، القلق يوزع على وجوه الثلاثة، لا يعلم (أحمس) هل اقتنع (سخم -

رع) بروايته أم لا، و(عشتار) لا تفهم لِمَ القلق يظهر على وجه أحمس ووجه (سخم - رع) ولكن كل ما تفهمه أن (سخم - رع) لم يقتنع برواية (أحمس)، على عكسها هي، فهي لا ترى في رواية (أحمس) شك في الأمر وأنه من الممكن تصديق تلك الرواية، أما (سخم – رع) الكاهن لمعبد (رع) يشك في علاقة المصاب بما حدث في (أورايس) منذ بضعة أيام سابقة، عندما قام جنود أبوفيس بالقبض على بعض تجار طيبة، وأخرج منهم الأمير (أحمس) وقام بإعدامه أمام عامة أهل (أواريس)، ولكن يقرر (سخم - رع) إنهاء حالة الصمت بتلك العبارة:

– "أمن الممكن يا عشتار ترك المريض لكي يرتاح قليلا؟"

تفهّم (عشتار) معنى العبارة جيدًا، إنه يطلب منها مغادرة المكان، فتقف مقررة الخروج من بيت الكاهن، ذلك الأخير الذي يترك غرفة المريض ويهم بالخروج معها إلى باب منزله الرئيسي، في تلك الأثناء يحاول (أحمس) النهوض، يخطو بخطى بطيئة، مصارعًا آلامه، يخرج من الغرفة ليجد نفسه في ساحة المنزل الرئيسية يبحث حوله عن مخرج آخر غير ذلك الباب الذي يقف أمامه ويقوم الكاهن بإغلاقه بعد خروج (عشتار)، يلتفت (سخم - رع) إلى (أحمس)، مما أدى إلى تسارع دقات قلب (أحمس) عندما التقت أعينهما، يبتسم (سخم - رع) لـ(أحمس):

– "لا تقلق مولاي الأمير"

تقع الكلمات لتزيد من قلقه أكثر لا أن تطمئنه، فلقد علم بأمره

صاحب المنزل، إن مَن يستضيفه في منزله هو أمير طيبة الشاب (أحمس).

****

المشاعل مُضاءة في الليل أمام أبواب المعبد، تفتح الأبواب لـ(سخم - رع)، يدخل وفي كنفه اثنين من الأشخاص المتطهرين، كعادتهم اليومية في ذلك الوقت، لتقديم القرابين للآلهة المقدسة في معبد الإله (رع)، يسيرون الثلاثة بين جنبات الجدران المؤدية إلى القاعة الرئيسية، يدخلون من أبواب القاعة، بعد أن فتح الحراس الأبواب أمام الكاهن الطبيب (سخم - رع) وطلابه المتطهرين، يصلون ثلاثتهم أمام مائدة القرابين التي يجلس أمامها الكاهن الأعظم لمعبد (رع) متضرعًا بالدعاء، أمام تمثال الإله (رع) الذهبي، يقف (سخم - رع) خلف الكاهن الأعظم منتظراً الإشارة من الكاهن الأعظم له بالحديث بعد أن ينتهي من الدعاء، وكذلك المتطهرين، يجلس بجانب الكاهن الأعظم الكاهن المرتل على يمينه، وعلى يساره الكاهن الكاتب للمعبد ويقوم الكاهن المرتل بإلقاء الدعاء ويقول خلفه الكاهن الأعظم ويدوِن الكاتب للمعبد الصلوات والأدعية، يشير الكاهن الأعظم لـ(سخم - رع) وتلاميذه فيجلسون خلفه ويبدأون في ترتيل الأدعية معه، يستمر الأمر لبضع لحظات، ثم تدريجياَ ينتهي الدعاء في بضع دقائق، فيلتفت الكاهن الأعظم لـ(سخم - رع) ذلك الأخير الذي يلقي التحية على الكاهن الأعظم وكذلك المتطهرين تلاميذ (سخم - رع)، يبتسم الكاهن الأعظم لـ(سخم - رع) والمتطهر الأول ولكن تنقشع الابتسامة من على وجهه عند رؤيته للمتطهر الثاني، فهذا الشخص

وجهه غير مألوف بالنسبة له، ينظر إلى (سخم - رع) نظرة متسائلة عن كنهة هذا المتطهر، يقترب (سخم - رع) من أذن الكاهن الأعظم، ليَلقي بعض الكلمات على مسامعه بصوت خافت لا يسمعه أحد بالقاعة، فيشير بيده إلى جميع الحاضرين بالقاعة إشارته التي على إثرها يخرج الكاهن المرتل وكاتب المعبد من القاعة، ينظر الكاهن الأعظم إلى حراس القاعة فيغادرون على إثرها المكان، وتغلق خلفهم الأبواب، وتُفتح أبواب أخرى.. أبواب التساؤل، في عقل الكاهن الأعظم لمعبد (رع)، ينظر إلى صاحب الوجه الغير مألوف ويبدأ في فتح باب تساؤلات عقله أمام الحاضريين:

- "لِمَ أنت بقادم الآن لتسأل عن النبوءة يا (سخم - رع)؟"
- "سيدي خادم إلهنا المُعظَّم (رع).. وقت النبوءة قد حان"

يقولها (سخم - رع) إلى الكاهن الأعظم، فينظر الكاهن الأعظم إليه غاضبَا فيستطرد (سخم - رع) في حديثه السابق:

- "سيدي.. أقدم لك صاحب النبوءة"

يشير بيده إلى صاحب الوجه الغير مألوف والذي بدوره يتناول أطراف الحديث من الكاهنين بكل شجاعة:

- "أحمس.. بن سقنن رع"

الدار

نبوءة المطر الأحمر في معبد (رع)

(حورس) الملك، من أعالي السماوات، ينزل إلى الأرض، يضرب بجناحيه الذهبيين جنبات مصر، ليفزع الخاسوت، ويرهب قلوب الخائنين، سيعود من الموت، من سلالة طيبة شاباً، عائدًا من الموت، بأمر من رب الأبدية (أوزوريس)، ليوحّد آلهة مصر أجمعين، ضد شرور عمه (ست)، ليتقهقر عباده إلى الشرق مجدداً، معيدين أسطورة (حورس) للوجود، مع سقوط المطر الأحمر، لتتشرب بدماء الخاسوت، لتعود آلهة مصر إلى سابق عهدها، حاكمة الأرض أجمعين.

****

نبوءة المطر الأحمر من عرافة الإله (آمون)

"أحفاد (تيتي شري) و(تاعا الاول) من (سقنن رع) و(اعح حتب) سيلاقون الموت على يد المرض والخاسوت مع سقوط المطر ويتلوّن بدمائهم ويحقق نبوءة المطر الأحمر".

****

نبوءة المطر الأحمر من حلم أبوفيس

تفسير الحلم:-

"بعد أن طال عمر مرض العامو في مصر، قد آن الأوان لينتهي عصر الفتن الدينية، قد آن الأوان لتتوقف أقدامكم عن سحق رؤوس المصريين، قد آن الأوان لينتهي نهبكم للأرضين، قد آن الأوان لينتهي نسل سالتيس، سلالة (سقنن رع) ستعود لتوحيد الأرضين، وتصبح مصر تحت إمرة أمير طيبي الأصل، لينتهي عصر حكم الإله (ست) بشروره، ويعود الإله (آمون) لحكم مصر مع آلهتها أجمعين في سلام وقوة ، وستدفن يا ملك الخاسوت بعيدًا بلا عزة ولا كرامة، ستدفن بلا مقبرة ملكية فرعونية، ستموت ذليلًا على يد الأمير الطيبي، سيتوحد رع مع آمون ثانية مثل سابق العهد، مثل أيام ملكنا الأول مينا المقدس موحد القطرين، وستكون أنت وشعبك في عداد الموتى تحت المطر، سيكون النيل لونه هو دماءكم لتتحقق نبوءة المطر الأحمر".

****

- "هذا هو كل ما حلمت به يا خادم الإله (رع).

يقولها (أحمس) للكاهن الأعظم للإله (رع)، بعد أن سرد كل تفاصيل حلمه وهو في حمى المرض، يبتسم (سخم- رع) بعد نظرة الكاهن الأعظم له، فتلك النظرة لا تحمل سوى معنى واحد؛ أنه هو الأمير الطيبي الموجود بالنبوءة، وأن حلمه هو النبوءة نفسها مكتملة الأركان الثلاثة، ما سرده في حلمه هو مكمل للأجزاء الثلاثة، الجزء الخاص بحلم حاكم الخاسوت وجزء عرافة آمون ونبوءة عرافة معبد الإله (رع).

يقرر الكاهن الأعظم الحديث متوجهاً إلى الأمير الطيبي:

- "آخر جلسة بيني وبين (تحوتي) يا مولاي الأمير، حكى لي عن نبوءة عرافة (آمون)، وقد حكيت له نص نبوءة عرافتنا لدى إلهنا (رع) المُعظَّم، وإذا أضفنا تفسير حلم (أبوفيس) الملعون، تكتمل أركان نبوءة المطر الأحمر".

يصمت الكاهن الأعظم، وينتظر (أحمس) تفسيرَا لحلمه ناظرَا له، ثم ينظر لـ(سخم - رع) الذي بدوره يفهم ما يدور في بال (أحمس).

- "وبالنسبة للحلم أيها الكاهن الأعظم.. أليس بالتفسير الموحد للنبوءات الثلاثة؟!"

تندرج ملامح التوتر على وجه خادم الإله (رع) ولا يعلم كيف سينتقي الكلمات ليخبرهم معنى الحلم الحقيقي، فيقف من جلسته ويدور بوجهه لتمثال الإله (رع) الذهبي ويبدأ في التفسير:

- "الموت هو انتقاد الهزيمة من قبل النفس، والمحاكمة هي عدم الاعتراف بعدم تحمل المسئولية في الفشل، ومقابلة أوزوريس هي مناجاة من النفس للهروب من الأمر الواقع المرير، ذلك لو كان الأمر حلمًا فقط.. ولكن هذا ليس بمجرد حلم، هذه بها جزء كبير من الحقيقة في ملاقاة الآلهة".

يندهش أحمس من حديث خادم الإله (رع) ويقرر الحديث مقاطعا ذلك التفسير للكاهن الأعظم:

- "حقيقة؟.. كيف؟ هل معنى ذلك أني ..."

يصمت ولا يستطيع النطق بمكنونات صدره فيقرر خادم الإله (رع) قول الكلمات بدلًا عنه:

- "عائد من الموت".

هذا جزء من الحقيقة وأمر آخر أنك مكلف بتلك المسئولية، مسئولية إنهاء أمر الخاسوت وتحقيق نبوءة الآلهة".

- "هل سأقتل أم سيتم قتلي؟"

- "الاثنين يا مولاي الأمير"

يقولها (سخم - رع) حزينًا، ولكن ليحمل عبأ التوضيح عن سيده الكاهن الأعظم، ينظر (أحمس) للكاهن الأعظم منتظرًا تأكيد منه لكلمات (سخم - رع) فيومئ برأسه للتأكيد:

- "إذا حققت جزء من النبوءة فلا بد أن تكتمل أركانها".

يقع الأمر على (أحمس) كحجر ضخم على صدره لا يعلم كيف سيجمع الكلمات، ما سيحمل لسانه من عبارة مناسبة ليكون السؤال الذي يريد قوله:

- "مَن سيقتل الآخر أولًا هذا هو الأمر الآن أيها الكاهن أليس كذلك؟"

يومئ الكاهن (سخم - رع) تأكيدًا على كلمات الأمير الطيبي، وما هي إلا دقائق بعدها يهم الكاهن (سخم - رع) بالوقوف وبالتالي الأمير الطيبي، يسمح لهما الكاهن الأعظم بالانصراف، يخرجا من القاعة ومع غلق باب القاعة يفكر الكاهن الأعظم في هل من الممكن أن يكون صاحب الثمانية عشر ربيعًا البشري سببًا في إنهاء أمر الخاسوت؟.. لكن لم يعد يهم الآن، فلا يوجد خيارات أخرى أمامه، هذا أيضًا ما كان يدور في رأس (سخم - رع) وهو يسير بجانب (أحمس) بين جدران الممر الرئيسي المؤدي إلى باب الخروج من المعبد، فهو يعلم أنه من الممكن أيضًا أن لا تتحقق النبوءة كاملة على يد الطيبي هذا، ومن الممكن أن يكون هناك طرفًا آخر يستكمل الرحلة من بعده، ولكن لن يستطيع أن يجرؤ بالحديث بذلك الأمر أمام الشاب الحائر، ذلك الأخير الذي يحمل بين كتفيه عقلًا يدور ويدور في فلك التساؤلات و الاحتمالات والتكهّنات المستقبلية، وبين شفتيه لسانًا عاجزًا عن البوح بهمه ،هم كيفية تنفيذ أمر الآلهة، قبل أن يُقتل على يد الخاسوت، وإذا تم الأمر هذه المرة لن تكون هناك رجعة، لن يترك هؤلاء أولياء أمر مصر جثته للإحتمالات كالمرة

السابقة، هذه المرة ستكون النهاية، لن تكون هناك فتاة مثل هذه التي قامت بإنقاذه، تلك التي قرر أن يسأل الكاهن الكهل عنها عندما وجد أنهما قد وصلا لمنزله الصغير:

- "أنت واثق في (عشتار) يا سيد (سخم - رع)؟"

يجلس (سخم - رع) جلسته المعتادة له على مقعده بمنتصف الغرفة ويبتسم لـ(أحمس) ويبدأ في الحديث عن (عشتار):

- "إسمع يا (أحمس).. تسمح لي أني .."

فيشير له أحمس مبتسمًا لكي يرفع التكلف في الحديث..

- "عشتار في مقام بنت لي، الآلهة عوّضتني بها عن وحدتي طوال حياتي بعد وفاة زوجتي، استقبلتها في المعبد وهي لم تزل في عمر الزهور، تستنجد بالآلهة من صعوبة الظروف، واقع الوالدين، وواقع أواريس، وما فُرِضَ عليها من عمل الأب والأم وما يمكن تغييره بصوتها العذب ما وهبته الآلهة لها، يمكن الظروف التي نمر بها في حياتنا أصعب منا، هناك مَن يقدر يتحامل على نفسه ويستطيع أن يغير واقعه، وهناك مَن يتملكه اليأس، ولكن أصل الانسان هو ما يجعله قادر على الإختيار، وما يقرر، والأصل هنا بعيد عن النسب لأصل معين أو حتى إلي عبادة محددة، لكن الأصل هو أصل النفس التي خُلِقَت على الفطرة".

يستوعب الأمير الطبيبي الكلمات، فهو لم يكن يتحدث فقط عن (عشتار)، ولكن تلك الكلمات موجّهة له هو، فيقرر أن يسأل السؤال

التالي:

- "ولماذا لا تريد أن تعرفها حقيقتي؟ لِمَ تركتني أخبرها أني حارس، وبعد خروجها سألتني على كل ما حدث معي؟"

- "خوفًا عليها وليس منها، مسئولية الحقيقة لا يستطيع كل كائن حملها"

يسأل أحمس سؤالًا أكثر جرأة:

- "ولماذا تواري عدم اقتناعك بحديث الكاهن الأعظم؟"

يقف (سخم - رع) ويترك جلسته، ويقول له (أحمس):

- "لِمَ تهرب من عدم اقتناعك بأني الموعود بتحقيق النبوءة؟"

ينظر لباب الغرفة ويقرر (سخم - رع) الإجابة، ولكن بنبرة تحمل بين طياتها الألم والخوف:

- "لا.. لست أنت أول شخص تأملنا فيه تحقيق النبوءة.. ولكن آخر أمل لتوحيد ما تبقى".

يخرج (سخم - رع) من الغرفة تاركًا الشاب في بحر من التساؤلات من تلك الكلمات، يخرج خلفه مسرعًا، يقبض على ذراع الكهل، يتملكه الغضب والحيرة.

- "بمَ تعني أنني لست أول شخص.. تقصد أبي (سقنن رع) وأخي (كامس) أليس كذلك؟"

يصمت (سخم - رع) ولا يستطيع الإجابة، فيسأل ثانية:

- "أتعني هناك أناس حاولت قبل والدي وأخي ولم ينجحوا؟"

ينظر (سخم - رع) إلى الأرض فيفهم (أحمس) إجابة (سخم - رع)، ولكن ما المقصود بماهية آخر أمل للتوحيد..؟ يريد أحمس إيضاحاً أكثر لما تفوّه به الكاهن الكهل الذي يحمل المشعل المعلق بالحائط ويفتح صندوقًا خشبياً قديمًا ويخرج منه بردية ويعطيها للشاب الطيبي، تفتح البردية وتقع عيناه على أسماء كُثُر كل منهم بجانب الاسم، موطنه بمصر، وموعد وفاته.. يخرج الكاهن عن صمته:

- "كل تلك الأسماء، أصحابها جاء لهم جزء من النبوءة، قررنا الوقوف بجانبهم نساعدهم، وضعنا الأمل بهم، ولكن الأمور تنتهي بمقتلهم على يد الخاسوت، ومعنى ما حدث معك، أن تدخل الآلهة هو أمر مقلق، لا يحدث كثيراً إلا في اللحظات الحرجة".

مع انتهاء كلماته كانت أعين أحمس تقرأ آخر اسمين (سقنن رع) الشجاع و(كامس) المغوار. يسقط (أحمس) على ركبتيه وتسقط منه البردية أرضًا، يفهم ما يريد أن يوضحه له الكاهن من البداية، أنه إذا فشل هذه المرة فلن يكون لتلك الأرض أيّة ملامح تذكر في التاريخ.

- "لو فشلت بتلك المرة لن يتبقى شيء من الحضارة، لا آلهتنا ولا معتقداتنا، سنمسي مجرد شعب بلا هوية، مجرد رعاع عند الخاسوت.. عبيد للأقوى".

يقولها ويتذكر ذلك الجزء الذي لم يرد الكاهن الأعظم للإله (رع) سرده أمام (أحمس) من نبوءة المطر الأحمر لدى معبد الإله (رع)..

- "وإذا تخللت أجساد المؤمنين شرور (ست)، لن يستطيع الطيبي القتال، ومات مبعوث (حورس) ، وبكت السماء دمًا، ارتوى النيل بدمائه، ستسقط معابد الآلهة، لترحل، وسيخرّ ما تبقى من الناس عبيدًا للحقاوخاسوت، إلى أبد الآبدين".

****

يسير ذلك الراعي بين جنبات الطريق، يقترب بملابسه المهترئة من بعض الحراس المارين ليلًا في دورية أمنية للطرقات، يسأله أحدهم:

- "أنت.. ماذا تفعل عندك؟"

تبدو ملامح التوتر على وجهه، الخوف يتملك حنجرته:

- "لِمَ لا تجيب؟"

يبتلع ريقه ويبدأ في الإجابة وهو يرفع يده بإشارة معبرة عن كلماته:

- "هشرب في هذا البيت القائم هناااك"

ينظر الحارس إلى المكان المقصود وينظر إلى حاله ثم ينفجر في الضحك، فيقرر الحارس الآخر الحديث مستهزئًا:

- "أأنت معك نقود لتستطيع أن تشرب بها هناك..؟ الخمر هناك لعلّية القوم"

- "نعم معي"

يندهش الحارسان من الإجابة، ولكن يقرر فقير الملبس إخراج كيس من العملات الذهبية ويقوم بفتحه بكلتا يديه ليلتمع الذهب في أعين الحارسين مما يجفف ريقهما فيبتسم الفقير لهما، ومع اقتراب يد أحدهما من الكيس يبعدها الفقير.

- "لا يظهر عليك، لماذا إذًا ملبسك بهذا الشكل القذر؟"
- "أيمكن أن تساعدونني؟ أأتي بملبس حسن المظهر كي أدخل به هذا المكان؟"
- "الآن أمر صعب أن تجد تاجر أقمشة متواجد بالعمل حتى تلك الساعة من الليل"
- "ولو أعطيتكم هذا الكيس أمن الممكن أن أجد أحدًا؟"

ينظر الحارسان إلى كيس النقود ويفكران أن يأخذا النقود من ذلك الفقير بحيلة ما ويتركانه في الطريق، فيربت الحارس الأول على كتف فقير الملابس:

- "تعال معنا لندُلَّك على تاجر أقمشة قد يكون سهران حتى الآن".

يسير الفقير مع الحارسين في الطريق باتجاه معاكس لبيت بيع الخمر، حتى يصلوا إلى وجهة مظلمة بعيدًا عن المنازل والطرقات، لا يوجد بها أحد من المارة، يخرج الحارس الثاني سيفه من غمده أثناء حديث الحارس الأول مع الفقير مطالبَا:

- "أعطنا النقود حتى نتركك حيّا"

ومع انتهاء كلماته يضع الحارس الثاني السيف على عنق الفقير ويبدأ في إطلاق الضحكات عالياَ:

- "لا تحاول المقاومة وتستنجد بأحد لأن هنا لا يوجد أحد يـ... "

تقطع كلمات الحارس الأول قطع سيف الكوبيش عنقه، وذلك عندما شد الفقير ذراع الحارس الثاني للأمام بقوة ليقطع عنق المتحدث، ينخفض الفقير في سرعة متفادياً رجوع السيف على رقبته كردة فعل من الحارس الثاني ويلكمه في معدته بيده، ثم لكمة في ذقنه بقبضته الثانية يفقد على إثرها الوعي يمسك بسيفه ويقرر الفقير قطع رقبة الحارس الثاني، يجذب ملابسهما حتى يتجرّدا منها ويسحب الجثتين حتى يرقدا في مياه النيل، وبعد الانتهاء من ارتداء ما يناسبه من ملابسهما، يقرر الخوض في طريقه السابق إلى بيت الخمر، أشهر بيت للخمر والبغاء في المدينة، بيت الفينيقي، يدخل في غمده سيف أحدهما، ويقترب من باب البيت، ينظر إليه بعض الحراس من الدوريات الأمنية الليلية، الخارجون من بيت الفينيقي، فهم لا يتعرفون على زميلهم الجديد، ولكن سرعان ما تركهم الفقير بملابسه الجديدة، واثقًا من نفسه، يدخل بين جدران المكان، يجلس على مقعد أحد الموائد الخالية في ركن بعيد عن الزحام، ضحكات تخترق آذانه من هذه وتلك، قبلات وحشية من بعض الجالسين الثملين، وعلى المسرح تشدو بكلماتها ببيت الفينيقي، مَن سمع عنها الكثير، ومع عزف الآلات الموسيقية المصاحبة، وصوت (عشتار) الملائكي، تدور

الكلمات، ذكريات من الماضي القريب، لصاحبة الصوت الذهبي، ما تردَّد في آذانه في الأيام السابقة، ذلك الاهتمام، ذلك الشعور بالخوف، يتمعَّن في نبرة الصوت الحزينة، ما تحمله من آلام الأيام، وخوفها من أصحاب المقام، علية القوم، مَن يجلسون دائمًا في تلك المائدة الملكية، التي ما زالت غير ممتلئة اليوم، هل من الممكن أن يكون ذلك من حسن حظه، حتى يستطيع أن يجلس معها متحدثًا، أم أنهم قد يأتون في أي لحظة، تقترب الكلمات من الانتهاء وتقترب إحدى الفتيات من الفقير، تراوده عن نفسه مبتسمة:

- "ما كنيتك يا قمر؟"
- "أحمس"
- "أحمس تعني ابن القمر، يا قمر"

تقولها واضعة يدها على كتفه فيبعد يدها عنه، ويرميها بنظرة غاضبة، فتبتعد عنه، يقف تاركًا موضعه، مقرراً الدخول إلى مكان آخر خلف الكواليس للمسرح، لا يستطيع أحد منعه فهو في ملابس حراس المدينة وبالتالي أمام نظر الجميع هو من الدوريات الأمنية، أصحاب تطبيق القانون في مدينة (أواريس)، يحاول أن تسأله فتاة أخرى لعوبة:

- "ماذا تريد أيها الحارس الوسيم؟"
- "غرفة عشتار"
- "لماذا؟"

- "أخبريها بوجود ضيف"

- "يا سلام! سأقول لها ضيف ستخبرني بأن أبلغك اتفضل هكذا بكل سهولة؟! ما تلك الثقة؟"

- "قولي لها ضيف العجوز"

تضحك الفتاة بسخرية من كلمات الفقير، فيغضب الفقير ويتحرك نحو الأمام فتوقفه بإلقاء جسدها عليه:

- "هل ستخبريها أم سأخبرها أنا يا .."

تقطع كلمات الفقير مناداتها له:

- "أحمس"

ومع نظر اللعوب والفقير إلى صاحبة الصوت ما يجعل اللعوب تبتعد عن الفقير.

- "عشتار هذا الرجل كان..."

- "انصرفي أنتي الآن من هنا، تفضل يا أحمس"

تقولها عشتار للفقير ذو ملابس الحارس المسروقة، تسير معه إلى باب الغرفة وتفتحه ثم تشير له بالدخول فيدخل قلقًا في بادئ الأمر، وعندما تغلق عشتار باب الغرفة، تنهره عن ما فعله:

- "أنت مجنون! ما الذي تفعله هنا؟"

- "لا أفهم؟!"

يسألها مستغرباً فتسأله مندهشه:

- "الملبس من أين أتيت به؟ إنه ما يميز حراس أمن المدينة"

- "سرقته"

تفتح عيناها على آخرهما وتطلق شهقة لما قال.

- "خائفة مني أم خائفة عليّ؟:

لا تستطيع عشتار الإجابة ولكن تطلب منه ذلك الطلب:

- "إنتظرني خارج البيت حتى أغيّر ملابسي وآتي لك".

يبتسم الفقير أحمس ويخرج من الغرفة، حاملًا بين صفحات قلبه مشاعر جديدة لم يشعر بها من قبل، وبين أسطر عقله، لا منطق لما فعله اليوم، عندما قرر أن يخرج من بيت الكاهن (سخم - رع)، مطالباَ إياه أن يتركه يذهب إلى مكان وجود (عشتار)، لم يخَف من جنود الخاسوت المنتشرين ليلًا داخل المدينة، لم يفهم (سخم – رع) سبب طلب (أحمس) منه في بداية الأمر، ولكن تعلّل له (أحمس) بمبدأ واحد؛ إذا كانت الآلهة اختارت (عشتار) لإنقاذه من على شاطئ النيل، فلا بد أن اختيار الآلهة له مغزى، وعندما سأله عن كيف سيتعامل مع حراس أواريس، أجابه بتلك التي ما زالت تتردد في ذاكرته حتى تلك اللحظة:

- "أحمس أمير طيبة مات، هل هناك أحد سيصدق أنني ما زلت على قيد الحياة؟"

عبارة كانت كافية لتطفئ نار القلق في قلب (سخم - رع)، ومنطقية لعقل الأمير الطيبي ، ذلك الذي قرر المضي قدمًا في طريقه الجديد بأسطورة الحياة.

****



٣- أسطورة الحياة:

القمر، ما يزين تلك السماء الهادئة، ويترامى على جانبيه النجوم، تهابه، فهي لا تنعكس بنفس قوته على صفحات المياه، فضوءها لا يُقارن على النيل بنفس قوة ضوء القمر، ذلك العجوز الشاب، كما تراه مَن تجلس أمامه كل ليله متسائلة عن كيفية جمعه لتلك الصفتين، فيسألها الجالس بجانبها عن معنى كلماتها السابقة:

- " كيف تشاهديه عجوز وشاب في نفس الوقت؟"

تبتسم صاحبة الأعين الزرقاء وتجيب عن تساؤل رفيقها على شاطئ النيل:

- "من بعيد نحن نرى القمر أبيض ساطع، مثل وجه الشاب لكن عندما نُدقِّق في تفاصيله نقدر على رؤية علامات الزمن من تشوّهات بسيطة لا يشعر بها إلا حامل الهموم، لذا هو لكل الناس شاب في مقتبل العمر، لكن حقيقة ظهوره كل ليلة هي في حد ذاتها تخفي همومه وعيوبه لن يراها إلا القريب منه ومَن يشعر به".

يلتقط رفيقها قطعة من الحصى ويقوم بإلقاءها على سطح المياه، ومع اصطدامها:

- "لم أكن على علم مثلما أنت صاحبة صوت خلاب، أنك أيضًا صاحبة حكمة".

- "أخبرني.. هل أنت تسخر مني أم معجب بالكلمات؟"

تقولها غاضبة منه.

- "لا، معجب.. لا يوجد أية نية من السخرية صراحة".
- "إذًا معجب، لأن الكلمات على هواك، لأن اسمك (أحمس) معناه القمر أليس كذلك؟"
- "لا معجب لأن تلك الحكمة تصفني وتصفك في آن واحد"

تعتدل في جلستها وتنظر له في غضب مفتعل:

- "بمناسبة حديثك هذا أنا تقريباَ في الأيام السابقة حكيت لك كل شيء تقريباَ عني، وأنا كل ما عرفته عنك أنك ابن فلاح بسيط في طيبة وعملت كحارس شخصي لتاجر من تجار الحبوب، لكن لم تحكِ لي أية تفاصيل ثانية عن حياتك، لماذا؟"

يبتسم (أحمس) إبتسامة بسيطة حزينة، يحاول أن لا يُظهر ما يُخفيه عنها من حقيقته، ففي كل الليالي الماضية التي قضياها سوياً قبل تلك الليلة، جلسا سويّا يسألها عن حياتها وتحكي هي بإستفاضة، على عكسه ينتقي كلمات يستطيع البوح بها ولكن..

- "حياة بسيطة لا تحمل بين طياتها أية تفاصيل لتُحكي مثل حياتك، مجرد حارس، ما هو ما يمكن أن يُقال في حياة مملة مثلها، سأقول لك على أمر ما: اسألي عن شيء محدَّد وسأجيبك عليه"

- "تمام.. أهلك لمَ لقَّبوك بأحمس؟"

- "هو اسم عادي جدًا، معظم الناس تطلقه على أبنائها".

تنظر له غاضبة من إجابته.

- "الحقيقة أنه قد مات لهم أطفال كثر قبل وجودي ففكروا التسمية بذلك الاسم بعدما سألوا في المعبد، على أمل أن أبقى على قيد الحياة، وهكذا يا سيدتي وأصبحت أمامك بعدما أنقذتني من الموت، إذًا عرافة (آمون) كان عندها حق في اختيار ذلك الاسم".

- "السؤال الثاني: لماذا عندما تأتي المكان عندنا أقصد بيتي لا تجعل أية واحدة من الفتيات التقرب منك؟ خوف مثلًا؟ أم مخلص لواحدة بعينها.. حبيبة القلب و..."

- "حبيبة القلب طبعًا"

يقولها قاطعًا حديثها فتعتدل في جلستها وتبدأ وجنتيها في الإحمرار من كثرة الغضب.

- "أرأيت؟ أخبرتك أنك لم تحكِ عنك أي شيء، ألن تخبرني من هي يا أحمس؟"

يضحك على احمرار وجهها.

- "أتسخر مني؟"

تقف وتقرر أنها ستغادر المكان فيمسك أحمس بذراعها وينهاها عن

مغادرة المكان بكلماته:

- "انتظري.. لا تسيئي الظن، حبيبة القلب المستقبلية، هذا قرار متخذه عهدًا على نفسي".

- "لماذا؟"

تقولها وهي ما زالت غاضبة وغير مقتنعة بما يجيبها من مبررات فيطلق لقلبه العنان للبوح بمكنوناته:

- "قصة الحب التي رأيتها بين أبي وأمي هي السبب، التي تحدَّوا بها الظروف التي أحاطت بهم من أجل حبهم".

تجلس مرة أخرى مستمعة لكلماته وتريد منه أن يستكمل حديثه السابق.

- "تحدَّوا القوانين، وقررا أن يكونا مع بعض للأبد".

- "وهل ما زالا على وفاق الحب حتى اليوم؟"

- "ما زالت والدتي تحيا على ذكراه"

يقولها (أحمس) حزينًا متذكرًا والده (سقنن رع).

- "رحمته الآلهة، أنا آسفة لم أكن أعلم"

- " أريد أن أسالك سؤال.. ممكن؟"

- "إسأل"

- "لم أنقذتيني؟"

- "لقد سألتني هذا السؤال من قبل وأجبتك عليه أيضًا من قبل، إنني وجدتك ملقي و.."

يقطع حديثها:

- "عشتار"

يقولها غاضباَ هذه المرة.. تنظر عشتار إلى السماء وهي تجيب على سؤال رفيقها هذه المرة:

- "كنت ذاهبة لمعبد إلهنا (رع) حزينة فاقدة الأمل في الهروب من قوة الأمير (بعل)، بعد ما أعدموا أميركم أمير طيبة على الملأ، شعرت أنه لا يوجد أمل في الهروب منه، وجدتك أمامي، فتلك اللحظة فقط شعرت بوجود الأمل كالسابق ولا أعلم لماذا"

يشعر (أحمس) بالخجل والطمأنينة في نفس الوقت، لا يعلم لماذا ولكن تلك المشاعر الجديدة عليه لا يستطيع فهم سبب لها، ولا يستطيع السيطرة عليها، لا يقدر أن يمنع نفسه عن ملاقاتها كل ليلة قبل ذهابها إلى البيت الفينيقي للغناء مثل كل ليلة، يشعر أنه وهو معها ينسى كل همومه، كل أفكاره المؤلمة فيما يخص النبوءة، وفيما يخص طيبة، يريد البوح لها بشيء:

- "عشتار.. أريد أن أخبرك بأمر مهم"
- "ما هو..؟ أخبرني"
- "السيدة عشتار"

يلتفتان إلى صاحب الصوت خلفهما ليجد حارس الأمير (بعل) فتقف وتقرر أن تنهى (أحمس) عن الحديث بنظرة هو يعلمها جيدًا..

- "ماذا تريد يا مبعوث الأمير؟"

- "مولاي الأمير (بعل) سيأتي إلى البيت الفينيقي مبكّرًا ليستمع إلى أغانيك، فلا تتأخري اليوم"

- "حسنًا"

يسير الحارس بعيدًا ولكن بنظرات مترقبة لـ(أحمس) الجالس معها، وبعد ابتعاد حارس الأمير، تنظر عشتار إلى (أحمس) قلقة:

- "أرجوك إرحل الآن، عُد لـ(سخم- رع) بسرعة"

- "أتخافين عليّ؟"

يقولها أحمس بإستهزاء فتأتيه إجابتها الصارمة:

- "نعم"

تبتعد (عشتار) عن المكان تاركة الأمير الطيبي من أجل الأمير (بعل)، بذهن شارد بين مشاعره الغريبة عليه وبين مسئوليته تجاه نبوءته، لا يعلم كيف أو متى ممكن أن يقرر مصارحتها بحقيقته، بأن من أنقذته، هو ذلك الأمل الذي تنتظره ليحررها من قوة أمير البلاد (بعل)، مَن يريدها طوعًا كما حكت له، يريد قلبها له كما أخبرته، وهي لا تقدر على ذلك كما صارحته، هل ما أقرته له عن سبب إنقاذها له، شافيًا لما يبحث عنه عن مغزى اختيار الآلهة لها لكي

تنقذه، أم أن هناك سبب آخر لا يعلمه؟، لا يستطيع إجابة نفسه الحائرة، يصل بخطواته إلى بيت (سخم- رع)، يفتح الباب من قبل صاحبه، قبل أن يدقه (أحمس)، يندهش وعندما يرى نظرة (سخم - رع) له يعلم أن هناك طارئ جديد في أحداث حكايته، لا يفهم لِمَ القلق يبدو على وجه الكهل، ولكن تأتي كلمات الكاهن أسرع من تكهناته:

- "لا بد أن نذهب الآن إلى المعبد".

****

الكل يجلس في ترقب، منتظرين صاحب طلب المقابلة، يدخل المكان، المكان المنتقي على غير عادته، إنه قاعة الإجتماعات، يجلس على مقعده، ينظر إلى الكهل، ثم ينظر إلى الشباب، غاضباَ وقلقًا في نفس الوقت يبدأ الكهل في كسر حاجز الصمت:

- "سيدي الكاهن الأعظم لإلهنا المُعظَّم (رع).. هل تسمح لي بمعرفة سبب استدعاءنا أنا ومولاي الأمير أحمس؟"

- "أبوفيس أصدر قراره بالهجوم على طيبة".

يقف أحمس متفاجئًا:

- "(أحمس) الاندفاع لا تكمن صحته في الوضع الراهن، القرار الذي أعلن بتعيين (سني) حاكمًا لطيبة سيبعث مع حملة من الجيش وعلى رأس الحملة الأمير (بعل)، وطبعًا هذا معناه أكبر من قرار تسليم طيبة إلى (سني)".

يحلل عقل (أحمس) كلمات الكاهن الأعظم للإله (رع) في عقله، يفكر في مصير طيبة، مصير أهله، أمه (اعح حتب) وجدته (تيتي شري) وأخته (نفرتاري)، الأمر أيضًا لم يقتصر على ذلك، بل هو ما وراء تلك الحملة، ليس السيطرة على طيبة فقط ولكن..

- "القضاء على طيبة والانتقام من أشرافها ليكون عبرة لجميع أمراء الأقاليم"

- "تلك مجرد البداية يا (أحمس)، (أبوفيس) وجماعة الإله (ست) أهدافهم أبعد من حدود طيبة"

- "بلاد الكوش ومناجمها"

يقولها (سخم - رع) ليعبّر عمّا يدور في رأس (أحمس)، الذي يفكر في أمر سابق لحضوره بالمعبد، طلب الأمير (بعل)، وما قد يضر سرعة خروج الحملة في النهار الجديد.

- "إذًا ستخرج الحملة في الغد، أهذا صحيح سيدي خادم الإله (رع)؟"

- "نعم صحيح، هذا ما ورد لي من علاقاتي يا مولاي أمير طيبة".

- "وما بإيدينا لعمله أيها الكاهن الأعظم لوقف الأمر؟"

- "لا أعلم، أنا مجرد كاهن وأنت الأمير الطيبي المنتظر بالنبوءة".

يبتسم (أحمس) في غضب من حديث الكاهن الأعظم للإله (رع)، فهو يدرك الآن الموقف؛ أن هناك أمر آخر في جعبته، ولكنه منتظر

من الأمير (أحمس) الخروج بأفكاره للعلن حتى يتأكد من وضع ثقته فيه وأنه ليس مجرد شاب مندفع غير محسوب القرارات، وعلى إثر ما يخطر ببال (أحمس) يقرر البدء في الحديث لوضع خطته الجديدة يبدأ بكلمة واحدة:

- "أسطورة البعث الجديد"
- "لا أفهم مقصدك أيها الأمير"
- "سأقول خطتي بين هذه الجدران، لا يعلمها سوى ثلاثتنا، لأن المهم في التنفيذ عاملا السرية والمفاجأة".

يبدأ الأمير (أحمس) في سرد تفاصيل خطته، ما يجعل عين الكاهن الأعظم تلمع من الانبهار بذلك العقل الجريء، تلك الشخصية التي لم يكن يتوقع ملاقاتها، شخصية القائد الجديد، العائد للحياة من جديد، أحمس الأمير.

****

القلق، ذلك الهاجس الذي يسيطر على (عشتار)، القلق من معرفة الأمير (بعل) بأمر ذلك الحارس البسيط، بأنه يجلس معها على شاطئ النيل، الخوف من بطشه به عند معرفته لأمرها، قررت أن تبعث بتلك اللعوب على ذلك الحارس الخاص بالأمير (بعل)، حتى لا ينشغل سوى بها، وينسى أمر رفيقها ولا يخبر مولاه بذلك، عائدة إلى غرفتها، منتظره إجابة شافية من الفتاة، ولكنها تسأل عنها الفتيات الأخريات، لم يرها حتى الآن، تقلق أكثر أن لا تكون نجحت مبعوثتها في أمرها،

تدخل إلى غرفتها غاضبة، تجلس أمام المرآة، مستندة بيدها، حائرة، تقطع تلك الحيرة:

- "عشتار"

تنتفض من جلستها وتنظر خلفها لتجد (أحمس) مَن تفكر بأمره، واقفًا خلفها في الغرفة..

- "كيف دخلت إلى هنا؟"
- "لا تخافي لم يرَني أحد من حراس (بعل)"

تغضب عشتار وتبدأ في توجيه الحديث الغاضب إلى (أحمس):

- "لقد أخبرتك أن تذهب إلي بيت (سخم - رع) لماذا جئت إليّ؟ أتريد أن يراك الأمير ويقتلك؟"
- "لا تقلقي عليّ أنا جئت لأودعك قبل الرحيل"
- "ترحل إلى أين؟"
- "أعود أدراجي إلى طيبة"
- "لماذا؟"
- "أهلي هناك"
- "وهنا؟"
- "أكيد سأعود يومًا ما"

- "مجرد كلمات"

- "لم أعِد وعدًا لا أوفيه"

- "تعدني؟"

- "قبل ما أوعدك يجب أن أخبرك بأمر ما.. جئت إليك لإخبارك به"

- "ما هو؟"

- "أمر أخفيه عنك لن أقدر أن أخفيه أكثر من ذلك"

- "الذي هو؟"

يقطع ذلك الحديث الهادئ بين الاثنين بتلك الدقات الآتية على باب الغرفة من الخارج، ومع صوته القادم من خلف الباب:

- "ألن تفتح جميلتي لي الباب؟"

تتوتر (عشتار) وبصوت منخفض تخبر (أحمس):

- "إنه الأمير، إختبئ بسرعة"

يبحث (أحمس) في الغرفة فلا يجد سوى تلك الستائر التي تفصل بين مكان تغيير الملابس لصاحبة الغرفة ومَن يجلس في باقي الغرفة، يختبئ (أحمس) خلف الستائر، تقوم (عشتار) بفتح بابها مضطربة، ما بين الخوف على (أحمس) والخوف من (بعل)، تقف بين الأمرين هائمة، تومئ برأسها منحنية إحترامًا لأمير البلاد (بعل)، وقلبها مع (أحمس) المختبئ بالمكان، تجيبه بعبارتها المعتادة:

- "أمرك مولاي الأمير"

يقترب منها لتجد أنه ثمل من رائحة الخمر التي تفوح منه، يبتسم (بعل) واضعًا أنامله على ذقنها، ناهيها عن الانحناء، تعتدل في وقفتها، ويقرر (بعل) الحديث:

- "أنتي على علم أني ظفرت بمرادك؟"

تومئ (عشتار) برأسها حزينة على نفسها، فلقد نفذت أوامر كاهن جماعة الإله (ست)، ولم يعُد هناك أمر آخر تستطيع به المماطلة، مماطلة أمير البلاد عن مراده بها، محاولة رسم البسمة على شفاها، ولكن عضلات وجهها تأبى ذلك:

- وأنا عند وعدي لمولاي"

يضع (أحمس) يده على غمده مستعدًا للهجوم، كغضب كلب الأنوبيس وهو يحمي مقابر الموتى في حالة تأهَّب للانقضاض على لصوص المقابر، بينما (عشتار) تقول عبارتها وهي تفك ذلك الرباط، رباط فستانها الحريري الأبيض، رباط عفتها الدائمة، لينزل الستار عن نهايتها الآن، ففي تلك اللحظة تسقط ثيابها، لتصبح أمام أميرها عارية، فقد حان موعد إنهاء عفَّتها الماضية، قد حان موعد قطف ثمار جسدها، ما جعل الأمير سابحًا بعينه في بحر آيات جمالها الذي رسمته الآلهة، خلق لخطوط حانية، ترسم أجمل ملامح الأنوثة، وتضئ بأجمل ألوان الرشاقة، يقترب الأمير بخطواته، متمنّيًا ملامسة ذلك الجلد الناعم، تقترب شفتيه من عنقها، يشتم تلك الرائحة، رائحة

جسد حبيبته، يملأ رئتيه به، وبأعين مغلقة يضع سبابته على قلبها، لمراده.

- "أنا أشتهي قلبك يا (عشتار)،أنا حققت مرادك.. يا ترى قلبك سيحقق مرادي؟".

سؤاله لا يلاقي إجابة، بل يجد ارتجافة، ناتجة عن الخوف، الخوف من هجومه على جسدها والخوف من خروج (أحمس) من موضعه، فيقرر (بعل) أن ينخفض أرضا، فيتناول فستانها، يغطي به جسدها العاري، في سعادة منه بالغة:

"لا أريد سماع الإجابة منك الآن، عندما أعود من حملتي من طيبة سأسمع منك كل الكلام، لكن ليس هنا، بل في قصر (أواريس)، كزوجة أبدية لي، حتى أجعلك أميرة على جميع البلاد".

يُقبَل (بعل) جبينها قبلة حانية، ثم يتركها في أمرها، في غرفتها باكية، في أمر أميرها (بعل) التي هي غير راضية عنه، فهي لا تريد الزواج منه، ولكن أمر ولي العهد لا بد وأن يُنفَّذ، أما (أحمس) قد خرج من مخبأه، ويقف أمام (عشتار) يسألها ذلك السؤال:

- "ماذا طلبتي منه يا (عشتار)؟"

لا تجيب على أحمس، ولكن تبكي أكثر..

- "ما مرادك يا (عشتار)؟"

تنظر (عشتار) إلى (أحمس)، لا تعلم كيف ستقولها له، كيف ستصارحه بهذا الأمر المقيت في حياتها، تتكون الكلمات على لسانها:

- "رأس أحمس أمير طيبة".

تنتهي من عبارتها بقبضة يده على عنقها، تحاول أن تقاوم قوة إحكامها، ولكن لا تستطيع التنفس، يشحب وجهها، ويتحول وجه (أحمس) إلى اللون الأحمر، يتساءل في قرارة نفسه، كيف ولماذا، لا يقدر على الحديث، تتراخي قبضته، فتسعل عشتار، مع دخول الهواء إلى رئتيها مجددًا، ينظر لها لا يفهم..

- "لماذا؟"

يقولها وفي عينيه حيرة من أمرها، عتاب لنفسه، لما قرر أن يخبرها حقيقته، يندم على تلك الليالي التي مرت عليهما سويّا، تنظر له نادمة، على عدم مصارحتها له، تحاول أن تلملم ما تبقى من حقيقتها:

- "فعلت ذلك من أجل أبي وأمي".

- "لماذا؟"

يعود بـ خطواته للخلف مبتعدًا من عشتار، مبتعدًا عن قراره.

- "(بس) رئيس الجماعة هددني بهم"

- "لماذا؟"

يفتح باب الغرفة وهو يلوم نفسه.

- "لأن (بس) يعلم منذ زمن أنه يرغب بي فطلب مني أن أفعل ذلك"

- "لماذا؟"

يقولها ولكن لنفسه عندما يسير بخطوات الحسرة في ممر الكواليس ولكن تسمعها عشتار لتجيب:

- "خفت من البوح لك فتبتعد عني"

- "لماذا؟"

لا يقولها ولكنها تتردد في أذن عشتار لتجيب ما أرادت البوح به وهو غير موجود أمامها:

- "لأني احبك"

تقولها وهي تعلم أنه غير موجود في الغرفة متمنية وجوده ليسمعها، ولكن صاحب المشاعر الدافئة يتركها مغادراً الغرفة تاركًا عشتار في بحر أحزانها، في مياه آلامها، متخبطة في أمواج اللوم، باحثة عن طوق الشوق، ما قد يقربها من شاطئ الحياة، وحبيبها ما زال في حيرته يتساءل هل مشاعره مجرد أحاسيس كاذبة؟ هل أثَّرت عليه حمى ما بعد العودة للحياة؟ أما حبه لها سيظل مجرد جزء من أسطورته، أسطورة الحب.

****

٤- أسطورة الحب

هل هو أمر ممكن أن يتحكم في مجريات الأحداث، ذلك الذي تشعر به القلوب، أم أنه أمر وهمي، نكتب عنه في الأساطير، ويدونه الشعراء مناجيين أحبائهم، هل الحب من الممكن أن يكون جزءاً من العقيدة الحاكمة لعقل الإنسان، ويقرر اختياراته؟ أم المنطق هو مَن يقرر ويختار ما نفعل؟ تساؤلات عديدة تدور في عقل (أحمس)، لا يقطعها سوى اقترابه من منزل ذلك الكاهن، كاهن جماعة الإله (ست) من حكى مؤامرة قتله لدى أمير الخاسوت الشاب، من دبّر وغرز فتنة القتل، عن طريق عشق (بعل) لـ(عشتار)، كما حكت له، يقف معه الشابين الحارسين له من معبد الإله (رع)، يراقبان الطرق المؤدية لمنزل (بس)، رئيس جماعة (ست)، يقترب في هدوء من ذلك السور، يحذره أحد الحارسين من الاقتراب، ويقوم بالنقر بأنامله على كتف أمير طيبة المُتخَفِّي، فينظر له (أحمس) نظرة (لا تقلق)، هكذا هو استوعبها الحارس، يقفز في خفة من أعلى السور، يخطو خطوات هادئة حتى يصل إلى تلك النافذة، ينخفض أسفلها، يحرك جزءاً من رقبته، فتصبح عيناه مراقبة من خلال النافذة لما خلفها بداخل المنزل، ومع سكون الليل يسمح له بسماع ذلك الحديث الدائر بين (بس) وتلك السيدة المجهولة الهوية بالنسبة له، وتأتي الكلمات:

- "بمَ تفكر يا حبيبي؟"

يسمع تلك المجهولة منتظراَ إجابة (بس)

- "ولي العهد أتي بمهر حبيبتة (عشتار).. رأس (أحمس)"
- "كانت فكرة حلوة مني يا (بس) أليس كذلك؟"
- "نعم لكن هل نحن كنا متوقعين أن (أحمس) سيأتي لأواريس بتلك السهولة؟"
- "أليس هذا كان وعد (سني) لك؟"
- "نعم كان تخطيطه، وأعوانه في طيبه ساعدوه في هذا الترتيب. لكن الآن الوضع قد اختلف ودافع ولي العهد للحرب على طيبة أقل لأنه جلب مهر حبيبته وهذا ما يقلقني يا حبيبتي..".

يقطع تفكير (أحمس) سماعه لذلك الحديث القائم بمنزل (بس)، تفكيره في أمر (سني) أنه هو الأساس في ذلك الترتيب وأنه له أعوان آخرين داخل طيبة حتى الآن، يبدأ عقل (أحمس) في ترتيب تلك العلاقات المتفرعة داخل عقله، أعوان لا يزالون في طيبة للخائن (سني) و(بس) مَن يوحي لما يريد ويأمر (سني) بالتنفيذ، و(بس) من ينفذ أوامر حبيبته مجهولة الهوية حتى الآن له، ينتبه مرة أخرى للحديث حتى يصل لمعلومات أكثر إفادة له في المرحلة القادمة من بحثه عن الحقيقة..

- عموماً أنت عقلك يفكر في الجماعة.. في الحرب.. في الحكم"
- "الحكم ؟"
- "لن نخدع بعضنا يا (بس) ولا تحاول أن تتذاكى عليّ أنا، إنت تفكر في موضوع الحكم يا (بس).. تحلم باليوم الذي ستصبح به

مكانه".

بعض الصمت يعطي الفرصة لعقل أمير طيبة في استيعاب أطماع (بس) في حكم البلاد، يقطع تفكيره العبارة القادمة:

- "عموماً يا (بس) أنت تعلم أن أمر مثل ذلك لا يمكن أن يتم في المملكة، لا الشعب ولا حكام الأقاليم سيقبلون في تميرا أو فينيقيا، لكن ممكن أن تكون تحت (بعل) متحكم في كل الأمور، الحكمة تخبرني بذلك".
- "صدقيني يا حبيبتي، عمري ما أحلم بحكم لأني كل ما أتمناه أن يصبح حبنا في النور ليس في الخفاء".

يقطع سكون الليل أصوات أرجل حصان عربة قادمة إلى الباب الرئيسي للمكان، يقرر (أحمس) المغادرة سريعًا، قفزة سريعة من فوق السور، رغم صوت سقوطه أرضًا، لا ينتبه له حراس المكان، مع انتباههم للشخص القادم، يسأل أحد الحارسين له عن عربة من القادم، فيبلغانه في صوت منخفض:

- "عربة الأمير (بعل)"

تبدأ عربة أخرى في الخروج من الخلف، من الباب الخلفي لسور المنزل، يأمر (أحمس) الحارسين المصاحبين له بأن يتبعوا العربة وهو معهم، تسلك طريق الدخول إلى المدينة، يدخلان إلى المدينة معها، ما زالت المسافة بعيدة بينهم وبين العربة، يلمح المراقب دخول العربة من بوابة القصر الملكية لقصر الحكم بأواريس، ينظر أحمس

للحارسين نظرة آمرة:

- "أريد العلم من صاحبة العربة؟"

يتحرك أحد الحارسين مبتعدًا عن موضعهما ويصل إلى أحد حراس بوابة القصر الملكي، يتحدثان لبعض من الوقت، وبعد تناول الحارس الكيس من القطع الذهبية، يغادر الحارس التابع لأحمس من بوابة القصر عائدًا لموضع (أحمس)، يبلغه بالخبر اليقين:

- "الملكة (نفتيس) زوجة (أبوفيس)"

وهنا يستوعب حقيقة جديدة من ضمن الحقائق، علاقة الحب الخفية بين زوجة (أبوفيس) ورئيس الجماعة، جماعة الإله (ست).

****

تسير بخطاها حائرة من أمرها، تصعد إلى العربة الملكية، ومع دوران العجلات يدور رأسها، في تلك التساؤلات، ما هو المراد من ذلك الاستدعاء؟ هل هو بخصوص الأمير؟ أم بخصوص أمر آخر؟ تصل أقدام الأحصنة إلى وجهتها، فتقف العجلات، وتتوقف التساؤلات، ويبدأ القلق في خطواته نحو قلبها، ومع وقع أقدامها إلى أرض المكان، ترتفع نبضات القلب في سرعة، ومع دخولها من البوابة العالية للقصر، تنظر إلى أعلى البوابة، تقرأ عبارة سالتيس الشهيرة، بحروفها الهيروغليفية:

- (نحن لم نأتِ هنا كغزاة، بل موحدين سائر الأرض، تحت حكم إلهنا العظيم ست، في سائر الأرجاء).

تعبر البوابة ناظرة إلى جدران المكان وما دوِّن عليها من رسومات بها الراكعين للإله (ست) في تميرا، وجدران أخرى لراكعين للإله (ست) في فينيقيا، رسومات أخرى توضح حروب (سالتيس) في الأرض، بألوان لامعة، وألوان حديثة، ورسومات أخرى بها (أبوفيس) جالسًا على عرشه، وأمامه إثنان وأربعين شخصًا ممثلين لأقاليم تميرا الاثنان وأربعين، لوحة أخرى بها (أبوفيس) متوسط عرشه بين أفراد مرتدين ملابس قبائل فينيقيا وملوكها، لوحة أخرى بها الإله (رع) والإله (ست) ويتوسطهم (أبوفيس) وعلى رأسه تاج تميرا وفينيقيا، تاج هو مزيج بين التاج الأرضين المصري وتاج أهل فينيقيا المُرصَّع بالجواهر، تصل إلى باب القاعة الملكية، وعلى جانبي الباب، تماثالين للإله (ست)، يفتح الحاجب الباب، لتدخل، تشعر وكأن دقات قلبها تدق بقوة في أذنيها، تتساءل في داخلها، هل تغيّر موضع قلبها، أم هو إحساس الخوف من اللقاء المرتقب، مع مَن ينتظرها في الداخل؟ صاحب الاستدعاء لها في تلك اللحظة، لحظة المواجهة، تقترب بخطوات مرتعشة، من العرش الملكي، تنحني إحترامًا كما هي جرت العادة، يعلن الحاجب عن حضور المستدعي:

- "مولاتي الملكة (نفتيس).. المدعوة (عشتار) قد حضرت"

تشير نفتيس بأناملها للحاجب فيتحرك منصرفًا من المكان، تغلق خلفه الأبواب، ويغلق الأمل لـ(عشتار) في الهروب من المواجهة، تقرر (نفتيس) الحديث في غضب:

- "أهلًا بحبيبة ابني"

- "هذا شرف لا أستحقه يا جلالة الملكة"

تقولها (عشتار) مجاملة غير مُعبَرة حقيقة كرهها لذلك الأمير"

- "أنصتي يا.. ما اسمك؟"

تسأل في سخرية

- "عشتار جلالتك"

- "أنصتي يا عشتار.. من الممكن أن صوتك العذب أو جمالك الواضح للعين يكون سبباَ في انجذاب (بعل) ابني لكي، وعلى الرغم من أن أي رغبة يريدها ابني يجب أن أوفرها له كما عودته، لكن تلك المرة..... أنا مختلفة معه".

ومع انتهاء الملكة من حديثها، تتمنى (عشتار) في قرارة نفسها أن تبلغها بإلغاء ذلك المراد للأمير (بعل)، وأن تخبرها بإلغاء أمر الزواج، ولكن...

- "أنا مضطرة إني أوافق على طلب زواجه منك، حتى لا أكسر قلب (بعل)، لكن صدقيني، بعد ما ينول مراده، سيزهدك، ولو هو لم يزهدك، أنا سأجعله يكتفي منك".

تقف الملكة ومع وقفتها تكرر (عشتار) الانحناء مرة أخرى، تقترب (نفتيس)، من موضع (عشتار) وتبدأ في حديث شديد اللهجة:

- "وحتى تلك اللحظة التي أريدها اعلمي جيدًا إنك مهما طال الأمر لن تكوني أميرة بالمعنى الحقيقي، وحدودك في القصر تنفيذ

رغبات ابني ورغباتي أنا فقط.. هل تدركين حديثي لك أم لا؟"

- "أمرك يا مولاتي"

- "ودورك ستنفذيه كما سأقول لك، وإذا فكرتي للحظة مخالفة تعليماتي سيكون مصيرك ومصير والديك هو الموت يا (عشتار)".

ومع الكلمات الأخيرة، تشعر بوقوف نبضات قلبها للحظات، تعود دقات قلبها مرة أخرى مع تلك الإبتسامة على وجه (نفتيس) وهي تربت على وجهها بكفها الأيمن:

- "لا تخافي لتلك الدرجة، طالما أ نتي تنصتين لكلامي ستربحين كثيراَ مني ومن ابني".

- "سمعًا وطاعة يا مولاتي"

تعود (نفتيس) لعرشها الملكي مرة أخرى، تعتدل في جلستها منادية على الحراس:

- "يا حراس"

ليدخل الحارس القاعة الملكية في سرعة على أثر مناداتها

- "أمرك مولاتي"

- "خذ (عشتار) لجناح الجواري"

يهم الحارس لأخذ (عشتار) ليس كضيفة هذه المرة ولكن كجارية، بل أقرب إلى سجينة مع تلك القبضة بيده لذراعها:

- "إنتظر"

تقولها فيتوقف الحارس وتتوقف معه (عشتار) عن مغادرة القاعة.

- "من اليوم ستحلِّي بجناح جواري الأمير، لتتعلمي كيفية التعامل مع ابني، كيفية إرضائه، كيف ترتدين، كيف تأكلين وتشربين، كيفية التبرج له، ممنوع أن تخرجي من القصر إلا بأمر مني.. بالنسبة للمعبد، معبدك وصلاتك لإلهنا (ست) المُعظَّم فقط، مثل أي زوجة لأمير من أمراء الخاسوت، عبادتك لـ (رع) تنسيها، ورفيق النيل تنسيه يا (عشتار) لو يهمك أمر حياته".

تسقط الكلمات على آذانها سقوط الأحجار على سطح المياه الراكدة، لتحدث أمواج من الغضب الذي لا يمكن التعبير عنه، ولتصطدم بشاطئ الخوف، منتزعة من قلبها أي نوع من الاطمئنان، لتبدأ بذور جديدة في الإنبات، إنبات حشائش شائكة، بأشواك الكراهية.

****

الكراهية هي ليست مجرد مشاعر تبقى في القلب، بل هي أكثر من ذلك، هي محرك رئيسي للنفس البشرية في كثير من الأحيان، ما يدفعك للانتقام، ما يدفعك في بعض الأحيان لإتخاذ قرارات قد يراها البعض غير منطقية، وقد يفسرها البعض الآخر كنوع من التهور، وقد تكون في أحيان أخرى، مبدأ لتكوين تحالفات جديدة، هكذا هو منطق الأمير الطيبي، وهو يركب عربته الحربية متجهًا في طريقه الجديد، نحو مدينة أسيوط، يتحرك معه حراس معبد الإله (رع) كما رسم خطته مع كهنة معبد (رع)، صحيح أنه في بادئ الأمر لم يقتنع

خادم الإله (رع) بخطة (أحمس)، ولكن مع سرد تفاصيل العلاقة القديمة في تحالف والده (سقنن رع) وأخيه (كامس) الراحلان مع أمير (أسيوط) الراحل (نخت) قد يكون دافع منطقي للابن في تكوين تحالف جديد.. تقترب عربة أحمس من أبواب المدينة، أسيوط، تلك القابعة وسط أراضي خصباء، ومع نهاية اللون الأخضر المميز لزراعات أسيوط تظهر بوابات مدينة أسيوط، يسأل حراس البوابة عن شخصية الحاضرين، فيخبرونه بجملة متفق عليها سابقًا مع كهنة معبد الإله (رع) على لسان أحمس:

- "مبعوثو معبد الإله (رع) من الشمال".

تفتح الأبواب على مصراعيها، كما توقع الخادم الأعظم للإله (رع)، فكما رسمت الخطة أن يدخل أحمس مع حراس المعبد في ثياب كهنة معبد الإله (رع) البيضاء، على ذلك التحالف بين كهنة معبد (رع) وأمير أسيوط الحالي، حيث يأتي حراس المعبد إلى الأمير في حالات الطوارئ من أواريس، يدخلون الحراس، مع (أحمس) إلى طرقات أسيوط، يصاحبهم أحد حراس البوابة، يصلون في سرعة إلى القصر الأسيوطي، ذلك القصر القديم، الذي يحمل بين طياته ذكريات تحالفات قديمة سابقة، في عصور ساحقة، من زمن الإضمحلال الأول، وها هي قد عيدت الكرّة مرة أخرى في ذلك العصر المضمحل من تاريخ (تميرا)، فدائمًا تظهر جسارة أمراء أسيوط في زمن المِحَن، يدخل أحمس وحرّاسه إلى القصر الملكي، وفي الممر المؤدي إلى قاعة أمير أسيوط، يستجمع (أحمس) شجاعته للحظته القادمة يفتح حاجب

قاعة أمير أسيوط أبواب قاعته، وأعلن عن وصول مبعوثو معبد الإله (رع) لحضرته، يدخل أحمس وحراسه أمام أمير (أسيوط) الوراثي، ينحني الحراس أمام أمير (أسيوط) ولا ينحني (أحمس). ينتبه أمير أسيوط لأمر (أحمس) ويسأل غاضباَ:

- "من أنت؟"

فيجيب (أحمس) بكل ثقة وبجرأة لم يعتد عليها أمير أسيوط:

- "أحمس بن (سقنن رع) أمير طيبة"

يقف أمير أسيوط من صدمته واضعً ا يده على غمده إستعدادًا لشهر سيفه، فيشهر حراس القاعة سيوفهم وبالمقابل حراس (أحمس) ومعهم أيضًا (أحمس).

- "توفقوا جميعًا. أيها الأمير (مرسو بن نخت) أمير أسيوط، لتأمر حراسك بالابتعاد"
- "كيف.. وأنا أرى أمام ناظريّ مدّعي بلقب شخص توفي منذ مدّة؟"

ينظر أحمس حوله ليرى سيوف حراسه موجهة لحراس الأمير (مرسو)، والعكس كل شاهر سيفه في وجه الآخر، يفكر كيف سيخرج من ذلك المأزق، فأتت له تلك الكلمات:

- "سأثبت لك بأمر واحد فقط، ذلك الاتفاق القديم الذي تم بين أربعة أفراد، وهم أنت و(تحوتي) والراحلان (نخت)و (كامس)،

بأن يتولى نخت الحكم في حال الفوز على الخاسوت في معاركهم الماضية".

تقع تلك الكلمات على آذان الجميع، ويسقط (مرسو) على كرسيه، يتذكر ذلك الاتفاق القديم، ما قد حضره مع الراحلين، قبل الخروج لملاقاة الخاسوت منذ أعوام مضت، ولملاقاة أبيه وكامس لمصيرهما المحتوم، يشير بيده، فينزل حراس القاعة سيوفهم، وكذلك حراس (أحمس).

- "كيف نجوت من الموت يا أحمس؟"
- "لم يعد هذا مهمّا الآن يا (مرسو)، هناك أمور أهم بكثير من نجاتي من الخاسوت"

يشير (مرسو) لـ(أحمس) لكي يجلس، يجلس (أحمس) على مقعد من مقاعد ضيوف الأمير.. ينظر (أحمس) إلى حراسه، وعلى إثر ذلك يخرج الحراس من القاعة وكذلك يشير (مرسو) إلى الحراس في القاعة، فيهمّوا أيضًا بالخروج، تغلق على الأميرين أبواب القاعة، ويبدأ جدال القادة..

- "لو أنت قادم من أجل هجوم (بعل) على طيبة فموضوعك منتهي من البداية".
- "يا (مرسو) الموضوع ليس طيبة فقط"
- "لا يا (أحمس) هو الأمر طيبة، طيبة هي ما كان وما زال يريدها (أبوفيس) من البداية، والدك ووالدي حلموا حلم كبير، أكبر من

إمكانياتهما هما الاثنان، والنتيجة أنت عالم لها جيدًا"

- "يا (مرسو) صدقني الأمر أصبح أكبر من طيبة".

يقف (مرسو) من مجلسه ويقترب من موضع (أحمس) ليجلس على مقعد آخر بجانبه ويبدأ في حديثه ولكن بأسلوب مختلف وبنبرة هادئة:

- "إسمع يا (أحمس).. أنا وأخاك (كامس) كنا أصدقاء لفترة كبيرة، والعلاقة بين أسرتينا أكبر من إندفاع يُضيّع ما تبقي لنا".

- "ممكن أن توضح معنى كلامك يا (مرسو)؟"

- "الآن الأمور كلها اختلفت، (سني) أعلن أنه حاكم لطيبة، وعائلتك أصبحت في حكم المتمردين على السلطة، وجيش الخاسوت متجه لـ(طيبة)، وذلك معناه وقوفنا تلك المرة جنباَ إلى جنب مثل الراحلين (سقنن رع)، و(نخت) لن يعود علينا سوى بالهزيمة".

- "لكن الناس كلها أمنت بالحلم يا (مرسو)، حلم خروج الخاسوت من تميرا"

- "وانهزمنا قبل ذلك، والحلم انهزم مع والدينا، خوف الناس تلك المرة أكبر بكثير من حلمك".

- "لكن لم يكن حلمي وحدي فقط"

- "كان حلمنا كلنا أنا وأنت وحلم (سقنن رع) و(نخت) و(كامس)،

ومات الحلم معهم"

- "ولِمَ لا لنعيده ثانية؟"
- "لا يوجد ميت يعود ثانية يا أخ صديقي (كامس)"
- "لِمَ لا؟ أنا أمامك، وقد عدت من الموت"
- "أنت في نظر المصريين ميت، أعدمت أمام الجميع، وأعلن الخبر في أنحاء البلاد، صعب أن تجعل الناس تؤمن بشخص في نظرهم ميت".
- "واختيار اللآلهة لي أليس بكفاية؟"
- "ماذا تقصد؟"

يخرج (أحمس) قوس الإله (حورس) الذهبي، ويخرج خنجر(تيتي شري) الذهبي من غمده، ينظر (مرسو) إلى التدوينات المحفورة على القوس الذهبي.

(عُد أدراجك إلى ذري السماوات، قد مجدت يا (حورس)، وهبت تاج (منيس)، لتعرف مسالك السماء، ولتسكن الريح جسدك، لتحارب (ست) أيها الصقر المقدس).

ينتهي مرسو من قراءة ما دون باللغة الهيروغليفية الدقيقة، ليتأكد

فعلًا أنه يحمل قوس الإله (حورس) المقدس.

- "كيف حصلت عليه؟"

يقولها (مرسو) مندهشًا من أمر (أحمس):

- "الكاهن الأعظم للإله (رع) سلَّمه لي"

- "معنى حديثك أن الآلهة اختارتك"

- "إذًا في حالة أن الخاسوت دخلوا طيبة هـا....؟"

يقاطعه (مرسو) في هول من الصدمة:

- "تميرا ستمحي من الوجود"

يقف (مرسو) وبصوته العالي ينادي: (يا حراس) يدخل الحراس سريعًا إلى القاعة، ومعهم حراس (أحمس)، من هُم في حقيقة الأمر حراس لمعبد الإله (رع)، يسأل (مرسو) حراس المعبد:

- "هل معكم رسالة من الكاهن الأعظم؟"

يخرج أحدهم البردية، يقرأها جيدًا، يجد فيها كلمات الخادم الأعظم للإله (رع)، ما يؤكد حديث (أحمس) السابق، واختيار الآلهة له، لتحقيق النبوءة.

- "ابعث لقائد جيش أسيوط، بأن يستعد الجيش للخروج"

يخرج الحارس من القاعة تنفيذًا لأوامر (مرسو) أمير أسيوط، يجلس (مرسو) على مقعده الملكي، يقف (أحمس) أمامه منحنيًا احترامًا:

- "اسمح لي بعرض خطتي للحرب".

يشير له (مرسو) فيبدأ في سرد خطته والتي قد عرضها من قبل على الكاهن الأعظم لمعبد الإله (رع)، وما بها من تحقيق للنبوءة، نبوءة الانتهاء من حكم الخاسوت، وما يبقى على آمال حلم الراحلين، ليضعوا أسطورتهم، أسطورة الحلم.

****

اسكرايب

٥- أسطورة الحلم

الحلم هو ما يصنع الأمل، الأمل في الحياة، حياة يكون بها غد مشرق بشمس تجعله أكثر سعادة، لنتنفس رائحة التفاؤل، التفاؤل بتحسن الأمور، بأن ننال المراد، سواء كان المراد هو أمان لمَن نهتم بهم ونُكِنَّ لهم بعض من المشاعر التي لا تفهم سوى عند الاشتياق.. ذلك الألم الموجود بالقلب، تنظر إلى القمر، هائمة، في أمر مَن تهتم بهم، والدها ووالدتها، وذلك الطيبي، مَن تعلق قلبها به، لتتساءل هل هو ما زال على قيد الحياة، هل هو يفكر في أمرها مثلما تفكر في أمره، هل ما زال يتذكر جلستهما على شاطئ النيل، هل يفكر في أن يعيد حديثهما مرة أخرى، تتساءل في أمر ما هي مقبلة عليه، كيف ستراه مرة أخرى، بعد زواجها من (بعل)، كل ذلك يدور في عقلها وهي تركب العربة الملكية، بعد أن سمحت لها (نفتيس) بالخروج من قصر (أواريس) للمرة الأخيرة، لكي تودع أهلها وهي ما زالت مجرد عروس محتملة للأمير (بعل)، تصل العربة إلى بيت الفينيقي ولكن ليس أمام الباب الرئيسي ولكن أمام الباب الخلفي، تنزل من العربة، وتدخل من الباب الخلفي، ومعها أحد حراس قصر (أواريس) كما هي تعليمات زوجة (أبوفيس)، تصل إلى صالة المنزل الخلفي، تجلس منتظرة قدوم والديها إليها.. يدخل والدها الفينيقي إلى المكان، يرى الحارس، ما يجعله يحبس دموعه، ومعها تتوقف الكلمات في الحلق، أما والدتها تدخل باكية، تراها (عشتار)، فترتمي في أحضانها باكية مع بكاء

والدتها، تنظر أعين الأب الفينيقي إليهما، يلوم نفسه على ما وصلت إليه الأمور، وتنظر زوجته إليه نظرة متكلمة وكأنها تريد أن تقول (أنت السبب في الفرقة بيني وبين ابنتي)، فقد كانت تحذره من البداية، أن إعجاب (بعل) الأمير بها ستكون نهايته في أفضل الأحوال، أسرها كجارية له في قصر (أواريس) الملكي، تلوم زوجها الفينيقي على إصراره على الغناء بأفضل الألحان والكلمات في حضرة الأمير (بعل) كل ليلة، وفي كل ليلة كانت تهاب من إعجاب أمير البلاد بها، حاولت مراراً مع زوجها بأن يمنع (عشتار) من الغناء حتى تخفيها عن أعين الأمير، ولكنه رفض، فهي كانت بالنسبة له منجم للذهب، تدر دخلًا كبيراَ للمكان يفوق بنات البغاء، يحاول أن يستجمع الكلمات، يجد أن جميع الكلمات التي حاول تجميعها في جمل ليقولها تخونه، فلا يجد سوى كلمة واحدة:

– "سامحيني"

تنظر زوجة الفينيقي نظرة له، هو يعلم معناها جيدًا، فيقترب من الحارس مصطنعًا الابتسامة ويربت على كتف الحارس.

– "أمن المعقول أن تكون ضيفًا في بيت الفينيقي ولا ترى كرمه؟"

لا يفهم الحارس حديث الفينيقي السابق، فيستطرد الفينيقي مرة أ خرى في حديثه موضحًا معناها:

– "تعال معي، سأجلسك مع أجدد بنت عندي، بنت ... حكاااااية"

يبتسم الحارس له ويوجه كلماته إلى (عشتار):

- "عندما تنتهي إبعثي لي يا سيدتي حتى نعود للقصر الملكي"

تومئ (عشتار) برأسها للحارس الذي يغادر الصالة مع أبيها الفينيقي، إلى مسرح البيت الرئيسي، تتحدث الأم لـ(عشتار):

- "أنا السبب يا ابنتي، أنا لم أستطع مجابهة أباكِ من البداية، يا ليتني كنت منعتك من الغناء في المكان، يا ليتني كنت رفضت أمره، يا ليتني كنـــ......"

تقاطعها (عشتار) بحديثها وهي تزيل قطرات دموعها المتلألئة بالحسرة والندم على وجنتيها:

- "أرجوكِ يا أمي لا تلومي نفسك، ولا تلومي أبي، ما قررته الآلهة لنا لا يمكن أن نلوم أنفسنا عليه".

- "طمني قلبي عليك هل تُعامَلين جيدًا أم لا؟ أتأكلين جيدًا؟ أتنامين جيدًا؟"

تضع (عشتار) كفوفها محتوية كف والدتها مطمئنة إياها:

- "حمدًا للآلهة، لا تقلقي عليّ هناك"

تنظر الأم في أعين ابنتها لتتأكد من علامات الكذب..

- "عالمة بكذبك عليّ، لا تقدرين على الكذب عليّ أنا"

- "أرجوكِ يا أمي قلت لكِ لا تقلقي عليّ، فقط ادعي الآلهة أن يحموني من شرور الأمراء والملوك، المهم الآن، هل قدمتي القرابين للإله (رع)؟"

تومئ برأسها بالإيجاب وتستطرد في الإجابة:

- "نعم يا ابنتي، وقابلت كاهننا (سخم - رع)، وهو هنا موجود عندما علم بموعد حضورك"

- "أين هو؟"

- "كنت منتظرًا حتى خروج الحارس كي أستطيع مقابلتك"

يقولها (سخم – رع) وهو يظهر من وراء الستار، يبتسم لـ(عشتار) التي تنحني احترامًا له فيربت (سخم - رع) بيده على رأسها، ويستطرد حديثه السابق:

- "كنت في حاجة ماسّة لتلك المقابلة كي أطمئنك"

- "أأحمس بخير حال؟"

تقولها بلهفة لـ(سخم - رع)، ما يجعله يبتسم من نبرة قلقها على (أحمس)، وتتساءل الأم بعينيها لـ(عشتار):

- "الشاب الذي حكيت لك عنه يا أمي"

- "نعم بخير"

- "أين هو؟ في أواريس، إذا كان هنا فلتجعله يرحل الملكة عرفت بوجوده معي على النيل، أرجوك يا (سخم - رع)".

- "لا تقلقي.. هو غادر أواريس، لكن ادعِ الآلهة أن يحقق هدفه"

- "اتمنى من كل قلبي أن الآلهة توفقه، لكن أرجوك أطلب منك

طلب يا سيدي الكاهن"

- "ما هو؟"

تنظر إلى والدتها فتفهم الأم ما تريده ابنتها، فتهم بالمغادرة حتى تترك (عشتار) مع (سخم - رع)، وتستطرد (عشتار) في حديثها:

- "قُل له أني لم أطلب من الأمير ذلك الأمر برغبة مني، أخبره أنه كان أمرَا خارج عن إرادتي".

- "هل علم أمر طلبك من الأمير (بعل)؟"

تنظر إلى الأرض محاولة أن تخفي حزنها عن الكاهن، وهي تتذكر غضب (أحمس) منها عندما علم بأنها طلبت رأسه من (بعل) كمهر لها، تتمنى أن يرجع بها الوقت لتحكي له الأمر بحقيقته، وهما سويّاً على شاطئ النيل، لا يعلم (سخم- رع) هل يخبرها بحقيقة (أحمس) الذي تظنه حارس لأحد التجار، هل يخبرها بأنه هو مَن طلبت رأسه من ابن عدوه اللدود، هل يخبرها أنه ما زال حيّاً، فيسألها أولًا:

- "وعندما علم بذلك ما كانت ردة فعله؟"

- "تركني ورحل من الصدمة، لم أكن أعلم أن أمر أمير طيبة يهمه لتلك الدرجة"

- "عمومًا ادعِ له الآلهة أن يتحقق هدفه، لكي يتأجل زفافك من الأمير (بعل)"

تمتلك الدهشة ملامح وجه (عشتار)، فهي لم تفهم العلاقة حتى الآن

بين زواجها من بعل، و(أحمس) الحارس، كيف سيكون هدفه أمرًا جللًا بمنع ذلك الزفاف؟ فيوضح (سخم - رع) معنى حديثه السابق بكلماته التالية:

- "مثلما طلبتي من (بعل) رأس (أحمس) بتعليمات (بس)، مثلما الآلهة كافأتك على رفضك الأمر ومنعتي حدوث مراد (بس)".

تفتح عيناها من هول الصدمة، تحاول ألا تقنع قلبها بما يدور في رأسها من أفكار، فحديث (سخم - رع) لا يحمل سوى معنى واحد، أن من أنقذته هو نفس الشخص الذي طلبت رأسه، ومع علو خفقان القلب، يعجز الفم، يقاومه اللسان، فتخرج كلمة واحدة تكفي (سخم - رع) بفهم ما يدور في رأسها:

- "أحمس"

- "نعم هو الأمير، أرادت الآلهة أن تجمعك بمَن هو مثلك في طيبتك، أرادت منك أن تُجسَدي دورك بأسطورته، كما فعلت (إيزيس) مع الإله (أوزوريس).."

- "أن أنقذه من الموت".

تقولها لتستدرك كل معنى حديث حبيبها السابق على الشاطئ، عندما أخبرها أن أهله في احتياج إليه، وفهمت معنى وعده لها، عندما وعدها بالعودة مرة أخرى، ولكن هل غضبه منها الآن سيمنع قلبه من الشعور بما تحمله من مشاعر؟ هل ألمه منها عندما علم بمرادها من (بعل) سيجعله يكرهها؟ فهي الآن في حيرة من أمرها، هل

تفرح لأنه ما زال على قيد الحياة ما يمنع زواجها من (بعل)؟ أم تحزن لعلم (أحمس) بمرادها من أمير الخاسوت؟ أم تقلق على حبيبها من مواجهته القادمة مع عريسها المحتمل؟ يربت الكاهن الكهل (سخم - رع) على كتف (عشتار) فيقطع أمواج تفكيرها بطلبه منها:

- "لا تجعليني أندم أنني قد بُحت لكِ بالسر"
- "لن أخبر أحدًا يا سيدي الكاهن.. أعدك"
- "وأعدك أنه عندما تستقر الأمور سوف أحل سوء التفاهم الذي حدث بينكم يا ابنتي".

يقولها (سخم - رع) ليَحيي في قلبها الأمل، أمل تحقيق حلمها، حلم الحب.

****

"نموت نموت ولا تموت طيبة، نموت نموت ......" يميز (أحمس) و(مرسو) تلك النبرات العالية من خلف وأمام أسوار طيبة، ينظر (أحمس) لـ(مرسو) ويعلم أن الموعد قد اقترب، موعد تنفيذ خطتهم المتفق عليها، فقد تم الترتيب، أن يخرج (أحمس) و(مرسو) معًا بجيش أسيوط، إلى طيبة ذلك الجيش المكون من مائة فصيل من جنود المشاة وخمس فصائل من سلاح العربات الحربية وفصيل من الرماة، وكما تم الترتيب بالوصول خلف جيش الخاسوت القادم من أواريس بسرية كاملة من جنود المشاة مكونة من مائتين وخمسون فصيلًا وعشر فصائل من سلاح العربات الحربية، وخمس فصائل من

الرماة، يتذكر (أحمس) خطته جيدًا، عندما كان يشرحها إلى (مرسو) وقائد جيش أسيوط على مائدة الحرب، ما دون بها خريطة لـ(مدينة طيبة) وما حولها، فقد بنيت الخطة على عنصرين رئيسين، الإحكام من الخلف والأمام، وثانياَ عنصر المفاجاة، يتذكر شرحه المُفصّل لـ(مرسو) وقائد جيش أسيوط:

- "سنقترب خلف موضع تمركز جيش الخاسوت بما يعادل خسمائة ذراع في الليل، يتوارى جنودنا خلف الأشجار العالية بأراضي الزراعية المحيطة بمدينة طيبة، وعلى حسب ما ورد إلينا من معلومات: تتكون حملة جيش الخاسوت إلى طيبة من سرية من جند المشاة أي ما يعادل اثني عشر ألفا وخمسمائة جندياً وخمسمائة عربة حربية ومائتان وخمسون من رماة السهام، وإذا عادلنا مجموع جنودنا في جيش أسيوط وما يوازيه من جنود جيش طيبة الحالي سنجد ما يقرب من عشرة آلاف جندي من المشاة مقسمين إلى نصفين، خمس آلاف جندي أسيوطي وخمس آلاف جندي طيبي، وأيضًا خمسمائة عربة حربية مقسّمة إلى قسمين وكذلك مائة من رماة الأسهم، فبالتالي عند بدء هجوم الخاسوت على النصف الأول من العدد لجيش طيبة سيكون القسم الثاني من العدد يهجم من خلف الخاسوت وبالتالي الفارق في العدد من حيث الزيادة العددية لمشاة الخاسوت سيتشتت بين هجوم النصفين، ورماة طيبة أعلى السور، ورماتنا في الخلف سيتفوقون نسبياَ لموضع تمركزهم على رماة الخاسوت في منتصف أرض المعركة".

يتذكر (مرسو) سؤاله لـ(أحمس):

- "إشارة البدء؟"

- "ستكون من قوس الإله (حـورس) الذهبي"

يقطع تفكير (أحمس) فيما سبق من تذكره لتفاصيل الخطة إشارة الأمير (بعل) لجنوده بالبدء في الهجوم على طيبة، يرفع رماة الخاسوت أقواسهم عالياَ برؤوس سهامهم، يعطي قائد جيش الخاسوت إشارته، وعلى إثرها يبدأ المشاة في التحرك، تدوس أقدام الخاسوت على ما زرع أمام أسوار المدينة، يستعد جنود مشاة جيش طيبة للدفاع عن مدينتهم، ومع مناداة (نشئ) قائد جيش طيبة في جنوده بالاستعداد، يعطي (مرسو) إشارته بالاستعداد رافعًا سيفه ليظهر بين الزراعات الخضراء المرتفعة، فيظهر الجند الأسيوطي من مخبئهم، تتحرك العربات قليلًا من خلف الأشجار، يقف (مرسو) و(أحمس) جنباَ إلى جنب بين الجند الأسيوطي، يرفع الرماة الأسيوطيين الأقواس لتلمع رؤوس أسهمهم تحت أشعة الشمس، ينظر (مرسو) إلى (أحمس)، ليعطي الإشارة المتفق عليها، يرفع القوس الذهبي للإله (حورس) عالياَ، يسحب سهمه الذهبي جيدًا، يطلقه لعنان السماء، مخترقًا أصوات تحرك الجند وصوت أقدام الخيول، يهبط إلى موضع جندي من جنود الخاسوت، مخترقًا ذلك الضخم من ظهره، فيسقط أرضًا أمام أقدام الجند الطيبي، يتوقف جند الخاسوت عن الحركة فكيف لرماهم إصابتهم هم وليس إصابة الجند الطيبي؟ تتجه الأعين للخلف، ليأتي رؤية (أحمس) للجميع، راكباَ عربته الحربية بقوس

(حورس) الذهبي، فما هي إلا لحظات ويبدأ جند طيبة في النزول على الأرض في وضع الركوع، وتسقط السيوف من أيدي جند الخاسوت في ذهول تام، ينادي (أحمس) بصوته عالٍ:

- "لا تنحنوا يا أهل طيبة، فهذا ليس دوركم اليوم، إنما هو دور الخاسوت"

وما بين فرحة نفرتاري ببقاء (أحمس) على قيد الحياة، وذهول (بعل) من ظهور غريمه العائد من الموت، يقف (نشئ) سعيدًا بعودة أميره الطيبي وما قد أتى به من إمداد وعون، فيحاول (سني) عدم الغضب من وجود غريمه ابن الراحل (سقنن رع) أمام طيبة، ولا يفكر (بس) كاهن جماعة الإله (ست) في ألا يفقد إيمانه بألهه (ست)، ينادي قائد جيش أسيوط في جنده:"هجوم"، فيتحرك جند أسيوط بين الزراعات وخلفهم العربات الحربية الأسيوطية وفي نفس التوقيت ينادي (نشئ) في جيش طيبة:

- "هجوم"

تنطلق السهام من رماة طيبة ويتحرك جند طيبة متحولين من وضعية الدفاع إلى الهجوم على جند الخاسوت المذهولين، تنادي نفرتاري في حراس البوابات لمدينة طيبة:

- "افتحوا البوابات للعربات الحربية".

ومع فتح البوابات وسقوط أسهم الرماة من كلا الجانبين، من الخلف الأسيوطين ومن الأمام الطيبيين، يحتار قائد جيش الخاسوت في أمره،

كيف سيقسم جنده على كلا الجانبين، يتساقط العديد من قتلى الخاسوت، عربات الخاسوت الحربية لا تعلم إلى أين تتجه إلى طيبة أم تتراجع للخلف، يتساقط العديد من رماة الخاسوت بأسهم الأسيوطيين، يتوغل الجند الطيبي والجند الأسيوطي بين جنود الخاسوت، كالنار في الهشيم، فتزداد القتلى تحت أقدام جند الجنوب من جنود أواريس، يتساقط قائدي العربات الحربية للخاسوت كقطرات المطر، تطاير الدماء في وجه (أحمس) وهو يغرس خنجر الإله (حورس) الذهبي في جندي خاسوتي، يحاول آخر الظفر به ولكن سيف (مرسو) أسرع من يد الخاسوتي لتطير ذراعه في الهواء، فيرفع (أحمس) قوسه مرة أ خرى ولكن بثلاث سهام ذهبية موجهاً رؤوسها نحو موضع (بعل) و(سني)، فيقاوم (بس) الشاب الأمر بوضع جسد جندي خاسوتي بدرعه أمامهم ليسقط أمامهم.

– "تحركوا، ماذا تنتظرون؟"

يأمرهم (بس) في خوف من ملاقاة حتفهم وسط ميدان المعركة، يتحركون بعربيتين حربيتين، الأولى بها (بس) و(بعل)، والثانية بها قائد جيش الخاسوت و(سني)، يرتفع مرة أخرى (أحمس) عن الأرض بركوبه العربة الحربية فينظر لـ(مرسو) نظرة معلومة مرادها له، لينطلق (أحمس) بالعربة بين الحشود المتقاتلة يضرب بسيفه من يعترضه تارة، ويصوب سهامه الذهبية في قائدي عربات مقابلة له تارة أخرى، فيصوب سهمين متعاكسين في الاتجاه، فيسقط قائدا عربتين دفعة واحدة بأرض المعركة . تصل عربة (بس) و(بعل) إلى

يمين أرض المعركة وخلفها ما زالت عربة قائد الجيش و(سني) محاولة الخروج ولكن عربات الأسيوطيين تقابلهم كما هو متفق سابقًا، بأن تهاجم العربات الحربية التي تحتوي على (سني)، ذلك الأخير الذي يضرب بسيفه من يقابله، تصبح العربة الحربية له بين عربتين أمامه وعربتان خلفه، تقترب عربة (أحمس) من موضع العربات الخمسة. ينادي (أحمس) في قائد جيش الخاسوت وهو موجهًا سهمه الذهبي:

- "سلمّني (سني) إذا أردت الخروج من هنا حي"

ينظر القائد الخاسوتي إلى جنده، لا حول لهم ولا قوة، ينظر إلى عرباته الحربية لم يعد يتبقَّ قائد لعربة خاسوتي على عربته، حتى هذا الأخير يقوم أحد جند الطيبي بإلقاء جثته خارج عربته ينظر إلى سني مبتسمًا:

- "أعذرني يا (سني)"

وعلى إثر كلماته تنطلق ركلته لصدر(سني) ليسقط أرضًا من على العربة، تتحرك العربات الأربعة الأسيوطية لتحيط بموضع (سني) الواقف أرضًا شاهرًا سيفه مستعدًا للعراك، ينظر لعربة قائد الجيش الخاسوتي التي ابتعدت عن المكان خلف عربة (بعل) و(بس) يستجمع أفكاره وقواه، ليجد (أحمس) واقفًا أرضًا أمامه، وسط أصوات القتال وصرخات القتلى وأقدام الجنود وصليل السيوف، يخرج (أحمس) سيفه من غمده بيمينه، ويحمل بيساره الخنجر الذهبي ومعلقًا على ظهره القوس الذهبي لـ(حورس) يستعد (سني) بسيفه:

- "أنت اليوم فريسة سيفي يا (سني)"

يضحك (سني) ضحكة عصبية:

- "أتظن ذلك؟"

- "عندك أمل في الهروب تلك المرة مني أيضًا؟"

- "محتمل.. لا أحد يعلم"

يقوم (سني) بتحريك سيفه إلى اتجاه صدر (أحمس)، فيقابلها سيف (أحمس) بضربة قوية لسيف (سني).

- "امنحني ما عندك يا (سني)"

يحاول (سني) ثانية بتوجيه سيفه إلى رأس (أحمس)، ذلك الأخير الذي جعل سيفه يفتح خط من الدماء في ذراع (سني)، يسحب (سني) ذراعه متألمًا ويمسك بسيفه في ذراعه الأخرى:

- "أخرِج ما في مكنونات روحك من حقدك على (سقنن رع)"

يوجه (سني) السيف مرة أخرى إلى صدر (أحمس)، فيبتعد (أحمس) عن موضع السيف ملتفًّا بجسده حول نفسه ويقرر سيفه بقطع كف (سني) الحاملة للسيف لتسقط أرضًا مع صرخات (سني)، وما يتساقط دماءه من ذراعه.

- "فلتأتني بما تمتلك من كره للأشراف يا (سني)"

يتناول (سني) سيفه من الأرض بكفه الباقية وهو متأوِّه بسبب

آلامه، يتحرك (سني) بجسده شاهراَ سيفه إلى وجه (أحمس):

- "يجب أن تموت يا ابن (سقنن رع)"

يفادي (أحمس) السيف متحركًا يمينًا عن موضع (سني) ويقطع كفه الآ خر بخنجر (تيتي شري) الذهبي فيجثو (سني) على ركبتيه صارخًا، ينظر إلى ذراعيه المتطاير منها الدماء مكان قطع كفيه.

- "كيف لم تُقتَل؟ كيف آآآه"

- "لم أمت حتى آتي برأسك"

ومع نهاية كلمات (أحمس) ينزل الخنجر الذهبي على موضع رقبة (سني) في سرعة، فاصلًا رأسه عن الجسد، تلك الأخيرة المتدحرجة ليوقفها (أحمس) بقدمه، يرفعها (أحمس) من الأرض، يتمعن النظر إلى وجه (سني):

- "اليوم ظفرت برأس الخائن مثل ما وعدتك يا جدتي (تيتي شري)"

يرفع رأس الخائن عالياَ، ينادي بين الجميع بصوت عالياَ، صوت يجمع بين الفرح والألم:

- "(سني) مات، الحاكم الجديد لطيبة مات"

يهدا القتال تدريجياَ بين ما تبقى من جند الخاسوت وجند أسيوط وطيبة وينتبه الجميع لموضع (أحمس) فيستطرد بصوته عالياَ:

- "يا جنود (أبوفيس) ارجعوا لمولاكم أبلغوه (أحمس) أمير طيبة أخذ رأس سني بأمر آلهة مصر".

يقترب (مرسو) من موضع (أحمس) ويتحدث بصوت يدل على القوة والإنتصار:

- "أميركم هرب وقائد جيشكم هرب، مَن يريد أن يحارب فسيفي له موجود، ومَن يريد أن يرحل مذلول لأواريس الطريق أمامه مفتوح، لن يعترض أحد طريقكم".

يبدأ الجنود في التهامس بينهم، يلقي ما تبقى من جيش الخاسوت سيوفهم مذلولين، يتحرك بعضًا منهم، ولكن يوقفهم حديث (أحمس):

"أبلغوا (أبوفيس) أن العائد من الموت سيأتي إليك بأواريس لينفذ أمر آلهة مصر أجمعين في القضاء عليك وعلى حكم (ست) للأرض، فمن أراد العودة للإله (ست) فليرحل، ومن أراد تنفيذ إرادة آلهة الأرض لحكم مصر فليبقى".

يرحل القليل من جنود الخاسوت ويبقى الكثير، تبدأ الرؤوس في الانخفاض، لتبدأ الأجساد في الانحناء، لتجثوا على أقدامها، اجساد العديد من الجند، لا تستطيع التمييز بين الجند الحاضرين، هل هم من أسيوط أم طيبة أم هم جند أواريس، ولكن حقيقة واحدة للجميع بأرض المعركة.. إن (أحمس) قد عاد من الموت ليجسد تلك الأسطورة في الحياة، التي حدثت بين الإله (حورس) والإله (ست)، معركة الخير والشر الدائمة، وعلى الجانبين، يفكر الطرفين (بعل وبس) كطرف أمام (أحمس ومرسو) وعائلة الأشراف في ما هو آت، من تلك

الأحداث، أحداث الاستعداد لمعركة الحكم، حكم تلك الأرض، حكم تميرا، والإيمان بوجودها في الأرض، ليظل إيمانها نابضًا بإسمها، ليست كجزء من مملكة الخاسوت بل............ كأرض تميـرا.

يتبع...

أسرار

ملاحظات:

* **كا: مسمى القرين للإنسان في العقيدة المصرية القديمة**

** **شممت: طبقة الموظفين**

***

* **(اون-نفر): أحد ألقاب الإله أوزوريس**

/* **(الأراضي الاليزيه - سخمت-حتبو): مسمى الجنة في العقيدة المصرية القديمة**

مسمى الميت في محاكمة الموتى يقترن بإسم (أوزوريس) كإله للموتى في العقيدة المصرية القديمة.

الخاس

ـــــــــو

ت

نبـــوءة المطر الأحمر

"رواية مقتبسة من بعض الأحداث التاريخية"

الجزء الثاني

(العهد)



الفصل الخامس

أرض تميرا

١- أرض أواريس:

الأحاديث ما تتبادله الناس من كلمات، كلٌ يحكي بطريقته، عما حدث في طيبة، العامة يتهامسون على الجند في الطرقات بكلمات تحمل الكثير من السخرية، الإهانة، الجبن، هذا ما يجعلهم مذلولين، لا يستطيعون النظر إلى عامة الناس، أما جماعة الإله (ست)، يتوارى أعضاءها عن الأنظار، لا يستطيعون مواجهة الناس، كيف سيفسرون لهم ما حدث، كيف سيوضحون لهم كيفية عودة (أحمس) من الموت، من رأته أعين قاطني أواريس وهو يعدم من فوق أسوارها، كيف سيقنعونهم بأن إلههم (ست) ما زال يحميهم، ما زال يسيطر على كافة أنحاء الأرض كما يدعون، هل سيدعون أنهم على علم بما حدث، لا يستطيعون قول ذلك، هل سيقنعون الناس بأنهم لديهم حلول لوقف المتمردين كما يسمونهم، أما اصحاب القصر الملكي في أواريس لم يخرج منهم تصريح رسمي حتى للعامة، الملك متوارى عن الأنظار، الملكة لا تظهر حتى بالأسواق كسابق عهدها، أما الأمير (بعل) هو أكثرهم حزنًا وهمه كبير، وغضبه لا يستطيع أمام أحد أن يخفيه، يجلس في غرفة نومه الملكية، لا يخرج منها منذ العودة من هزيمة طيبة، لا يقابل أحدًا، ولا يأكل، لم يقم سوى بأمر واحد فقط منذ عودته؛ هو بعث بحارسه الشخصي إلى جناح الجواري، برسالة لـ(عشتار)، مفاداها العودة إلى بيت أهلها، فـ(أحمس) ما زال بالحياة طليقًا، وشرطها لم يتحقق بعد، لم يستطع حتى مواجهتها بذلك الأمر،

أما (بس) رئيس جماعة الإله (ست)، لم يترك الخمر فمه، ولم يدخل حتى باب مكتبه في مبنى مقر الجماعة بأواريس، في منزله هو قابع، يفكر فيما هو قادم، كيف سيواجهه، المدعو (أبوفيس)، ما هي الحيل الجديدة التي قد يقدمها له حتى ينتصر في حربه على متمردي طيبة، من نسل (سقنن رع)، لا يجد في جعبته شيئًا، يدق باب المنزل..

- "إدخل"

يدخل الحارس من باب المنزل ليخبره الآتي:

- "سيدي، مولاتي الملكة (نفتيس) تريد مقابلتك"

يقفز (بس) من جلسته ويشير للحارس بأن يفتح الباب على مصراعيه فتظهر الملكة بفستانها الأبيض اللامع في ضوء شمس أواريس، ينحني أمامها إحترامًا

- "تفضلي يا مولاتي بالدخول"

تدخل (نفتيس) المكان ويهمّ الحارس بالخروج وغلق الأبواب، وما هي إلا لحظات من الصمت لترتفع يد الملكة لتصفع (بس) بكل قوة، من شدتها لا يقدر (بس) على تحريك لسانه من مكانه، لتستطرد هي في الحديث:

- "أنا جئت إليك اليوم بصفتي ملكتك يا (بس)"

ينظر (بس) في عينيها، يبحث عن حبيبته التي يحبها، لا يجد سوى الغضب منها، جمود في المشاعر، يبحث عن حبها له، لا يجد سوى

سوط القسوة في ذلك اللسان الغاضب:

- "هذا خطأك يا (بس)"

يحاول (بس) أن يُخفي مشاعر الحنين لها، ويتحوّل إلى ذلك الماكر رئيس جماعة الإله (ست)، ويبدأ في الدفاع عن نفسه:

- "مولاتي الملكة، (أحمس) قد عدم بالسهام على مرأى الجميع، لم أكن أتخيّل للحظة أنه نجى من الموت يا مولاتي"
- "دورك الحالي كرئيس للجماعة ولجهاز الكشافين لا يصلح به أن تكون تلك إجابتك على الملك (أبوفيس)، وهذا تقصير منك كبير يا (بس) أنك لم تتأكد بنفسك من جثة (أحمس) بعد إعدامه، أين كشافينك؟ وأين رجال الجماعة يا رئيس الجماعة؟"

لا يجد (بس) كلمات في الدفاع عن نفسه، فهي فعلًا محقة في كل كلمة تفوهت بها.

- "خطأك الثاني في (مرسو) أمير أسيوط، أين عيونك عليه وعلى أسيوط، غافلين، أين نتيجة عملهم يا رئيس الكشافين؟"

يبحث عن أي كلمة في ذهنه، أية حيلة لكي يدافع عن نفسه، يماطل في كلماته التالية بإجابة ذكية:

- "مولاتي الملكة أنا كان تركيزي كله مُنصبّ في تأمين حياة الأمير (بعل) وتنفيذ خطة الإحكام على طيبة من أجل..."

تقاطعه:

- "أتظن أن هذا مبرر تبلغه أمامي وأمام (أبوفيس) يا (بس)؟ وإلي متى ستظل هكذا قابع في بيتك متخفي بعيدًا عن أنظار الناس؟ إلى متى؟ لِمَ لا تفكر في الخطوة القادمة يا (بس)؟"

هنا يجلس (بس) على مقعده في حيرة من أمره..

- "صدقيني لا أعلم ماذا أفعل؟ لمدة يومين أفكر في كل ما حدث، بالمعركة وظهور (أحمس) فجأة ولا أعرف كيف ولماذا كل ذلك حدث؟"

تظهر ملامح الحزن والندم على وجهه ما يجعل مشاعر (نفتيس) تتحرك مرة أخرى نحو حبيبها، لا تستطيع في تلك اللحظة إخفاء مشاعر اشتياقها إليه فلا تقدر منع نفسها من وضع كفها على وجنته وتتحدث بنبرة حانية:

- "أتعلم يا (بس) عندما أحببتك، جذبتني إليك شخصيتك وذكاءك، وهما ما محو فرق العمر الكبير بيننا واستطعت أن تحتويني أكثر من زوجي (أبوفيس)، لكن اليوم وجدتك حبيبي عاجزاً، غير قادر على اتخاذ القرار"

يقبل (بس) كف (نفتيس) وينظر لها بعيون تملأها الدموع المحبوسة:

- "أول مرة أشعر بإحساس العجز، مع إني طوال عمري عالمًا بما سأفعل مهما كانت الظروف صعبة".

تسحب نفتيس كفها بعيدًا عن وجه (بس) وتنظر إلى باب المنزل منادية:

- "يا حراس"

يقوم الحارس بفتح باب المنزل ويحضر للمكان على إثر مناداة ملكته، وقبل المغادرة تقول عبارتها التالية لـ(بس):

- "إعرف ما حدث حتى تعلم كيف تتخذ قرارك يا رئيس الجماعة"

تخرج من المكان، وتخرج الأفكار من عقل (بس) إثر عبارتها، فلقد أوحت له بفكرة جديدة، إحتماليات إذا تأكد من صحتها، سيتغير كل شيء قادم في خطته.

- "يا حراس.. جهزوا عربتي للذهاب لمقر الجماعة".

يقولها وفي عقله ترتيب كل شيء.

****

"في تلك الأثناء، أحوال من الحزن والألم، في خوف متجرع من خمر الهزيمة، في نفس هائمة، حائرة من أمرها، هل سيكون هناك دواء أصلح من التقرب لإلهنا المُعظَّم (ست) يا مولاي الملك؟"

يستمع الأخير لحديث كاهن معبد الإله المُعظَّم (ست) ويرى فيه الكثير من المنطق، فيقرر (أبوفيس) سؤالًا للتوضيح:

- "فهِّمني يا كاهن إلهنا المُعظَّم (ست) ما الدواء المناسب لداء الهزيمة؟"

يبتسم الكاهن الأعظم للإله (ست) إبتسامة ذكية، لا توحي سوى

بأنه وصل لمبتغاه من حديثه السابق وتتملكه الشجاعة للحديث الذي أراد قوله من البداية:

- "التقرب من الإله المُعظَّم (ست) بتقديم القرابين والصلاة له، حتى يتبيّن لنا الطريق، يرشدنا لطريق النصر على المتمردين على حكمه".

يومئ أبوفيس برأسه فيكون ذلك إشارة للكاهن الأعظم بالتجهيز للأمر ويقولها له قبل خروجه من قاعة الحكم للتأكيد:

- "الليلة.. جهِّزوا للأمر بأن يكون الليلة يا كاهن المعبد"
- "أمرك يا مولاي المُعظَّم"

يقولها الكاهن الظافر بما أراد من البداية، يفكر في التحضير للأمر وهو في طريقه إلى أبواب القصر الملكي بأواريس، يلتقي بمَن ينتظره أمام أبواب القصر، إنه (حكا) ساحر الجماعة، يسأله عن ما حدث بالداخل وما هي نتيجة اللقاء بالملك، فيبتسم له الكاهن الأكبر للإله (ست) إبتسامة كفيلة للساحر بفهم ما تم، ويضيف الكاهن له:

- "رتِّب للأمر مع (بس)"

ينحني الساحر (حكا) احترامًا للكاهن الأكبر، ويبدأ في ركوب عجلته الحربية مغادرًا موضع القصر الملكي متجهًا إلى تلك الربوة قليلة الارتفاع، موضع مبني مقر جماعة الإله (ست)، يصل إلى البوابات، فيسمح له الحراس بالدخول كما أمرهم (بس) في السابق، يسير بين الممرات، يصعد الدرجات إلى ممر قاعة الإجتماعات، وعلى جانبي

الممر يجد أمرَا غريبَا لم يعتَد عليه، وقوف جند من الجيش الخاسوتي، يقترب أكثر من باب قاعة الاجتماعات، فينهره أحد الجند بعدم الدخول الآن، يتساءل:

- "لماذا؟"

فتأتيه تلك الإجابة ليس من الجند بل من حراس القاعة المميزين بنقبهم السوداء:

- "قائد الجيش بالداخل مع رئيس جماعتنا بإجتماع مغلق"

يقولها الحارس لتبدأ علامات الإستفهام تغرق رأس الساحر (حكا) في بحر التساؤلات، وعن ما يدور في قاعة الإجتماعات، خلف ذلك الباب، يجلس (بس) وأمامه قائد الجيش الفينيقي، يدور الحوار بينهم كالآتي:

- "يا قائد الجيش رجالي من الكشافين أبلغوني أن جندك لم يعُد بعضًا منهم من طيبة وهم ما زالوا أحياء. فلماذا؟"

يبدأ قائد الجيش في عرض مبرراته بنرة بها الكثير من الاضطراب:

- "في بادئ الأمر ظننت أنهم أسروا من قبل متمردين طيبة وأسيوط ولكن إعترافات الجند أعطت أمرَا آخر يا سيدي رئيس جماعة إلهنا المُعظَّم (ست)".

بنبرة غاضبة يسأل (بس):

- "أمر آخر؟ ممكن أن توضح لي أكثر"

بنبرة متوترة وبأعين حائرة في صوت منخفض قليلًا:

- "لا أعلم كيفية القول.. إعترافات الجنود العائدين تفيد أن أحمس خيرهم بالعودة لأواريس وبين الحرب تحت حكمه حكم آلهة مصر ضد إلهنا المُعظَّم (ست)"

يضرب (بس) براحته المائدة بكل قوة على إثر كلمات قائد الجيش غاضبَا:

- "كيف؟"
- "صدقني هذا ما حدث يا مولاي رئيس الجماعة"
- "هل تعلم ما معني حديثك؟"
- "أعلم أن هناك مساعدة لـ(أحمس) أكبر من مساعدة (مرسو) أمير أسيوط له".
- "معنى كلامك أن هناك تمرد من حكام أقاليم أخرى غير إقليم أسيوط وإقليم طيبة"
- "إنه تمرد ديني أكبر منه تمرد من حكام الأقاليم"

يقف (بس) من جلسته ويقف بالقرب من موضع قائد الجيش الخاسوتي الفينيقي وبنبرة هادئة أكثر من اللازم كالهدوء الذي يسبق العاصفة:

- "عندك دليل على ذلك؟"

- "دليل قوي"

يقترب (بس) بأذنه من فم قائد الجيش الذي أصبح أكثر توترًا من تلك الحركة الأخيرة التي قام بها (بس).

- "ماذا؟"

- "معظم حروبنا مع متمردي طيبة مع (سقنن رع) أو (كامس) لم يكن أحد بهم يحمل ذلك القوس الذي رأيته بل أقواس مركبة كالتي نحارب بها ومدّون عليها نقوش تخص حامل القوس ولكن عندما أتى لي (أحمس) للطلب بـ (سني) وجدته يحمل قوسًا آخر مصنوع من الذهب".

يشير له (بس) بأنامله لكي يستطرد في الحديث.

- " القوس مصنوع من الذهب الخالص ومدّون عليه نصوص تعني أنه قوس الإله (حورس) الذهبي".

يغضب (بس) ويمسك بيده فم قائد الجيش وفي قمة غضبه يتحدث بكلمات غاضبة بصوت خافت:

- "لا تنطق بذلك الاسم أمامي أيها الفينيقي".

ومع نظرة (بس) الغاضبة له يستوعب من عيناه أنه لا يكذب بل هي الحقيقة، كل ما سبق سرده هي حقيقة مؤكده، يترك فمه ويربت على كتف الفينيقي قائد الجيش كاعتذار لردة فعله السابق.

- "عذرًا.. فأنت تعلم مدى كرهي لذلك الاسم يا قائد جيشنا

العظيم".

ينادي (بس) لأحد الحراس، ومع مناداته يدخل الحارس في سرعة، يسأله عن وصول (حكا):

- "هل وصل (حكا)؟"

- "نعم يا سيدي"

- "فلتدخله"

يقولها (بس) ليدخل على إثر أمر رئيس الجماعة إلى قاعة الاجتماعات، يشير (بس) لـ(حكا) لكي يجلس، فيتخذ الساحر جلسته على طاولة الإجتماعات في جهة مقابلة لموضع قائد الجيش، ويتخذ (بس) جلسته في موضع رأس الطاولة ويبدأ في الحديث الموجه لـ(حكا):

- "هل تم ما أردناه من الكاهن الأعظم يا (حكا)؟"

يومئ (حكا) برأسه بالتأكيد، فيقرر (بس) ترتيب الخطوة القادمة في الصراع:

- "يا أيها الفينيقي ابعث لجميع الأمراء الوراثيين لحكام إمارات مصر للحضور إلى جلسة إجتماع طارئة هنا في مقر جماعة الإله (ست) وذلك في غضون ثلاثة أيام".

ينتهي (بس) من حديثه لقائد الجيش، فيقرر قائد الجيش الوقوف ويستأذن في المغادرة، فيشير له (بس) بالانصراف، ويبقى (حكا) ساحر

الجماعة في القاعة، يسأله حكا السؤال التالي:

- "ما الترتيب الذي تريد أن أنفذه يا رئيس جماعتنا المُعظَّمة؟"

- "سأبلغك يا (حكا)، بكل ما هو مطلوب منك على وجه التحديد، لكن لو لم تنفذ سيكون مصيرك ومصير الكاهن الأعظم أمر واحد فقط.. الموت".

****

الموت، ما يفكر فيه (بعل) الآن، وهو ينظر من نافذة غرفته المُطلَّة على مدينة أواريس، هل الموت لم يكن كافياً لينال حبيبته؟ لماذا لم يقم الموت بفعله من (أحمس)؟ لماذا ظل الموت تاركًا ذلك الطيبي عائقًا بينه وبين قلب (عشتار)؟ لماذا لم يمُت؟ وكيف؟ لقد أرسل السهام بنفسه في جسد (أحمس)، أمام الجميع، فلو كانت مجرد أوهام، فهل جميع أ هل المدينة كانوا يتوهَّمون معه، أسئلة كثيرة تدور في رأسه منذ عودته، يقطع سلسلة التساؤلات، دخول الملكة (نفتيس) من باب غرفته، تنظر له غاضبة، وهي في قمة الغضب تقولها له:

- "ماذا يا (بعل)؟ أستظل مكانك هكذا؟"

ينتبه (بعل) لدخول الملكة الأم (نفتيس) إلى المكان، فيلتف نحوها وينحني إحترامًا لها، أما الأم فتقترب من الابن بمشاعر مختلفة، ما بين مشاعر القلق على الابن ومشاعر الغضب من تصرفاته في نفس الوقت، تسأله ذلك السؤال الذي أرادت أن تسأله له منذ بداية

دخولها غرفته:

- "أأنت قابع هنا هارباً من شيء ما؟"

يجلس الابن على ركبتيه أمام الأم ناظراَ إلى أرضية الغرفة الرمادية اللون ويحاول أن يلتقط كلمات إجابته من روحه المكسورة، كمَن يلتقط أجزاء زجاج مكسور:

- "هارب.. من أمور كثيرة.. من أناس كثر.. من كل شيء.. ومن لا شيء".

تنزل نفتيس على ركبتيها أمام موضع ابنها تجر أناملها بين خصلات شعره، في محاولة منها لتهدئة آلام روحه وبنبرة الأم الحانية:

- "لو بدأنا بالأمور فالهزيمة أولهم.. ولو بدأنا بالناس، فوالدك أبوفيس أهمهم.. لكن ذلك يجعلك تخسر كل شيء. فلتصدقني كل ما تعبت لتحقيقه لك في حياتي سيضيع بسببك وستضيّع أنت كل شيء لك ولي يا بني".

يبكي (بعل) في مرارة فتحتضنه أمه وتلقي برأسه على صدرها، لتسقط من مقلته الدموع ويبدأ في الحديث بنبرة تملأها الألم والحسرة:

- "قتلته بيدي ووجدته واقفًا أمامي فجأة في ميدان المعركة، قولي لي ماذا أفعل لكي أتخلص منه؟ بوحِ لي بما أفعل حتى أكسب قلبها"

وهنا تتبدل مشاعر (نفتيس) من مشاعر الأم الحنون على ابنها إلى

الملكة الغاضبة، تتوقف تلك الملامح التي قد تشعر الابن بالحنان، وتنبت من بين ثنايا وجهها نباتات شائكة، بأشواك الغضب والحقد والقسوة، تسقط يدها في كل قوة على وجه (بعل)، ما يجعل وجنته تزداد إحمراراً وبأعلى صوت لها تصرخ في وجهه:

- "ما بالك؟ ألا تشعر؟ كل تفكيرك مُنصبّ في بنت القوّاد، ألا تشغلك مملكتنا التي تضيع، ألا تشعر بالمصيبة التي حلَّت علينا؟ ألا تشعر أن تعبي وتضحياتي كلها تضيع في الهواء بسبب فشلك في الحملة على طيبة؟ ألم تلاحظ أن ثقة (أبوفيس) بعد ما حدث قد اهتزت؟ ألم تستطع أن تفهم أن تلك الـ(عشتار) ما هي إلا مجرد واحدة تتلاعب بك؟، ما هي إلا مجرد عين من عيون المتمردين عليك؟ كل ما تعبت به في تربيتك كأمير يضيع هباءَا، من أجل لهثك وراء واحدة مثل تلك، وأنت لو أشرت بأناملك لأي أميرة في بقاع الأرض ستوافق على الإرتباط بك".

- "ستوافق لأني أمير لبلاد الخاسوت، من أجل ما سأحكمه من بعد والدي (أبوفيس)، من أجل أن عائلتهم تناسب الحقاوخاسوت، ملوك أكبر مملكة بالأرض فقط، ليس من أجلي أنا، أنا يا أمي، أنتي ربيتني لكي أصبح أميرَا لبلاد الخاسوت، لأن دمي هو دمكم أنتي وأبي، لكن هل أنا أريد ذلك يا أمي أم لا، هل أنا قادر على أن أكون أمير أم لا، هل رغباتي هي في الحكم أم لا.. لا يهم، ما يهم هو ما أنتم تريدونه فقط، وأنا مجرد عبد في صورة أمير، عبد لرغباتكم أنتِ وأبي.. مجرد عبد".

يقولها ويخرج من الغرفة، تاركًا أمه في هول الصدمة من كلماته، لا تعلم هل كل ما علَّمته لإبنها أصبح مجرد دخان في إلهواء، هل ضاع سدىً؟ هل كل آمالها احترقت بنار مشاعر ابنها في كون ابنها ذلك السند، ذلك الابن الذي تمنَّت أن يعيد لها ما سُلِبَ منها سابقًا، ذلك الابن الذي تحمّلت من أجله الكثير، ذلك الابن الذي تمنَّت أن العمر لا يضيع إلا من أجله، تسقط الدموع من أعينها لتتذكر تلك الليلة التي كانت منذ أعوام مضت ليست بالقليلة، تتذكر عندما أتت إلى زوجها، تتذكر عندما كانت مجرد ملكة بالاسم فقط، لا علاقة لها بشئون البلاد بعد أن تزوّجت من ذلك الأخ بالإكراه فلم تخرج من القصر حتى لمعبد الإله (ست) لتقديم القرابين، لم تحضر المراسم الجنائزية الخاصة بأبيها الراحل من تشييع ودفن، بل ظلت أسيرة في غرفتها، خوفًا من (أبوفيس)، ولكن هو مَن خاف منها، خاف أن تلتقي بالعامة، خاف أن تحكي لهم ما دار في ليلة وفاة أبيها، ما فعله أخيها بها، ليتقلَّد مقاليد الحكم للمملكة، أتت له في تلك الليلة، ذليلة، تطلب منه ذلك الطلب للمرة الألف، تتذكر ما دار بينهما آنذاك من حديث.

- "أريد أن أزور والدنا الراحل وأقيم له بعض الإحتفالات الجنائزية".

ابتسم آنذاك (أبوفيس) إبتسامة ليس لها سوى معنى واحد:

- "إنت تعلمين برفضي المسبق".

- "أما زلت خائفًا مني..؟ لقد مرت سنة على موت والدي، وكل

أمور الحكم أمست تحت يدك"

ضحك (أبوفيس) ضحكات عالية وهو يرتشف من كاس خمرته:

- "بالتأكيد لا.. لم يعُد دورك كملكة له أهمية في الوقت الحالي بالنسبة لي، بعد اعتراف جميع الأمراء الوراثيين لإمارات المملكة في تميرا وفينيقيا بأحقيتي في حكم مملكة الخاسوت خلفًا لوالدي".

- "إذًا لماذا أنت تحبسني الآن بتلك الطريقة المهينة؟ أنسيت أننا إخوة ربينا سوياً؟ أنسيت أني لم أعاملك غير كأخ أصغر لي، ولم أفكر أبدًا بطريقتك، ولم يكن لي مطمع في السلطة مثلك"

- "لم أنسَ كل ما سبق.. لكن أنا أسجنك لسبب واحد فقط"

اندهشت آنذاك من حديث زوجها (أبوفيس) وأخيها السابق:

- "وما هو؟"

- "أن تنفِّذي دورك كملكة معي.. وصدقيني هذا من أجل مملكتنا المُعظَّمة"

لم تفهم في تلك اللحظة ما أراده منها، ولكنه أشار في تلك اللحظة لحراس الغرفة فأغلقت الأبواب عليهما، قرر الاقتراب من موضع جلوسها على ذلك الفراش، الذي كان في عقل (أبوفيس) هو المراد له.

- "أريد منك ابن لنا.. وريث شرعي"

قالت له وهي في قمة خوفها:

- "تزوّج من أي أميرة أخرى غيري، واجعلها تأتي لك بالابن، لكن أنا لا"

اقترب منها أكثر

- "بالطبع لا.. لأن أي ابن آخر ليس منكِ لن يكون ولي للعهد في ظل وجودك على قيد الحياة".

فجأة أحكم بقبضته على ذراعيها، صرخت بأعلى صوتها.

- "لن يسمعك أحد من الحراس لأنهم غير متواجدين بالمكان طبقًا لتعليماتي"

مع انتهاء كلماته، كانت ذراعيها مربوطة بالحبال جيدًا في ظهر الفراش الذهبي، وذراعيه كانت تغوص في ملابسها المهترئة، وفمه في جسدها كان ينهش، مبدأ المضاجعة بين أي زوجين لم ولن يكن كذلك، بل تحوّل الأمر ليلتها إلى مجرد إغتصاب حيواني بشع، وما بين صرخاتها ودموعها كان بجسدها يفعل ما يحلو له، حتى ظلّت وكأنها جثة هامدة، مغشي عليها من إثر أفعاله، نهض من على الفراش والدماء تغطيه، مبتسم، وقال عبارته التالية لها:

- "كل يوم سيصبح مثل اليوم حتى تأتي لي بخبر حملك اليقين بولي العهد يا (نفتيس)"

تتذكر كم من الليالي تحمّلت اغتصابه لها حتى أتت له بحمل ابنها

الوحيد (بعل)، ليكون وريثًا لذلك الحكم في أرض تميرا تحت حكم إلههم المُعظَّم (ست).

****



٢- أرض الإله (ست):

يركض وهو في قمة غضبه، يجذب لجام أحصنة عربته، يشق طريقه إلى مبتغاه، يصل إلى بيت الفينيقي، ينزل من فوق عربته الملكية، يخترق المكان بغضبه، تقابله بعض فتيات البيت ولكن لا يتحدث مع أي من فتيات البغاء، يصل إلى الكواليس يعترضه صاحب البيت الفينيقي بابتسامته الخبيثة:

- "مولاي الأمير.. ما أتى بك إلى بيتنا العزيز في أوج النهار يا مولاي؟"
- "ابنتك، أريد مقابلتها الآن"
- "ولكن يا مولا....."

يقاطعه الأمير (بعل) وهو يزيحه عن طريقه براحة يده في كتفه بقوة، ما يجعله يسقط أرضًا وهو ينادي بصوته العالي:

- "عشتار"

يقترب من غرفتها، يفتح الغرفة في قوة دون استئذان مسبق.

- "عشتاار"

يبحث في الغرفة، لا يجدها، ينظر ناحية فوهة باب الغرفة ليجد الفينيقي أمامه.

- "سيدي هي ليست هنا، إنها في منزلنا بالخلف انتظر بضع لحظات وسآتي لك بها".

يجلس الأمير على ذلك المقعد أمام مرآة تزينها والغضب يتمالكه، ويظهر في عينيه، يفكر بأمر تلك الفتاة.

- "أمرك يا مولاي أمير البلاد"

يأتيه صوتها من خلفه، يعلم أنها هي، فهو قد رآها وهي تدخل إلى الغرفة وهو ناظر في المرآة. ودون أن يلتفت لها يسألها محاولًا تمالك غضبه وفي هدوء مفتعل:

- "لماذا طلبتِ مني رأس (أحمس) يا (عشتار)؟"

يرى عينيها تدور يمينًا ويسارًا.. فهي لا تعلم بماذا تجاوبه، ولكن تحاول لملمة الكلمات من عقلها.

- "هذا ما أردته منك يا مولاي، وأنت تعلم لماذا"

يقف (بعل) في سرعة مرسلًا راحة يده على وجنتها ضاربًا، لتسقط (عشتار) أرضًا:

- "قولي الحقيقة يا عشتار"

- "لا أقدر بالبوح"

تقولها وهي تبكي من قوة صفعته لها، لينزل الأمير (بعل) على ركبتيه ليصبح فوقها ويبدأ في صفعها مجددًا ومع صرخاتها يسألها مجددًا:

- "اعترفي بالحقيقة"

- "لا أقدر بالبوح"

- "اعترفي يا وقحة"

يقولها صافعًا إياها مرة أخرى بقوة:

- "لا أقدر يا مولاي"
- "اعترفي بخيانتك" مع صفعة أقوى.
- "اقتلني لكن لا أقدر ع البوح بالسبب"

تقولها (عشتار) ولكن بصوت أشبه بالصراخ في وجهه ليتوقف (بعل) عن صفعها، ويقف من وضع القرفصاء، ويخرج سيفه من غمده..

- "إذًا أنتي قضيتي على نفسك يا عشتار"
- "اقتلني، لأني لا أقدر بالبوح لك بالسبب"

يرفع سيفه بكلتا يديه ليقرر إنهاء حياتها وفي نظرة أخيرة منه لها، ذلك الحب الذي حمله في قلبه لها، كان مجرد خداع منها له، يحاول حبس الدموع في مقلتيه، يتنفس الصعداء وقبل أن ينزل السيف تدخل أم (عشتار)، لتقرر زوجة الفينيقي البوح بالسبب:

- " رئيس الجماعة يا مولاي هو مَن طلب منها ذلك مقابل الحفاظ على حياتي وحياة زوجي".

ينظر إلى أم (عشتار)، الصدمة له كانت أكبر من صدمته في حبيبته، تستطرد زوجة الفينيقي في حديثها للأمير (بعل):

- "وهدَّدها لو باحت بالأمر لك يا مولاي سيقتلني ويقتل زوجي،

أرجوك هي ليس لها أي ذنب، أقتلني أنا يا سيدي وليس إبنتي، أقتلني أنا وزوجي ليس ابنتي يا مولاي، هي ليس لها يد في الأمر".

يسقط السيف من يده، ينظر إلى (عشتار) الباكية في الأرض، تفهم معنى نظرته، هو يريد منها تأكيد على ذلك الحديث، فتجيبه بكلمات باكية:

- "نعم هو من طلب مني ذلك، وهدَّدني بأبي وأمي لما رفضت، وأنت تعلم جيدًا أنني لم و لن أحبك يا سيادة الأمير".
- "و(بس) لمَ يفعل ذلك؟"
- "اسأله هو.. لا يهمني الأمر، أنا أعيش من أجل أبي وأمي، هما من يهمّني أمرهم، أرجوك لا تقتلهما، ولو أردت فأقتلني أنا.. هما لا".

يلتقط الأمير سيفه، ويضعه في غمده، يترك الاثنتين في بحر بكائهما، يزيح الفينيقي من أمام فتحة باب الغرفة، يصل إلى عربته خارج بيت الفينيقي، تتحرك عجلاتها في سرعة، يتفاداها العامة من سرعتها الجنونية، يصل إلى وجهته، يسأل حارس المكان عن (بس):

- "أين (بس) أيها الحارس؟"
- " رئيس الجماعة ليس موجودًا في مقر الجماعة، إنه في معبد الإله المُعظَّم (ست)".

يحوَل (بعل) وجهة الأحصنة إلى طريق المعبد، يصل إلى ذلك الباب الكبير، الذي يتزيّن بتماثيل الإله (ست) المميزة، يعبر الباب ليسير خطوات أقرب إلى الهرولة، بين تماثيل الإله (ست) السوداء، يصل إلى باب قاعة المذبح، يسأل حارس الباب:

- "(بس) في الداخل؟"

- "أجل مولاي الأمير"

يضرب الأمير (بعل) الباب بكلتا يديه في قوة، ليفتح الباب على مصراعيه، فيظهر (بس) بالداخل جالسًا بجانب الكاهن الأعظم، و(حكا) ساحر الجماعة، ينظر ثلاثتهما إلى الأمير المندفع بالدخول، يحاول الحارس منعه من الدخول بذراعه، ليمسك (بعل) بذراع الحارس ويدفعه في قوة ليسقط أرضًا أمامه، ينقض (بعل) على رقبة (بس) بكلتا يديه:

- "لِمَ طلبت منها ذلك؟"

يفهم (بس) ما يقصد ولكن يحاول المماطلة وهو يحاول أن يخرج الكلمات بصعوبة من حلقه:

- "من هي؟"

- "(عشتار) يا (بس)"

- "أتصدق بنت قوّاد؟"

يضغط (بعل) بقوة علي عنق (بس) ليشحب وجهه، وتظهر ملامح

اختناقه وعدم دخول الهواء إلى قصبته الهوائية، يقترب (حكا) من موضع الأمير و(بس):

- "مولاي.. سيموت بين يديك"
- "لن أتركه قبل إخباري بالحقيقة"
- "نـــ..ع....م..... أنا"

ينزل يديه من على رقبة (بس)، ذلك من يبحث عن الهواء ليملأ به رئتيه مجددًا، يسعل مع دخول الهواء إلى صدره، يستجمع قواه وينظر إلى الأمير (بعل) الغاضب:

- "نعم أنا من طلبت منها ذلك"
- "لماذا؟"
- "ممكن أن نتحدث في ذلك الأمر بوقت لاحق؟ لأن مولاي الملك على وصول إلى هنا في المعبد وسنحتاج إليك أيضًا بذلك الأمر"

ينتهي (بس) من الكلمات، ليدخل الحراس فاتحين الأبواب معلنين وصول الضيف المنتظر الملك (أبوفيس). ينحني الجميع إحترامًا لدخول الملك إلى القاعة، يُقبَل الملك (أبوفيس) يد الكاهن الأعظم للإله (ست). يجلس (أبوفيس) جلسة القرفصاء وخلفه على يمينه الأمير (بعل) وعلى يساره رئيس الجماعة (بس)، يتحرك (حكا) الساحر مُقدِّمًا ذلك المشروب المقدس المكّون من بعض الأعشاب المقدسة لكل من (بس) و(بعل) و(أبوفيس)، يقوم الكاهن الأعظم للإله

(ست) بوضع أنامله على لسانه ليتحوّل لون لسانه إلى اللون الأخضر. ينظر إلى تمثال الإله (ست) الشامخ أمامه بلونه الذهبي، فهو يتكون من جسد إنسان وله رأس ليست بإنسان، رأس الإله (ست) المميزة، أشبه برأس كلب لكن فمه أطول قليلًا، وأقصر من فم الحمار، والآذان ليست بقصر أذن الكلب، بل أطول حتى من أذن الحمار، حاملًا صولجانه المميز الذي يتزين أعلاه برأس مصغر له، يبدأ في سرد التراتيل المميزة للإله (ست) الكاهن الأعظم:

- "يا أيها الإله المُعظَّم (ست)، يا ابن الآلهة، يا صديق الآلهة، أخو الآلهة، وأبو الآلهة يا إلهي العظيم، يا من مجدت منذ بدء الحضارة على الأرض، يا من بقيت عالياَ، يا من دافعت عن عبادك بقواك العظيمة، يا من رعدت السماء عن مولدك، يا من حاربت في مقدمة سفينة الإله (رع) كل الأعداء، نقدم تلك القرابين آملين في التقرب إليك".

يبدأ الكاهن الأعظم في إشعال النار ببضع من قطرات من سائل في يديه، تتصاعد النار أسفل قدمي تمثال الإله (ست)، يبدأ اثنين من خادمي المعبد في الدخول حاملين لرأس ثور أحمر مذبوح، ومعه بعضًا من أحشاءه، ما زالت الدماء تقطر من أجزاء الثور أسفلها، تتساقط القطرات، ويلقي معها الكاهن الأعظم رأس الثور وأحشاءه في النار، لتخرج الأدخنة المتصاعدة مغطية لوجه تمثال الإله (ست)، وفي تلك الأثناء يتناول الجميع من المشروب المقدس، الملك (أبوفيس) والأمير (بعل) ورئيس الجماعة (بس)، والساحر (حكا)، والكاهن

الأعظم لمعبد الإله (ست) في أواريس، يبدأ الكاهن في استكمال تراتيله إلى إلهه المقدس:

- "يا أيها الإله المُعظَّم، نناشدك اليوم بقبول قرابيننا إليك، ونطلب منك العون والقوة، في مواجهة المتمردين على حكمك لأرض الآلهة، نطلب منك أن ترشدنا إلى طريق الانتصار لعزتك، والقضاء على أولئك المتمردين من عباد (آمون ورع)..."

ومع تراتيل الكاهن الأعظم يشعر (أبوفيس) بأن الرؤية غير واضحة.. فالنيران لا يراها محددة، ولا يستطيع تمييز تفاصيل تمثال الإله (ست)، يشعر أنه لا يوجد أشخاص حوله، لا يسمع سوى كلمات الكاهن الأعظم، كذلك الأمير (بعل)، ولكن الأخير يجلس مستندًا على ذراعيه، مقاومًا سقوط رأسه أرضًا، وما هي إلا لحظات ينتهي فيها الكاهن الأعظم من قول تراتيله ملقيًا بذيل الثور الأحمر في النار التي بدأت تتحول من اللون المعروف لها إلى لون آخر وهو الأحمر القاتم مثل لون الدماء، الأمر الذي يجعل الملك (أبوفيس) لا يستطيع تمييز الحمرة بين حمرة النيران وحمرة وجه التمثال، تتحرك النار إلى التمثال، ليصبح التمثال عبارة عن نار حمراء على شكل الإله (ست)، لا يتآكل التمثال، بل يزداد احمرارًا وتوهجًا، عيناه، يسقط منها قطرات من الدماء، الأرجل تتحرك من مكانها، يتحرك التمثال من موضعه ويقف موضع النار، ينظر إلى الجميع ويضرب بصولجانه أرضية المعبد، ليهتزّ كل شيء في المعبد، تخرج منه صيحة غاضبة، صوتها يصم الآذان للحاضرين، مَن خرّوا له راكعين، فيتحدث لهم

بصوت أجشّ:

- "لقد عاد لي حكم أرض الآلهة لسنين عديدة، ولن يعود الأمر لذلك الابن الهزيل، مَن لا يعترف بحكمي لأرض الآلهة من البشر فليقتل، ومن يعارض من تاسوع السماء حكمي لأرض الكمت فليحرق بيته، حتى لو كان أبي الكهل (رع)، فلتقضوا يا عبادي على حورس الهزيل، فلتحكم الأرض بقوتي يا (أبوفيس)".

تنتهي الكلمات ويلقي من يده الصولجان ليسقط أمام موضع (أبوفيس) الراكع، يحيط الصمت بالقاعة ينظرون جميعًا إلى موضع النار بالمذبح أمام تمثال الإله (ست) ليجدونها قد انطفأت، والتمثال ليس في مكانه، بل هو موجود موضع النار التي انطفأت، ينظر الجميع إلى ذلك الصولجان الذي لم يعد في يد تمثال الإله (ست)، الذي اتخذ موضعًا جديدًا، في يد ملك الخاسوت، في يد (أبوفيس) الذي ينظر إلى الحاضرين.

- "أسمعتم جميعًا؟"

فيومئون برؤوسهم مؤكدين ذلك، ينظر (أبوفيس) إلى رأس (ست) المزينة للصولجان مبتسمًا، يشعر الحاضرين بأنه يتلقي تعليمات من (ست)، ويفهم الكاهن الأعظم أن (أبوفيس) هو المختار من قبل آلهة المُعظَّم لتنفيذ رغبته، ما يجعل الصدمة تطال أعين (بس) المفتوحة على آخرها، والدهشة تلقي تعبيراتها في وجه الأمير (بعل)، ليبدأ (أبوفيس) في القاء كلماته:

- "فلتنفذوا ما سأقوله لكم الآن"

تنفتح الآذان لكلمات الملك القادمة، ما سيجعل حكم إلههم لتميرا مستمراَ، مهما بلغ الأمر من شر.

****

"إذا انطفأت النار فهذا أمر جلل".

هكذا يقول الكاهن الأعظم للإله (رع) بمعبده المجاور لأواريس لتلميذ من المتطهرين، ليهرول الكاهن والتلميذ إلى قاعة المذبح الرئيسية، يدخل الكاهن الأعظم والمتطهر إلى القاعة ليجد النار المقدسة قد انطفأت، يحاول المتطهرون المتواجدون حول موضع النار إشعالها ولكن بلا فائدة، فتشتعل قليلًا خافتة، حتى تنطفئ مرة أخرى، ينظر الكاهن الأعظم إلى تلاميذه من المتطهرين نظرة يفهمها الواقفون، متذكرين عبارته السابقة، من تلك التعاليم الأولية لهم عند اختيارهم لخدمة إلههم (رع) كمتطهرين في معبده:

- "إذا انطفأت النار المقدسة للإله (رع) فهذا يعني أن هناك شر قادم لا محالة، وأن قوى الشر قد اجتمعت مرة أخرى في أرض الكمت".

يقولها الكاهن الأعظم مرة أخرى لهم في تلك الوهلة، فينظروا إلى بعضهم البعض، لتبدأ الهمهمات في قطع الصمت، ليقرر الكاهن الأعظم إصدار أمره لهم:

- "فلتأتوا بالبرديات المقدسة لإلهنا المُعظَّم (رع) إلى الكاهن الطبيب (سخم- رع) في الحال".

يومئ المتطهرون برؤوسهم مغادرين القاعة تنفيذًا لأمر كاهنهم الأعظم، ليس من باب القاعة الرئيسي ولكن من بابها الخلفي المتواجد خلف قرص الشمس الذهبي المزين للحائط خلف تمثال الإله (رع)، يخرّ الكاهن الأعظم على ركبتيه أمام تمثال الإله (رع)، يحاول حبس الدموع في مقلتيه، فهو يهاب ذلك الشر القادم، الذي سيكون أكبر من التصدي له، كما حدث في السابق عندما انطفأت النار المقدسة، يقطع عليه سيل ذكرياته، دخول أ حد حراس المعبد له معلنًا قدوم ضيوف له غير مُرحّب بهم في معبد (رع)، فيستعد الكاهن الأعظم لمقابلتهم واقفًا، مفتعل الصلابة والقوة في تعابير وجهه على عكس ما تكنّه روحه من خوف مما هو قادم، تفتح الأبواب للقادمين إذ بالثلاثة الغير متوقعين لكاهن (رع) قائمين أمامه، بينه وبين مذبح (رع) المقدس، ينظر الأول إلى نار (رع) المقدسة التي كان يعتقد أنها لا تنطفئ أبدًا، فإذا بها رماد، ينظر الثاني إلى وجه كاهن (رع) فيرى صلابة تعبيرات وجهه في ملاقاته، أما الثالث فهو ينظر جدران المعبد مبتسمًا، ليبدأ في حديثه إلى كاهن (رع):

- "أعلم أيها الكاهن أني غير مُرحّب بي هنا في معبدكم، ولكن الأمر جلل".

فيسأل كاهن (رع) الأعظم الثالث:

- "ماذا تريد يا رئيس جماعة (ست)؟"

يبتسم (بس) رئيس جماعة الإله (ست) ويستطرد في حديثه:

- "وفقًا لما جاء لي من معلومات من جهاز الكشافين، بأن رجال معبدكم قد ساعدوا المتمرد الطيبي في حربه ضد ملكنا بالدليل القاطع، فهو يمتلك القوس الذهبي لـ(حورس)، وهذا القوس لا يوجد حتى في معبد (رع) والتاسوع المقدس بـ(عين شمس) وفقًا لمعلوماتنا المؤكدة".

يسأله كاهن (رع) المُعظَّم رئيس الجماعة:

- "أتريد أن تقبض عليّ بتهمة الخيانة، أم أنك تريد قتلي؟!"

وهنا يبدأ الثاني في توجيه الحديث إلى كاهن (رع) المتهم:

- "وفقًا لما جاءنا من رؤى من إلهنا المُعظَّم (ست) أمرًا لكهنة (رع) في جميع أنحاء تميرا، بإعلان حكم (ست) على أرض تميرا، وأن مَن يعترض على حكمه تحت لواء الخاسوت هو متمرد على الآلهة، وطبقًا لتعليمات ملكنا (أبوفيس) أن يعلن ذلك، لسكان مدينة (أواريس) وتمنح بركات الإله (رع) لملكنا المُعظَّم أمام شعب أواريس".

يبتسم كاهن رع إبتسامة تخفي حزنه ويسأل سؤالًا آخر للثاني:

- "وإذا رفضت تنفيذ رؤيا (ست) يا كاهن (ست) الأعظم؟"

يجيب الكاهن الأعظم لإله (ست) في هدوء:

- "ستنضم إلى طائفة المتمردين وغير المؤمنين برغبة الآلهة وسنقوم

بتنفيذ أمر الموت فيك يا كاهن (رع)".

يضحك كاهن (رع) ضحكات عالية ويستطرد في الحديث للثلاثة:

- "هذا على أساس أنكم مصريين حقًا؟ ...

أما زلتم مقتنعين أنكم تعبدون إله من آلهة كمت؟"

يجيب رئيس الجماعة على سؤال كاهن (رع) التهكمي في قمة غضبه:

- "أنت تعلم جيدًا أن تاسوع (عين شمس) اعترف بأن حكم بعل هو مساوي لحكم (ست)، وأن (بعل) بفينيقيا هو (ست) في مصر وذلك كان في يوم .."

يقاطعه كاهن (رع) في هدوء:

- "أيها الشاب، لا تحكي لي تاريخًا أنا أعلمه جيدًا، وأنت لو لم تعرف سبب الأمر اسأل كاهنك المُعظَّم عن سبب الاعتراف الذي تحكي عنه الآن في معبد (رع)"

يشير (بس) بيديه إلى الثالث فيتحرك عقب الكلمات التالية:

- "نفِّذ يا (حكا)"

ينفذ ساحر الجماعة الأمر مخرجًا من حزام نقبته قارورة صغيرة ملقيًا إياها على الأرض فتصدم بالأرض منكسرة، ومع ذلك الانكسار تفوح منها رائحة غريبة تصل إلى أنوف الواقفين، ويخرج (حكا) بيده الثانية قارورة بها سائل أحمر اللون ليراها الكاهن الأعظم لـ(رع)،

وهنا يوجه (بس) كلماته الأخيرة لكاهن (رع):

- "عمومًا أنا كنت متوقع إجابتك قبل أن أدخل القاعة، لذا رجالي في تلك اللحظات الجميلة ينشرون ذلك الغاز في المكان كله، في خلال دقائق ستواجه مصير الموت الحميم مع بقية رجال معبدك، لكن قبل أن أغادر المكان، سأهديك فرصة أخيرة ".

يتناول (بس) القارورة ذات السائل الأحمر من يد (حكا) ويُقرّبها من فم كاهن (رع):

- "هذا ترياق من الموت، تناوله وتعالَ معي (أواريس) منفذًا لتعليمات الملك (أبوفيس)"

فيجيب الكاهن لمعبد المُعظَّم (رع) بكل ثقة:

- "سأختار مصيري بالحياة الأبدية مع رجال معبد إلهنا (رع) المُعظَّم"

- "كنت أعلم.. قلت لك يا (حكا) هذا الكلام، إن الترياق سيكفينا نحن الثلاثة ولكن أنت دائمًا قلق".

ينتهي (بس) من كلماته متناولًا رشفة من الترياق، ويعطي القارورة لكاهن (ست) الأعظم ليرتشف قطرات الترياق فيقاطعه (حكا) في عنف ليتناول ما تبقى من قطرات في خوف على حياته من مجابهة الموت:

- "أتريد البوح بشيء قبل الموت؟"

يقولها (بس) في سخرية إلى كاهن (رع):

- "أعلن منح البركة إلى (أحمس)، مَن يدعمه الإله (حورس) بقوة جناحه الذهبي، مَن تدعمه آلهة مصر في إنهاء شروركم بالكمت، مَن سيفتح الطريق لعودة المصريين إلى سابق عهدهم".

تقطع كلمات كاهن (رع) وتنتهي بشهقة قوية منه، ينظر الكاهن الأعظم لـ(ست) إلى صدر كاهن (رع) ليجد سيف (بس) مخترقه، يعيد (بس) رئيس الجماعة سيفه إلى غمده وينظر إلى كاهن الإله (ست)، وإلى ساحر الجماعة غاضباَ:

- "يتحدث كثيراَ"

يأتي أحد رجال جماعة (ست) بنقبته السواد المميزة إلى قاعة المذبح:

- "سيدي رئيس الجماعة لقد تم الأمر"

يبتسم (بس) ا بتسامته الخبيثة ويرفع ذراعيه سائراَ وخلفه كاهن الإله (ست) وساحر الجماعة مغادرين جميعًا قاعة المذبح وبصوته عالياَ يعلن حكم (ست):

- "فلتلتهم نار غضب إلهنا (ست) معبد (رع)، فلتلتهم قواه من يعترضه ومن لا يؤمن به"

تنطلق الكلمات بصداها في ممرات المعبد والنيران التي يقوم رجاله بإشعالها بأروقة معبد (رع) أبو الآلهة، يسير عباد (ست) في الممرات بين جثث عباد (رع) الهامدة، وخلفهم تنطلق النيران في تماثيل (رع)

على جانبي الممرات لتتلألأ أمام تدوينات وأدعية (رع) على حوائط المعبد، وعندما يصل رجال (ست) خارج معبد أبيه (رع)، تخرج النيران من جدران المعبد إلى أعالي السماء، منذرة بما هو آت، معلنة سلطان رجال (ست) على مجريات الأمور في أرض الكمت.. أرض تميرا، أرض الآلهة.

****

٣- أرض الآلهة:

الحب كان وما زال دائمًا يصنع الكثير من الأساطير الإلهية في أرض تميرا، فكان دافعًا قويًا للآلهة (إيزيس) في إعادة الإله (أوزوريس) للحياة مجددًا، وسببًا لغيرة من الإله (ست) ضد أخيه (أوزوريس) عند زواجه من أخته الآلهة (إيزيس)، حتى تناول البعض أسطورة تخص الآلهة (نفتيس) زوجة الإله (ست) بأنها كانت تُكِنّ مشاعر الحب للإله (أوزوريس)، ما جعلها تكون مساعدة ومعاونة للإله (أوزوريس) في تلك الأسطورة الخالدة، أسطورة (إيزيس وأوزوريس)، هكذا كان يفكر (سخم - رع)، الكاهن الطبيب وهو في طريقه مع مَن تبقي مِن المتطهرين معه من معبد (رع) وهو متوجه إلى منزل الفينيقي للبغاء، فهو قرر الذهاب ورؤية عشتار قبل الذهاب في طريقه، وصل إلى الباب الخلفي لمنزل الفينيقي، ومع دقات الباب، فتحت أم (عشتار) لتجد الكاهن (سخم - رع) لتعلم من عينيه أنه يريد ابنتها في أمر هام، فتسمح له بالدخول، تأتي (عشتار) إلى موضع

الكاهن (سخم - رع) ووالدتها بعد مناداة الأم لها، تجد (سخم - رع) أمامها هائمًا في بحر مخاوفه، ينظر لها نظرة فكر جليّا قبلها كثيراَ، ولكن قرر عرض ما أتى بسببه في تلك الليلة الحزينة، وبدأ في سؤال (عشتار) مترددًا:

- "تعالي معي يا (عشتار) إلى طيبة"

تنظر (عشتار) إلى والدتها وتنظر إلى (سخم - رع) في حيرة من أمرها، هل تذهب مع الكاهن (سخم - رع) إلى طيبة لتقابل مَن أحبته، ماذا إذا قابلها (أحمس) بنفس المشاعر التي تُكنّها له، هل تهرب من جحيم الأمير (بعل) من أواريس إلى جنة حبها بطيبة تاركة خلفها والدتها وأبيها مواجهين مصير غير معلوم بعد رحيلها، هل إذا تركت والديها سيتركهما رجال رئيس الجماعة والأمير على قيد الحياة أم لا، الكثير من الأفكار والأسئلة وما تحويه من احتمالات مقلقة لـ(عشتار) تجعل لسانها مستقراَ في مكانه لا يستطيع البوح بأي كلمة، ما يجعل الأم تقرر الحديث:

- "إذهبي معه يا (عشتار).. اهربي من هذا المكان، انجِ بحياتك لا تخافي عليّ أنا وأباكي".

- "لا أقدر على ذلك"

- "أرجوكي يا بنتي إبعدي عن أواريس.. أنا خائفة على حياتك"

تستجمع (عشتار) قواها وتتملك مشاعرها لسانها الذي يبدأ في قول ما قررته بقلبها قبل عقلها:

- "يا سيدي الكاهن (سخم - رع) اذهب في طريقك إلى طيبة بدوني، لن أستطيع ترك والدي في مواجهة الأمير (بعل) ورجال (بس)، فأنا أعيش من أجلهم".

يبتسم (سخم - رع) إبتسامة حزينة، فهو كان متوقعًا إجابتها، ليسأل سؤاله التالي:

- "وأحمس؟"

تحبس (عشتار) الدموع في عينيها وتجيبه بكلمتين تحمل بهما كل مشاعرها إلى حبيبها (أحمس):

- "باركته الآلهة"

يخرج (سخم - رع) من المكان مغادراً مع الشباب المتطهرين في طريقهم إلى مقر حبيبها، تاركين (عشتار) في بحر أحزانها، فهي لا تعلم ما ستواجهه من مصير من قبل (بس) بعد إخبار الأمير بأمره، ولا تعلم هل هي فعلت الصواب بعدم الذهاب إلى (أحمس) ومصارحتها بحبها له أم لا، لكن كل ما تعلمه أنها ستخرج إلى مسرحها، لتشدو بصوتها العذب بتلك الكلمات:

- "كنا سوا طوال الليل، نحكي كثيراَ على شاطئ النيل، يا هل ترى يرضيك، تهجرني في أشواقي وحنيني، يا هل ترى يرضيك، أظل أشدو لك الأنين، وقلبي في لهفة عليك، رأيت في الحب كثيراَ وقليلًا، ولكن حبك ما له مثيلًا، عاهدت نفسي أكون لك، لكن قسوتك كانت أقوى منك، يا ليتني أستطيع البقاء معك، يا ليت

أجلس بجانبك، أحكي معك أشواقي وحنيني، تحت القمر على شاطئ النيل".

ومع الكلمات يظهر أبوها أثناء الغناء ومعه بضع من الحراس، ينظر الأب الفينيقي إلى ابنته، لتعلم بأن مخاوفها قد أتت إليها، تتحرك من مسرحها، لتنزل أقدامها إلى مصيرها المحتوم، تدخل مع الحراس إلى الداخل، تقترب من أمها، تنظر زوجة الفينيقي إلى ابنتها وزوجها، تفهم أن ما باحت به من سر إلى (بعل) وصل إلى رئيس الجماعة (بس)، يبدأ أحد الحراس في الحديث:

- "نحن مُحمّلين برسالة من رئيس جماعتنا جماعة الإله (ست) إليكم"

ينتهي الحارس من كلماته مخرجًا سيفه من غمده ويحيط زملاءه بالفينيقي وزوجته، مُقيّدين حركتهم بأيديهم:

- "لقد خالفتِ تعليمات رئيسنا (بس) وعليه قرر تنفيذ وعده بقتلهما أمامك يا عشتار سببًا لبوحك بالأمر"

ويرفع الحارس السيف عاليًا، تحاول (عشتار) منعه ولكن يمنعها أحد زملاءه بالقبض على ذراعيها وجرها للوراء بعيدًا عن موضع السيف، لينزل الحارس بسيفه على رقبة أمها، ولكن يعترضه سيف آخر، ينظر الجميع إلى صاحب السيف، ليجدوا الأمير (بعل) أمامهم، يبعد الحارس بسيفه فينحني حراس جماعة الإله (ست) للأمير (بعل) احترامًا..

- "أبلغوا (بس) أن (عشتار) ووالديها في حماية الأمير (بعل)، أي مساس بهم يغضبني، انصرفوا"
- "أمر مولاي الأمير"

يقولها الحارس ويغادر مع حراس الجماعة من المكان، ينظر (بعل) إلى حبيبته ويبدأ في الحديث:

- "طالما أنتِ تعيشين من أجل أبيكِ وأمك ستظلين في حمايتي، ولكن إذا وهبت قلبك لغيرهما، سيكون الموت مصيرهما، هذا هو قراري يا عشتار"

يغادر (بعل) المكان تاركًا (عشتار) ووالديها في صدمتهم مما حدث، في ليل الحيرة والشوق، حيرة (بعل) من أمر حبيبته، وشوق (عشتار) لحبيبها (أحمس).

****

"أحمس هو قائد المتمردين"

يقولها أمير (اتريب) لأمير (عين شمس) الجالس بجانبه، فيبتسم الأخير وهو ينظر إلى وجوه الحاضرين وبصوت خافت:

- "ألست تعلم لِمَ هو أمر بحضورنا؟"
- "بالتأكيد"

ينتهي من كلماته مع فتح باب القاعة الملكية، فهما جالسان مع بقية الأمراء الوراثيين حكام مقاطعات مصر الأربعين على مقاعد الضيوف

المتراصة على الجانبين أمام العرش، عرش الحكم بالقصر الملكي، يعلن الحاجب حضور الملك (أبوفيس)، فيقف الجميع، يدخل (أبوفيس) بردائه المزركش بالالوان، وعلى رأسه تاج الأرضين المميز، وفي يده صولجان (ست) الذهبي، ينحني الأمراء الوراثيين للملك مع مروره أمامهما معتلياَ عرشه الملكي، يشير لهم سامحًا بجلوسهم بعد جلوسه على العرش، يبدأ (أبوفيس) في حديثه إلى الحاضرين:

- "لقد أرسلت لكم لعرض أمر هام عليكم، بعد ما حدث في طيبة من قبل المتمردين، من طيبة وأسيوط، قررت أنا الملك (أبوفيس) بأمر من إلهنا المُعظَّم (ست)، بتوحيد الصفوف، وجمع الجيوش، لمحاربة من تمرد على حكم إلهنا المُعظَّم (ست)، من تدين له إمارتكم جميعًا بالولاء، ومن اختارته آلهة مصر منذ عقود مضت لحكم مصر تحت رايته، منشئين تحالفًا عظيمًا مع بلاد فينيقيا وشعوبها، لتوحيد سائر الأرض على خطى إلهنا المُعظَّم (ست)، ليعم السلام في جميع أنحاء المعمورة... لسائر البشر".

ينتهي الملك (أبوفيس) من كلماته وينظر على يمينه إلى مجلس الأمير (بعل) في أقرب مقعد في مقاعد الضيوف الحاضرين. ليتأكد أنه يرتشف من الكوب الذي بيده من الجعة. فيبتسم لذلك الواقف في نهاية القاعة بجانب الباب، رئيس الجماعة (بس) الذي يبادله الابتسام متذكراَ أمر ملكه (أبوفيس) السابق، ما رتب بينهما سابقًا لذلك الاجتماع، من ذلك المشروب من الأعشاب، تلك الأعشاب التي

أمر ساحر جماعته (حكا) بالإتيان بها إليه، وسحقها مع الجعة، لتقدم للضيوف في الاجتماع، ومع تناولها سيصبح جميع الحاضرين تحت تأثير تلك الأعشاب ما تجعل الجالسين يشعرون بأمور وأشياء غريبة، ما تجعلهم يرون أوهاما غير حقيقية، لتثير في داخلهم أكثر ما يخيفهم في الحياة، فيبدأ (أبوفيس) مرة أخرى في حديثه الموجه إلى الجالسين:

- "أنتظر منكم اقتراحات لما عرضت عليكم"

ينظر جميع الحاضرين إلى بعضهم البعض، كل منتظر الآخر في البدء قبله في الحديث، وهنا يقرر أمير اهناسيا بالبدء في الحديث:

- "مولاي الملك، لقد انتشر ما حدث في طيبة بين عامة الشعب، وقد ظهرت الكثير من الأقاويل تتحدث عن أمر غير مرغوب به من قبل جلالتكم"

ينظر أبوفيس غاضباَ إلى أمير (إهناسيا):

- "وما هو الأمر الذي لا أرغب في سماعه منك يا أمير (اهناسيا)؟"

تبدأ قطرات العرق في النزول على جبينه، تتحرك عيناه يمينًا ويسارًا في محاولة لإخفاء قلقه مما سيقوله:

- "أن.. (أحمس) عاد من الموت بأمر من الآلهة، وإنه يحمل معه قوى الإله (حورس)، وهذا الأمر قد يخيف جنودنا من مجابهته في ساحة المعركة"

ومع انتهاء أمير (اهناسيا) من كلماته يشعر بالدوار ولا يعلم لماذا،

ولكن ساقيه تعلم فعل الأعشاب السحرية بها، ما جعله لا يستطيع الوقوف في حضرة ملك البلاد، فيسقط على مقعده، وهنا يضرب (أبوفيس) الأرض بصولجانه، صولجان الإله (ست)، ومع ضربته يشعر الجالسون بأن صوت ضرب الصولجان بأرضية المكان ليس صوت خارجي يسمع بالآذان بل صوت من داخل أجسادهم، ترتج له قلوبهم، وترتعش له ضلوعهم، وتقف له شعيرات أجسادهم، ينظرون إلى ذلك الغاضب على عرشه، فإذا بعينيه أصبحت حمراء اللون، وصوته أصبح أكثر علوّا، ونبرته لم تعد هي نفس نبرته السابقة، بل ما يسمعونه الآن هو صوت أجش ليس لملكهم، بل صوت أكثر حيوانية:

- "لا تذكر اسم هذا الهزيل أمامي أيها الفاني، مَن معي سينتصر، ومن ضدي سيرى غضبي عليه هو وآلهته"

تقع الكلمات، لتصم الآذان، وتقشعر الأبدان، بما تحمله من خوف مما يرونه، فما أمامهم مختلف كل الأمر عن البشر، ما أمامهم شخص أحمر البشرة تمامًا، أقرب إلى لون الدم، تنطفئ المشاعل ليحل الظلام على القاعة للحظات، ثم تشتعل مرة أخرى، ينظر الجميع إلى عرش الملك ليجدونه فارغًا، هنا ينظر الأمراء الوراثيين لبعضهم البعض غير متفهمين لما حدث، ولكن (بس) رئيس الجماعة يتمالك مشاعر خوفه ويقرر الحديث لإنهاء الأمر السابق:

- "لقد سمعتم أمر ملك البلاد، إرسال جيوش الإمارات المصرية إلى أواريس للإنضمام إلى جيش مملكتنا العظيمة، لإعلان حرب القضاء على المتمردين، ومن يخالف الأمر سيلقى غضب الملك،

وغضب إلهنا المُعظَّم (ست)".

تعود الهمهمات إلى القاعة مرة أخرى بين الحاضرين من الأمراء الوراثيين حكام المقاطعات المصرية، فيقرر أن يتحرك بينهم ويبدأ في حديث آخر للجالسين ومع تحركه يتحرك جنوده يوزعون برديات ملفوفة عليهم، يتناول كل منهم برديته وتأتي كلمات (بس) عليهم بصوته العالي كأوامر غير مرضيّ عنها من قبل عموم الجالسين:

- "كل منكم سيتناول برديته بها الأوامر التي أمر بها جلالة ملكنا المُعظَّم (أبوفيس)، العدد المطلوب منه من جنود وعتاد، والدور الذي ستقوم به حامية إمارته في صد هجمات المرتدين، وأخيراَ دور كهنة كل معبد في نشر دعوتهم بمنح البركات لحكم إلهنا (ست) ضد المتمردين وبسط حكمه على كافة الأرض".

ينظر (بس) في عيون الجالسين وهم يقرأون بردياتهم، ليرى البعض تحمل وجوههم ملامح الدهشة، والبعض الآخر تتملكه مشاعر الخوف، يقرر أن ينهي الاجتماع بهدوء:

- "الاجتماع قد انتهى، فليسمح مولاي الأمير بعل ولي عهد مملكتنا المبجّل بمنحنا إذن الانصراف".

يقولها وهو ينظر لـ(بعل) نظرة هو يفهم معناها جيدًا، أنه لا بد من اتخاذ ذلك القرار في تلك اللحظة فيقف من جلسته، ويرفع ذراعه مشيراَ بيده لينصرف الجميع إثر إشارته.

****

"لن يصل أحد إلى الخلاص ما لم يولد من جديد"

"طهِّر ذاتك من أدران المادة إن أردت أن تولد من جديد"

"إن أولها الجهل، وثانيها الحزن، وثالثها عدم ضبط النفس، ورابعها الشهوة، وخامسها الظلم، وسادسها الطمع، وسابعها الخديعة، وثامنها الحسد، وتاسعها الخيانة، وعاشرها الغضب، والحادي عشر هو التهور، والثاني عشر هو .. الحقد".

من متون الإله تحوت

****

عندما تنزل أشعة الشمس من نافذة المكان تتلألأ بها ذرات التراب، تجعلك تشعر بأن الوقت لا يمر كالمعتاد، تجعلك تشعر بإحساس مختلف، ومع كل ذرة من الذرات الترابية، تبحر في بحر ذكرياتك، ما فات من أحداث، من ماضي سحيق حتى ذلك الأمس القريب، يقطع تفكيرك شئ واحد فقط، شئ ما زال في الحسبان، لا تستطيع عدم الاعتراف بوجوده أمامك؛ الحاضر، حاضرك وما يفاجئك به دائمًا من أحداث هكذا هو تفكير (أحمس) وهو جالس وحيد أمام مذبح الإله بمعبده الكائن بطيبة، معبد الإله (آمون)، المقدس من شعب طيبة بثالوثه المقدس (آمون وموت وخنسو)، حتى يأتي ذلك الحدث، دخول الكاهن الأعظم بمعبد (آمون)، (تحوتي) وفي جعبته الكثير من التساؤلات الموجهة إلى ذلك الشاب، فيبدأ بأولها:

- "بمَ تفكر يا مولاي الأمير؟"

- "ما الفرق بينهم؟"

يقولها (أحمس) الأمير ولا يفهم (تحوتي) مَن يقصدهم في ذلك التساؤل، فيرد السؤال بسؤال لكي يتضح له المقصد:

- "فليعذرني مولاي الأمير ولكن.. من هم الذين تقصدهم في ذلك السؤال؟"

- "آمون ورع .. تاسوع عين شمس وثالوث طيبة المقدسان".

يبتسم (تحوتي) للأمير الشاب ويفهم ما يقصده من ذلك السؤال ويجيب في هدوء وذكاء شديدين:

- "ثالوث طيبة وتاسوع عين شمس وكل ثالوث مقدس بكل مدينة وإمارة بمصر كلهم يصبون في اتجاه واحد إلى آتوم المُعظَّم، الخالق الواحد للكون الانسان من خلق.."

يقاطعه (أحمس) في سرعة:

- "أنا أعلم تماماً ا سيدي الكاهن ما علّمته لي وما حفظته عن ظهر قلب عن خلق الكون وخلق الآلهة، أنا أقصد شيء آخر تماماً، سأقول هذا الكلام لأنك الوحيد الذي من الممكن أن يفهمني ولا يتهمني بالهرطقة بمعبوداتنا وآلهتنا".

يغلق (أحمس) البردية التي بحوزته ويقف ناظر إلى أشعة الشمس الواقعة من نافذة المعبد على جلسته أمام مذبح (آمون) ويستطرد في

حديثه السابق:

- "كنت أراجع البرديات الموجودة الخاصة بتعاليم الإله (تحوت)، محاولة مني فهم ما يحدث معي، سألت نفسي سؤال بسيط جدًا، لماذا (ست)؟"

وهنا يفهم (تحوتي) ما يريد أن يصل إليه، لماذا خلق الشر، ولماذا وجد في حياتنا، يستجمع (تحوتي) أفكاره ليجد الإجابة الشافية لأميره الشاب.

- "لن أقول لك ما تعلمته مما حدث بين أوزوريس وست وتحّوله إلى اتجاه الشر في الحياة، ولكن سأتحدث عن أمر بسيط أليس موت الإنسان شر، أليس قتل الحيوان شر، أليست الحروب شر؟"

يصمت (تحوتي) منتظراَ إجابة الأمير الطيبي الآتية:

- "ولكن الإنسان يموت ليذهب إلى الحياة الأخرى في الخلود، والحيوان يُذبح لنتغذى عليه، والحرب ما هي إلا للدفاع عن أنفسنا ضد المعتدين"

- "إذا وجد الخير لا بد وأن يوجد الشر في الحياة لأنهما مكملان لبعضهما، مكملان لدورة الحياة في دورة الزمن، ولكن إذا اختل التوازن بينهما انتهت الحياة".

يقف (أحمس) من جلسته ناظراَ إلى الخارج، فيسأل (تحوتي) ذلك السؤال:

- "هل أقنعتك إجابتي مولاي الأمير؟"

- "بل مهّدت لعقلي كيف سيكون التفكير والتخطيط فيما هو آت.. معلمي الكاهن"

هنا يدخل (مس) الكاهن الشاب على أبيه (تحوتي) وأميره (أحمس) فجاة إلى المذبح مهرولًا ويتحدث:

- "مولاي الأمير (أحمس).. قد جئتك في أمر هام"

ينتبه الموجودون في باحة المذبح لحديث الكاهن الشاب..

- "السجين (نفربرت) مغشي عليه، وأعتقد أنه على مشارف الموت".

هنا يفهم (أحمس) السبب وراء دخول (مس) بهذا الشكل إلى المذبح بالمعبد، فهو قد أمر (مس) بالحفاظ على حياة (نفربرت) و(سوسرن) و(وازد) لأمرٍ ما لا يعلمه سواه فقط.

- "هل أتيت بالكاهن الطبيب؟"

- " نعم ولكن (نفربرت) يرفض تناول الدواء مُطالبًا بالموت"

- "إذًا فلتأتِ معي إليه، وأنت أيضًا يا سيد (تحوتي)"

يخرّون جميعًا من قاعة المذبح متجهين إلى مقر زنزانة نفربرت وعائلته من الذكور، وفي الطريق، يفكر (أحمس) في تلك الفكرة، ما سيجعله يوقف أمر (نفربرت) في محاولة قتله لنفسه، الأمر الذي لا يريده الآن، ومع تدرجه لتلك الدرجات وفي الممر المظلم ما عدا ما تلقيه المشاعل على جانبيه من أضواء، يسحب سيفه من غمده ويأمر

الحراس بفتح الزنزانة، يفتح الباب ليظهر الطبيب بجانب جسد (نفربرت) المريض أرضًا وفي يده قارورة الدواء وبجانبه ذلك الشاب من كهنة المعبد (منتو بن هر) الذي يقول لـ(نفربرت):

- "أرجوك تناول الدواء يا سيد (نفربرت)"

فيجيب عنه الأخير بصوت أشبه بالبكاء:

- "أتركوني لأموت، أتركوني لأتخلص من حياتي"

يقترب (أحمس) من موضع الجالسين:

- "تريد التخلص من حياتك يا (نفربرت)؟ ليس عندي مانع لكن بشرط".

يقولها (أحمس) الذي دخل الزنزانة شاهرًا سيفه ومع انتهاء كلماته يكون موضع سيفه هو موضع رقبة (سوسرن) ابن نفربرت الأصغر:

- "انتهي منه أولًا حتى يؤانسك هناك يا (نفربرت)"

يجهش (نفربرت) في البكاء ويتحدث في بكاء لـ(أحمس):

- "أرجوك ليس ابني مَن بقي لي على قيد الحياة، أخبرني فقط بما تريده يا ابن الأشراف؟"

يرفع أحمس سيفه من على رقبة (سوسرن) وهو ناظر إلى أغلال الثلاثة بأيدي (نفربرت) و(سوسرن) و(وازد).

- "تناول الدواء وظل على قيد الحياة يا (نفربرت)، هذا ما أريد".

يرتشف (نفربرت) الدواء من قارورة الطبيب في سرعة محاولًا إرضاء (أحمس) الغاضب، يبتسم (أحمس) إلى (نفربرت) ويعيد سيفه إلى غمده:

- "هكذا أنا سعيد بك يا (نفربرت)"

عندما انتهى من كلماته تحرك مغادراً القاعة ومعه الكاهن (تحوتي) والكاهن الشاب (مس) اللذان لا يفهمان لِمَ إصراره على الإبقاء على حياة الخونة، ولكن (أحمس) كانت ابتسامته تحوّلت إلى ضحكة خافتة لوضع النقطة الأولى في خطته الجديدة، أما (منتو بن هر) والكاهن الطبيب كانا ما زالا في الزنزانة مع المريض الذي يتحدث بكلمات أشبه بكلمات سبع مجروح:

- "لِمَ هذا العذاب؟ اتركني أرتاح يا ابن الأشراف".

الكلمات تصل إلى مسامع (أحمس) الذي لا يعيرها اهتمام، ولكن (منتو بن هر) يعير المريض اهتمامًا فيجيب غاضبًا على سؤال (نفربرت):

- "فلتظل هكذا في عذابك إلى أن ترى أعراس أحفادك".

يقولها لتتحرك الأسئلة في عقل (نفربرت)، أسئلة لا يستطيع البوح بها أمام الحاضرين، وعندما تغلق أبواب السجن عليه هو وابنه (سوسرن) وزوج ابنته (وازد)، تفتح باب آخر، باب من الذكريات، ذكريات تتعلق بتلك الكلمات السابقة كلمات:"إلى أن ترى أعراس أحفادك".

فهي لم تكن المرة الأولى قد سمعها، بل هي سمعت من قبل سمعت

من زوج ابنته الراحل (سني)، هل هو (منتو بن هر)؟ مَن سيكمل تلك المسيرة للراحل سني؟؛ مسيرة الخيانة في أرض طيبة.

****



٤- أرض طيبة:

الذكريات دائمًا تكون مؤلمة، لما تحمله من أوجاع وآلام، لما تحمله من آمال مهمة، أحلام منكسرة، ولكن في بعض طياتها قد يظهر ذلك البريق، الذي يجعل الظلام ينقشع تدريجياَ، فظلام الآلام قد يتحول تدريجياَ إلى ضوء جديد، شمس من أمل جديد، أمل قد ولد في لحظة حاضرة، على ذكريات قد مضت، منذ ما يقرب من بضعة أشهر، ما قد رُتِّب وخطط في ليلة ماضية، ليلة قد كانت بين (سني) و(نفربرت)، ما قاله زوج الابنة لحماه، ليلة المغادرة من طيبة، قبل هروب (سني) عندما انكشف أمره، في أمر الخطة البديلة:

- "الخطة البديلة لو فشلت خطتي الأساسية سيقودها شخص آخر".

قال له (نفربرت) وقتها:

- "أأنت واثق من أمره؟"
- "واثق بعد موتي وجوده في استكمال مسيرتي".
- "من هو؟"
- "هذا ليس بالمهم الآن، المهم أنه سيكون سائرَا على تعليمات الجماعة من ناحية وما يتناسب مع انتقامنا العظيم من الأشراف من ناحية أخرى".
- "لماذا؟"
- "له ثأر مثل ثأرنا"
- "وكيف سأعلم شخصيته؟"

- "سيأتي لك بجملته في الوقت المناسب"
- "وما هي تلك الجملة؟"
- "العيش إلى أن ترى أعراس أحفادك"

يقطع تفكيره في بحر ذكرياته، تلك الدقة على باب الزنزانة، إثر صوت فتح الحراس للباب ويظهر ذلك الشاب، (منتو بن هر)، الكاهن في معبد آمون، يدخل حاملًا في يده قارورة، كما اعتقد الحراس، بأنها جرعة أخرى من الدواء للمريض، يقترب (منتو بن هر) من موضع (نفربرت)، ذلك الأخير الذي شعر بالأمل يضيء في جبهة الشاب، يعطيه القارورة في يده، وشفاهه تقترب من أذنه، لتنطلق الكلمات بصوت خافت:

- "غدًا بالليل تفك بها أغلالك عند هرج ومرج الحراس".

ينتهي من الكلمات الخافتة ويقف يتحدث بكلمات عالية الصوت:

- "الدواء تأخذه بالصباح عندما تشعر بالتعب"

يومئ (نفربرت) برأسه مع حيرة (وازد) و(سوسرن) لما حدث، يخرج (منتو بن هر) من الزنزانة ويغلق خلفه الحراس الباب، متجهاً في الممر إلى قصر طيبة الملكي، ومع صعود الدرجات، يتذكر ما قد رتبه مع الراحل (سني)، ويتذكر ما تلقاه من تعليمات رئيس جماعة الإله (ست) من رسوله، يفكر كيف سيرتب تحقيق الأمرين في آن واحد، يبحث عن تلك الثغرة، ثغرة في دائرة الزمن، وثغرة أخرى في دائرة العائلة المالكة، الذين قد اقترب من تجمعهم في القاعة الملكية، يصل أمام ابواب القاعة وما دون أعلاها حديثًا من عبارة (تاعا الأول)

الراحل:

- "سنحافظ على وعدنا نحن الأشراف بحماية مصالح طيبة وشعبها إلى أبد الآبدين".

يفتح الباب أمام الكاهن الشاب (منتو بن هر) من قبل حاجب القاعة، ليدخل إلى المكان فيرى أمامه الملكة (اعح حتب) جالسة على عرش الحكم الطيبي الذي يعلو بدرجتين عن ساحة القاعة، وعلى الجانبين يوجد ستة مقاعد، ثلاثة منهم ذو نقوش ملكية، للملكة الأم والأمراء، وعلى أحد المقاعد الأمير (أحمس) جالسًا، وعلى مقعد آخر (نفرتاري) تتكئ على المسند، وأمامهم يقف الكاهن (تحوتي) وبجانبه الكاهن الشاب (مس)، والمفاجأة التي لم يكن يتوقعها، ذلك الكهل الذي يتوسطهما، كيف نجا ذلك الرجل من حريق معبد (رع) في أواريس؟! إنه (سخم - رع) الذي أخبره عنه رسول (بس) رئيس الجماعة، يتذكر الكلمات:

- (("إذا ظهر أو وُجِدَ في طيبة فلتبعث لي في أسرع وجه"))

يقترب من موضع الكاهن (مس) فينتبه له، يسأله سؤال بصوت خافت:

- "هل أعطيته الدواء؟"

يومئ برأسه مؤكدًا، فهو لا يريد أن يقاطع حديث الكهل مع الملكة (اعح حتب) والأمير (أحمس) الذي حضر تلك الكلمات منه:

- "هذا هو كل ما حدث يا مولاي الأمير (أحمس)".

ينتهي الكاهن الكهل (سخم - رع) من حديثه الذي تضمن حرق معبد الإله (رع)، ويسلم الصندوق الخشبي المرسوم عليه ختم قرص الشمس. فيسأل (أحمس):

- "ما هذا؟"

- "وصية الكاهن الأعظم الراحل بتسليمكم تلك البرديات المقدسة لمعبد إلهنا (رع) في أواريس".

يتسلم (أحمس) الصندوق ويقف أمام الملكة (اعح حتب)، ويبدأ في الحديث:

- "مولاتي الملكة بناء على ما ورد من الكاهن (سخم - رع) بحرق معبد الإله (رع)، وطبقًا لما ورد لنا من معلومات من جنود المازوي عن اجتماع (أبوفيس) مع الأمراء الوراثيين بأواريس، أطلب من مولاتي الإذن في ترتيب إرسال رسلنا إلى جميع الأمراء الوراثيين لمقاطعات مصر، بنسخ من النبوءة المقدسة لعرافة الإله (رع) وطلب في الانضمام إلينا في الحرب على الخاسوت".

تشير الملكة (اعح حتب) بيدها إشارة البدء في تنفيذ الأمر، فينظر (أحمس) إلى (مس) نظرة يعلمها جيدًا، فهي أمر بتنفيذ ما قيل من قِبل رجاله من جنود المازوي، يتحرك (مس) ومعه (منتو بن هر)، النائب لـ(مس) في قيادة جهاز المازوي، خارجين من القاعة الملكية لتنفيذ الأوامر الجديدة، ومع غلق الأبواب تتحدث (اعح حتب) حديثها التالي:

- "أخبرني يا (سخم - رع) كيف أشكرك على إنقاذ حياة ابني من

الموت، إطلب أي شيء"

يبتسم (سخم - رع) إبتسامة تتضح فيها تجاعيد سنه الكبير وما تحمله من هموم:

- "إنقاذي للأمير (أحمس) ما هي إلا تنفيذ لإرادة الآلهة، وما أتمناه هو حق مَن ماتوا في المعبد"
- "أيها الكاهن (تحوتي) فليستقبل (سخم - رع) استقبال الملوك وليكرم كما يكرم أهل طيبة ضيوفهم الأعزاء".

يومئ (تحوتي) برأسه مؤكدًا على تنفيذ أمر الملكة (اعح حتب)، وتشير له بالانصراف، فيخرج (تحوتي) و(سخم - رع) من القاعة الملكية ومع غلق الأبواب على الملكة وابنها تبدأ الأم في حديث لإبنها في هدوء يسبق العاصفة وبنبرة حانية:

- "اسمع يا ابني قبل أن أسألك عن ترتيبك لما هو قادم من أمور، أريد محادثتك في أمر هام بالنسبة لي".

ينتبه جيدًا لحديثها، لتستطرد الأم:

- "قبل أن تخرج من طيبة مرة ثانية يجب أن تكون قد عقدت قرانك على (نفرتاري)"

****

"وماكانت إجابتك؟"

تقولها (تيتي شري) لحفيدها (أحمس) الذي لا يجد كلمات يقولها:

- "لم أعلِّق على الأمر بالموافقة أو بالرفض"

تتناول (تيتي شري) قطعة من الخبز من الأواني الفخارية على مائدة الطعام في غرفة الطعام الملكية، ويتناول (أحمس) جرعة من الجعة من كأسه، تبتسم (تيتي شري) لحفيدها محاولة منها لتخفيف نزول قطرات العرق فوق جبينه، ولكن توتره لن ينتهي بتلك الابتسامة، فهو يعي تمامًا سبب ذلك الطلب منه، يعي تمامًا بأن الخوف من مصيره المحتوم أن يتحقق كما هي نبوءة عرافة آمون، هو السبب في ذلك الأمر.

- "بمَ تفكر؟.. أتهاب من الزواج أم قلق من رد فعل (نفرتاري)؟"

يجيب أحمس وهو ما زال ممسكًا بكأسه:

- "أهاب مما هو قادم"

تتوقف (تيتي شري) عن تناول الخبز وتنظر إلى (أحمس) محاولة فهم ما يريد إيصاله لها من قوله السابق، فيكمل:

- "هل سيتكرر مصير كامس لي أم لا؟"

يقولها واضعًا كأسه على المائدة ويهم بالانصراف واقفًا منحنياَ لجدته (تيتي شري)، فتشير بأناملها سامحة له بالانصراف، يخرج من قاعة الطعام بين ممرات قصر طيبة بحجراته المتعددة، لا يفكر سوى في أمر واحد، لا يخشى المستقبل فقط بل خائف من تكرار ما مضى، ما أشبه اليوم بالبارحة، في تلك الليلة الحزينة له، يوم زفاف (كامس) على (نفرتاري)، عندما كان (أحمس) ما زال ابن الاثني عشر ربيعًا،

عندما أمرته أمه بالبحث عن (كامس) في حجرات قصر طيبة الكبير ولم يجده، عندما تجوّل بعربته الحربية بين بيوت طيبة، باحثًا عن أي شيء يدله إلى موقع أخيه، يتذكر وجود عربة أخيه بحراسه أمام ماخور طيبة، دخل إلى المكان باحثًا بين السكارى، عن أخيه العريس، حتى وجده بين بعض من المومسات، جالسًا ضحكاته تعلو، رقصات من الأولى، وتعري من الثانية، واقتراب من الثالثة، وكأس خمرته تتساقط منه بعض القطرات مترنحة مثل حاملها، لم تستطع أي من الفتيات إمالته على عكس الخمر، التي سيطرت على أمره، فجعلت ضحكاته عالية، وعيونه سارحة، يتذكر (أحمس) ما فعله آنذاك، من صياح في وجوه المومسات، وصياح في وجه أخاه، الذي لم يشعر بما يحدث حوله من أحداث، يتذكر حمله هو والحراس لـ(كامس) السكير، على ظهره مغشيًا عليه، يتذكر عندما أفاقه في قصر طيبة، بما تحمله من أ لم لرؤيته لـ(كامس) في ذلك الوضع المُهين، يتذكر سؤاله له:

- "لِمَ تفعل في نفسك هكذا؟"

حاول (كامس) استجماع قواه، والإجابة على سؤاله ولكن بسؤال:

- "وهل أنت بعالم لِمَ سأتزوج من (نفرتاري)؟"

- "للحفاظ علي الدم الملكي"

ضحكات (كامس) العالية كانت نافية لحديث (أحمس) ذو الاثني عشر ربيعًا:

- "من أجل النبوءة"

جلسة البالغ الأصغر أمام أخيه الأكبر، ما دار في خاطره وقتها من معنى الزواج، الحفاظ على الدم الملكي من الفناء، هي محاولة (اعح حتب) لوجود نسل لـ(كامس) قبل أن تتحقق النبوءة وملاقاة الموت على يد الخاسوت.

- "طالما أني ميت ميت في جميع الأحوال، فلمَ أخرج لمحاربتهم؟ لِمَ أنتظرهم حتى يأتوا، وأقُل لهم أهلًاا وسهلًاا، تعالوا ... حققوا النبوءة"

يتذكر كلمات أخيه الراحل(كامس) في تلك الليلة..

- "ولِمَ لا تتحدى النبوءة؟"

يتذكر كلماته في تلك الليلة قبل دخول نفرتاري عليهما سويّا:

- "لِمَ لا تصنع قدرك أنت يا (كامس) طالما أنت ما زلت على قيد الحياة؟"

تقطع أفكار، وتتوقف الذكريات عن البوح بمكنونات الماضي، ليستعيد ذهنه ما هو يريد فعله بحاضره، يصل (أحمس) إلى مبتغاه، إلى الكهل في غرفة مبيته بالقصر الملكي، يجلس (أحمس) أمام موضع جلسة الكهل (سخم - رع) ليسأله السؤال الذي يحيره:

- "يا سيد (سخم - رع) هل كنت تعلم بأمر (عشتار) بمرادها من (بعل)؟"

ينظر (سخم - رع) إلى أرضية الغرفة لا يعلم كيف سيبرر له ذلك، ولكن يزيح (أحمس) الحرج عنه:

- "لِمَ لم تخبرني؟ لماذا تركتني أنخدع بها يا (سخم - رع)؟"
- "هي كانت تحت رحمة (بس)، رئيس جماعة (ست) يا مولاي الأمير، ولكن أعلم يقينًا أنها لم ترد ذلك من قبلها".

وبكل سخرية يسأل أحمس سؤاله التالي:

- "وماهية اليقين التي تجعلك تخاطر بحياتي بين أيديها؟"
- "لأنها تربّت على يدي أنا منذ الطفولة، وكما أعلم جيدًا هي لن تقدم على إيذائك حتى لو كانت علمت حقيقتك ذلك الوقت، أعلم جيدًا أنها تحبك من صميم قلبها مولاي الأمير (أحمس)".

يقولها (سخم - رع) ليجعل (أحمس) تتملك مشاعر الصدمة والفرح في آن واحد، فمشاعره تجاهها تحمل الكثير من الحب والقليل من الكُره، ومع تلك الكلمات ا شتعلت نار الاشتياق مجددًا، الاشتياق إلى الحبيبة، ليسأل (أحمس) سؤالًا جديدًا:

- "ما أحوالها بعد رحيلي؟"
- "أحوال عشتار لن تسرّك يا مولاي الأمير"

يقولها (سخم - رع) ليجعل قلب الأمير الطيبي يرتجف قلقًا على عشتار، حبيبته وحبيبة أمير الخاسوت.

****

الثأر، دائمًا ما يجعل الإنسان لا يفكر في مخاطره، يجعله فقط يسير على خطى المخطئين، لا يهم ما سيتحمله من ذنب أمام الآلهة في محاكمة الموتى، غشاوة الألم من الماضي لا تزول بل تزيد مع مرور الوقت، في لحظات الليل، يخطو بخطاه، يتدرج الدرجات إلى معبد الإله (آمون)، يفتح الحراس له الأبواب، كما جرت العادة، مثل كل يوم، لـ(منتو بن هر) دائمًا وأبدًا يأتي في الليل إلى المعبد، ليقدم صلاته إلى ثالوث طيبة المقدس (آمون وموت وخنسو)، يصل إلى المذبح في القاعة الرئيسية بالمعبد، يجثو على ركبتيه أمام تمثال الإله (امون)، يرتل تراتيل الصلاة، بجانب بضع من المتطهرين عبدة (آمون)، وفي نفس التوقيت، بعض من المُلثَّمين بالسواد، بنقب سوداء، يتسللون إلى أبواب المعبد الخارجية، يفاجئ الحراس بوجودهم، لتخرج السيوف معلنة سقوط دماء جديدة بالمدينة، ولكن هذه المرة في معبد الإله (آمون)، ينتهي (منتو بن هر) من تراتيله ويخرج سيفه من غمده، تتملك وجوه المتطهرين على جانبيه ملامح الدهشة، لا تعدو لحظات، ويقطع (منتو بن هر) رؤوس اثنين على يمينه لتتساقط الدماء من رقابهما ويعود بالسيف باقرًا بطون اثنين على يساره لتطير الأحشاء خارجة من بطونهما، يقف (منتو بن هر) ملتفتًا للخلف إلى باب القاعة، يفتح الباب، يفاجئ الحارسين بوقوفه شاهرًا سيفه، يحاول الأول إخراج سيفه، فيسبق سيف (منتو بن هر) ذراعه لتفصله عن جسده، يهجم عليه الثاني من ظهره فيتفاداه ملتفًّا حول نفسه، فيدخل سيف الثاني في جسد الأول، ويقطع (منتو بن هر) رأس الثاني ومع سقوط الرأس، يجد أمامه أعوانه الملثمين بالأسود، يشير له بيده

إشارتين: الأولى كانت للقاعة فيدخل بعض من ذوي النقب السوداء إلى الداخل حاملين معهم قوارير كبيرة بعض الشئ والثانية لكي يتحرك الجزء الآخر إلى الممران المقابلان للقاعة، يسير بخطاه تجاه باب المعبد، وعلى الجانبين يتصارع بعضًا من ذوي النقب السوداء مع بعض من الحراس الباقين، يقابله ثلاثة من المتطهرين القادمين من غرف إقامتهم بالمعبد، مستنجدين به، فيقابلهم بإبتسامة، لم يفهموها جيدًا، ليفعل سيفه برؤوسهم، أبشع الصور، لتسقط الرؤوس أمام أقدامه، يدوس على أحد الرؤوس بقدمه اليمنى، ويضغط على صدر جثة من المتطهرين بقدمه اليسرى، متحركًا إلى الباب، ومع وصوله للباب، ينظر خلفه ليتأكد من حدوث ما يريد بمعبد (آمون)، ليجد النار تبدأ في الاشتعال بالقاعة الرئيسية، يرى تمثال (آمون) تطاله ألسنة النيران، فيبتسم لبدء الجزء الأول من المخطط، ينظر يساره إلى القصر الملكي ثم ينظر يسارًا إلى مكان السجن، ليتحرك معه أعوانه الملثمين بالسواد، لبدء الجزء الثاني من المخطط، مخطط الجماعة.. جماعة الإله (ست).

****

يركض الحراس على غرفة الكاهن (سخم - رع)، تدق الأبواب، يدخل الحارس الأمير (أحمس)..

- "المعبد يا مولاي"

ينظر (أحمس) إلى وجه الحارس الذي يتصبب عرقًا.

- "المعبد مشتعل بالنيران"

يتحرك (أحمس) راكضًا وخلفه الكهل (سخم - رع)، ومعهم يتقابل الكاهن (تحوتي) القادم من القاعة الملكية، الكل يركض في اتجاه واحد، معبد (آمون) الذي تزداد به النار اشتعالًا، يتناول أهالي طيبة المياه، يلقى الماء من هنا ومن هناك، يدخل (أحمس) بين النيران فيحاول الحراس منعه ولكن دون أي فائدة، يصل إلى منتصف الممر المؤدي إلى قاعة المذبح، يرى جثث القتلى يمينًا ويسارًا، ينظر إلى تمثال (آمون) المشتعل عن آخره، يشعر بتلك الحرارة تقترب من نقبته، يمنع دموعه من السقوط على جثث المتطهرين العزل، يخرج مع من جذبه من الحراس دون أي مقاومة، فمشاعر الحزن امتلكته، يتحدث (تحوتي) إليه:

- "لقد بدأوا في خطوتهم التالية"
- "وهل تعتقد أن تلك الخطوة في طيبة فقط؟"
- "هل تقصد ما يجول في خاطري؟"

وفي تلك الأثناء الحريق لم يكن في طيبة وحدها فما رُتِّبَ من قبل (بس) رئيس الجماعة قد نفذ، حرائق في معابد الآلهة المقدسة في أسيوط، وإهناسيا، عين شمس، ابيس، اتريب، وكل عاصمة من عواصم المقاطعات، وفي كل معبد لـ(ست) صغير بتلك المقاطعات، خرجت كهنة (ست) إلى العامة بكلمات متشابهة، تفيض بما خططه (بس) في جميع مقاطعات تميرا، وكما كان متوقعًا يقول (سخم - رع) لـ(أحمس) و(تحوتي):

- "سيخرج كهنة (ست) في كل مقاطعة يدَّعون إنه غضب (ست) على آلهة مصر أجمعين"

يومئ (أحمس) برأسه مؤكدًا:

- "لقد بدأ مخطط الشر يا (سخم - رع)، كما كنت متوقعًا يا (تحوتي)".

****

أسماء زاد

٥- أرض الشـر:

يتحرك بخطوات ثابتة، يقترب من الأبواب، لتفتح أمامه، يدخل هو ورفيقه في أمرهما، يقفان أمام ذلك الذي يجلس على عرشه، منتظرًا مجيئهما، فيبدأ الأول متحدثًا:

- "لقد بدأ الأمر يا مولاي في أرض تميرا"
- "وكهنتك يا كاهني الأعظم؟"
- "يقومون بدورهم في إخبار الناس بغضب إلهنا المُعظَّم (ست) على الآلهة أجمعين"
- "عظيم.. (بس) لقد حان الآن دورك"

يومئ برأسه لملكه، ملك الخاسوت، ويتحرك خارجًا لتنفيذ ما أمره به مولاه، يركب عربته الحربية، في اتجاهه الجديد تاركًا الكاهن الأعظم مع ملك الخاسوت، الملك الذي أراد كاهنه في أمر هام يخصّه وحيدًا دون أي قرار آخر، يسأله ما أراد أن يسأله منذ عدة أيام، سؤال في أمر يجده:

- "أيها الكاهن الأعظم هناك أمر ما يحيرني منذ عدة أيام وأردت أن أسأل عنه"

هنا تظهر علامات الإضطراب على وجه الكاهن الأعظم للإله (ست) أمام سؤال (أبوفيس) الذي يستطرد في حديثه السابق:

- "هناك أمور تحدث لي في الآونة الأخيرة لا أفهم مبتغاها ولا أعلم سببها"
- "وما هي يا مولاي الملك المُعظَّم؟"
- "لماذا تم اختياري لحمل الصولجان؟"
- "هذه حكمة الإله (ست) المُعظَّم، في اختياركم، لإبقاء مصر خاضعة تحت حكمه"
- " سأسمح لك بحديثك المنمّق هذا، ولكن بالنسبة أن أشعر أن الكلمات ترن في عقلي وليس بأذني كلما أنظر إلى رأس الإله (ست) بالصولجان".
- "هذه حكمة إلهنا المُعظَّم (ست) في توجيه جلالتكم لكل ما هو صالح في القضاء على المتمردين".

يقف ملك الخاسوت وينزل الدرجتين ليصبح واقفًا أمام الكاهن الأعظم للإله (ست) مبتسمًا ويتحدث بصوت خافت:

- "وما حدث في القاعة هنا منذ يومين مع الأمراء الوراثيين.. ما تفسيره؟"
- "حقًا لا أعلم مولاي الملك"

يقولها الكاهن كاذبًا، فهو يعلم الأمر ولكن لا يريد أن يفسره خوفًا مما هو قادم.

- "لماذا أنت خائف هكذا؟.. لا تكذب على ملكك أيها الكاهن"

وعندما انتهى أبوفيس من كلماته انطفأت المشاعل تدريجياً في القاعة واحدًا تلو الآخر، ليعم الظلام فجأة.

- "أعلمت لِمَ لم أختارك أنت وانتقيت (أبوفيس)؟"

ينظر أمامه ليجد (أبوفيس) أمامه لون قرينتيه بمنتصف عيناه قد احمرّ تمامًا، وصولجان الإله (ست) أصبح أحمر اللون تمامًا، لا يعلم الكاهن كيف يرى ذلك والمشاعل منطفئة، يركع الكاهن الأعظم أمام (أبوفيس) الذي يضحك ضحكاته العالية، ومع انتهاء الضحكات، تشتعل المشاعل مرة أخرى، ويطلب (أبوفيس) من الكاهن ذلك الطلب الجديد:

- "اليوم لا أريد فتاة عذراء واحدة فقط، بل أريد ثلاثة من العذارى في مضجعي"

ينظر الكاهن الأعظم إلى (أبوفيس) ليجده قد عاد إلى طبيعته ولكنه قد فهم ما حدث للتو وما يريد من العذارى، فيجيب الإجابة والتي لا يعلم كيف سيفعلها:

- "أمر جلالتك"

وعلى عكس الخوف الذي تملك الكاهن الأعظم، تملك (بس) غضباً عارمًا، فهو غاضب من ذلك الإختيار، فلقد قدَّم خدمات جليلة وعظيمة في موضعه كرئيس للجماعة، فكيف يكون (أبوفيس) هو الاختيار في حمل الصولجان، يتذكر ذلك الحديث الذي دار بينه وبين (حكا) والكاهن الأعظم منذ بضعة أيام:

- "كيف حدث هذا يا (حكا)؛ أن نرى جميعنا وهم واحد؟"
- "هذا ليس وهمًا سيدي (بس) بل هو الأقرب للحقيقة"

يصل إلى أعلى سور المدينة، ومع مناداة الحراس لعامة الناس، وما زال صدى كلماته مع الكاهن الأعظم لمعبد (ست)، يدور بين أذنيه:

- "لماذا لم ينتقني أنا يا كاهننا الأعظم؟"
- "أنت تعلم ماذا يقدم (أبوفيس) منذ أعوام مضت يا سيد (بس)"

تتجمع الناس بأواريس أمام مكان وقوف (بس) أعلى سور المدينة تحت أشعة الشمس، ويبدأ (بس) في إلقاء خطبته المقررة:

- "أيها الناس، يا أهالي أواريس، يا شعب مصر، لقد أعلن إلهنا (ست) عن غضبه لمن عصى أمره، ومن تمرد عن حكمه، لقد حلت لعنة نيرانه على معابد الآلهة في أرض مصر، ولقد انتقم بنفسه من الخونة المتمردين في معبد (رع) بأواريس، قد حُرِقوا أحياء في مكانهم، كما رأى جميع الناس، كما أعلن كهنة معبد (رع) بعين شمس، فما زالت مباركة تاسوع الآلهة لحكم (ست) لمصر وللأرض قائمة، وبجواري عزيزي كاهن (عين شمس) بنفسه، ليؤكد لكم صحة كلامي، أليس كذلك يا عزيزي (كبحن)؟"

ينظر إلى الكهل الأصلع الواقف بجواره، فيفهم معنى كلماته، ليتحرك خطوتين للأمام، ليلمع شعار قرص الشمس على جبهته ويبدأ في إطلاق كلماته:

- "نعم أيها المصريين، لقد جاءت لي رؤيا من تاسوعنا المقدس، آلهتنا في السماء برئاسة إلهنا المُعظَّم أبو الآلهة (رع)، من ولى ابنه الإله (ست) لأمور حكم تميرا وفينيقيا، وأن مَن يخرج عليه ويتمرد على عبادته، وعدم إقراره بسلطانه فهو آثم".

ينتهي من كلماته، لتضرب أشعة الشمس في عينه، تتحرك قدمه، تنزلق، فلا أرض أسفلها، يهرع (بس) ممسكًا بجسده لمنعه من السقوط، ينظر (بس) للناس أسفل السور، يعلم أن ما حدث قد شكَّكهم في صحة حديث (كبحن) فيأمر الحراس بأخذه بعيدًا عن المكان، ويغادر هو الآخر موقعه، يعلم في قرارة نفسه أن ما حدث ليس بمحض الصدفة، ولكن لا يريد الإعتراف حتى بينه وبين نفسه، خوفًا من الجالس في قصر الحكم بأواريس، والذي اختير من قبل إلهه (ست)، لتصبح أرض الآلهة هي أرض الشر.

****

يجلس (تيتي) الشاب على عرشه، عرش إهناسيا، أمامه طبق مليء بالفواكه من مقاطعة بني سيوف، ومُحَاط به أجمل فتيات تلك المقاطعة، تلك التي اشتهرت بجمال فتياتها في مصر العليا، وكانت دائمًا المقارنة في جمال النساء بين مصر العليا ومصر السفلى في أمرين، فتيات إهناسيا وفتيات أتريب، فقد اختيرت البلدتين من قبل الآلهة في نسب جمال النساء في مصر، هكذا هي الأقاويل بين العامة، يأتي الحاجب إلى أميره (تيتي) ليقطع جلسته بأمر هام:

- "مولاي الأمير (تيتي).. هناك أمر هام أتيت به إلى جلالتك".

ينظر له (تيتي) نظرة غاضبة، فيكمل الحاجب ما سبق له من حديث ولكن بصوت منخفض قريب من أذن مولاه:

- "رسول من جماعة الإله (ست) ومعه رجال من طيبة"

فيشير الأمير (تيتي) للفتيات، فتخرج إلى إشارته، ويسمح الحاجب بدخول الضيوف إلى قاعة الحكم بإهناسيا، يتحدث الأول العجوز ذو الملابس المهترئة إلى الأمير (تيتي):

- " مولاي أمير (إهناسيا).. أنا نفربرت، مدير القصر السابق بطيبة"

ينظر (تيتي) إلى مَن معه ليفهم (نفربرت) معنى النظرات.

- "هذا ابني (سوسرن) وزوج ابنتي الصغرى (وازد)"

يضحك (تيتي) ضحكته الطفولية:

- "هاها.. هل أتيتم لي بملابسكم المهترئة طالبين اللجوء لإمارتي من الأشراف؟"

- "عذرًا يا مولاي الأمير (تيتي)، (نفربرت) سليل الأبرار الحكام القدامى لطيبة، من له الحق هو وعائلته في حكم طيبة، وليس الأشراف ، لا يطلب اللجوء هاربًا من أحد"

كلمات (نفربرت) الغاضبة، تجعل (تيتي) يعتدل في جلسته قلقًا من كلمات العجوز ويتحدث مرتبكًا:

- "ولِمَ أنت قادم مع رجل من رجال جماعة الإله (ست)؟"

- "المصالح يا عزيزي الأمير، هي ما يمكن تجمعنا سويّا نحن سلالة الأبرار، وجماعة الإله (ست) وجلالتكم"

- " وما هي المصالح التي تجمعنا سويّا يا (نفربرت)؟"

- " الفوائد التي ستعمّ علينا في حال التخلص من الأشراف بطيبة"

يضحك (تيتي) ويقف، يأخذ الدرجات نزولًا، يقف وجهًا لوجه مع العجوز (نفربرت):

- "أنت تتحدث عن عائلة حُكِمَ عليها بالتمرد من قبل الملك بجلالته، أتعلم أيها العجوز.. إن جميع أمراء المقاطعات الوراثيين أعلنوا للملك موقف الحياد في حربه على المتمردين، سواء في طيبة وأسيوط حتى أتى أمر الحرائق في معابد الآلهة إثر غضب الإله (ست)، فأنقسم الأمراء في أمرهم، ما بين منضم بجيوشه إلى جيش الملك، وما بين في مقاطعته لا حمل له بتلك الحرب.. أأنت أيها العجوز تستطيع التخلص من الأشراف في طيبة؟ هاهاها.."

ومع ضحكات (تيتي) المتعالية يغضب (سوسرن) ويضع يده على مقبض سيفه، فينهره (نفربرت) عن ذلك بنظرة غاضبة منه، ينظر (نفربرت) إلى رسول الجماعة منتظرَا منه ردّ على الأمير المتعالي، فيقرر رسول الجماعة الحديث مُعطيَا الأمير ببردية مختومة بختم الجماعة الأسود:

- "مولاي الأمير، لقد أتيت لك بهم بأمر من رئيس الجماعة الكاهن الشاب (بس)"

يقرأ (تيتي) البردية وتفتح عيناه عن آخرهما ليس من الصدمة ولكن من الغضب:

- "هذا أمر وليس اختيار، أن أتعاون مع هؤلاء الهاربين من طيبة"
- "ضع يدك في يدي يا مولاي الأمير، لننتقم لمن افتقدناهم من ذوينا بسبب الأشراف، بسبب (سقنن رع)، بسبب (كامس)، وبسبب (أحمس)"

ينظر (تيتي) إلى نفربرت في عينه مباشرة..

- "انطق بالكيفية!"
- "رجلنا في طيبة سيبعث لنا ونحن سننفذ.. وما هو مطلوب منكم المساعدة برجالك فقط"
- "أتستطع الإتيان بحق والدي مَن مات ذليلاً على يد (سقنن رع)؟"
- "سأستطيع الإتيان بحق عائلة الأبرار من عائلة الأشراف يا مولاي الأمير أيضًا"

يضع (تيتي) يده في يد (نفربرت) الذي مدَّها أولًا للمصافحة:

- "اتفقنا"

يقولها وقد خرج رسول (بس) من القاعة مغادرًا ليَعلمه بالأمر اليقين، وفي وضع أول لبنة في خطته، للقضاء على المتمردين، إبتداءًا من أسيوط حتى حدود طيبة عند الفنتين بجنوب مصر.

****

- "فيمَ تفكر يا مولاي؟"

يقولها (تحوتي) للأمير (أحمس) الذي يقف أمام تمثال الإله (آمون) المحترق، ينظر إلى اللون الأسود المحترق الواضح في ضوء الشمس، يفكر في خطوته التالية بعد تلك الليلة الحزينة في طيبة، ويجيب في هدوء على الكاهن (تحوتي):

- "في قراري القادم"

يدخل الكاهن الشاب (مس) إلى قاعة المذبح المحترقة، ينظر له (أحمس) ليتحدث:

- "إصابته ليست بالخطيرة يا مولاي ، (منتو بن هر) سيَشفى"
- "ونفربرت؟"
- "لا أثر له بالمدينة، لا هو ولا (سوسرن) و(وازد)"
- "فليكرم بالنوط الذهبي (منتو بن هر)، وذلك لشجاعته في محاولته منع السجناء من الهروب من السجن"
- "أمرك مولاي الأمير"
- "إنتظر يا (مس).. أريدك في أمر هام ما سيرتب لما هو قادم يا صديقي العزيز"

يقولها فيتوقف (مس) عن مغادرة القاعة منتظرًا أوامر مولاه.

- "طبقًا لما هو جاء لـ(مس) من معلومات فقد أحرقت معابد الآلهة بأكملها، وكما كنت منتظرًا، هرب (نفربرت) وأعوانه من المدينة"
- "فيمَ تفكر يا مولاي الأمير (أحمس)؟"
- "الوقت ليس في صالحنا أيها الكاهن الأعظم، ما حدث قد يؤتي بثمار مفيدة للخاسوت، سينقسم الأمراء الوراثيين في أمرهم، فما أعلن منذ أيام بأمر الحياد في تلك الحرب بيننا وبين الخاسوت، سيختلف وخصوصًا أمراء مصر السفلى، سينضمون إلى جيش (أبوفيس) خوفًا من بطشه، وبالتالي قواتنا نحن وأسيوط ستكون أقل من جيش الخاسوت"
- "يا مولاي الأمير، جنود المازوي منتظرين منك إشارة للقضاء على (أبوفيس) في مضجعه"
- "لا لا لم يعد الأمر مثل السابق يا (مس)، المعطيات اختلفت الآن".

يقولها (أحمس) مقاطعًا حديث (مس) السابق، يدخل (نشئ) قائد الجيش إلى القاعة حاملًا معه بردية، مدوّن بها ما طلبه منه أميره، يتناول (أحمس) البردية، يقرأها جيدًا، وينظر إلى (نشئ)..

- "أليس هذا بكثير؟"

- "هذا طبقًا لما طلبت مني يا مولاي؟"

- "لنمتلك جيش لا يقهر"

يومئ (نشئ) برأسه مؤكدًا حديث أميره الطيبي

- "المعبد سيكون هو مقر إجتماعاتنا في الفترة القادمة، ثانياَ ستأتون بصناع الأسلحة من سيوف وأقواس للعمل داخل المعبد، وما سيعلن للعامة، إن عمال الترميم بالمدينة يعملون على إعادة ترميم المعبد وبنائه"

يصمت (تحوتي) و(مس) و(نشئ) ولحديث أميرهم السابق اندهاشًا من قراره، فيقرر إنهاء دهشتهم:

- "ليس موت (سني) معناه انتهاء أمر الكشافين لدى (بس) رئيس الجماعة بطيبة ، وما تركت (نفربرت) إلى انتظاراً للحظة هروبه، وحرق المعبد أكبر دليل أن جاسوس الجماعة، قريب منا تمامًا، نحن الأربعة، ولكن إذا أردت أن تهزم عدوك فلا بد أن يكون أمامك معلوم وليس خلفك ليطعنك في ظهرك"

- "إذًا يا مولاي سيكون المعبد هو مجلس اجتماع الحرب للفترة القادمة!!"

- "ليس ذلك فقط، ولكن اتجاهاتنا ستختلف وتحالفاتنا ستتغير أيضًا"

ينظر الجميع إلى (أحمس) لا يفهمون ما يقصد بكلماته، ولكن

(أحمس) يعلم جيدًا ما هي قراراته في الفترة القادمة، يعلم كيف سيحاكي خطته، وما هي الخيوط التي سيغزل بها ثوب الحرب.

****

- "أجننت؟"

تقولها (اعح حتب) وهي صارخة في وجه ابنها الأمير (أحمس)، جالسة هي وابنتها وابنها (أحمس)، ولكن تحاول الابنة نفرتاري تهدئة الموقف بجملتها التالية:

- "مولاتي.. إعطِه فرصة لإيضاح وجهة نظره فيما يقول"

يبتسم (أحمس) لذكاء أ خته نفرتاري ويقرر الحديث إيضاحًا لما عرضه على أمه الملكة (اعح حتب):

- "مولاتي، نحن لا نمتلك المواد الخام الكافية للتجهيز للحرب، ولا نمتلك عدد الجنود الكافي، كل ما نمتلكه للمقايضة هو الذهب القفطي*، فليس هناك حلولًا أخرى غير ما عُرضت"

تقف (اعح حتب) غاضبة وبصوت عالٍ توبخ ابنها:

- "نضع أيدينا مع ملك الكوش، مع مَن ساعد الخاسوت أيام حروب (كامس)، أنت أكيد جننت وأنا لست بموافقة على قراراتك أيها الأمير"

- "مولاتي.. إن الذهب هو ما يفكر به أهالي الكوش، من أين يجمع ذهبًا، وإذا عُرضت عليه ووافق حينها سآخذ كل ما أحتاجه من

خشب السنط والمعادن المطلوبة لصنع السلاح والسفن والعربات الحربية"

- "وإذا رفض يا أخي العزيز.. ماذا أنت بفاعل؟!"

تقولها (نفرتاري) منتظرة إجابة أخيها الأصغر، فتأتي إبتسامته الواثقة كيقين له:

- "سيكفينا خشب الأرز القادم من فينيقيا"

يقول جملته ليجعل الملكة والأميرة في حيرة من أمرهما، تاركًا الاثنتين وهو خارج من القاعة في ذهول من حديثه السابق، فهو لم يُلقِ على مسامعهم كل ما تكنّه جعبته، لم يصرح لهم ببقية خطته ومع خروجه من باب القاعة، كان يُمنّي النفس من نجاح مبعوثيه الجديدين إلى أرض فينيقيا، بما يحملونه من ذهب مقابل أخشاب الأرز من تجار بلاد الثلج، (ابن ابانا) و(ابن بنخت)، اللذين شقَّا طريقهما إلى أرض فينيقيا في طرق صحراء الشرق، تلك التي لا يستطيع أي من البشر تحمّل مشقتها، كما أمرهما أميرهما (أحمس)، طريق البئر العالي، ليس وحدهما بل معهما جنود المازوي، من عاشت قبيلتهم لأعوام وأعوام في تلك الصحراء، قبل انضمامهم للجيش مع المصريين في وادي النيل، يبتسم (أحمس) وهو في غرفته، لوجود الصندوق الخشبي لمعبد (رع) مفتوحًا فارغًا، ويقول جملته:

- "ابتلعت الطعم"

أساطير

فيخرج صندوق آخر قديم، من أسفل الفراش ويخرج البردية التي أراد منه (سخم رع) أن يقرأها، يتردد صدى كلمات نصيحة (سخم - رع) في أذن (أحمس):

(،، إقرأ التاريخ مولاي الأمير (أحمس).. فدورة الزمن تتكرر دائمًا وما يُدوّن في البرديات لنتعلم من أخطاء السالفين، كما هي حكمة الإله (تحوت) ,,)

يفتح أحمس البردية ليقرأ كلمات الماضي البعيد، وما قد فات على الجميع، أن يتذكره الآن، في تلك الأيام.

****

البرديات المقدسة للإله (رع)

"تعاليم المتطهر الأول"

"لن يصل أحد إلى الخلاص ما لم يولد من جديد"

"طهِّر نفسك من أدران المادة إن أردت أن تولد من جديد"

"إن أولها الجهل"

لقد بدأت برديتي بمتون وتعاليم إلهنا العظيم إله الحكمة (تحوت)في تاسوع (عين شمس) المقدس لآلهة مصر، وذلك لأن ما ستدوِّنه ريشتي هو للعلم لما حدث في تلك الآونة.. آونة دخولهم إلى بلادنا، الخاسوت.

مَن دخلوا في غفلة مننا، في حين تصارعت النفوس على المناصب، وازدادت القلوب بالضغائن، بمَن منها الأصلح والأنسب على حكم البلاد، جاهلين أمر هؤلاء مَن زاد عددهم بيننا،

مَن أصبحوا أمراَ واقعًا في بلادنا، مَن أتوا عمالًا هاربين من جفاء أراضي الشرق، إلى نعيم أراضي الكمت،

مَن طمعوا في خيرات أرض الآلهة،

لذا فإن الجهل أول خطايانا.

"ثانيها هو الحزن"

لقد غرقنا في بحر أحزاننا، ذلك الحزن الذي تمالك نفوسنا، بعدد جيوش الخاسوت إلى مصر العليا*

، محتلًا مدينة (منف)، وقبل أن يدخل عاصمة مصر الحالية (آتيت آوى)**، تم إعلان حكم الحقاوخاسوت للبلاد أجمعين،

أمر بحرق المعابد والمدن، وبعدها تم سبي النساء والأطفال،

حزننا على ما حدث أنسانا ما قد حدث من أمر (سالتيس)، قائد جيوش (عامو) الشرق، بحكم الإله (بعل).

متمثلًا في الإله (ست) لدى المصريين، تناسينا وأغفلنا هؤلاء مَن نادوا بيننا بأن عباد (ست) في مصر مظلومين.

وغير مسموح لهم بإنشاء المعابد في أنحاء تميرا، وجهلًا من العامة صدقنا ذلك.

زيف لحقيقة أن هؤلاء هم أعوانهم الذين ساعدهم في دخول البلاد (سالتيس) ومنحهم أرض أواريس..

لتتحوّل القرية إلى مدينة كبيرة لعبادة الإله (ست)، وأرض الآلهة بريئة من تهمة التعصب الديني..

على مر التاريخ.

"**ثالثها عدم ضبط النفس**"

لم نضبط أنفسنا في مشاعرها، فاختلف الأمراء الوراثيين فيما بينهم، واختلف كهنة الآلهة فيما أمرهم، فمنهم من قرر حرب الخاسوت، ولكن فرادا، فكانت الهزيمة نصيبه، ومنهم من تواطأ معهم، فكانت الجزية لهم مرادا، والإهانة لهم جواباً على حكم الكمت، والفرقة دائمًا هي سبب سقوط أرض الآلهة في ظلمات الأولين.

"**رابعها الشهوة**"

شهوة البقاء، مهما كان الثمن، شهوة العرش، شهوة السلطة، كلها كانت أسباباً للهلاك، أسلحة (سالتيس) للتوسّع والانتشار في مقاطعات مصر.

"**خامسها الظلم** "

لم يظلمنا الخاسوت في احتلالنا، بل ظُلمنا لأنفسنا هو ما جعلهم يأتون إلينا، ظلمنا للآخرين بأنهم أقل شأنًا منا، في أراضي الشرق، وفي بلاد الكوش، لم نعلمهم كيفية الحضارة، بل نظرنا لهم نظرة دونية، نظرة التمساح للطير، الطير الذي يقوم بتنظيف أسنانه بعد إلتهام وجبته، فنحن لم نرَ بهم ما يعلو شأنًا عن ذلك.

"سادسها الطمع"

كما كان الطمع هو الدافع الرئيسي لقبائل الشرق في الإتحاد، والسطو على حضارتنا، ليتجسّد أسوأ ما فيهم ما تعلموه من (بعل) إلههم بفينيقيا، كان متجسَدًا أمامنا في كهنوت (عين شمس)، غير مباليين بانتشار عبادة الإله (ست) المفاجئ في سنوات متتالية، دون أن يفهم كهنة التاسوع المقدس بمعبد (رع) بعين شمس ما خُطِّط من قبل الخاسوت، بل مطامع إرضاء الملوك المصريين المتصارعين على الحكم، طمعًا في أرض زيادة أو ذهب أكثر.. هو كان الشاغل، لذا فإن طمعنا قاد كهنة التاسوع المقدس بـ(عين شمس) للذهاب إلى (سالتيس) بحجة الابقاء على معبد (رع) وتاسوعه المقدس دون أن يحترق، ليس إرضاءاَ للآلهة، بل طمعًا في بقاء نفوذهم، ما جعلهم يقفون جنب إلى جنب مع (ستاليس) بمنف.

معلنين لعموم الناس، مباركة الآلهة للخاسوت كحقاوخاسوت لتميرا بجانب فينيقيا، معلنين مباركة الآلهة في السماء لحكم ابن (رع) المُبجّل بأشعته المقدسة، المباركة لحكم عدو (أوزوريس) الطيب وقاتله، تناسوا ما حدث من محاكمة لأكثر من ثمانين عامًا بين (ست) و(حورس) ابن (أوزوريس) أحقية الحكم للكمت، تناسوا مَن لجأ للقتل والخداع في أساطير الآلهة، وكل ما علمّتوه لنا كمتطهرين بالمعبد، من تعلم ليخدم الآلهة فقد في معابدنا دون أطماع أو

تزييف.

"سابعها الخديعة"

لقد خُدِعنا نحن المتطهرون الصغار والكهنة الشباب من قبل مجلس الكهنوت لمعبد (رع) وتاسوعه المقدس بـ(عين شمس)، لقد حافظنا على أسرار المعبد كما هو القسم الذي أقسمناه في يومنا الأول بمعبد (رع)، ولقد خالفناه، عندما سلَّمنا بأيدينا أعظم أسرارنا إلى (سالتيس)، ما يحافظ على بقاء الحياة بأنحاء تميرا.

"ثامنها الحسد"

ذلك السر الذي أبقيناه دفيناً لأعوام وعقود وقرون، كما كان يحسدنا عليه ملوك مصر، وما كان يحسدنا عليه كهنة بقية الآلهة بأنحاء الأرضين، وحسدنا على مقدرتنا على السيطرة عليه والحفاظ على وجوده دفيناً بالأعماق، في تيه الظلمات، متحامين بأشعة شمس (رع) المقدسة منذ فجر التاريخ، فكما حسدنا الخاسوت على حضارتنا، حسدنا أنفسنا على قوتنا، فراهنَّا بإمتلاكنا لذلك السر، لاكتساب القوة في تحالف بين الكهنة الكبار و(سالتيس) وجماعته.

"تاسعًا الخيانة"

وكما خان الكهنة قسمهم، وتحالف الخائنين مع (سالتيس)، خانهم (سالتيس) بعد عدة أعوام، بعدما تمكن هو وابنه من كسب السيطرة على جميع الأمراء الوراثيين، حكام إمارات مصر، فهجمت جماعة (ست) بجنودها على معبد (رع) بـ(عين شمس)، في الصباح كان حريق هائل بكافة أرجاء المعبد، أما في الليلة التي تسبق صباح الشمس المقدسة، استولت الجماعة على أعظم الأسرار، ومعها أهم البرديات، بعد قتل جميع أعضاء مجلس الكهنوت، وتم نقل السر إلى أواريس، إلى مقر الجماعة الجديد، هربت أنا ومَن بقي منَّا على قيد الحياة من المتطهرين، مقررين أمرَا واحدًا.

"عاشرها هو الغضب"

الغضب هو ما سيطر على ما تبقَّى منا من شباب المعبد، قررنا الذهاب إلى أواريس، وقررنا بناء معبدنا الخاص لعبادة إلهنا (رع) وتاسوعه المقدس، لم يعارض (سالتيس) في بادئ الأمر، ولم نفهم عدم معارضت جماعة الإله (ست) لنا في البداية، ولكن ما قاربنا على الانتهاء من بناء معبدنا حتى جاء ذلك الأمر، وعلمنا بالسبب.

"الحادي عشر هو التهور"

لم نكن نعلم أن التهور في قرار اتُّخذ في لحظة غضبنا سيكون طمعًا للقضاء علينا بأنفسنا، فبعد اكتمال البناء انقسم فينا الشباب، ما بين

من يكون الأحق باللقب، لقب الكاهن الأعظم، لم نكن نعلم أن أيادي الجماعة خلف ذلك الانقسام، فتحالف ثلاثة منا وخانونا، مع جماعة الإله (ست) وتركونا مع معبد منهدم، كما قررت الجماعة.

"الثاني عشر هو الحقد"

الحقد هو ما جعلنا نختلف، وهو أيضًا ما جعل الجماعة تخاف من أن يقل أتباعها في أواريس، معقل حكمهم، فقرروا التخلص منا، بحجة المعبد مكانه غير ملائم مع موقع سور المدينة، الذي قرر إنشاؤه، فمن عارض منا، كفر من الثلاثة الخائنين، ومن رضي ذهب مع مجلس الكهنوت الجديد، إلى معبد (رع) المحترق بـ(عين شمس)، والذي قرر (سالتيس) فجأة لتجديد المعبد وتوسيعه في عيد جلوسه على العرش الأمر الذي أدى إلى طردنا من أواريس، وأصبح كهنة الإله (رع) في مصر قسمين، القسم المعترف به والمختار من قبل (سالتيس) حاكم الخاسوت، والخارجين عن مجلس الكهنوت بـ(عين شمس) منشئين معبدًا صغيراَ خارج أواريس، خلف أسوار المدينة الجديدة، التي سيطرت عليها جماعة الإله (ست)، لتكون مركزًا للشر، ويستمر زمن الخاسوت، زمن (ست)، زمن الشر، وكل يدور في دائرة الزمن.

ملاحظات

الذهب القفطي نسبة إلى قفط الموجودة في قنا وقد اشتهرت بمناجم الذهب في تلك الآونة.

* **مصر العليا: الوجه البحري**

** أتيت آوي: عاصمة مصر في ذلك الوقت والتي تأسست على يد أمنمحات الأول مؤسس الدولة الوسطى والأسرة الثانية عشر



الفصل الســـــادس

دائــــــــرة الزمـــــــن

أسراد

"من خلال الزمن تنتظم الحياة وتستمر"

"ينبثق الحاضر من الماضى، وينبثق المستقبل من الحاضر"

"وتتوحّد جميع الأشياء فى هذه الديمومة"

"والزمن كالدائرة، تتصل نقاطها حتى أنك لا تستطيع تحديد أولها من آخرها حتى تتبع كل نقطة ما يسبقها، وتتبعها ما تلحقها إلى الأبد".

من متون الإله (تحوت)

١. زمـــــن الإختيار:

في قصره، جالس على عرشه، ينظر إلى رجله، الذي وقف أمامه حاملًا أحدث ما جاء من أخبار المتمردين، من طيبة ومن أسيوط على حكمه بأواريس .

يتحدث (بس) رئيس الجماعة، وبكل ثقة:

- "هذا كل ما تم في طيبة يا مولاي الملك (أبوفيس)".

يضرب (أبوفيس) الأرض بصولجان الإله (ست) متحدثًا بصوت هادئ:

- "ا لهزيل سيخرج إلى ملك الكوش طالبًا العون في الأخشاب والمعادن، جنده يخرج بعضهم سالكين طرق البئر العالي إلى تجار فينيقيا لطلب الأخشاب، وقائد جيشه يتجه إلى أسيوط، ليرتب أمور الحرب مع حاكم أسيوط. هل هذه هي فقط تحركاتهم؟".

يومئ (بس) برأسه مؤكدًا لملكه صحة كل كلمة سابقة، منتظرًا أوامر الملك له في ترتيب الأمر الجديد.

- "وأنت .. ما رأيك يا (بس)، ما هي خطوتك التالية؟"

يتوتر (بس) أمام (أبوفيس) يشعر بأن سؤاله وراءه اختبار لقدراته فيتحدث (بس) بنبره مضطربة:

- "الهجوم يا مولاي على جيش المتمردين في أسيوط، دون قائدهم ابن الأشراف، فلا توجد قوة أمامه يستطيع الصد بها، فيستسلم

لنا بعد هزيمة منكرة".

يضحك (أبوفيس) ضحكة عالية، صاخبة، مخيفة لـ(بس)، ويضرب بصولجانه أرضية المكان، لترتج القاعة الملكية بالقصر، أسفل أقدام (بس)، ما يجعل الحراس خارج القاعة قلقين، تمتلك مشاعر الغضب (أبوفيس)، لينظر بعينيه إلى رئيس الجماعة، وبنبرة هادئة محاولًا تملك غضبه:

- "هذه المرة تأكدت أنك لا تملك القدر الكافي من الحيل والخطط المنطقية لكي ترضيني بها يا (بس)".

يتوتر (بس) أكثر وأكثر، يتصبّب عرقًا، مع تحرك (أبوفيس) من على عرشه، ليقف أمام رجله، وبعينين أكثر غضباَ، ما جعل السواد بهما يتحول إلى اللون الأحمر.

- "الرمز يا (بس)، و(أحمس) هو الرمز الآن لثورة المتمردين على حكمي، فالقضاء على الرمز هو أساس القضاء على التمرد، وعليه سيكون الأمر أسهل بكثير، لماذا نقضي على جنود وعتاد، نستطيع أسرهم لجيشنا يا رئيس الجماعة، وبإستطاعتنا القضاء على رمز التمرد".

يبتسم (بس) لكلمات ملكه فهو قد فهم ما يريد منه، وعلم ما سيكون دوره القادم، يقطع خلوتهم دخول الحاجب إلى القاعة، فينظر له (أبوفيس) غاضباَ:

- "مولاي، لقد حضر مولاي جلالة أمير البلاد (بعل) في انتظار الإذن

بالحضور كما أمرتم".

يشير (أبوفيس) بعينه إشارة يفهمها حاجبه، فيفتح الباب لدخول الأمير (بعل) إلى القاعة الملكية، ينظر (بس) إلى وجه (بعل) القلق من أمر أباه في طلب الحضور له، وينظر إلى (أبوفيس) ليجد عينه قد عادت لطبيعتها، وزال الأحمر الداكن منها، يربت (أبوفيس) على كتف ابنه (بعل)، ليس كملك، بل أب لابنه، وفي كل هدوء يصاحبه ابتسامة:

- "نريد أن نفرح بك يا نجلى العزيز"

لم يفهم (بعل) كلمات أبيه فى بادئ الأمر فيتحدث طالبًا التوضيح.

- "لا أفهم يا مولاى المقصد من حديث جلالتكم"

يبتسم (بس) فقد فهم مراد مولاه الملك

- "أتأذن لي مولاي الملك التوضيح؟... مولاي الأمير ملكنا العزيز يتمنى زواجكم"
- "أنت تعلم يا عزيزي، قد طاوعتك في بادئ الأمر على زواجك من تلك المغنية ولكن علمت أنك غيّرت رأيك أهذا صحيح؟!"

كلمات (أبوفيس) السابقة بما تحمله من نبرة سخرية جعلت (بعل) غاضبًا، ولكنه حاول امتصاص غضبه أمام (أبوفيس) الذى بدأ يستطرد في حديثه:

- "أنت تعلم الأمير (هاداد)، حاكم اتحاد مدن فينيقيا ألا تتذكره؟،

لقد رأيته وأنت صغير هو وابنته (تازي)"

- "تقريباَ"
- "عظيم.. نريد منك أن تتزوجها"
- "من؟"
- "(تازي) ابنته، أنت لست منتبه لحديثي أم ماذا يا (بعل)؟"
- "كلي آذان صاغية يا أبي"
- "عظيم.. جهِّز نفسك غدًا ستخرج لرحلة لساحل فينيقيا من أجل مقابلة حماك وعروستك الجديدة يا (بعل)".
- "أمر مولاي الملك"

يقولها (بعل) وهو يريد الانصراف فيسمح له (أبوفيس) بذلك، ويهم (بس) بالخروج فيمنعه (أبوفيس):

- " (بس)"

يقولها لي قف رئيس الجماعة في مكانه منتظراَ أمر مولاه

- "بالطبع أنت تعلم ما دور رجالك مع الأمير"

وهنا يفهم (بس) كلمات الملك دون حديث مسبق، وهو يشعر وكأنَّ الملك يتحدث له في عقله دون صوت، (رجالك مهمتهم الاستيلاء على غنائم بعثة (أحمس) لتجار فينيقيا دون شعور الأمير بذلك)، تلك الكلمات السابقة تردَّدت في عقله، ينظر إلى ملكه فهو لا يتحدث، بل عيناه تحوّلت من الأسود إلى ذلك الأحمر الداكن، مرة أخرى، فلا يجد (بس) سوى كلمتان لا مجال للهروب منهم.

- "أمر مولاي"
- "لست موافقًا يا أمي، لا أقدر"
- "ماذا تعني لا أقدر؟ هذا أمر ولا يجوز أن تعصاه"
- "قلبي ليس ملكي يا أمي"

يقولها (أحمس) لتسقط (إعح حتب) على مقعد غرفتها جالسة، مصدومة من حديث ابنها السابق، فلقد رفض ولأول مرة أمرَا لها، وليس أي أمر، بل رفض أمر الزواج من (نفرتاري) أخته، محطمًا في قراره كل الآمال لها، آمال الإبقاء على نسل عائلتها، ما تعهدت به يوم زواجها من (سقنن رع)، ما اختير من قبَل الآلهة ثمن للموافقة على ذلك الزواج، لمباركة الحب، وبسبب الحب أيضًا، يرفض (أحمس) تنفيذ ذلك العهد، ما عاهداه والداه للآلهة، ولــــ (تيتي شرى) يوم العرس، تتحدث بنبرة لا تحمل سوى الأسى:

- "مَن هي التي تجعلك ولأول مرة ترفض أمرَا لأمك؟"

ينظر (أحمس) إلى أرضية الغرفة حزينًا، فهو بين الأمرين حائرًا، بين حبه ووفاءه لعهد العائلة، بين قلبه وقلب أمه، يقولها بصوت خافت:

- "(عشتار)"

لم تسمع (إعح حتب) الاسم بوضوح فتسأل مرة أخرى:

- "مَن؟ لم أسمع اسمها جيدًا"
- "(عشتار) يا أمي"
- "(عشتار) اسم فينيقي، هل هي ابنة لأحد أمراء فينيقيا؟ هل هي

ولي للعرش في ببلوس أو صور أو صيدا أو رودا المثلثة مثلًا؟!"

سخرية وغضب سيطر على الكلمات السابقة ما جعل (أحمس) لا يريد الإجابة. لتستمر (إعح حتب) فى إلقاء الكلمات التالية على (أحمس):

- "بالطبع لا، أتتحدي أمري، وتضرب بعهد العائلة عرض الحائط لفتاة عادية ليست حتى من دمنا، هل وقعت في براثن خداعها.....؟"

يرفع (أحمس) كفه ليقطع حديث أمه الغاضب وينظر لها محاولًا التحدث بهدوء"

- "أ رجوكي..... ذلك الحديث لن يجدى نفعًا، ولقد اتخذت قراري قبلًا، ولن أعدل عنه الآن"

يتحرك (أحمس) مغادرًا الغرفة ولكن توقفه (إعح حتب) بكلماتها التالية بصوتها العالي:

- "أليس أنت من وقفت قبلًا، ووبّختني أنا وأباك على اختياراتنا؟ أليس أنت من اتهمتنى أنا وأباك في تفكيرنا بأنفسنا دون الرجوع إلى مصالح العائلة أو وضع اعتبارًا لمصالح طيبة، اليوم تعيد الكرة، تريد أن تهدم ما بنيناه في سنين، ولا تريد من أحد أن يراجعك في قرارك"

بين باب الغرفة المفتوح أمام طريقه الجديد وبين (إعح حتب)، بالعهد القديم يقف، يقرر أن ينهى ذلك الحديث:

- "أنتِ تفوّهتي بلسانك، أنتم من اخترتم في الماضي، وأنا أختار الآن، على العموم لقد أتيت لأودّعك قبل الخروج لمهمتي الجديدة في الكوش، وأنت مَن طلبتي إجابتي على أمر الزواج من (نفرتاري)، بعد إذنك يا مولاتي الملكة الأم".

يخرج من باب الغرفة يسير في ذلك الرواق، تاركًا (إعح حتب) غارقة في دموعها خلفه بنهاية المكان، ليست دموع غضب منه، بل حزنًا عليه، خوف عليه مما هو آت، يقابل (نفرتاري) في منتصف الرواق، توقفه، بنظرة قلق على أخيها الصغير، ممّا هو مقدم عليه، ترى أمها حزينة، تنظر إلى (أحمس) فتومئ برأسها متفهمة، تحاول أن لا تجعله قلقًا على (إعح حتب):

- "لا تقلق عليها، أنا سأخبرها كل شيء"

ومع انتهاء الكلمات تحتضنه مودِّعة، يربت عليها مطمئن، ويمسح دموع عينها بأنامله:

- "ثم ماذا بعد؟"

تبتسم (نفرتارى) له ابتسامة مفتعلة:

- "أختك رجل"

وكما اعتاد أن يفعل وهما أطفال، أثناء تدريباتهما على المبارزة، يجيبها إجابته المعتادة:

- "حسنًا.. أريني"

يضحكان سويّا، يسير تاركًا وراءه (نفرتارى) في منتصف الرواق ناظرة له حتى وصوله لباب القصر، ينظر خلفه لـ(نفرتارى) نظره لا يفهمها سوى الإخوة، تذهب على إثرها إلى غرفة أمها، تصل إلى (إعح حتب) التي ترتمى في أحضان ابنتها باكية، لتربت على كتفها مطمئنة.

ينزل (أحمس) الدرجات بساحة القصر، يمتطي عربته الحربية، ينظر إلى عربة (مس) و(منتو بن هر) وينظر إلى (سخم رع) الذى يصعد العربة بجانبه، ينظر إلى القمر متمنّيًا أن يوفَّق في رحلته القادمة، حتى يأتي ذلك اليوم ، يوم ملاقاة حبيبته مجددًا، تحت ضوء القمر على شاطئ النيل، مَن تتجه عرباتهم إلى سفنه، استعدادًا لركوبها، والبدء في رحلة بأدغاله، ومتاهاته خلف جزيرة فيلة، ما بعد حدود الفنتين، ببلاد الكوش، يتساءل (أحمس) في قرارة نفسه: هل هو فعلًا اتخذ القرار الصحيح؟

****

– "ماذا دهاكِ يا ابنتي.. وما نهاية ذلك الأمر معك؟"

تقولها وهي ناظرة إلى ابنتها الواقفة خلف تلك النافذة، ناظرة إلى ضوء القمر، دموعها من مقلتيها ساقطة، صانعة مجرى جديد للمياه، ما يُخالف مجرى النيل في البلاد، تتحدث الأم ثانية وهى على ابنتها تزداد قلقًا:

– "يا عشتار كل ليلة تبكي، بماذا سيفيد البكاء؟"

– "أكثير عليّ الحزن يا أمي؟"

- "لم أقصد هذا يا بنتي، لكن أنا خائفة عليكِ"
- "وأنا اخترت الحزن لأني أخاف عليكم يا أمي"

الصمت يرفرف بجناحيه تحت ضوء القمر، تاركًا عشتار في بحر حزنها على ما وصلت إليه، حبيسة بأواريس للإبقاء على حياة والديها، من بطش (بعل) ورئيس جماعة الإله (ست)، رافضة مبدأ الخلاص منهم في لقاء حبيبها بطيبة، الذي تمنَّته يومًا، حبيبها من كان للقلب دقات في هواه، يأتي الأب الفينيقي إلى المكان، ليحلق الصمت بعيدًا عن المكان، ويأتي تمساح القلق بأمره من الخوف في كلمات الأب لابنته:

- "لقد أ تى الأمير (بعل) إلى المكان طالبًا لقاءك على مائدته".

تنظر الأم إلى الأب قلقة، تمسح (عشتار) دموعها، تدفن داخلها مشاعرها، بما تمتلكه من خوف، وما تحمله من حزن، تسير بخطى هادئة في ممر الكواليس، تصل للصالة، ما بها من أحاديث وضحكات وهمهمات، آلات الموسيقى التي تعزف تقف أنامل حامليها عن العزف فجأة، فتتوقف الأحاديث، وتنقطع الضحكات، وتتوجه العيون إلى ملكة الصوت الحنون، التي أمضت فترة من الزمن متوقفة فيها عن الغناء، منتظرين صوتها العذب يعلو مجددًا في بيت الفينيقي، ولكن تتحرك (عشتار) بين موائد السكارى، أجساد الفتيات الغير عذارى، تصعد الدرجتين ما يفصلان المائدة الملكية عن مستوى الموائد العامة، يفسح حراس الأمير (بعل) الطريق، ليظهر (بعل) مضجعًا أمامها، يشير لها لكى تجلس بجانبه، تجلس وهى هائمة، يبتسم (بعل) لها، فلا ترد له الإبتسامة، ينظر إلى عينيها الشاردة منتظرًا لحظة حنان

أو اشتياق، فلا يقابل سوى نظرة خاوية من المشاعر، حتى مشاعر الغضب، يتجرّع من لعابه في حلقه محاولًا تخفيف مرارة جعته، يتحدث بصوت مبحوح إثر كثرة الجعة:

- "عشتار"
- "أمرك يا مولاى"
- "لِمَ لا تغني في هذا المكان مثل السابق؟"
- "لم أعد أجد كلمات جديدة تطرب الناس، وقد أصاب صوتي بعض......"
- "سوف أذهب للزواج يا عشتار"

يقاطعها فتنظر إليه، ترى نظرة كطفل يناشد أمه للنجاة من أمر سيء، فتبتسم له، تريد أن ترى إذلإله لها كما ذلت أمام سيفه وسيوف حراس جماعته.

- "ألف مبروك، بوركت من قبل الآلهة أجمعين مولاي الأمير"
- "وأنتِ يا عشتار؟"
- "أتريد أن أشدو بأغاني العرس المبارك يا مولاي الأمير؟"
- "أنتِ قلبي يا عشتار"
- "مولاي الأمير لقد أوضحت لك من قبل أن قلبي ملك لأبى وأمي، فأنا أعيش من أجلهما"
- "وأنا أعيش من أجلك"

تنظر له (عشتار) نظرة غاضبة، على عكس نظرة الأمير المشتاق

أدب... (watermark)

لرضاها، يفهم دون كلمات أن الأمل في الفوز بقلبها قد مات بعد ما حدث منه معها وما حدث من (بس)، يحاول أن لا يظل ضعيفًا أمامها، يرتشف الجعة من كأسه وبصوت غاضب يقرر أمرها:

- "فلتهمّي بالغناء لي قبل سفري... حالًا"

تقف (عشتار) ناظرة له نظرة لا تحمل سوى معنى واحد: الخوف، ما يجعلها تتحرك بين الموائد لتصل إلى المسرح، تتوقف الآلات الموسيقية مرة أخرى، ينتظر العازفين إشارة البدء من قبل (عشتار)، أي من أغانيها ستشدو، فتقرر قول لهم كلمة واحدة (اشتاق)، لتبدأ الآلات في البوح بمكنونات موسيقاها، تبدأ الكلمات تخرج بصوت (عشتار) العذب:

"أشتاق، أشتاق، أشتاق، إلى قلبي، وعيوني، تخبرني بدموع ليس بها أمل، الحب ليس بقدري"

"أيام، أيام، أيام بلا قلب، ودموعي تقهرني، في ماهيات القبل"

أحتاج، أحتاج، أحتاج إلى حبى، في السهرة أنتظر، ويطول بي الليل، فيسألني القمر، أين هو قلبك؟"

"أشتاق، أشتاق، أشتاق، إلى قلبي، وعيوني، وعيوني، تخبرني بدموع ليس بها أمل، الحب ليس بقدري"

يقف (بعل) مقررًا المغادرة، فقد علم ما أرادت إخباره، ليخرج تاركًا (عشتار)، تاركًا قلبه في بيت الفينيقي، قبل الرحيل لملاقاة عروسته الجديدة بساحل فينيقيا.

****

- "مولاي أمير أسيوط لقد جاءنا ضيوف من طيبة"

يأذن له أمير أسيوط ليدخل القادمون إلى القاعة الملكية بالقصر الأسيوطي، يدخل قائد الجيش (نشئ) ومعه ضيفان آخران غير متوقعان، فهما خارج الخطة المرتبة معه من قبل (أحمس)، فيقف (مرسو) احترامًا لهما وينزل من على عرشه، ليصافح الأول كمصافحة الابن لأبوه.

- "يااااه أخيرَا تقابلنا بعد طول سنين أيها الكاهن (تحوتي)"

يحتضنه (تحوتي) بترحاب:

- "أنسيت معلمك يا أمير (مرسو)؟"
- "لست أنا وحدي مَن كنت في صف التعليم بل كان معي (نفرتارى) و ....."

يسكت (مرسو) احترامًا، يصمت حتى لا تعود الأحزان لها، لتتحدث هي:

- "(كامس) ابنى يا (مرسو)"
- "عذرًا مولاتي (إعح حتب)، قد كان (كامس) أكتر من صديق لي"
- "أعلم يا (مرسو)، وأنا لما رأيتك كأني رأيت (كامس) ابنى تمامًا"

يحوم الصمت على القاعة للحظات، فيحاول (نشئ) أن يقطع لحظات الذكريات المؤلمة على الحاضرين بحديث رسمي بعض الشيء.

-"مولاى الأمير، لقد جئت إليك حسب الاتفاق المبرم بين جلالتكم ومولاي الأمير (أحمس)"

ينظر (مرسو) إلى (نشئ) يريد أن يسأل سؤال حول علمهم (إعح حتب) (تحوتي) عن الترتيب فتجيب (إعح حتب) عمّا يجول بخاطرها:

- "أنا على علم بالترتيب، لقد رتب (أحمس) الأمر معي ومع (تحوتي) قبل إخبار (نشئ) نفسه بذلك"

يتنهد (مرسو) مطمئنًا ويتحدث:

- "تمام، أنظر يا (نشئ) عربات التجار جاهزة خارج المدينة، وبها عدد كاف من الجنود"

يصافح (نشئ) قائد الجيش أمير أسيوط ويهم بالمغادرة، فتسمح له (إعح حتب) بالانصراف، ويبقى ثلاثتهم بالقاعة (إعح حتب) و(مرسو) و(تحوتي) لتبدأ السيدة بالحديث.

- "لقد أتيت إليك يا (مرسو) من أجل أمر آخر، وأعلم أنك لن تخذلني"
- "مولاتي الملكة الأم، أنتِ تعلمين جيدًا مكانتك عندي، وأنتِ قد شرفتي على تربيتي بعد وفاة والدتي"
- "ومن أجل هذا قد أتيت وأعلم أنك لن ترفض طلبي"

ينتظر (مرسو) إجابة (إعح حتب) ولكن الصمت يلجم لسانها، فيتحدث (تحوتي) بإزالة القلق الذى بدأ بالارتسام على وجه أمير

أسيوط:

- "مولاتي الملكة تريد منك مساعدة بسيطة بعض الشيء، لكن كبيرة عند البعض الآخر"
- "لا شيء يغلو على من ربّتني أيها الكاهن"
- "توفر غطاء لي، غطاء سياسي، أن تعلن لجميع حراسك، حتى في طيبة، أني أقيم بقصرك هنا في أسيوط"
- "والحقيقة؟!"
- "سأذهب مع (تحوتي) في رحلة طويلة بعض الشيء، ولا بد أن تكون بعيدة عن أعين كشافين (الخاسوت)"

لا يفهم (مرسو)، أمر (إعح حتب) الغريب، ليوضح (تحوتي):

- "كريت"

يسقط (مرسو) على أحد مقاعد المخصصة لاستقبال الضيوف من هول الصدمة، يسترجع العديد من تلك الذكريات، بعد مراسم جنازة والدته وهو صغير، ذلك الحنان الذى حظى به بين أحضانها، مَن ربّته ليكون أميرًا مثل أبنائها، ليمتلكه الخوف ثانية.

- "لقد فقدت أمي وأنا طفل، وأبي مات مع صديقي (كامس) ضد (الخاسوت)، تبقَّى أنتِ، أنتِ من كنتِ سبب رئيسي لي عندما أتيت مع (أحمس) للدفاع عن طيبة، أتعلمين نسبة نجاح رحلة مثل تلك؟ ستكون ضئيلة، أتريدين أن أفقدك مثلما فقدت والدي؟"

تقترب (إعح حتب) من الأمير (مرسو)، ليس كملكة، بل كأم تريد طمأنته كابنٍ لها ممّا هو قادم.

- "أعلم أن الاحتمالات كلها ليست في صالحي، مثلما أدرك حقيقة مشاعرك تجاهي يا (مرسو)، لكن الرحلة هذه مهمة جدًا، من أجل هذا لا بد أن لا يعلم (أحمس) أي شيء حتى يأتي أول رسول من كريت ويطمئنك على سلامة وصولي أنا و(تحوتي)".

ينظر (مرسو) إلى (تحوتي) فيفهم معنى نظرته في كلماته التالية:

- "ابنى (مس) يعلم ولن يخبر (أحمس) إلا بعد وصول الرسول إليك"

يقف (مرسو) بعد انتهاء كلمات (تحوتي)، بعد أن استوعب الأمر بالكامل، ينظر إليها متمنياً وداع يليق بمشاعره نحو الاثنين، تكون ابتسامة (إعح حتب) الممتزجة بدموعها كموافقة على ذلك، تحتضن (مرسو) من يلقى بين ذراعيها، الذى يودعها بمشاعر الابن لأمه، والثانية التي تحتضن اثنين في آن واحد، ابناً لم تلده، وذكرى لذلك الاحتضان من الراحل، عزيزها (كامس)، يبتسم (تحوتي) وهو يمنع دموعه من السقوط من مقلتيه.

- "مولاتي ستجعلينني أبكى مثلكما وأنا لا أحب البكاء"

ينظر الاثنان إلى (تحوتي)، فيترك (مرسو) أحضان أمه الثانية، ويصافح (تحوتي) مصافحة الوداع الأخير، ينادى على حارس قاعته، يخبره ما سينفذه في اللحظات التالية، يتحرك الاثنين مع الحارس، يخرجان من

باب القاعة يصلان إلى غرفة الضيوف بالقصر الملكي بأسيوط، يفتح الباب من قبل الحارس، لتوجد في داخل الغرفة ملابس أخرى، عباءة سوداء مغطاة بالأتربة فتفهم (إعح حتب) أنها لها.. فتقوم بارتدائها فوق ملابسها، وعباءة أخرى خضراء يرتديها (تحوتي) فوق ملابسه، يفتح الحارس باب آخر بالغرفة، ظهر من العدم، من الجدار، فلون الباب هو لون الحائط، ما يظهر للعيان، وخلفه تظهر الدرجات تلك التي ينزل منها الحارس وخلفه الاثنين، ذات الرداء الأسود، وذو الرداء الأخضر، تنتهى الدرجات إلى ممر ضيق طويل، لا تظهر حدوده سوى بالمشاعل المعلقة على جدرانه، ينتهى الممر الطويل بباب خارج الأسوار للمدينة، لتظهر أمامه حقول أسيوط من البردي، يخرج الثلاثة ليجد (تحوتي) أن الباب حجري، في صخرة كبيرة تتوسط الحقل، يتركهما الحارس بإشارة من ذات الرداء الأسود، فالملثمان يعلمان طريقهما القادم من هنا، إلى تلك العربة القديمة حاملة بعض من الغلال، وبها بعض الشباب، ما هم إلا جنود متخفيين من حراس الملكة (إعح حتب)، يصعد الرداءان إلى العربة التي تبدأ في طريقها الجديد، ما اختارته (إعح حتب) وشاركها الاختيار كاهن (آمون) الأعظم، الذهاب إلى (كريت) في أمر جديد، خطره الموت، ونجاحه يصنع الفارق في دائرة الزمن؛ زمن الخطر.

٢- زمن الخطر:

بعد أيام صعبة مرت على السفينة في النيل، بعض طرق وعرة عن الشلال، اضطر الجنود لشد السفينة بالأيدي على الأقدام بمنطقة الأدغال، وصل (أحمس) إلى مبتغاه، مدينة (كرمه)، مقر حكم ملك الكوش، تلك التي تتزين بأسوار من الطوب اللبن، ما تعلموه من أجداد (أحمس)، بعربته الحربية وصل (أحمس) إلى بوابات (الكرمة)، التي فتحت كعادتها في استقبال الضيوف المنتظرين، وبعد المرور في الطريق الضيق، المتوسط لبيوت أهالي النوبة الغير متكلفين في بناءهم، تصل العربات إلى أبواب قصر حكم بلاد الكوش، يصعد (أحمس) وأعوانه الدرجات إلى قاعة ذلك الملك الأسود البشرة، يجلسون على مقاعد الضيوف، ذات الطبيعة المختلفة عن قصور تميرا، فهي متراصة في صفوف مقابلة لكرسي الملك، يعلن الحاجب:

- "حضرة جلالة الملك (نزحي)"

ليدخل فيقف (أحمس) ومن معه (مس) و(منتو بن هر) والكهل (سخم رع) احتراماً لجلوس الملك على عرشه، على المقعد الجانبي يجلس (اوتيتو) ولي عهد الكوش، يومئ (نزحي) للضيوف فيتخذوا من جلستهم راحة بعد عناء.

- "أيكما مَن يتحاكى عنه المصريين؟"

يقولها الملك الكوشي في سخرية وهو ينظر إلى (مس) و(منتو بن هر) و(أحمس) فهم الشباب الثلاثة الجالسين ورابعهم الكهل (سخم رع)،

يجد الغضب على وجه (أحمس) فيبتسم ملك الكوش (نزحي) ليتفهّم من غضبه أنه وصل لغايته، ذلك هو المراد من حديثه.

- "إذن أنت هو (أحمس) الأمير، العائد من الموت؟"

يقولها (نزحي) وهو ناظر في أعين (أحمس)، ليجيب بكل هدوء على تساؤلاته وتهكماته:

- "نعم أيها الملك (نزحي)"
- "الملك..... لقد اعترفت بذلك أيها المصري على عكس أبيك وأخيك الراحلين، عظيم.. فتلك بداية جيدة لبدء المقابلة أيها الأمير"
- "جلالة ملك الكوش.. لقد أتيت إليك في أمر هام بعد إرسال موافقتك لذلك اللقاء مع كبير قبائل المازوي"
- "وكان هذا ذكاء منك في اختيار الوسيط، فقبائل المازوي منتشرة بيننا وبينكم، في النوبة وفي طيبة، لذا اختيار كبير القبائل في دعم وساطة مثل تلك، بعد مقاطعة بيننا وبينكم للعديد من السنين هو ما جعلني أوافق على هذا اللقاء".

يبتسم (أحمس) على عكس (منتو بن هر) الغاضب و(مس) القلق، يتحدث (أحمس) في أمره القادم له:

- "مولاى ملك الكوش، أنت تعلم ما يدور بيننا وبين الخاسوت من حروب، ما دار في الأعوام الماضية، وقد آن الأوان لننهيه"

تقع الكلمات على جميع الحاضرين كصدمة، فلا يفهم الكاهن (سخم رع) ما وراء الكلمات ليستطرد (أحمس) في حديثه السابق:

- "القضاء على حكم الخاسوت نهائيّا"

يسأل (نزحي) ملك الكوش في سخرية:

- "أتطلب مني التعاون معكم ضد حكام البلاد؟"
- "نعم"

يتحدث (نزحي) في هدوء مصطنع محاولة منه السيطرة على انفعالاته من حديث ذلك الشاب الطيبي:

- "إسمع أيها الشاب، لقد مرت أعوام عديدة على بلادي وهى تحت إمارتكم أيها المصريون من ملوك وأمراء غالبية نسبهم كان لطيبة، أما الآن أصبح الوضع مختلفًا، بعد استقلالنا بالحكم عنكم، بعد دخول الحقاوخاسوت البلاد، لأول مرة أصبحنا أحرارًا، نفاوض على مصالحنا مع الخاسوت، ولسنا عبيدًا عند الفرعون لتنفيذ أوامره..... فلا تنتظر منى العودة للتعاون معكم مجددًا"

يقف الملك (نزحي)، يهمّ بالمغادرة ولكن كلمات (أحمس) توقفه عن فعل ذلك بنبرة كلها جرأة:

- "ومَن قال بأني آتِ إلى عبد، إني أقف أمام ملك، أتفاوض معك على مصالح مشتركة"

ينظر (اوتيتو) إلى (أحمس) غاضبَا لذكره كلمة عبد، لا ينتظر أمر والده (نزحي)، ليتحرك ممسكًا حربة أحد حراس القاعة، وبخطوات سريعة يقترب من (أحمس) في محاولةً منه قتله بالحربة، يحاول (مس) و (منتو بن هر) سحب سيوفهم، ولكن نظرة (أحمس)

توقفهم، ذلك الأخير ا لذى يلتف بجسده حول نفسه متفادياً حربة (اوتيتو) وبيده يمسك آخر طرف للحربة، فيكسرها، يلتفت (اوتيتو) مرة أخرى يريد أن يصارع (أحمس) بيداه ولكن بصوته عالي يأمره ملك الكوش:

- "كفى"

فيتوقف (اوتيتو) و(أحمس) الجميع ناظر لملك الكوش ليتحدث (اوتيتو) غاضباَ:

- "لقد أهاننا يا أبي، كيف تسمح له بإهانتنا في قصرنا؟"
- "أنا لم أهِن أحدًا مولاي الملك، وأنت تعلم ذلك جيدًا يا مولاي الملك (نزحي)"

يقولها أحمس والأعين مترقبة ما سيصدر عن (نزحي) الغاضب وابنه (اوتيتو)، يشير(نزحي) لـــ(أحمس) ليتحدث بكل حرية:

- "أيها الملك، إن كان الآن الخاسوت يتفاوضون معكم في علاقات اقتصادية، تحالفات، كل ذلك له سبب واحد فقط وأنت تعلمه جيدًا"
- "أعلم يا (أحمس) أن طيبة هي خط الدفاع الأخير أمام مملكتي... ولكن هناك مصالح أهم لمملكتي لا بد وأن أعمل عليها.... ما المقابل أمام ما تطلبه؟"
- "خشب السنط ومعادن أخرى لصنع السلاح أمام نسبة من الذهب بمناجم (قفط)"

- "كله.. ذهب مناجم قفط بكامله يرسله قبائل المازوى لي من قنا إلى الكوش وخذ ما تريد يا أمير طيبة"
- "٥٠% من ناتج القفط لمدة عام"
- "١٠٠% أيها الأمير لمدة عام"
- "هذا كثير جلالتك، هنالك مصالح أخرى لإمارة طيبة"
- "همممم.... أفحمتني أيها الأمير، رد مقنع... تقريباً تجربة العودة من الموت علمتك الكثير"

يسود الصمت من رجال طيبة ومن الملك الذى بدأ بفرك ذقنه بأنامله مفكرَا، ينظر لابنه (اوتيتو) الغاضب، ملتمع عيناه بتلك الفكرة:

- "عندي شرط واحد إذا حققته سينفذ مطلبك، وإذا فشلت في تحقيقه فإن مطلبي ما سيسود"
- "ما هو؟"
- "غدًا هو موعد الطقوس لتنصيب ولي عهد مملكة الكوش، في كل مرة يتصارع شابان من قبيلة الشمال وقبيلة الجنوب، ابن كبير قبيلة الجنوب وابن قبيلة الشمال، ونظراَ لاتفاق القبيلتين لتنصيب ابنى الكبير (اوتيتو) قد أُلغيَ هذا الطقس".

يفهم (أحمس) معنى حديث الملك، ينظر إلى (مس) و(منتو بن هر) هم مثله استوعبوا مطلب الملك (نزحي)، ينظر إلى (اوتيتو) من يفوقه طولًا وعرضًا، مَن تبرز عضلاته كأنها ستمزق بشرته السمراء،

ليبتسم (اوتيتو) فهو يرى الأمر سيكون سهلًا، يبتسم (أحمس) له وينظر بعدها إلى الملك (نزحي):

- "إذن فليجهز رجالك لطقس المصارعة غدًا بيني وبين (اوتيتو)، وإذا فزت سيكون الاتفاق على ما أريد".

****

الثلج ذلك ما يميز تلك الجبال المتلاصقة، تلك التي تصنع حدود طبيعية لمدينة أرودا، في الخلف أرودا وفي الأمام البحر، ما يصنع بيوتًا تترامى في ثلاث أحياء، مكوَنين بشكل مثلثي محاط بالجبال من الخلف، هذا ما تراه وأنت فوق الجبل، وهذا ما تراءى لــ (بعل) وهو يمر بذلك الممر الذى يشق الجبلين، وبجانبه مجرى من الماء العذب المتجمد، تتحرك عربته ومَن معه من حراس خلفه إلى بوابات أرودا، تلك العربات التي تحمل الكثير من الصناديق الملكية، ما تزين بنقوش من الخشب، مملوءة بالذهب المنصهر، ليعطي شكلًا مميزًا، وطابع خاص لذلك النوع من الهدايا الملكية، يقترب من الأبواب التي تُفتح على مصراعيها، ما يجعل سكان المدينة يتراصّون، يشاهدون أميرهم، ولي عهد المملكة، من تربّى طوال عمره في مصر، هؤلاء المعتادين على البرد القارص بما يرتدون من جلود وفراء من حيوانات منسلخة، على عكس ذلك الشاب المصري التربية، الذى تعجب لملابس العامة، أولئك العامة الذين ينظرون إلى أميرهم الحليق الذقن عكس حكامهم، مرتديًا أجود خامات الكتان المصري خلف الأصواف التي تحميه من صقيع بلادهم، يصل الركب إلى أبواب القصر، ذلك القصر

الذى يتوسط المدينة، أرودا المثلثة، أمام ابواب مباني المدينة ومطل بوجهته الأخرى على مياه البحر الأخضر بنقائها، ويعلو الدرجات ليدخل من بين الأبواب، لتأتى الجدران برسوم مختلفة عن رسوم ونقوش مصر، الآلهة (أيل).. كبير الآلهة، الآلهة (عشتار) التي رسمت وأبدع من قبل الفينيقيين في جمالها وجمال ألوانها، وأخيرَا على أبواب القاعة الملكية، جداريه للإله (بعل).. الذى هو فعلًا مشابه في تفاصيل رسمه للإله (ست) ولكن مع اختلافات، فهو ابن لـ(آيل) و(عشتار) المفضل، مَن يحارب بين الجبال وحوش الصحراء على عربته الحربية كما جاء على أبواب القاعة وأسفله الصرعى من الوحوش والتابعين منهم مع الجنود، تفتح الأبواب ليظهر من خلفها القاعة المتسعة، يوجد بها عرش كبير خلفه يظهر البحر بأمواجه الزرقاء وعلى جانبيه مقاعد ملونة بألوان الأحمر والأرجواني والأخضر، وتبدأ من الجانبين لتلتف في دائرة حول العرش حتى قبل واجهه مقعد العرش، حيث يوجد فراغ بين آخر مقعدين في دائرة المقاعد، ما يسمح لدخول الآفراد من خلاله، والأرضية مزخرفة بالعديد من الألوان مثل الجدران، يدخل (بعل) من خلال الفراغ ليقف صاحب العرش، بملابسه ذات الألوان المزركشة وذقنه ذو الشعر الأبيض الطويل، مرحبَا بالأمير ولي العهد المصري، ويقف مع أعضاء المقاعد الدائرية.

– "حمدًا للآلهة على سلامة وصول ولي عهد بلادنا"

يقترب منه صاحب العرش ويحتضنه، كما هي عادة الترحيب بالضيوف لدى الفينيقيين، ما يدهش (بعل) من ذلك الاستقبال، ومن

لهجته الفينيقية، هو تعلَّمها في مدارس مصر الملكية ولكن أول مرة يستمع لها بلكنة أصحابها منذ أعوام مضت.

- "مرحبًا بكم مولاي الأمير (بعل)"

لا يجيب (بعل). ما يجعل الملك يحدثه بالهيروغليفية:

- "أنت تفهم كلماتي بالفينيقية؟"

فيجيب (بعل) بالفينيقية:

- "لا بالهيروغليفية"
- "بالطبع"

ليربت صاحب العرش على كتفه، ويبدأ في تعريفه على أعضاء دائرة المقاعد الفينيقية:

- "أمير صور"

يقولها ويصافحه باليد (بعل).

- "أمير صيدا"

يقولها ويصافحه باليد (بعل).

- "أمير ببلوس"

يقولها ويصافحه باليد (بعل).

"وأخيرًا أمير أرودا.. وهو أنا هاداد"

يقولها ويصافحه باليد (بعل).

- "نحن أعضاء تحالف مدن فينيقيا، رؤساء قبائلها، ونختار من بيننا مَن يقوم بحكم التحالف و ذلك بعد موافقة ملكنا المُعظَّم في مصر".

يشير له (هاداد) ليجلس على مقعد بجانبه، ليجلس (بعل) بين أعضاء الحكم لتحالف فينيقيا ليربت (هاداد) على كتف (بعل):

- "لقد مرت أعوام منذ أن رأيتك أول مرة، كنت لا تزال طفلًا صغيراَ، والآن أنت تحمل ملامح أبيك و هو شاب، هذه حقيقة لا يمكن إغفالها"

يبتسم (بعل) لهذه المجاملة، ويجلس (هاداد) على عرشه، ويبدأ في حديثه باللغة الفينيقية إلى أمراء الساحل:

- "أيها الأ مراء، لقد خاطبت ابن عمّي أمير قبيلتنا في اروداا، صاحب المقام الرفيع لحكم مملكتنا من مدننا بفينيقيا إلى أطرافها بالغرب البعيد مصر السمراء، لتوطيد علاقات الأنساب كما هي جرت العادة في قبائلنا منذ عصر نزوحنا القديم، فقرر جلالته أن خطبة ابنتي الكبرى (تازي) على ولى عهدنا الأمير (بعل) أمير مملكة الخاسوت".

ينتهى حاكم فينيقيا من كلماته ليصفق أمراء مدن فينيقيا احتفالاً بذلك القرار، تفتح أبواب القاعة لتدخل العروس بملابسها الحريرية ذات اللون الأحمر المُناسب عليه خصلات من الشعر الأحمر اللون حتى رأس ذو وجه أبيض اللون، تتوسطه وجنتين بهما بعض من نقاط

النمش البرتقالي، ينظر (بعل) إلى عينيها ذات القرنية الخضراء اللون، ويرفع (هاداد) ذراعيه مُرحبًا بابنته التي تتقدم إلى المكان بخطوات قلقة، تخترق الدائرة بخطواتها الناعمة، وتمتلئ الصدور برائحة عطرها النفَّاذ ما لا يقاوم من أي من الرجال، يقف (بعل) أمام جسدها المتناسق، ابتداءًا بأظافر القدم التي لوّنت باللون الأحمر مرورًا بسيقان ظهرت ملامح حدودها إثر فعل الهواء الداخل إلى المكان، ما يجعل الرداء يلتصق بذلك القوام، ما يمتاز برشاقة الخصر، وانسياب مؤخرتها مع خطوط رُسِمت من قبل آلهة الجمال لتتَّسم أثدائها بخطوط دورانية رقيقة، تلتمع عيناه ليجد ذلك الخجل في أعينها الخضراء، ما يجعل (هاداد) يبتسم لالتماع أعين (بعل) ويتحدث مقاطعًا الخجل والرهبة بين الاثنين:

- "سلِّمي على خطيبك يا (تازي)"

يمد (بعل) يده أولاً منتظرًا أن تلتمس أنامله مع أناملها، لتلتمس الأيدي، ليشعر بتلك القشعريرة، يضحك (هاداد) على شكل (بعل) المُتصلِّب في وقفته وابنته (تازي) الخجلة في نظراتها، يقاطع حاجب القاعة ما وجد في المكان بجملته:

- "مائدة الطعام جاهزة جلالتكم"
- "هيا أيها السادة فلنحتفل بقدوم ولي عهدنا بوليمة كبيرة من لحم الخراف، تفضلوا يا سادة"

ينتهى (هاداد) من حديثه، وعلى إثر كلماته يتحرك أعضاء مجلس التحالف مغادرين القاعة، وقبل أن يتحرك (بعل) معهم يوقفه

(هاداد) بيده:

- "إنتظر مولاي الأمير"

ينظر (هاداد) إلى (بعل) ثم إلى ابنته (تازي) لتعلم ما يريد منها أباها..

- "فلتتفضل معي جلالتكم إلى غرفة طعامنا الخاصة أنا وأنت"

تقولها (تازي) لـ(بعل) وهى تشير له إلى باب آخر بالقاعة، فيتحرك (بعل) أمامها وصولًا إلى ذلك الباب مغادرين القاعة الملكية تاركين (هاداد) وحيدًا بالقاعة، من تحوّلت ابتسامته إلى قلق وخوف، الخوف مما هو قادم من مصر، يتساءل هل سيَعيد الزمن دائرته؟ هل طلب ابن عمه (أبوفيس) منه هو طلب متوقع وعادى، أم هناك أمر أكبر من ذلك؟ في ذلك الزمن؛ زمن الخوف.

****

٣- زمن الخوف

الخوف، ما يفرز داخل جسد الانسان من هرمونات، ما يجعلك متأهِّبَا لما هو قادم، ما يجعل عضلات جسدك متأهِّبة، وعلى الرغم من أن درجات الحرارة هنا أعلى من طيبة وما تحتويه من رطوبة ولكن لا يشعر (أحمس) بذلك، بل يشعر أن حرارة جسده أعلى من حرارة الجو، لا يشعر بفعل الرطوبة على عضلات جسده.. ما يجعلها تلتمع تحت حرارة الشمس كما هو حال (اوتيتو) الذى يصل طوله فوق الأربع أذرع ونصف، على عكس القصير ذو الثلاث أذرع ونصف، وعرضه يفوق عرض جسد (أحمس) القصير، كل منهما يقف في جهة من الساحة الترابية ويحيط الحراس على شكل دائري للساحة كما جرت العادة، حتى لو خرج أحد المتصارعين عن المألوف يتدخلون. وخلفهم بعض من المصاطب الحجرية على شكل أربعة أركان، الركن الذى يقبع أمامه (اوتيتو) يجلس عليه (نزحي) ملك الكوش، وعلى جانبيه حاشيته من وزيره وكبار قبائل الكوش أجمعين، أما باقي المدرجا ت يجلس بها عامة قبائل الكوش مَن أتوا خصيصًا لطقس المصارعة، ما يتم قبل حفل تنصيب ولي عهد مملكة الكوش، وبجانب (أحمس) سمح الحراس لـ(مس) فقط أن يكون بجانب أميره الطيبي، يقف ملك الكوش مخاطباَ الجميع بصوت عالي بلهجته النوبية بلغة بلاد الكوش:

- "اليوم سنحتفل بطقس تنصيب ولي العهد، من اختارته قبائلنا ليكون ولي عهد مملكتنا (اوتيتو)"

ومع نطق اسم (اوتيتو) يخرج حماس العامة إلى صيحات متعالية ما يجعل (اوتيتو) رافعًا ذراعيه تحية للحاضرين، تتحول الصيحات تدريجياَ إلى النداء بإسم (اوتيتو):

"اوتيتو...... اوتيتو........ اوتيتو"

يشير الملك بيده حتى يتوقف العامة عن الهتاف، ليستكمل حديثه:

- "وقد عرض أمير طيبة المصري المصارعة أمام ولي عهدنا، ذلك الشاب الذى تحدثت عنه عموم المصريين في الأيام السابقة مَن عاد من الموت (أحمس)".

تخرج صيحات الاستهجان متعالية ضد (أحمس) المصري، ما يجعل (أحمس) مقتضباَ لحاجبيه، و (اوتيتو) مبتسماً لردود فعل قومه، خلف الحراس يدق أولئك العشرة حاملي الطبول على طبولهم فيستعد (أحمس) بتناول الحربة من (مس)، ويتناول (أوتيتو) حربته من أحد مساعديه، يرفع ملك الكوش ذراعه عالَيا، فيتأهب (أحمس) ليقف في منتصف الدائرة، ويقف أمامه (أوتيتو) الذي يتناول الحربة بين يديه، تارة بيده اليمنى و يلقيها تارة أخرى ليده اليسرى.. وهكذا على عدة مرات محاولاً صنع التوتر على ملامح وجه الطيبي الذى ما زال عاقدًا لحاجبيه، كما أنه عاقد للعزم بالخروج منتصراَ، ينزل ملك الكوش (نزحى) ذراعه فتتسارع دقات الطبول وتتسارع نبضات قلب (أحمس) ليبدأ التصارع بين الشابين، الكوشي والطيبي، يركض (اوتيتو) بضعًا من الخطوات مقترباً من موضع (أحمس) موجهًا حربته إلى وجه (أحمس) الذى ينزل فجأة على ركبته اليمنى ويجعل الحربة لا

تصوِّب هدفها، وبيده اليمنى يبعد حربته عن جسد (اوتيتو) وبيده اليسرى يقلب (اوتيتو) أرضًا، يقف (أحمس) في الجهة الأخرى ليصبح الملك خلفه وموضع (سخم رع) و(منتو بن هر) أمامه، يبتسم (سخم رع) له، فهو يظهر ما يريد (أحمس) فعله، على عكس (مس) الذى يشير له بيده للهجوم، يعتدل (اوتيتو) ويقف مرة أخرى، يبدأ بالقفز المـ تتالي ويمسك بالحربة وهو يقفز جيدًا، إلى أن يبدأ بالوقوف مرة أخرى وبعينيه يركز جيِّدا على موضع (أحمس) يرى نظرات أبيه في مكانه بين كبار القبائل، يومئ برأسه يمينًا و يسارًا، فيفهم ما يريده منه أبوه؛ أن لا يقتله، يريد أن يهزمه فقط دون إراقة للدماء، يتحرك (اوتيتو) خطوة، الثانية، الثالثة، ركضًا، يركض أيضًا (أحمس) حاملاً حربته، الفرق بينهما يقل، عشر أذرع، سبعة، ثمانية، تسعة، خمسة أ ذرع، يصطدم الجسدان نظرًا لقفزهما في الهواء، حربة (اوتيتو) تجرح ذراع (أحمس) وحربة (أحمس) تقطع إحدى خصلات شعر (اوتيتو)، يسقط الاثنان أرضًا (اوتيتو) رابضًا بجسده فوق جسد (أحمس)، الشعور بذلك النبض العالي والألم من جرح الذراع، ومع سقوط القطرات على أرضية الساحة من دماء (أحمس) ، يقف (اوتيتو) ممسكًا بحربته لينزل بها على (أحمس) مع صيحات الجماهير:

"اوتيتو..... اوتيتو...... اوتيتو"

لتقابل يد (أحمس) الذى يفصل السن الحاد عن الخشب لتنقسم الحربة إلى نصفين ، ما يجعل (اوتيتو) غاضبًا، يقف (أحمس) ويقوم

بكسر حربته إلى نصفين على ركبته اليسرى ملقيًا بها إلى الأرض، يشير (أحمس) لــ(اوتيتو) بالاقتراب منه، ما يجعل غضب (اوتيتو) يمتلك عيناه، ويبدأ في توجيه اللكمات، الأولى يتفاداها (أحمس) بإبعاد رأسه، أما الثانية تأتي في وجه لتبدأ قوى (أحمس) الجسدية في الاهتزاز، الثالثة تأتي في صدره فيبتعد جسد (أحمس) مرتدًّا من قوة اللكمة إلى الخلف ذراعين، يقفز (اوتيتو) في الهواء ملتفًّا حول نفسه لتأتي ساقه اليسرى لاكمًا (أحمس) في رأسه ليسقط أرضًا، تزداد صيحات الجماهير في التفوه بإسم (اوتيتو) طالبين منه القضاء على غريمه بحلبة المصارعة، ولكن الغريم الطيبي يقف مرة أخرى على قدميه، يشير له بالاقتراب مجددًا ما يجعل (اوتيتو) مندهشًا.. فالدماء تنزل من رأس (أحمس) من بين خصلات شعره المجعَّد وفي نفس التوقيت من ذراعيه ووجهه ممتلئ بأتربة إثر سقوطه على تراب الساحة، كيف هو ما زال في وعيه بعد الضربات القوية له؟ هكذا يتساءل (اوتيتو) في نفسه، ليقترب (اوتيتو) في سرعة من موضع الطيبي موجهًا اللكمات الأولى.. يتفاداها (أحمس) والثانية والثالثة، فهو مع كل لكمة يلتف حول نفسه ما يجعل (اوتيتو) يلتف معه ليوجه له لكمة جديدة، هكذا حتى أصبح (اوتيتو) وجهه لـ(سخم رع) و(أحمس) وجهه لــ(نزحى)، ينزل أحمس ويبدأ بتوجيه لكماته إلى معدة (اوتيتو) أربع لكمات كانت كفيلة بأن يرتد (اوتيتو) للخلف، يقف مرة أخرى (أحمس) قافزًا ومع قفزته تكون لكمة (أحمس) من الأسفل إلى ذقن الغريم الكوشي ليرتد مرة أخرى إلى الخلف مترنِّحًا، يبدأ (أحمس) بتوجيه اللكمات إلى رأس (اوتيتو)

الأولى في العين اليمنى والثانية في الأنف والثالثة في الصدر والرابعة ليست لكمة بل ركلة بساقه اليمنى في منتصف جسد (اوتيتو) ما يجعل (اوتيتو) يطير ساقطًا أرضًا فتصبح المسافة بين الاثنين أربعة أذرع أرضًا فتوقف صيحات الجماهير، لا يشعر (أحمس) بدقات الطبول بل يشعر بدقات قلبه التي توجع جسده تحت أشعة الشمس، يقترب بخطواته من (اوتيتو) الرابض أرضًا ليس كأسد جريح بل كأنه مغشيّ عليه، فعلى الرغم من أن عينيه مفتوحتان ويتنفس الصعداء، ما يجعل صدره يتحرك مع دخول وخروج الهواء، ولكن لا يحرك ساكنًا، يمسك (أحمس) بيده، يوقفه، يساعده على النهوض ليضع ذراعه فوق ظهر (أحمس) يستند على كتفيه يقتربان بخطوات بطيئة من موضع ملك الكوش الذى يشير إلى الحراس بمساعدة (أحمس) على حمل (اوتيتو) فيخرج حارسان من الصف يحملان (اوتيتو)، كل حارس يحمله من جانب حتى يخرجان به، وعند الاقتراب من صف الحراس يبتعد (اوتيتو) من الحراس ويقف مرة أخرى مواجهًا (أحمس) متناولًا سيفًا من سيوف الحراس شاهرًا السيف في الهواء على الرغم من صمت الجماهير ووقوف الطبول عن إصدار أصواتها معلنة انتهاء المصارعة، إلا أن (اوتيتو) رافض ويتحرك بخطوات بطيئة نحو (أحمس)، ما يجعل (مس) يركض من بين الحراس نحو (أحمس) الذى يقف مكانه ناظرًا للملك الكوشي منتظرًا منه إصدار أمر بإيقاف ابنه، (نزحى) الذى صدم في مستوى ابنه (اوتيتو) ما يظهر على وجهه، ينظر كبار القبائل إلى الملك الصامت، يشير (أحمس) لـ(مس) ليتوقف ولا يتدخل في الأمر، يقترب (اوتيتو)

من (أحمس) الواقف مكانه لا يتحرك يرفع (اوتيتو) السيف عالياَ، تنعكس أشعة الشمس على نصل السيف ليلتمع في الهواء وينزل بالسيف ليضرب (أحمس) (اوتيتو) في ذراعه ليطير السيف أرضًا أمام (مس) الواقف، يقوم (اوتيتو) بتوجيه لكمة الأولى يتفاداها الثانية تفاداها ليضرب (أحمس) بكف وجه (اوتيتو) المترنِّح ليبتعد عنه ولكن (اوتيتو) يقترب من موضع السيف أمام (مس) ليلتقطه من أمام (مس) الذى يقف منتظرًا أمر من مولاه بالتدخل ولكن لا يفعل (أحمس) ذلك بل يتدخل (نزحى) بكلماته الآتية بصوته العالي ما يوقف (اوتيتو) و(أحمس):

"اوتيتوو.... لقد انتهى الطقس، وقد فاز الكمتي بالمصارعة، وكما جرت العادة المنتصر له الحق في المطالبة بالعرش وأي ما يطلبه مُجاب من كبار قبائلنا.... فما هي مطالبك يا (أحمس) المصري؟ "

الصمت ما يفرض سيطرته على أجواء ساحة المصارعة، ما يتخلل أجواء مدينة الكرمة بمملكة الكوش تحت أشعة الشمس الذهبية ، ينظر (أحمس) إلى العامة وإلى (اوتيتو) وينظر إلى (سخم رع) الذى قال له سابقًا ما يؤمن به من انتصاره على (اوتيتو)، يبحث في معطيات عقله عن تلك الأفكار العديد منها، ما فكر به في ليلة أمس وهو جالس تحت ضوء القمر يفكر في تلك اللحظة، أفكار عديدة فكر بها مثل البدء بالدفاع وعدم المهاجمة كما فعل بعد أذيّة (اوتيتو) بأي طريقة تحدث عاهة مستديمة، كل ذلك فكر به واستطاع في تنفيذه ولكن تلك هي الأصعب بالنسبة له، ما سيطلب وما سيقول أمام جموع الناس الحاضرين في الساحة:

- "يا شعب الكوش العظيم، يا مَن دائمًا أعتبركم إخوة المصريين الأشداء، نتشارك في وادى واحد حول النيل العظيم، فقد نفَّذت طقس المصارعة أمام نبيلكم (اوتيتو) وكان لي الشرف في التصارع معه لأتعلم منه شيئًا هامّا لم أحظَ به يومًا، الصبر... والصمود في ضربات الأعداء، كل ما أطلبه من كباركم هو شيء واحد، وذلك بعد السماح بذلك من جلالة الملك وولي العهد".

يومئ ملك الكوش (نزحي) بالموافقة على استكمال حديثه:

- "أن نتكاتف سويّا.. نتحد في مواجهة الخاسوت... نريد أن نطوي صفحات الماضي بما بيننا من عداء... فذلك سيكون الشوكة التي تُنهى ما بقي من حضارتنا أمام هؤلاء الرعاة... فلتساعدني يا (نزحي) أنت ورجال الكوش في مجابهة الخاسوت".

يحوم الصمت على المكان، هناك بعض من العامة قد فهموا حديث (أحمس) السابق وهناك آخرون لا يتحدثون سوى بلهجتهم القبلية النوبية الجميع منتظر رد الملك (نزحي) على أمير طيبة الجميع ينظر إلى الملك الجالس بين كبار قومه، مَن ينظرون أيضًا إلى (نزحي) حتى ولى العهد (اوتيتو) ينظر إلى والده الذى يمتاز دائمًا بالذكاء في لحظات مثل تلك، ولكن (منتو بن هر) يتمنى الرفض و(سخم - رع) يتمنى الموافقة، الكل في انتظار لتلك الكلمات القادمة:

- "لك ما طلبت أيها المصري"

الهمهمات تصدر من بين مجالس العامة، والتوتر والغضب يظهر على

وجه (اوتيتو)، يقطع (نزحي) حالة الهمهمة الصادرة عن الحاضرين بكلمات أكثر إيضاحًا بلغة النوبة:

- "فلتخرج الأخشاب والسفن والسلاح إلى أهل طيبة في حربهم ضد الخاسوت وليقدم شعبنا رجاله الأشداء في عون إخواننا المصريين على حربهم على الخاسوت".

لا يفهم (أحمس) بعض من كلمات الملك، فيوضح (مس) الذى يفهم لهجتهم جيدًا بصوت هادئ إلى الأمير:

- "ستأخد خشب وسفن وسلاح ورجال يا مولاي الأمير، لقد أثَّرت في الملك جيدًا"

يبتسم (أحمس) جيدًا في تلك اللحظة فقد كسب تلك الجولة، قد خطى تلك الخطوة في خطته الجديدة.

****

- "حسنًا ولكن.. هذا الأمر نوعًا ما جديد بالنسبة لي، وأنا لا أقدر على القيام بما تقوليه بسهولة".

يقولها لتبتسم (تازي) له وتضحك ضحكات هادئة وهي ناظرة لذلك الأمير..

- "مولاي الأمير (بعل).... هذا طقس ولا بد من القيام به... وهو ليس بجديد علينا هنا في فينيقيا... لكن هذه عادات قبائلنا من الخاسوت... يمكن أن تكونوا أنتم في مصر نسيتموها لكن نحن

هنا في فينيقيا.. وقانون فينيقيا ما سيطبّق هنا".

يتوتر (بعل) بعض الشيء ولا يفهم كيف سيفعل ما تقوله، يحاول المماطلة ولكن بطريقة أخرى:

- "أأنتِ لن تتضجري؟"

تضحك (تازى) على حديث (بعل) وتتحدث:

- "ستتملكني الغيرة مثلًا.. تسمح لي أن أدعوك يا (بعل)...؟ أنظر يا (بعل).. خطوبتنا و زواجنا مجرد مصالح بين عائلات ولم يأتِ عن حب أو حتى عن إعجاب متبادل... وهذا طقس مفروض علينا".
- "لكن أنا سأضجر من ذلك".
- "هذه غيرة"
- "إعتقدي ذلك"
- "أم إعجاب؟!"
- "لا أنتِ خطيبتى وأنا لا أقبل أن أفعل هذا أمام عموم الناس"
- "سأتحدث مع كهنة المعبد من أجل أن أكون مرتدية لبعض من الملابس.. موافق؟"
- "........."
- "صدقني هذه أفضل الخيارات المتاحة لك يا (بعل)"
- "أتعتقدي أن هذه بداية جيدة لعلاقتنا؟"
- "أتقصد بكلامك الطقس؟"
- "ليس كذلك"

- "وضِّح لي أكثر مولاي الأواريسي"

تقولها ببعض من السخرية

- "ما فات من حديث ومن تعارف... من حديث بيننا.. لم تسألي حتى عن أشياء من الممكن أن تسألي عنها من باب الفضول حتى"
- "إسأل أنت الأول"
- "هل لك علاقات سابقة؟"
- "كيف وأنا ما زلت عذراء؟!"
- "لم أقصد تلك الناحية.... أقصد الحب"
- "وحتى لو أحببت قبل لقائنا هل يغير في رأيك شيء؟"
- "لأنني أحببت من قبل"
- "ولِمَ لم تتزوجها؟"
- "لأنها لا تحبني... وأنا لا أقدر على إجبارها على الحب"
- "وهذه هي النقطة... مهما كان سلطانك.. يوجد أشياء لا تقدر على سلبها بنفوذك"
- "لم تجيبي على سؤالي يا (تازى)"
- "كان يوجد شاب أعجبت به... أمير من أمراء مدن فينيقيا.... وفعلاً تحدثت مع أبي (هاداد) في أمره... كان مُرحَب... لكن رأيته غير أهل بحِبي له"
- "أخانك مع أحد؟"

- "خانني مع جاريتي يا (بعل)"
- "وماذا فعلتِ؟"
- "لم أفعل أي شيء... والدي مَن فعل ... قُدمت خصيتاه أضحية للآلهة (إيلات).. والجارية أصبحت جارية في معبد البغاء المقدس بمعبد (إيلات).... لإرضاء مَن يأتِ من عامة الشعب لتقديم الطقس المقدس للآلهة (إيلات) بمعبدها".

يبتلع (بعل) ما بقي من قطرات لعابه في جوفه، قلقًا من حديث (تازي) السابق"

- "أتهاب على أمرك؟!" تقولها ضاحكة
- "لا ليس خوفًا، لكن عندنا في مصر مسموح للملك والأمير أن يُضاجع العديد من الجاريات ويتخذ مَن يريد منهن كزوجة أخرى غير الزوجة الرسمية".
- "أعلم هذا... فلا تقلق من هذه النقطة يا (بعل)، وإذا كنت تريد أن تتزوج من حدَّثتني عنها بعد زواجنا صدقني ليس عندي مانع يا (بعل)"

لا يفهم معنى حديثها هل هو حقيقة أم نوع من أنواع التهديد المستتر، فتوضح له (تازي) في الكلمات التالية مقصدها:

- "يا (بعل) نحن زواجنا مجرد تحالف... وشرطي الوحيد عليك سيكون أبنائك مني أنا فقط يا (بعل)".

يدخل (هاداد) إلى الغرفة من بابها الرئيسي مبتسمًا لـ(بعل) و(تازي).

- "ما هي أخبار عشاقنا الجدد؟"
- "مولاى الحاكم"

يقولها (بعل) واقفًا كما هو حال (تازي)، فيَربِّت (هاداد) على كتف (بعل) ويقبَل ابنته (تازي) على وجنتيها قبلة حانية:

- "اتركينا وحدنا لوهلة من الوقت عزيزتي"

فتنحني (تازي) احترامًا لأمر أبيها وتخرج من الغرفة مغادرة المكان، لتترك الاثنان سويًا، يشير (هاداد) لـ(بعل) ليفهم معنى إشارته وعلى إثرها يخرجان سويًا إلى الشرفة الكبيرة ما يطل على البحر الأخضر، ذلك المترامي بأمواجه أمام قصر مدينة (رودا) المثلثة، يستند (بعل) بذراعه على سور الشرفة بألوانه المزركشة، ليقف (هاداد) أمامه متحدثًا:

- "ما هي الأخبار بينكما؟"
- "جيدة"
- "دعنا نتحدث في الأمر الهام يا ولي العهد... الوقت ليس في صالحنا.. لا بد أ ن تنهي الطقس غداً وتنطلق أنت وعروسك إلى مصر في أسرع وقت"

يتساءل (بعل) عن أمر ما يشغل عقله:

- "وبالنسبة للاتفاق الذى بين جلالتكم وبين والدي (أبوفيس)؟"

يبتسم (هاداد) ابتسامة عصبية:

- "لا تقلق... السفن بدأت تستعد لرحلتها الجديدة إلى مصر"
- "والجنود والسلاح؟"
- "عندما تصل إلى مصر بعروسك ستكون السفن انطلقت من موانئ فينيقيا بما أراد الملك حتى تصل إلى (أواريس)... لنُنهي ذلك التمرد في مصر على حكم قبائلنا"
- "عظيم حاكم فينيقيا"
- "اسمع يا (بعل).. الأمور حولنا قد اختلفت في الأعوام الأخيرة.. بحّارتنا وتُجّارنا جاءوا بأخبار غير مطمئنة في هذه الفترة.. هناك مجاعات عند شعوب ما وراء البحر الأخضر.. هناك تحركات وتطورات سياسية جديدة في بلاد النهرين.. الأمور مُقلقة.. أريدك أن تخبر مولاي الملك.. ابن عمي العزيز (أبوفيس) لا بد أن تنهي أمر متمردِي مصر في أسرع وقت لكي تكون وجهتنا القضاء على الأخطار الجديدة، ما سيأتي من وراء البحر.. فإذا لم ينتهي من تمرد مصر فلن نستطيع مجابهة ما بقي من أخطار على مملكتنا العظيمة.. سيضيع كل ما بنيناه في مئات السنين على يد (أحمس)"

ينتهي (هاداد) من حديثه تاركًا (بعل) في الشرفة ناظرًا إلى ذلك الخطر الجديد، ما يأتي من وراء البحار، ما يكون مصدر تهديد جديد لزمنه، زمن مملكته، زمن الخاسوت.

٤- زمن الخاســــــــــوت:

التماثيل الأنثوية وما بها من تجسيد لتفاصيل دقيقة بجسد المرأة بأشكال مختلفة، هذا ما يميز ما يراه (بعل) أمامه لتلك التماثيل المختلفة بألوانها، وما يعلو من أصوات من داخل المكان عند اتخاذ الدرجات إلى داخل المكان، معبد (إيلات) تلك الآلهة التي عُبدت بالمكان وطقوسها التي سمع عنها يراها أمامه الآن، عرايا من النساء وعرايا من الرجال، النساء يتخذون شعار الآلهة (إيلات) على أجسادهن، والرجال لا يفعلن سوى مضاجعتهن، وبين اللهو والخمر تتعالى الضحكات والآهات وعويل الجسد من فعل الجنس المقدس، ما يقدم من جاريات المعبد لإرضاء الآلهة (إيلات)، فالجنس هو القربان، قربان الآلهة (إيلات)، يسير بين العرايا هو وأميرته (تازي) ليتوقف الجنس للحظات مع إعلان كاهن المعبد الهام، ينظر الجميع إلى موضع الكاهن تحت جسد الآلهة الخشبي (إيلات) ويبدأ في إلقاء كلماته:

- "أيها الحاضرين... اليوم سيقدم العروسين الطقس المقدس لإلهتنا المُعظَّمة (إيلات)... العروسان ليسا أي عروسين... هما مولاتي الأميرة (تازي) الجميلة وخطيبها ولي عهد المملكة بأسرها مولاي الأمير (بعل)"

الصيحات تعلو لهما والتصفيق الحار ، تُعزف الموسيقى وتُدق الطبول ومع دقها يقوم الرجال المخصيين بالاقتراب والإلتفاف حول جسد

الأميرة (تازى) وكذلك تلتف الجاريات العرايا حول جسد الأمير (بعل)، تمتد أيدي المخصيين لأجزاء متعددة في جسد (تازي)، في بادئ الأمر، تندهش الأميرة من الفعل، ومع مرور الأيدي بمناطق الاثارة، تغرّ فاهها من فرط اللذة، وكذلك الأمير (بعل) مَن تتحرك أيادي الجواري على ساقيه، صدره، مَن تفك له نقبته، مَن ترتشف رجولته بفمها، وتداعب خصيتيه، والمخصيين يرتشفون قطرات الجمال، بداية من رأس (تازي)، بطنها حتى تصل أيديهم إلى موضع أنوثتها، يمسك (بعل) بتلك الأيدي بنظرة رافضة، ليمسك هو بموضع إثارتها، واضعًا شفتيه على شفاها، في قبلة حارة، ومع القبلة الحارة، تساعد الجواري في فعل ما هو مقرر، من فض بكارتها، لتنهي عفتها، ومع فتح عينيها على آخرهما لإطلاق صيحات مليئة بالألم والشهوة في آن واحد، يشكر الكاهن آلهته في مساعدة عبادها في تقديم ذلك القربان، وفى نفس الوقت كان الأب في أواريس لا يختلف كثيراَ في فعله عن الابن، في غرفته بقصر الحكم بأواريس تحت ظلمة الليل، ظلمة الجنس، ما يفعله ذلك الملك (أبوفيس) في خمس من أجساد العذارى، مَن لا يشعرون بأنفسهم فهم فقط ينفذون أوامر تلك العين، من صُبغت قرنيتها باللون الأحمر، آهات تخرج من غرفة الملك بقصر أواريس، لا تصل للخارج مع صوت انهمار المطر، ذلك المطر الذى بدأ يشتد في أدغال نهر النيل خلف الشلال الأول، لتسقط المياه بقطراتها على جسد سفينة (أحمس) وخلفها سفن ملك الكوش المحملة بالعتاد والمؤن، يقف (أحمس) في مقدمة سفينته تحت قوة المطر لا يهمّه سوى الوصول إلى وجهته، كما هو حال (ابن ابانا) و(ابن بنخت)

مبعوثي أمير طيبة، العائدين من بين جبال الثلج بفينيقيا إلى وجهتهم بطيبة، طيبة تلك التي هي همّ الملكة (إعح حتب) وكاهن الإله (آمون) المُعظَّم (تحوتي) وهم راكبين عربتهم الحربية بمستنقعات (ابيس) بالساحل الشمالي لـ(تميرا)، وهم ذاهبين إلى وجهتهم الجديدة (كريت) آملين بالنصر في مهمتهم من أجل بقاء (طيبة)، ومع سقوط عجلة العربة في الطين، تسقط قطرات الدماء من (تازي) بمعبد (ايلات) معلنة فقد عذريتها لآلهتها الفينيقية؛ كما هو حال عذارى ملك الخاسوت بأواريس، ولكن قطرات الدماء التي تسقط في سفينة (أحمس) ذات وضع مختلف فهي دماء من يد (منتو بن هر) مَن يختبئ عن الأعين في آخر السفينة، يقطع جزء من جلد يده، لتسقط قطرات الدماء مع قطرات المطر ويبدأ في قول تراتيله السحرية ما اتفق عليها سابقًا مع رئيس الجماعة (مس):

- "إلهي العظيم (ست).. أستدعي قوتك العظيمة، للقضاء على مَن تمردوا عليك وعلى حكمك، للقضاء على الهزيل (حورس)".

ومع الكلمات يتوقف (أبوفيس) عن فضّ بكارة العذراء الخامسة، ويقرر أن يتوقف تمامًا لمَن قام بالتراتيل، من قرر مناداة إله الخاسوت (ست)، تتوقف عين (أبوفيس) عن الحركة، تشتد حمرة الصبغة بقرينتها، يتحوّل لون الجلد من البشري إلى اللون الأحمر الدموي، تنظر العين يمينًا إلى شرق أواريس، إلى (إبن ابانا) و(ابن بنخت) في الجبال، اللذين يقفان فجأة بقافلتهم المحملة بخشب الأرز الفينيقي، أمام هؤلاء الجنود، ذوي النقب السوداء، ملتفين ببعض من فرو

الحيوانات، في مقدمتهم اثنان يعلمهما (ابن ابانا) و(ابن بنخت) جيدًا هما (وازد) و(سوسرن) الهاربين من طيبة، يتحدث (وازد) الخائن لقوم مدينته ويقول:

- "(ابن ابانا) و(ابن بنخت) سأعطيكم فرصة واحدة من أجل أن تخرجوا من هنا سالمين.. سلموني حمولتكم من خشب الأرز وحافظوا على حياتكم"

يسأل (ابن ابانا):

- "وهذا من أجل ماذا؟"
- "من أجل ما فات بيننا من عشرة"

ينظر (ابن ابانا) إلى صديقه (ابن بنخت) نظرة يفهم معناها جيدًا ليخرج الاثنين سيوفهما من غمدها، لتكون هي إجابتهم على (وازد) الخائن.

ثم ينظر (أبوفيس) بقرنية العين الحمراء إلى اليسار، إلى الغرب، بمستنقعات (ابيس) التي بها عربة (اعح حتب) ما زالت عالقة بطين المستنقع، وما زال تحوتي وحراس الملكة يرفعون في العربة، ولكن بلا فائدة، يقطع عملهم صوت قادم من خلفهم، صوت مميز جيدًا لـ(تحوتي)، صوت لصديق قديم، وعدو جديد:

- "سلِّم للأمر الواقع يا صديقي القديم.. ستفشل في مهمتك أنت ومولاتك الملكة.. ما من أمل يا تحوتي"
- "نفربرت.. أنت لا زال عندك أمل؟"

- "سلمني (اعح حتب) بنت الأشراف وسأبقى على منصبك بمعبد آمون بطيبة يا (تحوتي)"

تتحدث (اعح حتب) غاضبة إلى (نفربرت):

- "يا نسل عائلة الأبرار ماذا ستفعل عندما تأخذني أسيرة؟"

يضحك (نفربرت) مستهزئًا:

- "سأسلمك لـ(أبوفيس) وأستلم منه طيبة يا نسل الأشراف.. حقي وحق عائلة الأبرار منذ القدم"
- "لم يعد حقك يا (نفربرت)، منذ خيانة والدك لطيبة، ولخيانتك أنت وعائلتك"
- "اي خيانة يا (تحوتي)..؟ كل هذا لان والدي قرر بناء معبد لـ(ست) بطيبة.. تنقلبوا ضده يا كهنة (آمون) وضد الأبرار وتختاروا عائلة الأشراف للحكم؟"
- "أنت تعلم جيدًا أن عائلتي لم تعاملك على خيانة والدك وكرّمتك في قصر الحكم بطيبة... لكن ها هي النتيجة أمام ناظري.. الخيانة لا تنجب سوى خيانة"
- "(تحوتي) ستسلم بنت الأشراف أم سيكون مصيرك مثل أبناء الأشراف؟"

يخرج (تحوتي) سيفه من غمده وكذلك حراس الملكة:

- "سأختار مصير (سقنن رع) و(كامس) من خنتهم يا صديقي القديم"

تتحرك أعين (أبوفيس) الغاضب في أواريس ويلقي بتراتيل غاضبة:

- "فلتخرج قوى الظلام الصامتة منذ قرون إلى النور، فليخرج سباع أبو الهول والمردة والشياطين، بحكم قوتي فلتقضوا على نسل الأشراف ومَن معهم من أعوان للابن الغير شرعي (حورس)، فلتُنهوا عليه"

ينتهي (أبوفيس) من كلماته ويدق بصولجانه، صولجان الإله(ست) بأرض (أواريس)، لتسطع عيون رأس الصولجان، رأس (ست)، بنور أحمر، يغمر غرفته كاملة، ما يجعل العذارى ساقطين مغشياَ عليهم، لتتصلب أعين أبوفيس بقرنية حمراء في المنتصف، تنزل القرنية إلى الأسفل، إلى جنوب (أواريس)، جنوب طيبة، خلف حدود الفنتين، إلى سفن (أحمس) بالأدغال، يشتم (أحمس) إلى تلك الرائحة الخبيثة، تلك التي سمع عنها في الأساطير، ما حكي له صغيراَ عنها في مدرسة المعبد، لقد قرأ عنها، لكنها أول مرة تملأ صدره، ما جعله يسعل بقوة، هو ومَن تحملهم السفينة يسعلون في آن واحد، أصوات تصدر من الأدغال، تحت الأمطار، خلف تلك الظلال، أصوات الأقدام الغير بشرية، ينظر (أحمس) إلى الأشجار، وإذا بها تتحرك، ما يجعل الطيور النائمة تغادر بيوتها بالأدغال، ينظر (أحمس) إلى (سخم رع) وإلى (مس) هل يفهمان ما يحدث، لا تأتيه إجابة، ولكن تظهر الإجابة من بين الأشجار، ما يخرج من تلك الأجساد، أجساد من الغوريلات الضخمة، برؤوس من البشر، وأعلى الاشجار، على تلك الغصون تقف القردة برؤوس بشرية غاضبين، يطلقون صيحات غضبهم اتجاه سفن

(أحمس) الذي يفهم مبتغاهم فيخرج (أحمس) سيفه من غمده، مُعلنًا:

- "أشعلوا سهامكم ووجِّهوا أقواسكم تجاه مخلوقات الظلام"

يبدأ الجنود في إشعال أسهمهم وترفع الأقواس عالياَ، لتنطلق تلك السهام بنارها المتلألئة، كما تلألأت النار في أعين (أبوفيس) في أواريس، تتحرك قرنية العين يمينًا، ناحية شرق (أواريس)، إلى تلك المعركة بين جنوده بقيادة (وازد) و(سوسرن) مع جنود المازوي بقيادة (ابن ابانا) و(ابن بنخت) من قلَّ أحياءهم وكثرت موتاهم، ليتبقى (ابن ابانا) و(ابن بنخت) في مواجهة (سوسرن) و(وازد) ليقل الأخير لـ(ابن ابانا) و(ابن بنخت):

- "لقد قلت لكم من سابق.. وأنتم لم تستمعوا إليّ جيدًا"

يأتيه صوت من خلفه عالياَ يميزه (وازد) و(سوسرن) جيدًا:

- "ألم يخبروك بعدم استسلامهم يا خائن؟"

يبتسم (إبن ابانا) و(ابن بنخت) لصوت حليفهم، على عكس (سوسرن) و(وازد)..

- "نشئ"
- "نعم قائدكم يا خونة"

يخرج السيف من الغمد لتنطلق المعركة في اتجاه آخر، ولكن مع علو صوت صليل السيوف، يأتي صوت آخر من أعلى الجبال، صوت

يوقف المعركة تمامًا، صوت مصاحبته رائحة كريهة، ينظر الجميع إلى أعلى الثلوج فتحت قطرات الثلج، إنها تلك مَن سمعوا عنها في أساطير الأولين، سباع أبو إلهول، ذات رؤوس من البشر، لتنزل بكل سرعتها صوبهم، صوب المتعاركين، وفي صوب المعركة، يجلس (أبوفيس) عاريًا بين أجساد فتياته العرايا، مستندًا برأسه على صولجانه، في قلب (أواريس)، مصوبًا عينه الحمراء ناحية الشرق، إلى مستنقعات (ابيس)، ومع التحامات السيوف، تحت قطرات المطر، يأتي الهواء سريعًا، ما يجعل الأمطار، تتغير في اتجاه سقوطها فوق عربة (اعح حتب)، بأصوات أشبه إلى فحيح الثعابين، ومن بين ظلمات المستنقعات تتحرك النباتات عالية السيقان، لتكشف عن أشياء ذات رائحة غريبة، غير محددة اللون أو الشكل، هي أقرب إلى هواء متشكِّل في الظلال على شكل شياطين الأساطير، ذلك ما حدد من فعل سقوط الأمطار، فحددت المياه أشكالها المخيفة أمام الجميع، لتتوقف سيوف الكوبيش عن فعلها، وإذا فجأة تدخل تلك الأشكال الغير مرئية إلى جنود (نفربرت)، فتخرج منهم الصيحات، ومَن مات أرضًا أصبح واقفًا على قدميه، حاملًا سيفه، كلهم تحكمهم أعينهم الحمراء صوب شخص واحد فقط، إبنة الأشراف (اعح حتب)، ما يجعل (تحوتي) يقولها:

- "إركضوا.. اركضي يا مولاتي"

ينتهي من كلماته ومع الكلمات يركض الجميع وخلفهم جنود الشياطين راكضين خلفهم (نفربرت) بعربته مسرعًا بين مستنقعات

(ابيس)، ليضحك (أبوفيس) في (أواريس) عاليَا، هو ومولاه (ست)، ضحكة ليست بالبشرية، ما يجعل (نفتيس) تصحو من مضجعها فجأة، لتركض من غرفتها مقتربة من غرفة (أبوفيس) ذات الباب المفتوح، وعندما ترى (أبوفيس)، ويسقط نظرها عليه وعلى أجساد العذارى، يغلق الباب فجأة، دون فعل بني البشر، من ينصب تفكيره في أمر ذلك المتمرد الهزيل، (أحمس)، الذي اقتربت سفنه على شواطئ الأدغال، لضيق المجرى بين تلك الجزر في نهر النيل، لتبدأ أيادي القردة والغوريلات ذات رؤوس البشر، بالوصول إلى أجساد السفن، لتبدأ السفن في الوقوف عن الحركة، تبدأ القردة تنزل من فوق الأغصان، متحدثة برؤوسها البشرية:

- "هجوم"

وعلى إثر الكلمة ينطلق جميع وحوش الظلام بإتجاه السفن، سفن (أحمس)، يقرر (سخم - رع) ترتيل تلك الكلمات في ذلك التوقيت:

- " يا آلهة مصر، يا أبناء (رع آمون) فلتحموننا بقواكم ضد وحوش الظلام، يا إلهنا (رع - آمون) فلتحمنا بقوى النور ضد قوى الظلام، علّمنا مما علمت به محبوبك (أوزوريس)"

لم تكن تلك الكلمات من (سخم رع) فقد، بل كانت أيضًا من الكاهن (تحوتي) في نفس التوقيت، كما هي ما نطق به (ابن ابانا) و(ابن بنخت) في جبال الثلج، ومع الإنتهاء من الكلمات، حدث إثر ما نطق به اللسان، على جميع الحاضرين، بأرض المعركة، ففي أدغال النيل، بدأت سيقان البردي، الملتفة حول السفينة، تضئ، تجعل الأمر

مختلف، ضوء من أضواء الشمس، ولكنه يخرج من أوراق البردي، في نفس التوقيت، بدأت أفراس النهر في الظهور من ماء النيل وخلفها أفواه التماسيح، ما جعل وحوش الظلام تتوقف عن فعلها، لتتحول من الهجوم إلى الهروب إلى مقرها بالأدغال، وخلفها تخرج التماسيح من المياه، راكضة خلف وحوش الظلام، يغضب الملك (أبوفيس) بمضجعه بـ(أواريس)، ينظر يسارًا إلى غرب (أواريس)، بمعركة (ابيس)، يفعل الهواء فعله بمشاعل (تحوتي) وأعوانه من الراكضين، فتلتقط نباتات المستنقع شعلة النار، ومع هبوب الرياح تميل النباتات المشتعلة بالأخرى الغير مشتعلة، فتشتعل، لتنطلق النار في الهشيم، بسرعة لا يقوى (نفربرت) على فهمها، فتحيط النار بالجميع، على جانبي الطريق، ما يحاصر جنود (تحوتي) وجنود (نفربرت) أما عن شياطين (نفربرت) تطلق صيحاتها غاضبة، من شدة النار، ما يجعلها تخرج تخرج من أجساد الجنود، لتهرب من نار المستنقع، وما يجعل الجنود متساقطين جثثًا، ليصبح (نفربرت) وحيدًا في مواجهة صديقه القديم (تحوتي)، فيزداد غضب (أبوفيس) بقصر (أواريس)، لتتحرك قرنيته الحمراء يمينًا لشرق (أواريس) لمعركة جبال فينيقيا، ليشعل (نشئ) النيران بالسيوف، كما طلب منه (أحمس) قبل سابق، في خطته المتفق عليها في طيبة، ما وضع على السيوف من مواد، تجعل النار تلتصق بمعدن السيف، وعند اقتراب سباع أبو الهول من موضع المتعاركين، تتوقف قلقه من نار السيوف، ما يتلألأ في أعين ؤوسها البشرية، يقرر أحد السباع الهجوم على (نشئ)، فيفعل السيف المشتعل أمره، من إشعال النار في بطن السبع المتقدم، لينزل السبع

من قفزته، أرضًا متألمًا، من تلك النار المنطلقة من داخل أحشائه، وما يسقط من أحشاء مشتعلة، يجعل السباع الأخرى، ترجع إلى الوراء خائفة، صيحات من الأنين، هي ما غطّت على صمت المشهد، ولكن (ابن ابانا) و(ابن بنخت)، أخرجا تلك القارورة من نقبتهما، ارتشف كل منهما جزء في فمه، ووضع كل منهما سيفه المشتعل أمام فمه لينفخ فيه حتى تنطلق النار من السيف إلى الهواء في اتجاه السباع، ما توقع من قبل (ابن ابانا) و(ابن بنخت)، أن تخرج النار بطول ذراعين في الهواء فقط، ولكن الهواء جعل الأمر مختلفًا، ما جاء فجأة تحت سفح المطر ذو الكرات الثلجية، لتخرج النار في سرعة لمسافة أطول بكثير، لتشق النار صفوف السباع، مشتعلة أجساد العديد منها، لتعوي عواء الألم في جبال الثلج البيضاء، لتسقط دماء (أبو إلهول)، مع قطع الثلج على أرض فينيقيا، لتصتبغ الثلوج بقطرات المطر، كما هو الحال في أدغال النيل، عندما تطايرت الدماء من رؤوس الوحوش، من فعل أفواه التماسيح، ليسقط المطر ملوّنًا أرض الأدغال بلون آخر، هو أقرب للون المستنقعات الحالي بعدما انطفات النيران، ظاهرة عن أجساد الرجال، لتتساقط الأمطار بقطرات أقرب إلى الدماء، ما زين رأس (نفربرت)، على أرض المستنقع، ما جعل (تحوتي) يتساءل بجانب ملكته، (اعح حتب) عن حال ابنها (أحمس)، هل ذلك المطر الأحمر، هو مطر النبوءة، نبوءة المطر الأحمر؟

****

٥- زمن النبوءة:

يخرج (بعل) هو وعروسته من المعبد، في فجر يوم جديد، ومع بزوغ الشمس ، يرى (بعل) جنوده هُم ومن بقي منهم ملطخين بالدماء، يتساءل عما حدث:

- "ماذا يجري هنا؟"

فيجيب (وازد) الجريح عن سؤال أمير الخاسوت:

- "لم ننجح في مهمتنا يا مولاي الأمير"
- "مهمة.. أي مهمة يا (وازد)؟"

يبدأ وازد في سرد تفاصيل خطة (مس) رئيس الجماعة وما قد رُتِّب من هجوم على مبعوثي متمردي طيبة على فينيقيا، لأخذ ما حملوه من أخشاب، أثناء تنفيذ (بعل) لطقسه في معبد الإله (إيلات)، وسرد له كل ما حدث في أرض المعركة، من سباع أبو إلهول، إلى خسارته من جنود، حتى وفاة (سوسرن)، وهروبه من الأسر، من أتباع (أحمس)، يبتسم (بعل) على عكس ما هو متوقع من (وازد)، يقرر في كل هدوء، الحديث القادم:

- "كأني لم أعلم شيئًا يا (وازد).. ولنعد أدراجنا إلى (أواريس).. لإقامة حفل عرسي الكبير"

الكلمات لم تجعل (وازد) مطمئنًا، وفشل مبعوث (مس) جعل (بعل) سعيدًا، حتى لا يرتب (مس) أمرَا أخر من دون علمه، حتى يلجأ إليه أبيه في خططه القادمة، تنظر (تازي) إلى عريسها غير متفهمة موقفه،

لتسأله سؤالًا غير متوقعه:

- "أأنت سعيد؟"
- "طبعًا.. لأنكِ معي"
- "(بعل) أنا لا أنتظر منك إجابة مثل تلك"

يفهم بعل أنها لم تقتنع بتلك الإجابة منه، وأنها تريد أن تفهم لما هو سعيد بفشل جنود أبيه في أمره، فيجيبها إجابة جديدة:

- "لا تفكري غير في أنك ستكونين أميرة المملكة عند زواجك مني.. غير ذلك لا تسألي".

يقولها ويبدأ في ركوب عربته الملكية، متجهًا إلى وجهته الجديدة... (أواريس).

****

- "أين هي؟"
- "صدقني يا أخي كل ما أعلمه أنها في أسيوط".

تجيب (نفرتاري) على أخيها (أحمس) لقلقه على أمه، أخيها الذي وصل لطيبة محملًا بالعتاد من الكوش ولم يجد ملكته (اعح حتب) في القصر الطيبي، يقرر الذهاب إلى غرفة جدته، (تيتي شري)، ليصل إلى موضع جلوسها على المقعد الذهبي، مقعد ابنها الراحل (سقنن رع)، يومئ برأسه احترامًا لجدته التي تفهم ما يظهر على وجهه من ملامح الغضب:

- "الأول أنت لم تسألني... لمَ نقلتي المقعد إلى هنا يا جدتي؟"
- "عذرًا مولاتي الملكة لم أنتبه للأمر حتى إخبارك لي به".

تبتسم الجدة لحفيدها، تشير له بالجلوس على الأريكة التي بجانبها، يتخذ من الأريكة موضعا لجلسته، وتبدأ في الحديث:

- "أعلم أنك تريد فهم لما لم تخبرك بهذا الجزء من خطتها.. أليس كذلك؟"
- "جدتي.. أنا أريد أن أعرف أين هي؟"
- "لا بد أن أسرد عليك القصة في بادئ الأمر، فذلك هاما.. كي يمكنك فهم بعدها الخطة يا حفيد الأشراف"

ينتبه (أحمس) لملكته الجدة، لما بدأت في سرده عليه من كلمات، تحوي في أمرها ذكريات، هي بالبعيدة بعض الشئ، أبعد إلى موعد عرس والده الراحل على أمه، ليلة استقبل فيها الأشراف، بعضًا من ضيوف البحر، البحر الأخضر، هؤلاء التجار، ذوي الأموال والعلاقات، أمير كريت الشاب (مينوس)، من جاء في آنذاك لأمر واحد، هو خطبة (اعح حتب) له، لتصبح زوجة مصرية لأمير كريت ولي العهد آنذاك، لشعوب (كريت)، تتذكر (تيتي شري) ما تم من حديث بينها وبين أمير كريت في تلك الليلة، بقاعة القصر الطيبي، عندما سألها (مينوس) بلهجة كريتية، وما جعل المترجم يترجم لها ذلك السؤال في وقتها:

- "إنه يقول لماذا تريدين إعادة النظر في أمر الخطبة بينه وبين الأميرة (اعح حتب)؟"

أجابت (تيتي شري) آنذاك:

- "قل له: ما هي الإستفادة من ذلك الأمر؟"

انتظرت ما تم من إجابة (مينوس) الشاب وجاءت الترجمة على النحو التالي:

- "إنه يقول أنه لم يفهم المغزى من سؤال جلالتكم"
- "بمعنى أدق، سلطان الخاسوت على البحر الأخضر أقوى بكثير من قواكم أيها الكريتيون بالبحر.. إذًا ما هي استفادة طيبة هنا في جنوب مصر من ذلك التحالف بيننا وبينكم يا أمير كريت.. ما سيقدمه أبوك ملك كريت لطيبة من منافع.. تعم على إمارتي عند زواجك بابنتي"

ظهرت ملامح الغضب على وجه (مينوس) الشاب في تلك اللحظة، وبدأ في إطلاق الحديث الغاضب تجاه (تيتي شري) ومع ترجمة المترجم اتضح ما أثار حفيظة غضبه..

- "هو يقول في بادئ الأمر كيف تُشكِّكين في قوة الكريتيين في البحر الأخضر وسلطانهم على سواحل ما خلف البحر الأخضر.. وثانياَ ما سيجعل الزواج مُهمّا هو احترام ملك الخاسوت والفينيقين لنا.. فذلك الأمر كفيل لطيبة بالحماية.. وذلك خوفًا لحاكم الخاسوت لما بيننا وبين مملكته من تجارة هو في أمسّ الحاجة إليها في الأعوام القادمة"
- "قل له أن يوضح أكثر"

ومع انتهاء المترجم من الترجمة، وقف أمير كريت الشاب ثائرًا بكلماته الكريتية، فترجم المترجم قلقًا من ردة فعل ملكته (تيتي شري):

- "الخاسوت لا يفهمون طبيعة التعامل مع شعوب ما خلف آسيا الصغري، وشعوب اليونان، وجنودهم لا تقدر على غزو تلك التضاريس الصعبة هناك، فهم يلجأون إلينا بالتحالف التجاري، لضعف قوتهم خلف البحر الأخضر، ونحن قوة لا يُستهان بها في البحر الأخضر، فإذا تم ذلك الزواج.. أضمن لك الحماية مما هو قادم".

انعقد حاجبيها غضبًا من حديث الأمير (مينوس) الشاب، وفي قلق قالت:

- "اسأله ما يقصد بما هو قادم؟"

وأتت الاجابة في كلمات كريتية قصيرة هاب منها المترجم، نهرته نظرة (تيتي شري) فقرر ترجمة الكلمات وهو خائف:

- "هو يقول الخاسوت سيقررون الأعوام القادمة التوسّع في موارد الدولة"

وفي قمة الغضب قالت:

- "وضح كلامك يا أمير كريت"

تحدث (مينوس) تلك المرة بالهيروغليفية ولكن بلكنة ضعيفة لنطق

مخارج الكلمات:

- "أخذ طيبة والكوش بالقوة.. دون عائلة حاكمة من أهل طيبة أو الكوش"

وقفت (تيتي شري) من على مقعد الحكم الخاص بعائلة الأشراف وتحدثت لأمير كريت آنذاك كما هي تتذكر جيدًا:

- "تمام، وكيف ستحمي طيبة؟ ستزيد كمية ذهب القفط (لأواريس).. حسنًا وعندما يطلب أكثر من طاقة إنتاج مناجم القفط.. ستعطيه ذهب من عندك؟ .. وعندما يقرر الهجوم على طيبة.. ستأتي لكي تحارب الخاسوت؟ .. بالطبع لا .. وحتى لو حاولت لن تقدر وحدك على (أبوفيس).. أتعتقد أني بعد حديثك هذا سأوافق على عرض الزواج؟ .. أنظر يا (مينوس) أبلِّغ والدك أن عرض الزواج مرفوض.. فالأشراف أولى بحماية شعبهم دون الحاجة لأحد".

وبعد الترجمة يقرر أمير كريت الانصراف، ولكن أوقفته كلمات (تيتي شري):

- "إنتظر حتى موعد العرس"

لم يفهم آنذاك ما تقصد من ترجمة العرس، عرس مَن على (اعح حتب)، فوضَّحت وهي تشير بيدها إلى العرش:

- "زواج (سقنن رع) على (اعح حتب).. ليكون (سقنن رع) هو صاحب عرش طيبة"

تحدث لحظتها (مينوس) إلى (تيتي شري) مُهدِّدًا بكلمات هيروغليفية ضعيفة النطق:

- " تذكري.. ستحتاجون إليّ .. وذلك لن يكون بعيدًا"
- "سنرى"
- "الأيام بيننا"

تنتهي (تيتي شري) من حديثها السابق، ما سردته على حفيدها (أحمس) من ذكريات، ما جعل (أحمس) في حيرة من أمره، فيسأل:

- "تعنين في حديثك السابق أنك قررتي أمر زواج (اعح حتب) من (سقنن رع)، قبل أن يعرضا عليكي الأمر؟"

تبتسم (تيتي شري) لحفيدها:

- "بل كنت أنتظر تحقيق أمر عرافة إلهنا (آمون) يا (أحمس)"
- "أريد أن أفهم مقصدك يا جدتي"
- "عرافات المعبد توقعوا زواج (سقنن رع) من (اعح حتب) عندما كانوا صغيرين.. توقعوا موت نسل العائلة من ذلك الزواج على يد المرض والخاسوت.. انتظرت ما عُرِضَ عليّ من عروض للزواج.. من الخائن (سني) ومن أمير (كريت).. كنت أنتظر أن يتغير القدر.. ولكن علمت أن القدر لا يتغير.. وأن ما حدث هو أفضل بكثير ممّا عرض عليّ في وقتها".
- "تقصدين أن كل ما يخالف تلك النبوءة سيكون أسوأ"

تقف الجدة من جلستها بعرش ابنها الراحل (سقنن رع) وتشير

لـ(أحمس)، ليجلس مكانها تنفيذًا لأمرها، وتتحدث له بنبرة حانية:

- "عزيزي (أحمس).. القدر لا يمكن تغييره.. ولكن أفعالنا هي ما تجعله أفضل لنا.. ما تجعلنا أن نتقبله"
- "إذا كان موتي سيكون على يد الخاسوت.. فليكن على يد آخر جندي منهم"
- "الآن فقط تستحق أن تجلس على عرش والدك.. وتستطيع أن تفكر في ماهية خطوتك التالية"

يقبض بكلتا يديه على مسندي العرش الذهبيين، في غرفة جدته، وعقله يتحرك في اتجاه آخر:

- "أعلمت ماذا تعمل (اعح حتب)؟"
- "التحالف مع (مينوس) بكريت"

ينتهي ذلك الحديث، ولكن لا ينتهي عقل (أحمس) من التفكير، ما سيرتبه من أمر جديد، في خطة المعركة القادمة، معركة الخاسوت، معركة (أواريس).

****

جزيرة كريت، ما حُكيَ عنها ما هو إلا بعض من آيات جمالها، فعندما ترى النباتات بألوانها المختلفة، تشق طريقها بين بيوت القوم، بألوانها المميزة، المتلألئة تحت أشعة الشمس، تشعر بتلك الراحة، ما يصاحب رائحة الورود بالأنف، وما يصنع حكايات أهلها، تشق (اعح حتب) وكاهنها (تحوتي) طريقهم، بين بيوت العامة، ذات الطابق الواحد، إلى

أن تصل مع الدرجات المرتفعة بالطريق إلى الطبقة الأعلى بالجزيرة، طبقة الأغنياء، مَن تميزت بيوتهم، ذات الطابقين، بألوان جدرانها، ما بين الأحمر والأرجواني، لتتراصّ أمام كل بيت الزهور، في حدائق خلابة، لكل فيهم، تنتهي منازل أغنياء القوم، ليظهر ذلك الصرح وحيدًا، بأعلى الربوة، ما يتم العمل به على قدم وساق، ذلك القصر الذي حكى عنه التجار، قصر الملك (مينوس) الذي بدأ في تشييده منذ عدة أعوام سابقة، من قام بالإشراف عليه مهندس كيمتي الأصل، لا يفهم العامة حتى الآن ما السبب الرئيسي وراء بناء قصر بهذا الحجم، وبهذا الشكل، ولكن ما أعلن للناس هو اسمه فقط، قصر التيه، تصل العربة الملكية إلى ساحة القصر، تلك التي تزيّنت بزهور كريت الملونة، يظهر (مينوس) وسط حاشيته، في استقبال زواره، (اعح حتب) و(تحوتي).

- "حمدًا لله على السلامة يا أميرة طيبة"

يقولها (مينوس) بهيروغليفية جيدة، ما يجعل (اعح حتب) مندهشة من لكنته الجيدة لتأتي كلمات (مينوس) التالية كتفسير لتعجبها السابق:

- "تعلمت لغتك جيدًا يا (اعح حتب) أم أنت تصغين لغير ذلك؟"

فتجيب (اعح حتب) عليه:

- "تلك مفاجأة بالنسبة لي يا (مينوس)"
- "الحياة تغيرنا يا (اعح حتب)"

يشير بيده، لتفهم أنها لا بد أن تتحرك معه إلى الداخل، يصعد الاثنان درجات القصر وخلفهما حاشية الملك (مينوس) و(تحوتي)، يسير الموكب بين جدران القصر الشاهقة الارتفاع، أبواب عديدة على الجانبين، متشابهة في الشكل، عليها نقوش كريتية لا تفهمها (اعح حتب)، يصلان إلى باب القاعة الملكية، تظهر بالداخل، زوجة (مينوس) ملكة كريت، يشير بيده ويبدأ في حديث التعارف:

- "أميرة طيبة المصرية (اعح حتب)"

تومئ (اعح حتب) برأسها احترامًا:

- "ملكة كريت وزوجتي العزيزة (هيروم)"

تومئ برأسها (هيروم) احترامًا لـ(اعح حتب) وتشير لها بالجلوس على إحدى مقاعد ضيوف الملك، فتجلس على ذلك المقعد، المرصع بالأحجار الملونة وما نقش عليه من رسومات لحيوانات هي أقرب للغزلان، وبعد جلوس (مينوس) و(هيروم) على عرشهما، يبدأ مينوس في ذلك الحديث مع (اعح حتب):

- "بعد عودتي من طيبة.. قرر أبي زواجي من (هيروم) ذات الأصل الفينيقي ابنة مدينة (صيدا).. لأعيش معها أجمل أيام عمري.. فلنتحدث فيما هو أهم ، مبعوثك قال أنك آتية في موضوع خطير، لا يتحمل الانتظار"

تبدأ (اعح حتب) في الحديث إلى (مينوس):

- "أنت بالطبع عالم بأمر الحرب الدائرة بيننا وبين (أبوفيس)، وعالم

أيضًا بما حدث مع.."

يقاطعها مينوس فجأة:

- "من غير مقدمات طويلة يا (اعح حتب)"
- "نريد أن نكون تحالف بيننا.. بين طيبة بقيادة ابني (أحمس) وبين جزيرة كريت بقيادتك يا ملك كريت"
- "أنصتي لي جيدًا يا (اعح حتب).. حديثي السابق لـ(تيتي شري) قد تحقق. . وطيبة أمست في حاجة ماسّة لكريت"

تأتي كلمات (مينوس) كصاعقة تضرب الأرض في ليلة ممطرة، ليخرج الغضب من أعماق (اعح حتب) إلى ملامح وجهها:

- "أرجوك يا (مينوس) ما حدث بيننا في سابق العهد أمر وانتهى.. نحن مر من عمرنا سنين.. والسنين كافية للنسيان"

يبتسم (مينوس) وهو يتناول كأس جعته، ما يقدم من قبل خادمي القصر، عليه وعلى ضيوفه ويرتشف من كأسه جرعة صغيرة:

- "أتظنين أن جرعة الخمر هذه قد تُنسي..؟ أتعتقدي إهانة (تيتي شيري) لي ولوالدي الراحل أمر سهل نسيانه؟"

تنظر (هيروم) لزوجها مرتبة بكفها على يده، يفهم (مينوس) مراد زوجته، ما طلبته عيناها من نسيان ذلك الأمر، فيومئ برأسه لها، ويعيد نظرة مرة أخرى لـ(اعح حتب)، ويبدأ في الحديث:

- "لنغيَر الأمر.. نتحدث سياسة لبرهة من الوقت، ما سيعود على

كريت من التحالف بيننا وبين طيبة"

- "عندما نكسب الحرب، ستكون كريت تحت حماية مصر من أي هجمات عليها"

يضحك (مينوس) مستهزئ بحديث (اعح حتب) السابق، ولكن (اعح حتب) تستطرد في حديثها السابق بكل قوة وبكل حزم:

- "تواجدي في طيبة بجنوب مصر لا ينفي أن أعي تمامًا ما يدور في البحر الأخضر.. المجاعات تضرب هضبة الأناضول.. الجهل والمرض ينتشر في سواحل اليونان.. قوة الخاسوت في البحر بدأت تضعف.. وكلها وقت ليس بالقليل.. وسيبدأ أهالي البحر يدركون قيمة المعادن التي يتم بيعها للفينيقيين مقابل الغذاء.. وأنت تعلم جيدًا عندما بعض من الهمج يمتلكون معدن مثل الحديد بأيديهم ما ستصبح عواقبه"

يصفق (مينوس) لـ(اعح حتب) بضع مرات ساخرَا من حديثها:

- "رائع فعلًا ابنة (تيتي شري).. والدتك الملكة علَّمتك فعلًا أصول السياسة.. والدي دائمًا كان يخبرني أن الأشراف وصولهم للحكم في طيبة ذكاء منهم في دولة مثل دولة الخاسوت.. لكن لم أكن أتوقع أنك في منتصف خسارتك لـ(سقنن رع) و(كامس).. وفي حروب دائمًا تنتهي بالهزيمة ضد الخاسوت.. أجد منك تركيز واستيعاب لمجريات الأمور والتغييرات في البحر الأخضر.. سأخبرك بشيء بالنسبة لـ(أحمس).. مَن نجى بأعجوبة من الخاسوت.. أو مثل ما تلقبونه أيها المصريين.. (مَن عاد من الموت).. أعلمته تلك

السياسة.. وهل تهابين عليه إنه يموت مثل أخوه؟!"

تجيب (اعح حتب) على استهزاء (مينوس) بنبرة غاضبة، عالية الصوت:

- "هو فعلًا عاد من الموت.. (أحمس) مَن اختارته الآلهة ليكون طاردًا للخاسوت.. ناهياَ لشرورهم بالأرض.. (أحمس) هو حامل القوس الذهبي للإله (حورس).. وإذا كنت لا تثق في اختيار الإلهه له.. فهذا جهل منكم بآلهتنا".

يقلق (تحوتي) من حديث (اعح حتب) وما يحمل من إهانة لـ(مينوس) ولأهل كريت، ولكن يأتي (مينوس) بكلمات أذكى مما توقع (تحوتي):

- "صدقيني.. أنا لم أكن أريد إهانتك أو إهانة مشاعرك تجاه فقدانك لـ(سقنن رع) أو (كامس).. كل ما أردته التأكد من الأمر.. وثقتك في ذلك.. هل حربكم تلك المرة ستنجح أم لا؟"
- "وما استشفيت يا (مينوس)؟"
- "ا ستشفيت يا (اعح حتب).. ما علَّمه لي والدي.. إن في سياسة الدول.. تقسم لفترات.. فترة القوة الصاعدة.. فترة الهيمنة الإقتصادية.. وأخيراَ فترة الزوال.. وهذا ما تعلمناه منكم يا كمتيين.. الذي تعلمه والدي في جامعة (اونا) بعين شمس"
- "ما زلت لم أستمع للإجابة على سؤالي"
- "بالنسبة لآخر أعوام في حكم (أبوفيس).. مفاصل دولة الخاسوت بدأت تضعف في فينيقيا.. عندما التجار بدأوا يخرجوا عن طوع

جماعة (ست).. وعندما بدأت الجماعة تتوغل أكثر في قرارات (أبوفيس) بمصر.. وهذا ليس له سوى معنى واحد.. قوة الجماعة هي القادمة في مملكة الخاسوت .. وبنسبة كبيرة سيمسي الحاكم القادم من الجماعة نفسها.. وهذا ما جعلني أن أتحالف مع الجماعة"

- "أفهم أن حديثك معناه رفض الأمر"
- "لِمَ أنت على عجلة من أمرك؟"

يقف (مينوس) بعد قول جملته الأخيرة، تمسك (هيروم) بيده، يربت (مينوس) على يدها مطمئنًا إياها ، يشير لجميع الحاضرين ليهمّوا بالإنصراف، يخرج الجميع، ما عدا (تحوتي)، ينظر (مينوس) متسائلًا لـ(اعح حتب):

- "لو هناك سر تريد أن تبوح به.. فـ(تحوتي) كاهن الأشراف وكاهن إلهنا (آمون) كفيل بحفظه"

تغادر (هيروم) عرشها، يفتح الباب الجانبي للقاعة من قبل الحراس، يتحرك (مينوس) مشيراً لـ(اعح حتب) و(تحوتي) للخروج من القاعة معه هو وزوجته، ومع عبور الباب، تأتي الممرات الثلاثة، يسير الأربعة من ممر لآخر، من غرفة لأخرى، لا يفهم أحد كيف هي العودة من تلك الممرات والغرف سوى أصحاب القصر، يصلوا إلى غرفة ذات باب من الحديد، يخرج من خلف الباب صوت أشبه بالأنين، أنين غير بشري، أنين حيوان، تقترب (هيروم) من نافذة الباب ودموعها تسقط من مقلتيها، تشير (هيروم) لـ(اعح حتب) لتقترب، لتنظر ما خلف

الباب، فهو ليس بشر كامل أو حتى حيوان معلوم، هو شيء أشبه للهجين، ما بين بشري وثور، مُكبّل بالأغلال، أغلال مترامية في أطراف الغرفة، مثبتة في جدرانها، تنظر (اعح حتب) لأعين (هيروم) الحائرة من أمرها:

- "لما رفض (مينوس) عمل معبد لـ(ست) الجماعة قررت عقابنا.. هذا ما تعلموه من مصر.. الشر"

يحاول (مينوس) تمالك مشاعره وبنبرة لا تحمل بين طبقاتها الصوتية سوى الانكسار:

- "أعرّفك على ابني.. صدقيني لم يكن كذلك.. بعد رفضي لإقامة معبد الجماعة.. قاموا باستغلال نقطة ضعفي.. أرسلوا جارية.. قالوا هدية منهم لولي العهد على أمل بناء المعبد.. والجارية لم تكن غير الطعم.. وبتعاليم الظلام أصبح ولي العهد مجرد وحش.. بنيت المعبد مقابل الدواء.. والدواء يرجعه لطبيعته لبضعة أيام في الشهر.. مثلما تعلموا منكم الشر هل تستطيعين أن تساعديني أن يعود للخير مرة تانية؟"

تنظر (اعح حتب) لـ(تحوتي) متسائلة:

- "أتقدر على ذلك يا تحوتي؟"

يرد تحوتي بكل ثقة لـ(مينوس):

- "الأمر سيتخذ بعضًا من الوقت لكن غير مستحيل.. ائتني بالأطباء مولاي الملك لأخبرهم بما عليهم فعله"

تمسك (هيروم) بيد (اعح حتب) وبنظرة أم منتظرة الأمل الأخير:

- "وعد مني يا (اعح حتب) لو استطعتي أن تعالجي ابني أنا من سأقف بجانبك وبجانب ابنك حتى لو رفض (مينوس)".

تنظر (اعح حتب) إلى (مينوس)، وما يأتيها من الأب سوى نظرة واحدة، نظرة التأكيد على حديث الأم، فتبتسم (اعح حتب) لـ(هيروم):

- "إطمئني.. ببركة الآلهة سيصبح ابنك بخير".

****

البرديات المقدسه للإله (رع)

تعاليم المتطهر الثاني

أكتب لكم هذه العبارات، وأنا في ظلمة الليل، أتمنى أن يصل ما رأيته إليكم بالمعبد، ذلك الخطر الذي صنعناه بأنفسنا، عندما سلم من خاننا سرنا، ذلك الذي حفظ لعقود في معبد عين شمس لمئات من الأعوام، بعيدًا عن أيدي المتهورين من البشر أنا (باروعا) المتطهر في معبد إلهنا المُعظَّم (رع) بأواريس، مَن تتلمذ على يد الكهنة المنعزلة خارج الأسوار، وخارج مجلس كهنوت عين شمس، ذلك الموالي لحكام الخاسوت، أقر أني رأيت داخل (أواريس) ما لا يحمد عقباه، رأيت استخدام الجماعة لذلك الكتاب، كتاب قوى الظلام، ما أخفي عن عيون العامة، ما ادَّعى البعض أنه نُسِب للإله (تحوت)، ما يتحكم في إعادة قوى الظلام للوجود مرة أخرى، رأيت ذلك بمحض الصدفة البحتة، عند مروري بجوار المبنى الجديد، الذي دُشِّن في منتصف أواريس أعلى ربوة المدينة، لقد سمعت أصوات عالية أثناء ظلمة الليل، ما بين أصوات بشرية وأخرى غير ذلك، ما جعلني أتسلَّل إلى ذلك المبني، في خلسة من حراسه وعندما اقتربت من الأسفل، رأيت رئيس الجماعة ومن معه من الكهنة، يرتلون التراتيل، من كتاب الظلام، على أنثى مقيدة بالأغلال، وشيء من الشعر الأسود، يشبه القردة الضخمة، لكن برأس انسان، التراتيل تجعله يقترب من الأنثى، تلك التي تصرخ عند مضاجعتها منه بقوة، وعندما رأتني، استنجدت بي فانتبه القائمين على المكان لأمري لم يقتلوني بل تحفظوا عليّ، لا

أعلم لماذا؟ ولكن بالداخل، وسط تلك الرائحة الغريبة، ما لا يُحتمل من قِبل البشر، العديد من الغرف داخل ذلك الرواق، كل منها يحتوي على نوع من حيوانات الظلام، التي ظننا أنها انتهت تمامًا، مع محاربة الملك (مينا) لها، ولكن تم إعادتها للحياة مجددًا، من قبل رئيس الجماعة، أتذكر حديثه لي قبل هروبي بيومين، أتذكر كلماته التي لن أنساها..

(كيف تظن أن (اتيت آوي) استسلمت لنا سوى بتلك الطريقة)

كان يقصد تلك الوحوش، التي سمعنا عنها فقط في أساطير الاولين، التي قررت الآلهة معاقبتها لعدم انتشار نسلها، بخلقها كلها ذكوراً بلا إناث، ولكن اليوم أعادت الجماعة إحياءها من جديد، بتراتيل كتاب الظلام، واستحضار الإناث من بني البشر، ليتكاثروا من جديد، لتزيد قوة الظلام تحت سلطانهم، تلك الجماعة، جماعة الإله (ست)، من اتخذت فقط الشر منه، بجانبهم في النهار هم يحترمون آلهتنا، وفي الليل يجهزون لإعادة قوى الشر مرة آخرى، لقد هربت لأدوِّن تلك العبارات، في معبدنا خارج أواريس، لأنذر العالم بما هو قادم، ذلك اليوم الذي تنتظره الجماعة، يوم الظلام في أرض الآلهة.

****

ينتهي (أحمس) من قراءة البردية، تلك التي استلمها من الكاهن (سخم - رع)، ينظر له حائراَ، يتساءل:

- "هل ما حدث في أدغال النيل هو ذلك؟"

يومئ (سخم - رع) برأسه مؤكدًا..

- "لكن كيف لتلك الوحوش أن تظهر في الجنوب وهي في أواريس مثلما تبلغنا البردية؟"

يجيب (سخم - رع) وهو قلق بعض الشيء من غضب (أحمس):

- "الوحوش ما زال يوجد البعض منها في تلك الأدغال.. لكن لا تأتي إلى العلن من تلقاء نفسها، ولكن لا بد أن يستدعيها أحد بتراتيل من كتاب الظلام".

ينعقد حاجبي (أحمس) من الصدمة ويسأل ذلك السؤال الذي بدر إليه:

- "أتقصد أن من استدعاها شخص كان بيننا في السفن؟"

يومئ الكاهن الكهل مؤكدًا ويستطرد في حديثه التالي:

- "هناك ظاهرة فلكية اقتربت من الحدوث.. تدعى فلكياَ (يوم الظلام)"
- "وما هي؟"

يحاول (سخم- رع) استجماع كلماته، يبدأ في ذلك الحديث، في طيبة، كما هو حال لسان (مس) رئيس الجماعة في (أواريس) وهو

يقف بجانب (أبوفيس) في ذلك الرواق الطويل، الموجود أسفل مقر الجماعة..

- "لقد اقترب ذلك الحدث.. عندما تقترب الكواكب.. الزهرة والمشترى لتضعف أشعة الشمس . وتغرق الأرض في الظلام لمدة لا تقل عن ١٥ يوم".

يبتسم (أبوفيس) ويستطرد (مس) في حديثه السابق.

- "لقد اقترب يوم الظلام.. كما ورد في كتاب الظلام"
- "إذًا فنهاية المتمردين اقتربت يا مس"

ومع كلمات (أبوفيس) في (أواريس)، كان هناك حديث آخر بين (أحمس) و(سخم - رع) في طيبة في معبد (آمون) المحترق، ما قاله (أحمس) من كلمات لا تحمل سوى معنى واحد:

- "إذًا لا بد من البدء في الحرب سريعًا.. قبل يوم الظلام"

يقولها (أحمس) لـ(سخم - رع)، والقلق يسيطر على عقله، مما هو آت، ذلك اليوم المنتظر، الكل في انتظار يومه، (أحمس) ينتظر يوم الحرب على الخاسوت بـ(أواريس) و(بعل) ينتظر يوم الزواج بـ(تازي) في (أواريس)، و (اعح حتب) بكريت تنتظر يوم نجاح (تحوتي) في صنع دواء ابن الملك (مينوس)، و(بس) ينتظر يوم الظلام، ما عملت الجماعة له مئات السنين، ما سُمِّي في أوساط الجماعة تحت مسمى واحد، ليتحقق عهد إلههم ليبسط (ست) نفوذه كاملًا على أرض الآلهة بيومه، يوم العهد...


أسك زاد

الفصل السابع

يوم العهد

١- عهد بعل:

(أواريس).. مَن تزينت بورود الياسمين في كافة الطرقات، وكافة المنازل شرعت في وضع زهور الياسمين بشرفها ونوافذها، تنفيذًا للأوامر الملكية، التي أُصدرت من قبل الملكة (نفتيس)، إحتفالًا وتجهيزًا ليوم العرس، عرس (بعل) على (تازي)، ذلك العرس الملكي، الذي اصطفَّت له الزوار من جميع أنحاء المملكة، من حكام أقاليم مصر، حكام مدن فينيقيا، حتى حكام جزر البحر الأخضر وحكام جزيرة كريت (مينوس) وزوجته (هيروم)، اللذان جاءا في اللحظات الأخيرة، في يوم العرس ذاته، وفي قصر (أواريس)، كان اللوبي الرئيسي للقصر، بالقاعة الرسمية للاحتفالات، الخدم في كل مكان، العمل على قدم وساق، فهناك مَن يراجع على الزهور المتواجدة في القاعة، وهناك مَن يؤكد على دقة الترتيب لذلك الحفل، فـ(مس) مثلًا كان يراجع مع الملكة (نفتيس) ترتيبات الحدث، حيث (نفتيس) تسأل:

- "الكاهن؟"
- "موعده بعد دخول العروسين القاعة"
- "الضيوف؟"
- "سيدخلون القاعة بعد انتصاف الشمس للسماء"
- "الجواري؟"
- "أربعة عشر واحدة من أجمل جواري الملك"

- "والمغنية؟"

- "عشتار.. قادمة إلى القصر كما طلب مولاي الأمير (بعل)"

وفي الناحية الأخرى من مدينة (أواريس)، في ذلك البيت المشهور، بيت الفينيقي، بيت البغاء الأشهر بمصر، في أروقة البيت الخلفية، تجلس (عشتار)، بين أمرين، أمر التزيّن للحفل وأمر حبيبها الذي تفكر بأمره، هل يشتاق إليها مثلما تشتاق إليه؟، هل ستراه مجددًا؟، أسئلة كثيرة يقطعها ذلك الصوت القادم من خلفها:

- "سيدتي هل أنتِ جاهزة؟"

يقولها الحارس الملكي من قبل القصر، فتجيبه (عشتار):

- "اعطني بضع لحظات من فضلك"

فيومئ الحارس برأسه، ليخرج من الغرفة، يغلق الباب ويفتح العقل في تفكيره مرة أخرى، هل عندما تراه مجددًا سيعاملها جيدًا؟ أم سيعاقبها على ما فعلته بحقه؟ هل سيتفهّم ظروفها ؟ تأتي الإجابة على أسئلتها الكثيرة في الكلمات التالية:

- "ستغنين لـ(بعل).. أما أنا فلا؟"

تعلم ذلك الصوت جيدًا، لم تنسَ، فهو صوت من تتمنى لقاءه، هل هذا الصوت حقيقي.. بالطبع لا

- "توقفي عن الأوهام يا (عشتار)"

يأتي الصوت لينفي أوهامها:

- "ومَن قال أنها أوهام؟"

تنظر خلفها لتقف مرة واحدة، مفتوح فمها، كما هو حال أعينها، فمن تراه أمامها هو ذلك الشخص الذي انتظرت لقاؤه، حبيبها المنتظر، ما ألقت بنفسها بين ذراعيه، لترتوي من ذلك الدفء، دفء صدره، لتتغزل أنامله بخصلات شعرها الذهبي، ما يجعلها تذوب في بحر حنانه، تشعر وكأنها تعيش في حلم طال انتظاره، تعلق أعينها حتى لا ينتهي الحلم، ولكن دقات الباب تنهي لقاء الشوق، تفتح عينها ناظرة إليه، ليضع سبابته على شفتيها، ناهيًا عن الحديث، يفتح الباب، فيظهر (مس) خارج الباب، يشير له (أحمس) مُطمئنًا، فيغلق (مس) الباب مرة أخرى، تاركًا الحبيبين في أمرهما، لتسأل (عشتار) سؤالها:

- "أنت لست وهمًا.. أليس كذلك؟"

فيومئ (أحمس) برأسه مؤكدًا.

- "أقسم لك أني لم أكن أقصد شيء مما حدث.."

تقطع سبابته على شفتيها الكلمات، لتغوص في بحر اللقاء، بين صوت كلماته:

- "(سخم – رع) حدثني عن كل شيء"

- "معنى ذلك أنك لست غاضب مني؟"

- "إني أحبك"

تشعر عشتار بدوار خفيف برأسها، تفقد الاتزان، فتسقط في أحضانه، مَن حاول لحاقها قبل السقوط، ويُربِّت بكفه على وجهها قلقًا عليها:

- "عشتار.. هل أنتِ بخير؟"

فتجيبه بكل ثقة وطمأنينة:

- "لم أشعر بالخير في عمري مثلما شعرت به الآن"

تنظر لعينيه سائلة، فيأتيها جوابه هادئًا:

- "لا تسألي عن أي شيء.. إتركي كل شيء لوقته"

- "لا بد أن أفهم"

- "لاحقًا ستفهمين.. المهم ما هو آت"

تجلس عشتار أمام حبيبها، (أحمس) يبدأ في سرد خطته القادمة، أما في قصر (أواريس) بين الأب والابن حديث، فيه أمر هام، لمستقبل المملكة، مملكة الخاسوت:

- "المائة سفينة الأولية قد وصلت إلى أواريس"

يقولها (أبوفيس) لابنه (بعل) الذي يطلب ذلك الطلب من أبيه:

- "والدي الملك.. أعتقد أنه قد حان أن تعتمد عليّ في ترتيب الخطط وليس (بس)"

فيبتسم (أبوفيس) في خبث:

- "أما زال موضوع فينيقيا يضايقك؟"

يصمت (بعل) ولا يجيب، ولكن (أبوفيس) يتحدث لابنه مطمئنًا

- "سنتحدث بعد الزفاف في كل شيء، لا تقلق"

يدخل الحاجب للغرفة قاطعًا ذلك الحديث ومعه (بس) الذي يتحدث في هدوء، بعد أن أذن له مولاه الملك:

- "مولاي لقد دخل الضيوف إلى القاعة، والعروس في انتظارك"

ومع انتهاء الكلمات يأذن (أبوفيس) لابنه (بعل)، فيخرج الأمير، ذلك العريس في أزهى الألوان التي تغطي عباءته الكتانية من ألوان فينيقيا، وفوق رأسه وضع ذلك التاج الذهبي، تاج ولي العهد، يسير في الممر بخطوات ثابتة بجانب رئيس الجماعة (بس)، ذلك الأخير الذي بدا قلقًا من نظرات الأمير إليه، وما صاحبها من ابتسام، حتى يأتيه الجواب على قلقه، بتلك الكلمات:

- "أما زلت غاضباَ بسبب فشل خطتك في فينيقيا؟"

- "مولاي الأمير أحب أطمئنك.. رجالي يعملون على قدم وساق لفشل مخططات المتمردين"

يضحك الأمير (بعل) وهو يقف أمام باب العروس ويربت على كتف (بس):

- "المرة القادمة عندما تحب أن ترتب لأمر كهذا رتب معي لكي لا يفشل"

ينتهي من كلماته ويفتح الحاجب باب غرفة العروس، تلك الأخيرة التي تخرج بجانب أبيها (هاداد) الذي ينظر لابنته (تازي) نظرة هي تعلم معناها جيدًا، متذكرة تلك الكلمات التي قالها لها وهي تسير بجانب عريسها: (إجعلى من ذلك الزواج.. أمرًا جللًا) تصل إلى قاعة الزفاف هي وعريسها، لتتلألأ الأحجار النفيسة على فستانها، تحت أضواء الشمس، التي تغزو القاعة من نوافذها، لتبهر الحاضرين من الضيوف ليقفوا أمام العروسين انحناءاً، ما عدا إثنين، (أبوفيس) الذي يقف أمام عرشه، و(نفتيس) الواقفة بجانب (مينوس) وزوجته (هيروم)، تتركهما لتشارك زوجها عرش المملكة، يعلن الحاجب أمام الجميع الأمر الجلل:

- "اليوم.. بمباركة إلهنا (بعل) في فينيقيا الذي هو إلهنا المُعظَّم (ست) في مصر زفاف ابن ملكنا المُعظَّم (أبوفيس) ابن الآلهة وصديق الإله (ست) جلالة الأمير ولي عهد البلاد (بعل) المحبوب على ابنة بلاد فينيقيا وابنة حاكمها الأمير الوراثي (هاداد) ليتخذها أميرة للبلاد، زوجه له، الأميرة (تازي)".

ينتهي الحاجب من الكلمات، لتبدأ الآلات الوترية في استخراج الالحان، فيتحرك العريس مصاحبه أربعة عشر جارية، ممسكات به، ليتحرك معهن، وكذلك اثني عشر جارية أخرى مصاحبات للأميرة (تازي) ممسكات بها، لتتحرك معهن، يسير كل من العروسان في

موكبهما من الجواري، يسير كل منهما بين الضيوف، ليتقبلوا التهاني من الحاضرين وأثناء ذلك تتحدث (نفتيس) إلى زوجها (أبوفيس) بصوت خافت:

- "تأكدت من أخبار الكشافين.. (اعح حتب) لم تستطع الإتيان بالدواء لابن (مينوس)"

- "عظيم"

يقولها (أبوفيس) بصوت خافت لزوجته سعيد من حديثها، الذي أكد كلمات (بس) له قبل قليل، من كشافينه بجزيرة كريت، وما هي إلا لحظات، وأعلن حاجب القاعة ذلك الأمر:

- "جلالة الكاهن الأعظم لإلهنا (ست) المُعظَّم"

ومع انتهاء الكلمات دقت الطبول ودخل الكاهن الأعظم للقاعة، قبّل العديد من الحاضرين يديه وهو يسير بين المدعوين، وما بين شخص وآخر، على جانبي الممر الذي توسّط القاعة، بين مقاعد الضيوف، يصل الكاهن الأعظم إلى موضع العروسين، ويأتي خادمه خلفه، مناوله البرديات، ما سيدون بها عهد الزواج، بين (بعل) و(تازي)، ومع البدء في تراتيل العهد، وقفت (عشتار) بين فرقتها الموسيقية، في ذلك المكان المخصّص لهم، بجانب القاعة، فيصبحوا أمام عرش الملك مقابلة وعلى يمينهم مقاعد الضيوف، وعلى يسارهم مقعدي العروسين، تنظر (عشتار) إلى أفراد فرقتها، غالبيتهم نوبيين سمر البشرة ينظر أحدهم إلى الآخر، يقرر أحدهم الانصراف، يصل إلى

باب القاعة، ينظر له الحاجب نظرة تساؤلية فيتحدث بصوت خافت إليه:

- "أين طريق دورة المياه؟"

فيجيب الحاجب بصوت هادئ:

- "آخر الممر على الجانب الأيمن"

فيخرج النوبي من باب القاعة، يسير في الممر بين حراس القصر هرعًا إلى وجهته، أما في الداخل، يعلن الكاهن الأعظم للإله (ست) الحدث، الذي ينتظره الحاضرين:

- "أعلن اليوم بمباركة إلهنا المُعظَّم (ست).. الأميرة (تازي) زوجة الأمير (بعل) الأبدية لتنتقل حلقة البعث من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى"

وعلى إثر كلماته، تقوم الأميرة (تازي) بنقل الخاتم الذهبي من إصبع يد (بعل) اليمنى إلى اليسرى، وبعدها يكرر (بعل) الأمر، بأصابع (تازي)، لتبدأ الألحان في الانطلاق من فرقة (عشتار) الموسيقية، وتبدأ في إنشاد أغنية الفرح المعروفة لدى جميع الحاضرين، أما النوبي بخارج القاعة يخرج من باب الحمام، ويتحرك في الممر ليس باتجاه القاعة، بل بالاتجاه المعاكس، ينتهي الممر، وينزل الدرجات، حتى يصل إلى بهو القصر، ما يحتوي على المطبخ الملكي، يتفادى رؤية الخادمين الشابين له، فيتوارى خلف عامود من أعمدة البهو، حتى يمرّا، صاعدين الدرجات، يعود مرة أخرى إلى طريقه، يقابل خادمًا

حاملًا بضعة من الأطباق، فيلكمه بوجهه ليسقطه أرضًا، يصل إليه زميله النوبي الآخر من الفرقة، ويسحبانه خلف الأعمدة، و بينما هما يقومان بذلك، تنطلق الكلمات من (عشتار)، ما يملأ القاعة، وينعم آذان الحاضرين بذلك الصوت العذب وما يحمله من روعة الكلمات:

- "أخيرَا أمسينا سويّا.. أخيرَا أتى يوم اللقاء.. بعدما نسيت الحب.. بعدما قلت ما من أمل.. أخيرَا أمسينا سويّا.. أمامنا العمر كله.. تذوق من الشوق حلوه.. ونذوب في بحر عشقه.. أخيرَا أمسينا سويًا.."

وما هي إلا لحظات، ما بين جملة وأخرى، كان الخادمين يوزعون الأطباق على الحاضرين، وما بين اللحم والخبز، أكواب من الجعة، تصل لأيدي (نفتيس) التي ترتشف منها، لتلعق بين أسنانها كومة من الكتان، تخرجها، تفتحها، فإذا بها قطعة صغيرة، من بردية مدوَن بها ثلاثة رموز فرعونية، وأسفلها رمز (حورس)، تعطيها لـ(أبوفيس)، يقرأها جيدًا، يغضب كثيرَا، لكن يتمالك أعصابه، حتى لا يقلق الحاضرين، ينظر إلى (بس) رئيس الجماعة، نظرة يفهمها جيدًا، يقترب من مولاه الملك، يقرأ الكلمات (الحرب بعد ثلاثة أيام) والتوقيع برمز (حورس)، يستوعب الأمر جيدًا، هذه رسالة من المتمردين، ومعنى ذلك الأمر أن هناك اختراق للقصر، يشير بيده لأحد الحراس، ولكن توقفه كلمات مولاه (أبوفيس):

- "لا.. لا بد أن لا يشعروا أن ما فعلوه أثَّر علينا"

- "ولكن يا مولاي هم هنا بالقصر وهذه فرصة للقبض عليهم"

- "قلت لك.. لا بد وأن يعلم (أحمس) أننا جاهزين للحرب"

يستمع ذلك النوبي بين الخدم بالقاعة لاسمه جيدًا، ينظر حوله، تقع عيناه في عين أبوفيس، يشعر بأن الأخير يعلم هويته، وذلك عند رؤيته لتلك الإبتسامة، ابتسامة ما هي إلا عهد، عهد منه بالقضاء عليه، عهد أبوفيس!

****

٢- عهد أبوفيس:

- "مولاي ما حدث بالزفاف هو أمرٌ لا يستهان به ولا بد من الرد القوي السريع على المتمردين لفعلتهم"

يستمع الملك للكلمات من ذلك الشاب المتعصب أمامه، وهو يداعب أنامله بالأخرى، ينظر إلى الشاب الذي بجواره:

- "هذا رأيك يا بعل.. حسنًا وأنت يا رئيس الجماعة؟"

يقولها (أبوفيس) منتظرًا من (بس) رأيه في ما حدث في قاعة الزفاف، منذ ما لا يقل عن ثلاثة أيام، فيستمع (بس) الكلمات، ويبدأ في طرح الأفكار:

- "مولاي الأمير.. مولاي الملك، إن ما حدث هو اختراق لأمن مدينتنا وللقصر الملكي.. ورأيي الشخصي لا بد وأن يكون الرد عليه بالمثل"

- "وضح كلامك"

يقولها أبوفيس لـ(بس) الذي يستطرد في حديثه السابق:

- "لا بد وأن تُختَرق (طيبة) مثلما اخترقوا (أواريس)"

- "وأنت يا بعل ما رأيك؟"

يبدأ (بعل) الأمير في إلقاء كلماته:

- "مولاي الملك.. لقد وصل اليوم إلى مدينتنا مائة سفينة فينيقية.. مُحمّلة بالجنود والسلاح والعربات.. وحكام الأقاليم في حالة من الانقسام.. بمعنى أن غالبية الحكام يخشون الحرب ومتبعين موقف الحياد.. وفي نفس الوقت نحن معنا ثلاث حكام بجيوشهم.. (إهناسيا) و(عين شمس) و(اتيت آوى).. أما (أحمس) معه فقط (أسيوط) وبعض من عبيد الكوش.. حتى الخشب الذي أتاه من فينيقيا لا يملك الوقت الكافي لكي يصنع منه في هذا الوقت القصير سفن، فبالتالي الحرب بهذا التوقيت ليست في صالحهم بل في صالحنا"

يبتسم (أبوفيس) لكلمات نجله (بعل)، مما يجعل (بعل) يحمل في عينيه نظرة الثقة، ويشعر بأنه انتصر في فرض رأيه على رئيس الجماعة، ما يجعل (بس) قلقًا وغاضباَ في نفس الوقت، ويبدأ (أبوفيس) في عرض قراره على الحاضرين:

- "إذا حاربنا (أحمس) و(مرسو) في هذا التوقيت فإن كفة الميزان ستبقى في صالحنا.. وهذا إذا تم فلن يقضي عليهم لكن سيجعل حكام الأقاليم يأخذوا قرار.. والجميع سيقف في صف الأقوى.. لذا من رأيي أن نخرج لحربهم"

يحوم الصمت بين جدران القاعة الملكية في قصر (أواريس)، قبل أن يقطعه كلمات (أبوفيس) التالية وهو يهمّ من على مقعده مستندًا على صولجانه، صولجان الإله (ست):

- "عظيم.. اتفقنا على قراري.. (بعل) أرسل لقائد الجيش للتجهيز للحرب في (إهناسيا).. (بس) إبعث برسولك إلى أسيوط بموعد الحرب ولا تنسَ دور الكشافين في طيبة وأسيوط.. أريد أن أعرف تجهيزاتهم وعددهم"

ينتهي الملك من كلماته، ويخرج (بعل) من القاعة، متخذًا طريقه في تنفيذ قراره، ذلك ما جعل (بس) بالقاعة منتظرًا، وبصوت هادئ يتحدث إلى مولاه (أبوفيس):

- "مولاي الملك.. إني قلقٌ بعض الشيء"

- "ولِمَ القلق يا (بس)؟ .. من أن نخسر الحرب؟"

يرتب (بس) أفكاره قبل أن يطرحها على مولاه الملك (أبوفيس)..

- "مولاي.. منذ أن بدأت الحروب بيننا وبين المتمردين.. كان دائمًا قرار الحرب نحن مَن يقرره.. لكن هذه أول مرة يأتينا طلب الحرب من المتمردين.. بمعنى أن (أحمس) و(مرسو) لديهم العلم بكسب المعركة.. وأن هناك أمرًا آخر هو ما جعلهم يفكروا في البدء بالحرب قبل حتى استعدادهم الكافي لها"

يضع أبوفيس بعضًا من الخمر في كأسه من تلك القارورة الفخارية أثناء حديث (بس)، وبعد أن يرتشف جزءًا منها، يشير إلى (بس) ليستكمل حديثه:

- "أنا أخشى من أنهم يسعون لاستدراجنا لحرب استنزاف.. قبل

وصول السفن الفينيقية.. وأشك في أنهم على دراية باقتراب الحدث الفلكي الخاص بيوم العهد"

يشير (أبوفيس) لـ(بس) حتى يملأ له كأسه مرة أخرى من الخمر، وبعد الانتهاء من ملء الكاس، يرتشف (أبوفيس) مرة أخرى من الكأس، ولكن هذه الجرعة أكبر بكثير مما قبلها، ومع ابتلاعه للخمر، تظهر ابتسامته الواثقة لرئيس الجماعة:

- "في الحالتين.. ليس لدي مشكلة في كلامك.. تحليل منطقي.. تعرض جميع الاحتمالات لما وراء طلبهم للحرب.. لكن في جميع الحالات.. سواء ربحت الجولة.. أم خسرت.. أنا هو الرابح"

يعقد (بس) حاجبيه، غير متفهم لمغزى حديث مولاه، فيضحك (أبوفيس) وهو يجلس على عرشه مرة أخرى:

- "ما بك؟ .. لم تعد تفكر مثل الماضي يا (بس)"

- "إني أتعلم من حكمتكم مولاي الملك"

يضحك (أبوفيس):

- "أنت تحدثت على الشيئين اللذان قد يفكروا بهم . أتعتقد أني وافقت (بعل) وأنا لست على معرفة بتوقعاتك؟"

يدور كلام (أبوفيس) في رأس (بس)، ويحاول أن يفهم مغزى كلمات مولاه، إذن هو على علم بما يريده (أحمس) و(مرسو)، هو يريد أن يخوض تلك المعركة حتى لو هزم، وما هي إلا لحظات وتبدأ عينا

(أبوفيس) في أن يقفز اللون الأحمر إلى قرنيتها تدريجياً، حتى تملأ الصبغة الحمراء جميع أنحاء قرنيته، ويبدأ (أبوفيس) في الحديث، ولكن بنبرة مختلفة بعض الشيء، بنبرة أشبه إلى صوت صلد، لا يخرج من الحنجرة بفعل البشر:

- "إياك وأن تفكر بأني لست على علم بما كنت تخطط له يوم الطقوس.. مع الكاهن والساحر.. لكن من أجل تفكيرك المحدود.. قررت السيطرة على مقاليد الأمور بنفسي"

يخر (بس) راكعًا على أرضية القاعة أمام مولاه، ليس (أبوفيس)، ولكن لذلك من يحدثه من خلاله..

- "ليس مطلوب منك أن تفكر مرة أخرى يا (بس).. مطلوب منك تنفيذ أوامري.. حتى يحين موعد قدوم المتمردين إلى طاعتي.. مطلوب منك أن تجهز ليومي الخاص.. يوم العهد"

ينتهي (أبوفيس) من كلماته بصوته المهيب.. ويظل (بس) في موضعه راكعًا، خائفًا، ترتجف أنامله، فيقرر (أبوفيس) خروج العبد بضربة من صولجانه على أرضية القاعة، ليخرج (بس)، وتغلق خلفه الأبواب من تلقاء نفسها، وهو يفكر فيما حدث بالداخل، فمن كان يقبع أمامه راكعًا، ليس ملكه، ليس ذلك المتعالي، بل هو أكثر من ذلك، إنه من كان دائمًا يقرأ تراتيل حضوره إليه، بالليالي السابقة من عمره، إنه من قرأ عن مهابة حضوره، وعلم عن قوة غضبه، وذكائه المدمر، إنه ذلك من تحدثت عنه أساطير الأولين بالكمت، إنه معبوده، إنه إلهه، إنه (ست) بذاته.

****

لا يفكر في أمرها، مَن كانت معه في فراش الحب، مستلقيه على صدره، من غمضت عيناها، وهي تنعم في بحر حنانه، من ذاق من حنانها، ليلة كاملة في أواريس، مَن قالت له، إنه هو من اختاره قلبها، مَن أعطته عذريتها، من تمنَّت يومًا أن تصبح جارية تحت قدميه، آملة فقط في حبه لها، لا يفكر في (عشتار)، لا يقلق عليها الآن مثل الأيام السابقة، فهي معها بضع من جنود المازوي، يقومون على حراستها، متخفين كعمال في البيت الفينيقي، وعازفين بفرقتها، هو حاله الآن الحائر في أمره، فهو لا يفهم كيف تركوه هو و(مس) في القصر بأواريس، بعد أن كشف أمرهما (أبوفيس)، ذلك الأخير الذي علم بأمره وهو ينظر في عينيه جيدًا، على الرغم من الأمور التي فعلها من أجل أن يتخفَّى جيدًا عن الأنظار، تلك المساحيق للتجميل والتي غيرت لون بشرته وتفاصيل وجهه هو و(مس) وأعوانه من جنود المازوي، لقد كان قاب قوسين أو أدنى من إلقاء القبض عليهم بـ(أواريس)، صحيح أنه كانت هناك خطة بديلة للهروب، ولكن كل ذلك لا يهم الآن، ما يهم هو أمر (أبوفيس)، لمَ قرر عدم الإعتراض له هو وأعوانه؟ يتذكر إجابة (عشتار) وهي بين أحضانه:

- "لم يكن يريد أن يقلق الضيوف المدعوين.. ومن الممكن أنه كان يخشى على أمر زواج ابنه (بعل)".

ولكن حتى إجابة (عشتار)، لم تكن كافية لإخماد نار القلق في صدره،

وعندما سأل صديقه الكاهن (مس)، كانت إجابته أيضًا غير منطقية بالنسبة له:

- "لا أعتقد أنه تعرف علينا.. لو علم ماهيتنا صدقني لم يكن ليترك الفرصة في إلقاء القبض علينا"

يقطع تفكيره دخول المنتظرين إلى المكان، بمعبد (آمون) الذي تحت الترميم، (بس) و(مرسو) وقائد الجيش (نشيء) ويبدأ (مرسو) في الحديث إليه:

- "أحمس لقد جهزنا كل شيء بأسيوط"

- "عظيم وبالنسبة للجيش يا (نشيء)"

يجيب (نشيء) على مولاه الأمير (أحمس):

- "السفن التي أتت من الكوش جاهزة في النيل.. وبالنسبة للأخشاب الحرفيين يعملون عليها على قدم وساق خلف طيبة كما اتفقنا"

- "وبالنسبة لعيونك من المازوي يا (مس)؟"

- "جيش (عين شمس) وجيش (اتيت آوى) في طريقهما إلى (اهناسيا) وعلى رأسهما حاكمي (عين شمس) و(اتيت آوى) ورئيس مجلس كهنوت معبد عين شمس"

- "يتبقى وصول (بعل) على رأس جيش الخاسوت لـ(إهناسيا)

لإعلان الحرب علينا".

يبدأ (مرسو) في الحديث إلى (أحمس) وهو قلق مما استعرض الأخير (مس) عليهم بقاعة المذبح بمعبد (آمون) المحترقة:

- "أترى أننا سنربح هذه الحرب بسهولة يا (أحمس)؟"

- "بالطبع لا"

إجابة (أحمس) الصادمة تجعل من الجميع مصدومين، ولكن يحاول (أحمس) تخفيف الصدمة من على الوجوه بكلماته التالية:

- "مائة سفينة من فينيقيا وجيوش ثلاث إمارات وهذا غير جيش (أواريس) الرئيسي، ونحن لا يوجد معنا غير جيش (طيبة) و(أسيوط)، ولو أضفنا إليهم جنود الكوش يظل عددنا أقل أيضًا، وهذا ما جعل (أبوفيس) يوافق بسرعة على الحرب".

- "لِمَ عرضت الحرب وأنت تعلم احتمالية خسارتنا؟"

يقولها (مرسو) غاضباَ، ولكن تأتيه الإجابة على سؤاله من قبل ذلك الضيف الجديد الذي يدخل إلى القاعة، برائحته العطرة، ينتبه الجميع إلى شراشف الفستان الأبيض الحريري، مع تلك الكلمات الأنثوية القادمة:

- "لأننا نملك سلاح جديد سيغير مجريات المعركة"

ينظر إلى وجه المتحدثة، (نفرتاري) يبتسم (مس) على عكس (نشئ) الذي ينحني إحتراماً لأميرته، و(مرسو) الذي ينظر إلى صديقة طفولته

مندهشًا من حديثها الأخير..

- "صديقة الطفولة (نفرتاري).. مرحب بك في اجتماعنا المفترض أنه سري كما أخبرنا أخوكِ الأصغر".

كلمات (مرسو) المتهكمة تجعل (أحمس) يتحدث إليه في هدوء شديد:

- "هو فعلًا سري ومقتصر على مجلس قادة الحرب فقط.. و(نفرتاري) من ضمن قادة الحرب يا (مرسو) العزيز"

يبتسم (مرسو) ابتسامة عصبية بعض الشيء، ويتحدث بلهجة عصبية:

- "لا بد أن أفهم ما يدور في عقلك يا (أحمس)"

تأتي الإجابة في هدوء وثقة شديدين من قبل (نفرتاري):

- "إضرب جنود طيبة بعدد ٢ حينها ستكون كفتي الميزان متكافئتين"

تعلو ملامح الدهشة وعدم الفهم على وجه (مرسو)، فتوضح (نفرتاري) حديثها السابق في كلماتها التالية:

- "لقد أعلنَّا في طيبة التجهيز لزفافي على (أحمس).. وعليه جاءت جميع نساء المدينة كما هو متعارف عليه للتجهيز والتحضير للأمر.. لكن الحقيقة نحن كنا نراجع تدريباتهم على حمل القوس والمبارزة بالسيف.. غالبية السيدات هن زوجات وبنات لجنود الجيش.. لقد كان ذلك الترتيب منذ أعوام.. بعد موت أخي

(كامس)، هن مدركات أنه سيأتي ذلك اليوم الذي ستخرج السيدة جنباَ إلى جنب مع الرجل لمحاربة الخاسوت".

تنتهي (نفرتاري) من حديثها للحاضرين، فمنهم من يعلم الأمر مثل (مس) و(نشئ) و(أحمس) ومنهم من يتفاجأ في تلك اللحظة مثل (مرسو)، ذلك الأخير الذي ينفعل في الحديث التالي على الحاضرين:

- "هذا جنون.. ما تفكرون فيه جنون"
- "بالعكس.. هذا الجنون الذي تتحدث عنه هو عينه عنصر المباغتة.. لا يوجد كمتي سيقدر على محاربة سيدة على عكس الخاسوتيين والنقطة الثانية عددنا أكبر.. والخطة سترتب على العنصر النسائي".

يصمت (مرسو) وهو يفكر فيما عرض عليه، لحظات ويقرر (مرسو) ذلك القرار:

- "إعرض خطتك يا (أحمس) ووعد مني إذا اقتنعت بها سأزوِّدك يا (نفرتاري) بجواري زوجتي المائة إلى جنودك من النساء"

يبتسم (أحمس) ويبدأ في عرض خطته، ومع الكلمات تفتح الأفواه من البعض وتتحجر العيون من البعض الآخر، في تلك الخطة الجديدة، ما يتمناه الحاضرين من صميم قلبهم، هو النجاح في تنفيذ ذلك العهد، عهد النصر، بيوم الحرب.

****

يجلس ذلك العجوز بين الحاضرين، في حيرة من أمره، لا يعلم ما

يفعل، فجميع محاولاته السابقة باءت بالفشل، لا يعلم كيف سيصنع كلماته، في عرض أمره عليهم، يتحدث وهو خافت الصوت قليلًا:

- "لقد حاولت مرارًا وتكرارًا"

ينظر (مينوس) إلى العجوز (تحوتي)، غاضبَا من كلماته، ويعبر عن ذلك:

- "كل ما طلبته من الأطباء أتى لك يا (تحوتي).. لقد وعدتني أنك على مقدرة من تحضير الدواء الشافي لإبني، وأنت لست قادر بتوفية وعدك"

تتدخل (اعح حتب) محاولة تهدئة الموقف:

- "لا تقسو عليه.. (تحوتي) فعل كل ما يقدر عليه"

ينظر (مينوس) إلى (اعح حتب) ثم ينظر إلى زوجته (هيروم) نظرة هي أعلم بمغزاها جيدًا، فيقرر الحديث بنبرة هادئة تلك المرة:

- "اسمعي يا (اعح حتب).. أنا عند كلامي.. لو كنت وجدتِ الدواء.. لأصبحت معكِ في حربك.. لكن الآن الأمر قد اختلف"

- "معنى كلامك رفض التحالف يا (مينوس)"

- "سفينتك ستنقلك غدًا إلى مصر يا بنت الأشراف"

ينتهي (مينوس) من عرض قراره، ولا ينتهي أمر الحارس للقاعة من سمعه لما دار، ولكن خروج (اعح حتب) و(تحوتي) من القاعة يُنهي

اللقاء ولا يُنهي ذلك الجدال بين مينوس وزوجته (هيروم) فتبدأ (هيروم) بلوم زوجها:

- "كان عليك أن تتحلى بالصبر يا (مينوس).. كان ممكن أن يكون هناك أمل في محاولاته".

فتأتي كلمات (مينوس) قاطعة لزوجته:

- "(هيروم) أرجوكِ.. أدري جيدًا أنك تعلقت بالأمل.. لكن صدقيني هذا أمل واهٍ"

تتركه (هيروم) وهي محاولة حبس الدموع بمقلتيها، ويترك الحارس القاعة محاولًا حبس السعادة في صدره، لما سمعه، يخرج من القصر، يمر بعمال البناء في قصر التيه، ذلك العمل الذي يتم على قدم وساق، يصل إلى ذلك القائد، المهندس الكمتي، القائم على أعمال البناء يتحدث معه بصوت خافت، يبتسم الأخير لما ورد له، من كلمات الحارس، ما نقله مما حدث، بقاعة الحكم بقصر التيه، بجزيرة كريت، ويبدأ في كتابة برديته، التي ستحمل في الليل، في سفينة التجار، المتحركة اليوم إلى مصر، لتنقل البضائع، ورسالته إلى جماعة الإله (ست)، بفشل (اعح حتب) بأمرها، مع ملك كريت.

****

مقر الجماعة بـ(أواريس)، شاهدًا على ما يدور في الخفاء، بقاعة الإجتماعات، ما طلبه منهم رئيسهم لحضور اجتماع طارئ، لمجلس جماعته الموقرة، يجلس جميع الأعضاء على مقاعدهم، حول المائدة،

منتظرين دخول (بس) رئيسهم الشاب، الذي يظهر فجأة، تمتلكه ملامح التوتر، فما يدور في ذهنه، أمر مقلق، يجلس ويبدأ في حديثه المنتظر، من قبل الحاضرين:

- "بدون أي مقدمات، يجب أن نبدأ في تنفيذ خطة يوم العهد"

ينظروا إليه غير متفهمين ما يقصد بالتحديد من يوم العهد، ولكن يستطرد (بس) في الحديث:

- "كلها أيام معدودة .. وسيتم الحدث فلكيًا.. والنقطة الثانية هي أن توقعاتي للحرب القادمة في (اهناسيا) غير مطمئنة"

يتحدث العضو الأول إلى (بس) متسائلًا:

- "تقصد احتمالية هزيمتنا في (إهناسيا)؟"

- "هذا أمر وارد.. كل الإحتمالات واردة في حربنا ضد المتمردين، لكن خطتنا لا بد أن تسير كما هي.. كما رتبت من أوائل جماعتنا في مصر.. وكما كان عهدنا مع (سالتيس) الراحل"

يقرر الصمت إعلان حكمه على قاعة الإجتماعات للحظات حتى يقطع ذلك الصمت (بس):

- "الكاهن الأعظم لإلهنا (ست) سيرسل لجميع معابدنا المنتشرة في مصر.. التجهيز ليوم العهد.. من توفير الغلال والحبوب في مخازن المعبد في كل إمارة.. ومتطهري المعابد يبدأون بإخبار الناس عن غضب (ست).. عن ظُلم (ست) في أسطورة الآلهة.. ظُلم المحكمة

بإعطاء (حورس) الغير شرعي حكم مصر.. وهذه النقطة الأساسية التي سيركز عليها المتطهرين في وعظهم الديني".

يسأل العضو الثاني رئيس الجماعة وهو متهكم:

- "وبالنسبة لـ(أواريس)؟"

- "سننقل الجزء الأكبر من مخزوننا الإستراتيجي من غلال وحبوب وحتى النفيس من المعادن لحصن (شاروهن)، وسنترك في أواريس ما يكفينا فقط لمدة ثلاث أشهر".

وهنا تصيّب الدهشة وجوه الحاضرين من كلمات الأخير، فمعنى الكلمات يقلق، وما يخبئه في صدره أكبر من الكلمات فيسأل العضو الأول بنبرة قلقة:

- "معنى حديثك أن المتمردين قد يصلوا أواريس؟ وهذا إن صح فسأقلق من قرار الملك في حرب (إهناسيا)"

يبتسم (بس) للجالس القلق، ويجيبه بكل ثقة:

- "أولًا قرار الملك هو المنتظر والمطلوب في هذا التوقيت.. وثانياَ لِمَ تخشى قدوم المتمردين إلى (أواريس)؟"

تضطرب مشاعر العضو الأول للجماعة، فما بين الخوف والفرح، وما بين القلق والحيرة، تتحرك ملامحه، فيحاول أن يستجمع الكلمات من بين بحور الأفكار في رأسه العجوز، محاولًا استيعاب الأمر..

- "لا لست قلقًا.. لكن مثلما يعلم جميع الحاضرين.. أنه قد ظهر

عدة مرات متمردين على حكمنا لبلاد الكمت.. وكل مرة كانت الشكوك بقرب يوم العهد.. وجهّزنا ورتبنا.. ولم يكن أحد منهم جدير أو يستحق بمواصفات متمرد النبوءة ولقي مصرعه على أيدي رجالنا.. لِمَ أنت متأكد هذه المرة أن (أحمس) هو مطابق لمواصفات يومنا المعهود؟"

يضحك (بس) بصوت عال، ما يجعل الحراس خارجًا ينتبهون لصوت الضحكات، ومع انتهاء ضحكاته يتحدث (بس) هذه المرة بنبرة غاضبة، لا تحمل بين طياتها سوى أمر واحد..

- "تريد أن تقنعني أن كل ما مر من أحداث ليس به أي شيء من أمر يومنا المعهود؟ .. ماذا؟ ألم تكن حاضراَ يوم إعدامه على أسوار (أواريس)؟ .. وعودته من الموت، ألم تذكر في مواصفات متمرد يوم العهد. ألم تكن حاضراَ معنا يوم اجتماع الملك مع أمراء البلاد ولاحظت ما حدث في القاعة للملك ولصوته ولون عيونه؟"

يقف (بس) وبصوته العالي وهو يدق بقبضته على المائدة:

- "أيها السادة.. لقد أقسمنا جميعًا يوم دخولنا المجلس على قسم واحد.. مَن يريد الخنث بقسمه فليهرب إلى فينيقيا مجردًا من شرف مجلسنا وشرف جماعتنا.. ومَن يبقى فليتشارك معنا في تنفيذ قسمنا العظيم.. مهما كانت التضحيات.. قسم يوم العهد العظيم.. عهد قبائلنا الأوائل.. ما قامت عليه جماعتنا.. جماعة الإله (بعل).. جماعة الإله (ست) الآن.. ليوم عهدنا.. لحكم الأرض أجمعين".

يقولها (بس) منتظرًا إجابتهم عليه، وتأتي الإجابة مع وقوف كل عضو من أعضاء المجلس مثل وقفته، واضعًا كل منهم قبضته اليسرى على صدره، فيضع (بس) هو الآخر قبضته على صدره، مردِّدين خلفه ذلك القسم:

- "أقسم بإلهنا (بعل) العظيم.. الذي هو (ست) العظيم ذاته.. بأن أعمل مخلصًا.. على رفعة شأن قبائلنا.. على رفعة شأن جماعتنا.. على هدفنا الواحد الأوحد.. على حكم العالم.. بأي طريقة ممكنة أو غير ممكنة.. لتحقيق عهدنا.. عهد الخاسوت لحكم الأرض والبحر.. وأن أضحِّي لو حتى بروحي في سبيل ذلك اليوم.. يوم العهد".

****

٣- عهد (بس):

عندما تكون صغيراَ لا تدرك الأشياء كما هي الآن، فكل شيء تراه يكون له عدة تفسيرات، أحيانًا تشعر بالظلم، وأحيانًا أخرى تشعر بالرضا، في بعض الأوقات تقف أمام أحداث لا يستطيع عقلك الصغير عدم تفسيرها، ما يجعلك تخاف، لا تخاف من ما تعلمه، ولكن الخوف يكون مما لا تعلمه، هكذا هو فضول الأطفال، ما جعل عقله وهو صغير، لا يستوعب ما رأته عيناه في ذلك اليوم، عندما أتى رجال جماعة ذلك الإله، ما يعبدوه، ما ظن يوم أن عبادته هو حصن الخير، على عكس ما قاله له زملاءه من المصريين، أقرانه من الأطفال في المدرسة، تلك المدرسة المجاورة لمدرسة معبد (ست)، مدرسة معبد (رع) في (عين شمس)، مَن قالوا له تلك الكلمات التي ما زالت تتردد حتى اليوم في ذهنه:

- "إلهكم هو مجرد إله للشر.. هذا ما قاله لنا المتطهرين في المدرسة.. أنت تعبد إله شرير يا (بس)"

يقطع تفكيره دخول الحارس عليه في المنزل مُعلنًا قدوم ضيفته المنتظرة:

- "سيدي رئيس الجماعة.. مولاتي الملكة (نفتيس)"

ومع انتهاء الكلمات من الحارس، تدخل الضيفة غاضبة فتعقد حاجبيها للأمر الذي يوحي بالقلق من قبل (بس) فيبادر (بس)

بإبتسامة مصاحبة لكلماته الناعمة:

- "ما بكِ يا حبيبتي؟ ما الذي يضايقك؟ هل من أحد يضجر وهو مع حبيبه؟"

تجلس نفتيس والوجوم يملأ عينيها:

- "هل لي بسؤالك؟"

- "أؤمريني يا حبيبة قلبي"

- "النساء مَن هُنَّ في سني ممكن أن يحملن؟"

يصيبه التوتر من سؤال حبيبته، ولا يفهم لمَ هي تسأل هذا السؤال في ذلك التوقيت..

- "أكيد هذا أمر صعب جدًا.. لكن لِمَ تسألي؟ هل أخذك الحنين للأطفال بعد زواج ابنك (بعل)؟"

تبكي (نفتيس) فجأة، ما يجعل (بس) يقترب منها، يحاول احتضانها، ولكن تبعد (نفتيس) ذراعيه عنها وتعلن له تلك المفاجأة:

- "أنا حامل يا (بس)"

يقف مندهشًا من حديث (نفتيس)، وعلى لسانه كلمة واحدة:

- "ماذا؟ كيف؟"

- "أنت تعلم كيف"

ينظر لها (بس) لا يعلم ماذا يقول لها، وكيف سيتصرف معها في تلك اللحظة، ولكن تقطع (نفتيس) تفكيره:

- "الطبيب أكَّد لي أن هذه الأعراض كلها حمل يا (بس)"

يخرج عن شعوره، في كلماته الغاضبة التالية:

- "طبيب..؟! هل جننتي؟ أنتِ تعلمين لو أن هذا الكلام وصل لأي شخص كان.. ماذا سيكون موقفنا؟"
- "من ناحية الطبيب لا تقلق.. لن يبوح بسري لأي حد.. لأنه طيلة عمره طبيبي الخاص"
- "لا.. لا بد أن أقلق في هذا التوقيت الذي نمر به لا بد أن أقلق من.."

تقاطعه (نفتيس) في قوة:

- "المهم الآن أني أريد التخلص من الطفل بأي طريقة.. لا بد من وجود حل يا (بس)"
- "طريقة؟ .. صدقيني لا يوجد طريقة أعرفها.. أي طريقة ستعرضك للموت.. وأنا لا أقدر أن أعرضك للموت يا حبيبتي"

يحاول (بس) الاقتراب منها مجددًا، ولكن (نفتيس) تقف وتقترب من باب المنزل، منزل رئيس الجماعة، تحاول أن تزيل دموعها من فوق وجنتيها، تحاول اصطناع ملامح القوة والصلادة على وجهها، وبنبرة صارمة:

- "لا بد من وجود حل يا (بس)"

يستجمع أفكاره، ويحاول أن يتحدث، ولكن يهاب من ردة فعلها:

- "لا يوجد غير حل واحد.. لكن صدقيني هذا سيكون صعب بالنسبة لي قبل أن يكون صعب لكِ"

- "ما هو؟"

يقف (بس) خلفها، يضع يده على كتفها، وبكلمات خبيثة، بنبرة هادئة:

- "أن يرجع الود بينكما"

تنظر له وهي في قمة غضبها، وما تحمله له من استحقار:

- "ألهذه الدرجة أنت حقير يا (بس).. أتريدني أن أضاجع (أبوفيس) من أجل أن أنسب الطفل له؟"

يحاول (بس) أن يصطنع الدموع في مقلتيه، وبكلمات لا تحمل بين طياتها سوى الحزن:

- "ضعي نفسك مكاني.. أعرِضك لمحاولة للتخلص من ابني وأخسرك.. أخسر حبي وطفلي في آن واحد؟ .. أم أضحي بنسبة لي في مقابل إني أحافظ على حياتك وحياة ابني"

تبعد (نفتيس) يده عن كتفها وتقوم بصفعه على وجهه في قوة، ولكن يقوم (بس) بإبعاد يدها عن وجهه محاولًا منع انفعاله عليها:

- "أعلم أنكِ غاضبة الآن.. لكن عندما تهدأي ستجدي أن هذا هو الحل الوحيد يا (نفتيس)"

تفتح (نفتيس) باب المنزل مغادرة المكان، ومع غلق الأبواب، تظهر إبتسامة (بس) على وجهه، على عكس (نفتيس)، تلك الأخيرة التي تحاول حبس حزنها في قلبها، وهي فوق عربتها الملكية، في طريقها إلى قصر (أواريس)، تتذكر كيف لاقت حبيبها (بس) أول مرة، منذ أعوام، تتذكر سيرها كشابة، في حديقة قصر (أواريس)، بعد أن علمت بخبر حملها في ابنها السابق (بعل)، تتذكر رؤيتها لذلك الطفل ذوي الملابس المُمزّقة، بين نباتات الحديقة، حاملًا بين يديه خنجراَ، تتذكر عندما رأته ركض بعيدًا، خائفًا، اقتربت منه وسألته في حنان:

- "ما اسمك؟"

لم تتلقّ منه إجابة في لحظتها، تتذكر محاولتها الثانية في التعرف على ذلك الطفل:

- "ولِمَ أنت مختبئ هنا؟"

أجابها ذلك الطفل حينها:

- "ومن قال أني مختبئ؟ .. سأقتله"

تتذكر دهشتها من جرأة ذلك الطفل، حاولت أن تفهم من يقصد بكلامه:

- "من؟ .. من هذا الذي ستقتله؟"

جاءتها إجابة صادمة:

- "أبوفيس"

حاولت أن تُهدِّئ من روعه، وحاولت أن تمتص غضب ذلك الطفل المشرّد بسؤالها التالي:

- "أنت شجاع وقوي.. وبهذا الخنجر ستقتله؟"

نظر الطفل إلى خنجره قلقًا، لم يفهم هل هي سخرت منه، أم هي أرادت منه شيء آخر، ولكن كلماتها التالية كانت أذكى من ذكاء ذلك الطفل حينها:

- "حسنًا.. لِمَ تريد موته؟"

- "لأنه أخذ أختي وقتلها"

تتذكر عدم فهمها للأمر في لحظتها، تتذكر سؤالها التالي له:

- "مَن الذي أخبرك هذا يا حبيبي؟"

- "أبي وأمي اللذان قد ماتا من البكاء عليها"

حاولت أن تستوعب كلماته وتسأله ذلك السؤال:

- "من أين أتيت؟"

- "أتيت من (عين شمس) حتى هنا من أجل أن أنتقم منه"

تتذكر كلماتها التالية لذلك الطفل، وتتذكر استيعابها للأمر كله من

إجابته السابقة:

- "وتعتقد أنك بهذه الطريقة ستنجح في قتله؟ .. أنت بمجرد مرورك من أبواب القصر الحراس سيلقون القبض عليك يا حبيبي"

تتذكر حيرته آنذاك، وتتذكر ابتسامتها له، تتذكر تلك الكلمات جيدًا:

- "من أجل أن تنتقم من شخص أقوى منك لا بد أن تكون أقوى منه.. ولو لم تستطع.. تأتي بالأقوى منه من أجل أن تأخذ حقك منه"

تتذكر عدم فهمه لتلك الكلمات، تتذكر عندما أخذت من بين يديه الخنجر مسالمًا لها، تتذكر مناداة الحراس، تتذكر ما قررت لذلك الطفل الجريء عندما أمرت الحراس:

- "خذوا هذا الطفل الجريء لرئيس جماعتنا (العجوز).. قولوا له هذا الطفل هدية الملكة لك"

تتذكر نظرته لها الغير متفهمة لما خططت له، وتتذكر كلماتها التالية له:

- "لا تخف.. أنا سأرسلك لمن سيعلمك كيف تكون قوي.. احكِ له حكايتك وهو سيساعدك.. لم تخبرني ما اسمك؟"

تتذكر اسمه جيدًا، ما قاله لها حينها:

- "بس"

****

لا يفهم لِمَ أراد مقابلته في وضح النهار، فهو دائمًا وأبدًا يقابله كل ليلة في منتصف الليل، في مكانهما المعتاد، يجلس في مكتبه، بمقر الجماعة، منتظرًا دخوله، وما هي إلا لحظات، ويدخل عليه صاحب المكتب:

- "حكا.. أتيت قبل موعدك"

يقف (حكا) الساحر أمام (بس) احترامًا، فيشير له (بس) بالجلوس، ويجلس (بس) على مقعده وهو يستمع لكلمات (حكا) التالية:

- "عندما أتى لي رسولك.. أبلغني أنك طلبت مقابلتي في أمر هام لا يحتمل التأجيل"

يبتسم (بس) للساحر:

- "حسنًا يا (حكا).. كل ما خططنا له في السنين السابقة اقترب موعده"

يدخل الخادم بأكواب الجعة للجالسين فيصمتا حتى خروجه، ومع خروجه يتحدث (حكا) وعلى وجهه ارتسمت دهشته:

- "قال لك أنه هو؟"

يبتسم (بس) لـ(حكا) ويفهم مَن يقصده بحديثه، ويبدأ في الإجابة:

- "أبوفيس لم يقل الحقيقة.. لكن الحقيقة واضحة من أول يوم"

يتذكر (بس) ذلك اليوم بالمعبد للإله (ست) ما حدث من خروج الصولجان من يد التمثال للإله (ست) أمام (أبوفيس) وتناوله للصولجان، يتذكر ذلك الحديث الذي دار بينه وبين كاهن المعبد الأعظم، يتذكر كلماته التي تتردد صداها في أذنه:

(لم نتفق على هذا يا (بس) .. هذا أمر آخر أكبر من تصوراتي)

يتذكر خوفه من ذلك الحديث ويقطع تفكيره كلمات (حكا) التالية:

- "حسنًا لِمَ كنت خائف؟"

يبدأ القلق يرتسم على وجه (بس) وهو يجيب على (حكا):

- "لست خائفًا من حقيقة (أبوفيس) في الوقت الحالي، أنا وأنت مَن قرأنا التراتيل مع بعضنا من كتاب الظلام، أنا كلما مر الوقت أخاف من حقيقة نبوءة العجوز.. لأنها كل يوم تتحقق على أرض الواقع يا (حكا)".

- "أنت تعلم يا رئيس الجماعة مثلما أحضرناه نقدر على التخلص منه بنفس الكتاب"

يعود (بس) بظهره متكئًا على مقعده، فيعود بحر الذكريات في قذف أمواجه في ذاكرة (بس) ليعود بأعوام من الزمن، إلى تلك الليلة، الليلة الأخيرة التي جمعت بينه وبين رئيس الجماعة الأسبق، الملقب بـ(العجوز).

****

في مقر الجماعة، بعد أن أصبح ذلك الشاب (بس) يحذو حذو العجوز في كل تصرفاته، أفعاله، مَن لُقِّبَ بين جميع أعضاء الجماعة بـ(ابن العجوز)، مَن تبناه صغيراً، والذي اعتبره ابناً له لم ينجبه، بعد أن أصيب إصابة بالغة في إحدى المعارك، ما يمنعه عن انجاب أطفالًا، على عكس باقي أعضاء الجماعة، صار ذلك الشاب هو الذراع الهام لـ(العجوز) في كل شئون الجماعة، داخل مصر وخارجها، ما جعل جميع أعضاء المجلس يغارون من وضعه الهام، فقرر العجوز إعلان تبنيه لـ(بس) رسمياً كابن له حتى يكتم الأفواه، ويخرس ألسنتهم، أولئك مَن طالبوه بقذفه خارج جماعتهم، وعليه تمدد سلطان الشاب داخل الجماعة أكثر وأكثر، حتى جاءت تلك الليلة، بعد عودة العجوز و(بس) من إحدى رحلاتهم السرية بجنوب مصر، بعد ملاقاتهم لـ(سني) الخائن، جلس الاثنين في مكتب رئاسة الجماعة بالمقر، وعلى أضواء المشاعل، دار الحديث الأخير بين (العجوز) وابنه بالتبني، في قلق وارتياب استمع (بس) الشاب لكلمات والده بالتبني:

- "إسمع يا (بس).. أنت أكبر هدية وهبتها الآلهة لي"

ابتسم (بس) حينها وقال:

- "هذه مجاملة كبيرة بالنسبة لي يا أبي العزيز -كما سمحت لي بأن ألقِّبك بأبي"

ضحك العجوز وهو متألم، مما أصابه من مرض في الفترة الأخيرة:

- "لا تستخدم ذكاءك معي.. أنا مَن علمته لك.. لكن حديثي ليس بالمجاملة، إنما هي الحقيقة".

أخرج من صندوقه بردية قديمة، أعطاها لـ(بس)، وأمره بعينيه

بقراءتها وما تحمله من كلماتها التالية:

نبوءة المطر الأحمر الكاملة

(حورس) الملك، من أعالي السموات، ينزل إلى الأرض، يضرب بجناحيه الذهبيين جنبات مصر، ليفزع قلوب الخاسوت، ويرهب قلوب الخائنين، سيعود من الموت، من سلالة طيبة، شابًا، عائدًا من الموت، بأمر من رب الأبدية (أوزوريس) ليوحِّد آلهة مصر أجمعين، ضد شرور عمه (ست)، ليتقهقر عباده إلى الشرق مجددًا، معيدين أسطورة (حورس) للوجود، مع سقوط المطر الأحمر، لتتشرب بدماء الخاسوت، لتعود آلهة مصر إلى سابق عهدها، حاكمة الأرض أجمعين.. (ست) الإله، من بسط نفوذه على البلاد، سيحاول العبيد من الأمراء محاربته، سيناصر المتمردين أخيه (أوزوريس)، سيحاول الهزيل (حورس) محاربته، عمه الأحق بالعرش، مستندًا لحكم محكمة الآلهة سيأتي المتمردين على (أواريس) لمدة تسعين عامًا، وأحفاد المتمردين.. سيلاقون الموت على يد المرض والخاسوت مع سقوط المطر ليتلون بدمائهم، حتى يأتي ذلك اليوم، يوم دعوة عبيد (ست) لإلههم، مَن سيأتيهم بالخلاص، بقوى الظلام، وما قدموه له من وحوش، لتتخلل أجساد المؤمنين بـ(حورس) شرور (ست)، لن يستطيع الطيبي القتال، مات مبعوث (حورس) وبكت السماء دمًا، ستسقط معابد الآلهة، لترحل، وسيخر ما تبقى من الناس، عبيدًا لعبيد (ست) الإله،

للـ(حقاوخاسوت)، إلى أبد الآبدين، في ذلك اليوم العظيم، يوم الظلام، ليتحقق عهد (ست)، بيوم العهد، عهد النبوءة، نبوءة المطر الأحمر".

انتهى من قراءتها وسأله آنذاك:

- "هل هذه نبوءة عرافة إلهنا (ست)؟"

ابتسم العجوز في تلك اللحظة وفي كل هدوء جاءت إجابته بتلك الليلة:

- "النبوءة هذه جاءت من مجلس كهنوت معبد (رع) بعين شمس إلى أول رئيس للجماعة في عهد (سالتيس) الراحل.. تعلمنا قراءة كتاب الظلام.. ما أعطى لـ(سالتيس) أيضًا مَن مجلس الكهنوت لمعبد (رع) بعين شمس.. قالوا له هذا هو السبيل الوحيد لبقاء عائلته في حكم مصر.. قرأناه.. فهمنا ما هي قوى الظلام.. ما يعين إلهنا في حكم مصر.. صنعنا تلك الوحوش.. أسفل مقر جماعتنا.. كما تعلم".

يتذكر (بس) في وقتها أنه سأله ذلك السؤال:

- "هل ستتحقق النبوءة؟"

يتذكر إجابته عليه:

- "عندما أتيت إليّ طفلًا . علمت أن موعد النبوءة قد اقترب.. كما قال لي رئيس مجلس الكهنوت حينها.. سيحقق النبوءة طيبي النسل وابن من أبناء (عين شمس).. لما له من أقران من

الوحوش"

تذكر (بس) حينها أن تلك الكلمات في حينها قد آلمته، لما أصاب أخته، ولكن كلمات (العجوز) له التي شفت ألمه قليلاً:

- "سأموت قريبَا.. وستصبح أنت رئيس للجماعة من بعدي.. كما ستكون وصيتي.. أيام معدودات ليقترب حلمك بالإنتقام من عدوك.. أنت وأختك.. فمع تحقيق النبوءة.. يوم القضاء على الأمراء المتمردين.. ستكون نهايته على يديك"

يقطع تفكير (بس)، ما جاء من بحر ذكرياته الماضية، صوت حارس مكتبه، في كلماته التالية:

- "سيدي.. إنهم يريدونك في الأسفل على وجه السرعة"

يخرج (بس) مسرعًا من مكتبه، يركض عبر الممر، ينزل الدرج، إلى أسفل المقر، ذلك الكائن بـ(أواريس)، ليصل أسفل ربوة المقر، تحت الأرض، يفتح له حراس السرداب، الباب الحديدي، ومع فتح الباب، يأتي لمسامعه ذلك الصوت، صوت لصرخات، صرخات أنثى، أنثى هي أسيرة في الداخل، ما يهرول إليه (بس) بين ظلمات السرداب، بين أبواب حديدية، تحوي خلفها كائنات مختلفة عن البشر، ما بين غوريلات برأس بشرية، قردة برأس بشرية، يصل إلى الممر الأيمن، ما يفصل قسم وحوش الغوريلات، عن قسم ما هو أبشع، قسم السباع، سباع ليست مثل التي يدركها من هم أعلى المكان، بل هي سباع أخرى، تملأ الغرف المظلمة، سباع برؤوس بشرية، أو كما تسمى في

أساطير الأولين سباع أبو الهول، يصل إلى مصدر صوت الصرخات، يقف جنب تلك السيدة، المسنة، ذات التشوهات في وجهها، ما يجمع أجزاء محترقة، وأجزاء أخرى من خطوط لجروح قديمة، بفعل بعض من تلك الوحوش. إلتأم بعضها بفعل السنين، يقف بجانبها أمام باب الغرفة، ليرى تلك الفتاة العارية المُكبّلة بالأصفاد، ليجد ذلك المنظر، فقد أكل السبع ساقها اليمنى، فيتحدث له (بس) غاضباَ:

- "لماذا فعلت ذلك أيها السبع؟"

يخرجه صوته بالإجابة من خلال رأسه البشرية:

- "لم تُطِعني في مضاجعتها"

تنظر له ذات الوجه المشوّه نظرة هو يعلمها (بس)، فيقرر (بس) قراره الغاضب على السبع:

- "فلتحترق معها لعدم إطاعتك للقوانين"

ومع انتهاء الكلمات، يشير (بس) للحراس، يفهمون معنى إشارته، تُفتَح أبواب الغرفة التي كانت موصدة، وتُلقى المشاعل بأرضية الغرفة، تلك التي بها ذلك السائل، ما يجعل الغرفة تتحول إلى جحيم من النيران، بفعل ملامستها لنار المشاعل المُلقاة، تُغلق الأبواب في سرعة، يحاول السبع الهرب، في وسط صرخات الفتاة العارية مع اشتعال جسدها، لا يجد السبع مفر، فالنيران تشتعل أيضًا بجسده ليصرخ مستنجدًا بذات الوجه المشوّه، التي تدمع على ما ترى:

- "أمي.. سامحيني.. أنقذيني"

ولكن لا تجيبه ذات الوجه المشوّه سوى بدموعها على حاله، فهذا هو القانون، قانون السرداب، ما سُنَّ منذ عقود، حتى قبل وصولها إلى ذلك المكان، يأخذها (بس) من يدها، ويبتعدان عن المكان، مع صمت السبع والفتاة عن الصراخ، وانضمامهم إلى أرض الموتى، لا يغمر المكان، سوى رائحة الإحتراق، مُعلنًا عن قدوم ذلك الضيف، ضيف الموت، يصل (بس) وذات الوجه المشوّه إلى المكتب الرئيسي للسرداب، يجلس معها، يرى ألمها على موت السبع، يربت بيده على كفها، ويحاول بكلماته التالية مواساتها:

- "لا تقلقي.. يوم العهد اقترب، سأوفي لكِ بعهدي يا أختي العزيزة"

****

٤- عهد الحرب:

يقف ذلك الأمير، بين جنوده واثقًا، ينظر على يمينه ليرى أمير (إهناسيا) وأمير (اتيت آوى) على رأس جيوشهم، ينظر على يساره، ليرى كاهن معبد (رع) بعين شمس بجانب أمير (عين شمس) أمام جنودهم حاضرين، يشير إلى كاهن معبد (عين شمس)، (كبحن)، ذلك من يقف أمام الجيوش ويبدأ في إلقاء خطبته على الواقفين:

- "اليوم.. تجمعنا جميعًا.. بأمر الآلهة المقدسة.. مَن منحوا بركتهم لعضو آلهة السماء.. لآلهة (ست) العظيم.. مَن قرر (رع) الإله أن يمنحه حقه في حكم مصر.. تحت حكمة الخاسوت.. حكام البلاد.. واليوم.. سنواجه مَن قرر التمرد على مشيئة الآلهة هؤلاء المتمردين على حكمه.. فليكن النصر حليفنا".

ينتهي (كبحن) من كلماته ويرفع قائد الجيش الفينيقي سيفه ليهلل الجنود خلفه بتلك الكلمات:

- "النصر لنا.. النصر لنا.. النصر لنا"

وما هي إلا لحظات وتبدأ سفن الخاسوت في التمركز الحربي الهجومي، المائة سفينة وذلك بتحرك الجنود، هؤلاء المصطفِّين على الجانبين، يحركون مجاديف السفن، وعلى الأرض المجاورة للنيل يختلف الوضع، فعلى الأرض يتقدم جيوش الثلاث إمارات.. إمارة (عين شمس) وإمارة (اهناسيا) وأخيراَ (آتيت اوى) للأمام بأمر من القائد

الفينيقي، مجموع جنود ثلاثتهم خمسة عشر ألف جندي خلفهم عرباتهم الحربية ما يقرب من سبعمائة وخمسون عربة وما يفصل بينهم وبين جيش الخاسوت ذلك الصف من الرماة المكونة من مائة وخمسين رامي، وعلى رأس جيش الخاسوت يقف (بعل) وعلى جانبيه أمراء الإمارات الثلاث وكاهن (عين شمس) وجيش الخاسوت يتكون جنده من سرية من الجند أي ما يقرب من اثني عشر وخمسمائة جندي من المشاة يتوسطهم خمسمائة عربة حربية، أما بالسفن يقف رماتهم المائتي وخمسين، تظهر على الأرض مشاعل جيش المتمردين، جيش (طيبة) و(أسيوط) ما يقارب خمسة عشر ألف جندي من المشاة على الأرض، يتخللهم في المقدمة سبعمائة وخمسين عربة حربية على رأسهم (أحمس) بعربته، (مرسو) بعربته، (نشيء) قائد الجيش بعربته، وأخيراَ (نفرتاري) بعربتها، والرماة المائتان وخمسين خلفهم، يرفع القائد الفينيقي سيفه في السماء مُعلناً الاستعداد، وكذلك (نشيء)، ينزل السيفان، إشارته منهم في الهجوم، وتبدأ الحركة، حركة الأقدام، أقدام الجنود، أقدام الخيول فيخرج الضباب، إثر فعل الجيشان، يقتربان من بعضهما البعض، يعلم (بعل) في قرارة نفسه أن المعركة لن تكون متكافئة، فعدد جنده أكبر بكثير من جند المتمردين، ولا يفهم ما يفكر فيه (أحمس)، الذي يعلم جيداً أن المعركة على أرض الواقع، لا تحمل أي نوع من التوازن في القوى العسكرية، ولكن خطته هي ما يُعتمد عليه، تصطدم السيوف، تطير الرؤوس، تنطلق السهام من رماة (أحمس) وأعوانه، لتصل إلى أرض المعركة، تصطاد من تصطاد، كنسور تنقض على فرائسها، ولكن رماة الخاسوت بالسفن

لا يطلقون سهامهم، منتظرين كما أمر أميرهم (بعل)، إشارته، وما هي إلا دقائق، وتبدأ عربات المتمردين تخترق صفوف جنود الإمارات الثلاث، على عكس عربات الإمارات الثلاث، (عين شمس وإهناسيا وآتيت آوى)، لا يفهم أمراء الإمارات ولا (بعل)، لما بدأ الجنود في التراجع، يعود القائد الفينيقي بعربته مُسرعًا إلى (بعل) أميره، ومع وصوله إلى سيده، يرى ذلك المشهد، مشهد في ميدان المعركة، سيدة فوق عربتها، وسط جنود ليسوا برجال، بل هم أقرب إلى ملامح النساء، ما جعل جنود الإمارات الثلاث يتوقفون على فعلتهم، من سفك الدماء، يأتي صوتها (نفرتاري) عالياَ، من فوق عربتها في كلماتها التالية:

- "لماذا توقفتم عن المبارزة.. هل أهابتكم نساءنا؟ .. هن أرجل من أمرائكم.. آمنّ مثل أزواجهن من الرجال.. بأمر الخلاص.. من ذل حكم الخاسوت لنا .. هل ستظلون عبيدًا لهم؟.. ممّ تهابون؟.... ونساءنا لا تهابهم".

يتحدث جندي من الجنود إلى (نفرتاري):

- "هذه لإرادة الإله (رع) كما قال كاهننا بعين شمس"

وهنا يخرج صوت (سخم رع) من بين الجموع من يقود خلف (أحمس) عربته في ثقة:

- "ما قاله لكم (كبحن) هو كذبة، ومعي ما يثبت كذب مجلس الكهنوت في معبد (عين شمس) ينظر (بعل) إلى قائده الفينيقي

غير متفهم ما يحدث، فيسأله:

- "ماذا يحدث يا قائد الجيش؟"

- "جنودهم من النساء يا مولاي الأمير.. جنود الإمارات تفاجأوا من وجود نساء يحاربونهم بالسيف".

- "ماذا؟ .. أيها الأمراء.. تدخلوا.. أجنودكم أجبن من النساء؟"

يقولها (بعل) في قمة غضبه بلهجة عصبية لأمراء الإمارات الثلاث. ولكن يتحرك أمير (عين شمس) وكاهنه (كبحن) ومعه أمير (آتيت أوى) ولا يتحرك أمير (إهناسيا) الذي يتحرك بدلًا منه (وازد) معهم مخترقين صفوف الجند، حتى يصل ثلاثتهم إلى موضع (نفرتاري) و(أحمس) و(مرسو). يبدأ أمير (عين شمس) في الحديث إلى جنوده:

- "أتخشون النساء؟ .. لا تريدون محاربتهم؟"

فتأتي الإجابة من (أحمس) عليه:

- "منذ متى في أرض الكمت يوجد رجل يرفع السلاح على سيدة يا أمير (عين شمس)؟"

ينظر أمير (اتيت آوى) إلى أحمس في قمة الهدوء والثقة إلى (أحمس):

- "على ماذا تراهن أنت يا ابن (سقنن رع) وأنت تعلم جيدًا أنك خاسر تلك المعركة؟ .. أنظر جيشك وجيشنا.. الأمر منتهِ يا ابن (سقنن رع)".

يبدأ (أحمس) في الحديث:

- "أراهن على الحقيقة.. الحقيقة التي أخفاها مجلس الكهنوت بـ(عين شمس) منذ سنين وتحالفهم القذر مع الخاسوت منذ أيام (سالتيس)"

ينظر أمير (عين شمس) إلى كاهنه (كبحن) الذي هو بدوره ينظر إلى (سخم - رع) ويبدأ في أقاويله:

- "هذا الكاهن (سخم - رع) هو من خونة المعبد.. من الخوارج عن مجلس كهنوتها منذ أيام (سالتيس).. هل تصدقون أيها المصريون خائن لنا؟"

يجيب (سخم - رع) على تساؤل (كبحن) واتهامه له بالخيانة:

- "وقوس الإله (حورس) الذهبي الذي يحمله (أحمس) الأمير اليس بدليل كاف لديك؟"

- "ليس دليلًا على أي شيء، لقد سرق من معبدنا وهذا دليل أكبر على خروجك عنا"

يخرج (سخم - رع) بردية قديمة بعض الشيء ليناولها لجندي من جنود طيبة الذي بدوره يعطيها لأمير (عين شمس) ومع البدء في قراءتها من قبل الأمير يتحدث (سخم – رع) إلى الجميع:

- "هذه البردية القديمة بها الدليل الكافي على خيانة مجلسكم بـ(عين شمس) لنا جميعًا وتسليمهم سر (تحوت) المقدس إلى

جماعة (ست) بأواريس"

وهنا تبدأ ملامح وجه أمير (عين شمس) بالاختلاف من الغضب إلى الدهشة، وهو يسأل كاهنه دون ألقاب كهنوتية:

- "هذا الكلام حقيقي يا (كبحن)"

لا يجيب ولكن (سخم - رع) يسترسل في كلماته:

- "والنبوءة أنت أخفيتها عن الجميع ما عدا جماعة (ست)" .

ينظر الجميع إلى الكاهن (سخم - رع) حاملين نظرة واحدة، نظرة التساؤل، وتأتي إجابته على نظرتهم:

- "نبوءة المطر الأحمر يا (كبحن).. نبوءة الخلاص يا (كبحن)"

هنا يحاول (كبحن) استجماع كلماته، وفي نبرة خائفة:

- "أي نبوءة يا (سخم - رع)؟ لم تفهم أي شيء"

يبدأ الغضب على وجوه الحاضرين إلى أرض المعركة بـ(إهناسيا)، وينظر (أحمس) إلى (مس)، وعلى إثر نظرته يبدأ في القراءة من برديته تلك التي أخرجها من غمده:

"(حورس) الملك، من أعالي السموات، ينزل إلى الأرض، يضرب بجناحيه الذهبيين جنبات مصر، ليفزع قلوب الخاسوت، ويرهب قلوب الخائنين، سيعود من الموت، من سلالة طيبة، شاباً، عائدًا من الموت، بأمر من رب الأبدية، (أوزوريس) ليوحِد آلهة مصر أجمعين، ضد شرور عمه (ست)، ليتقهقر عباده إلى الشرق، مجدداً معيدين

أسطورة (حورس) للوجود، مع سقوط المطر الأحمر، لتتشرب بدماء الخاسوت، لتعود آلهة مصر إلى سابق عهدها، حاكمة الأرض أجمعين".

ومع انتهاء الكلمات يجيب (كبحن) نافياَ:

- "لا.. هذه النبوءة ليست كاملة"

يتحول غضب أمير (عين شمس) إلى (كبحن):

- "ليست كاملة.. معنى ذلك أن كلامهم صحيح يا (كبحن).. السر الذي حافظت عائلتي عليه من أحرار (عين شمس) سلمتموه للخاسوت؟"

وفي كلمات قلقة يتحدث (كبحن) لأميره ابن عائلة الأحرار:

- "سيدي الأمير هناك ما لا تفهموه.. آآه"

قطع الكلمات سيف أمير (عين شمس) في جسد (كبحن) أمام مرأى الجميع وبكلمات عالية الصوت:

- "سمعت ما يكفيني من خيانة اليوم"

ومع سقوط جسد (كبحن) بأرض المعركة، يقرر الصمت القدوم، صمت ما قبل المعركة..

ويقطعه الكلمات العالية لأمير (عين شمس) ابن الأحرار على مسامع الحاضرين:

- "أيها الأمراء.. أيها الحاضرين من الجند.. رجالًا ونساءًا.. أعلن لكم اليوم تحالفي مع أمراء (طيبة) و(أسيوط).. فما يمتلكه الخاسوت كفيل بالقضاء على أمرنا جميعًا.. وإذا لم نسترد ما بقيَ لنا من كرامة.. فلن يبقى أي منّا على تلك الأرض في الأيام القادمة".

ينظر أمير (آتيت أوى) إلى أمير (عين شمس) وبكل هدوء وثقة، ما يعبر عن ثقته الدائمة في قرارات ابن عائلة الأحرار بـ(عين شمس):

- "أنا دائمًا أثق في حكمة قراراتك يا ابن الأحرار.. وإذا قررت ذلك فأنا وكل من أحكم من شعب (اتيت آوى) معك".

****

وعلى الجزء الآخر من أرض المعركة يصل (وازد) إلى الواقفين (بعل) وأمير (اهناسيا) والقائد الفينيقي يبلغهم ما يحدث بكلمات مرتجفة، ما يجعل القائد الفينيقي يأمر جنوده في سريته، سرية (أواريس) بالإستعداد، وما يجعل (بعل) يشير للرماة بالسفن بإشعال سهامهم، وماهي إلا لحظات ويبدأ (نشئ) قائد جيش التحالف الجديد أمر جنوده في الاستعداد، خلفه الأمراء، (أحمس) و(مرسو) و(نفرتاري) وأمير (عين شمس) وأمير (اتيت أوى)، ليصطف الجنود، ليس جنود (طيبة) و(أسيوط) فقط، بل ليتحرك معهم في تشكيل واحد للهجوم، جنود (عين شمس) و(اتيت آوى) وحتى هؤلاء من جنود (إهناسيا) الذين بحثوا عن أميرهم (بيبي) بينهم ولم يجدوه، يرفع (أحمس) قوس (حورس) الذهبي عالياَ، ويشد الوتر بسهم مشتعل، وعلى إثر تلك الإشارة المنتظرة، تبدأ تلك السفن في النيل، ما جاء به أمراء

(أسيوط) و(طيبة) إلى (اهناسيا) في الظهور في المياه، مع إشعال مشاعل السفن، تتلألأ صفحات المياه بنيران مشاعلها، تحت وطأة الظلام، ظلام تلك الليلة، ليلة المعركة، وما هي إلا لحظات وتبدأ السهام المشتعلة في الانطلاق، ليس من سفن الخاسوت المائة، ولكن من سفن (طيبة) و(أسيوط) المائة، لتنزل بنيرانها في سفن الخاسوت، تتوقف سفن الخاسوت محاولة إطفاء النيران بسفنهم وهم يتبادلون أيضًا السهام المحترقة على سفن (طيبة) و(أسيوط)، تقترب سفن المتمردين من سفن الخاسوت، ومع الاقتراب يظهر رجال الكوش ذوي البشرة السمراء، وهم يقفزون من سفن المتمردين، إلى سفن الخاسوت، وعلى أرض المعركة، تنطلق جيوش الإمارات الخمسة إلى سرية جيش الخاسوت، الخاسوت الذين أخذوا تشكيل الدفاع، على عكس جيوش الكمتيين الذين اتخذوا وضع الهجوم، ومع الاصطدام، تكسر دروع جنود الخاسوت، تدخل سيوف الخاسوت بأجساد النساء، اللاتي جئن في أول الصفوف جنبًا إلى جنب أزواجهن من الرجال، ما جعل الدماء تجري في عروق الأزواج تتبعها صيحات غاضبة، لتأتي سيوف الكوبيش، بأجساد الخاسوتيين، من خلف الدروع، أمام العربات الحربية، فعربات المتمردين، على رأسهم الأمراء، يخترقون خطوط الخاسوت، ما يجعل (بعل) و(بيبي) أمير (إهناسيا) يتقهقرون خلف خطوط جيشهم، يضرب (أحمس) بالثلاثة أسهم مرة واحدة من قوسه في ثلاث اتجاهات مختلفة، ويخرج (مرسو) سيفيه الكوبيشيين إلى الهواء، لتقطع الرؤوس التي تقابلها من جنود الخاسوت، ويصطاد أمير (عين شمس) بحربته مَن يقابله من قائدوا عربات الخاسوت

الحربية، على عكس أمير (اتيت آوى) الذي يصل بعربته إلى آخر الخطوط جنبًا إلى جنب مع عربة (نفرتاري)، تلك الشجاعة التي كسرت عجلات عربتها فتقفز أرضًا من فوق عربتها شاهرة سيفها إلى الأسفل، ما يجعل سيفها يخترق رأس ذلك الجندي الذي يقابلها، يأتي الآخر من خلفها موجهًا حربته إلى ظهرها، ولكن تتحرك يمينًا، لتدخل حربته في جسد زميله الآخر، لتقطع بسيفها رأسه، أما في النيل فتشتعل السفن، ويضرب جنود الكوش بحربهم، كل مَن يقابلهم من الفينيقيين، رماة السهام، بحارة، جنود، وبصيحات مختلفة، تختلف عن صيحة (أحمس) مَن أطلقها عاليًا، ما جعل جميع الحاضرين إلى أرض المعركة، يرتجفون من صيحته، هؤلاء الخاسوتيين، من نزل من فوق عربته ليضرب بسيفه مرة جندي أمامه في الصدر، ثم يناوله إلى يمينه لـ(ابن ابانا)، ليدافع بجسد المقتول عن نفسه من سهم قادم إليه من رامي أمامه مباشرة، ومن خلف جسد المقتول، يأتي بسيفه رقبة الرامي، يأتي جندي من خلف أحمس برمحه، ليكسره (ابن بنخت) مدافعًا عن أميره، ويلتف أميره بالسيف، ليمزق صدره، وبكلتا يديه يمسك بجسد المقتول، منخفضًا أرضًا أسفله، متفاديًا أربعة من سيوف الخاسوت لينزلوا بجسد زميلهم الميت، ويبدأ (ابن ابانا) و(ابن بنخت) بضرب الرؤوس بسيفهما، وعلى جانب آخر تدافع (نفرتاري) بسيفها عن أمير (عين شمس)، من اقترب من موضع (بعل) وقائد الجيش الفينيقي ليسقط جندي آخر أمام قدميه من الخاسوت، أما الكاهن الشاب (مس) بفرقته من المازوي، يصلون إلى موضع (بعل) وأمير (إهناسيا)، (بيبي) الجبان، وقائد الجيش الفينيقي، يلتفون

حولهم، ما من مفر، يبحث (بعل)عن حراسه، غير حاضرين حوله، يقف حائراَ وهو شاهر سيفه مثل (بيبي) ومثل قائد جيشه، يتحدث (مس) الشاب إلى الواقفين الثلاثة بكل ثقة:

- "المعركة انتهت يا أمير الخاسوت".

يصل الأمراء المصريين إلى موضع (بعل) وأعوانه، (أحمس) و(مرسو) و(نفرتاري) وأمير (عين شمس) وأمير (آتيت آوى)، وتتحدث (نفرتاري) بما أرادت نفسها:

- "القتل مصيركم أيها العامو"

ولكن كلمات (بيبي) الخائف تأتي في لهجة الرجاء:

- "أرجوكم.. أرجوكم جميعًا لا تقتلوني.. خذوا (إهناسيا).. خذوا كل ذهبي لكن لا تقتلوني".

ينتهي من كلماته ويحاول الاقتراب راكعًا من الأمراء المصريين ولكن يمنعه جنود المازوي، يشير (أحمس) إلى جنود المازوي، فتفتح دائرتهم حول الخاسرين، ويدخل (أحمس) حاملًا سيفه الكوبيشي، الذي تلوّن بدماء الخاسوت، وتبدأ الأمطار في السقوط، لتنزل المياه على السيوف، فتأخذ معها من الدماء إلى أرض المعركة، لتتلون الأرض بلونها الأحمر، على عكس سيوف (بعل) و(بيبي) والقائد الفينيقي، التي نزلت أرضًا، لاستسلامهم، يقترب (أحمس) من موضع الثلاثة، ويبدأ في الحديث لهم:

- "بعد موافقة أمير (عين شمس) وأمير (أتيت آوى) قتل (بعل) وقائد جيشه لا يهمني الآن.. بل أريد أن أرسلهم إلى (أبوفيس) برسالتنا".

ينتهي من كلماته ناظرًا إلى ابن الأحرار بـ(عين شمس) وأمير (أتيت آوى) و(مرسو) و(نفرتاري) هذان الأخيرين العالمان مسبقًا كما رتب في خطتهم بما يريد فعله (أحمس)، فيومئ أمير (عين شمس) وأمير (أتيت آوى) على التوالي برأسهما موافقة على قراره:

- "أنظر يا بعل.. إذهب لأبيك وقل له أمراء مصر في طريقهم لكي ينهوا عليك في (أواريس) وبلغه أني سأقتلع قلبه من صدره.. ولن أبقي من جسده شيء يذهب إلى أرض الموتى".

ينفعل (بعل) ويحاول مهاجمة (أحمس) وهو يخرج خنجره من غمده، ولكن رجال المازوي كانوا أسرع في شهر سيوفهم على رقبته ورقبة قائد جيشه الفينيقي ما يجعل (مرسو) ينفعل:

- "اقتله يا (أحمس).. ماذا تنتظر؟"

يبتسم (أحمس) وهو يقترب من أذن (بعل) ويهمس بأذنه:

- "ما سأخبرك إياه أصعب عليك من الموت"

فيبتسم (بعل) إبتسامة عصبية محاولًا إخفاء غضبه وإظهار الثقة أمام الحاضرين:

- "قاتلني رجلًا لرجل يا ابن الأشراف"

يقبض (مس) بكلتا يديه على ذراعيه قبل أن يتحرك (بعل) من موضعه وكذلك جندي آخر من جنود المازوي يقبض على ذراعي قائد جيش الخاسوت الفينيقي ويبدأ (أحمس) الهمس في أذن (بعل) بكلمات لا يسمعها سوى أمير الخاسوت:

- "أمك تعرف (بس).. أمك تضاجع (بس) يا ابن (أبوفيس)"

فيصيح (بعل) بصوت عالي:

- "يا ابن الزانية"

فتغضب (نفرتاري) وتقترب بسيفها من موضع (بعل) ولكن يمسك (أحمس) بيدها، ليتوقف سيفها عن الوصول إلى جسد (بعل)، ليصبح نصل سيفها أمام موضع رجولته تمامًا ويبتسم (أحمس) وبكلمات واثقة أمام الجميع:

- "أنا متأكد.. إن لم تكن متأكدًا.. تأكد بنفسك"

يزمجر (بعل) ويحاول أن يحرر ذراعيه من (مس) ولكن بلا فائدة، ويبتعد بأخته (نفرتاري) بعيدًا عن دائرة الجنود، فالمازوي يتحركون بعيدًا عن موضع الأمراء بـ(بعل) وقائد جيشه الفينيقي تاركين (بيبي) ساقط على الأرض، راكعًا أمام الأمراء، وتأتي كلمات (بعل) على مسامع الأمراء:

- "أنت كاذب يا إبن الزانية.. سأقتلك بيدي، سأقتلك في (أواريس) أيها الزاني ".

ينظر الحاضرين من (مرسو) و(نفرتاري) وأمير (اتيت آوى) وأمير (عين شمس) إلى (أحمس) الذي يضحك على كلمات (بعل) غير فاهمين ما فعله (أحمس) بهمسه في أذن (بعل)، ولكن (أحمس) يفهم جيدًا ما فعله، ما سيجعل (بعل) يشعل النار في (أواريس) عند وصوله، ينظر أحمس إلى جنود مصر المنتصرين، يرفع سيفه إلى الهواء ويرفع الأمراء سيوفهم، ليفهم (نشئ) الواقف بين جثث الخاسوتيين معنى الإشارة، إشارة النصر، في ذلك العهد، عهد الحرب، تحت سفح المطر، لتدوِّن عهدًا جديدًا، عهد الحقيقة.

****

٥- عهد الحقيقة:

في أيام مثل تلك، وما تحمله بين لحظاتها، من لحظات من التوتر، القلق، الخوف، يصبح الإنسان أقرب إلى رؤية واضحة للأمور من حوله، كذلك الثور، عندما تزول من أمام أعينه غمامته، ليرى مساره الحقيقي، ويكتشف فجأة أنه يدور في حلقة دائرية حول الساقية، عندما يحزن على عمره الذي مضى في دائرة مغلقة، لخدمة تلك الإله، وهو ما كان يظن أنه يسير في طريق طويل، هكذا هي كانت، أولًا في ظل سنوات عمرها السابقة، ولكن حتى تلك اللحظة، أصبحت ترى الأمر بزاوية مختلفة، بزاوية واسعة (أوصلت إلى مبتغاها؟) تسأل نفسها ذلك السؤال، تبحث في طيّات ذاكرتها عن إجابة، فلا تجد شيئًا، يشفي غليلها، ألمها، ألم الندم، الندم على ما مر من عمرها، تشعر وكأنها كانت وما زالت دُمية، يتحكم بها الآخرون، لمصالحهم الشخصية، وما أشبه اليوم بالبارحة، في الأمس البعيد، عاد ثانية، كما قررت دائرة الزمن، تنظر إلى بطنها، تنظر إلى ما تحمله بداخلها، من ذلك الجنين، جنين الذنب، جنين الحب ما نتج عن حبها لذلك الشاب الذي رأت فيه أنه سيعوِضها عما فات من عمر عاشته مجرد أسيرة لرغبات أخيها (أبوفيس) مجرد زوجة بالإكراه، أم لولي عهده، (بعل) الذي ترى الآن أنه هو الحب الحقيقي في حياتها، بعد وفاة والدها، هو فعلًا من يستحق قلبها، تصل إلى أبواب غرفته، ذلك الزوج، مَن ظل طوال عمره، يبحث عن هدف واحد، يخدمه بكل ما أوتي من

قوة وسلطة، هدف البقاء، في ذلك الصراع الداخلي، صراع العرش، عرش تميرا وفينيقيا، صراع الخاسوت، يفتح الحاجب الأبواب، ليظهر أمامها (أبوفيس)، يجلس على مقعده، بجانب فراشه، تشعر من نظراته لها، أنه افتضح أمرها، تحاول أن تخفي قلقها، باصطناع ابتسامة، ابتسامة ما هي إلا مجرد ستار، ستار على مشاعرها تجاهه، كرهها له، ما حمله قلبها تجاهه طوال أعوام زواجهم العشرون الماضية، يتساءل (أبوفيس) بكل هدوء لـ(نفتيس) زوجته:

- "ماذا هناك يا (نفتيس).. لِمَ أنتِ آتية في آخر الليل.. ماذا هناك؟"

تحاول أن تحافظ على ابتسامتها له وهي تقترب من موضع جلوس على مقعده، فتنزل على ركبتيها واضعة كفها على كفه، ذلك الكف الممسك بالصولجان، الذي لم يعد يفارقه في الآونة الاخيرة، وتأتي نبرتها الناعمة بكلمات لم يسمعها (أبوفيس) منها من قبل:

- "منذ لحظة زواج ابنك.. وأنا أشعر بأشياء مختلفة في الآونة الأخيرة.. لا أفهمها.. ما بين مشاعر وحنين إلى الماضي.. ما قبل زواجنا.. عندما كنا إخوة.. عندما كنت تخاف عليّ من أي شخص، أي شيء يمسّني.. عندما كنت تقول لي جمالك يا (نفتيس) لا يضاهيه أحد .. لما أظهرت لي حقيقة بعض مَن كان يقترب مني أيام الشباب لمجرد الزواج مني".

يبتسم (أبوفيس) لها متسائلًا:

- "وما الذي ذكَّرك بتلك الأشياء الآن؟"

تقترب يدها الثانية من صدره، موضع قلبه، وتتحدث بدموع ساقطة من مقلتيها:

- "عندما كنا مجرد إخوة كنت شهم وكنت شجاع.. كانت كل بنات (أواريس) يتحدثن عن ابن الملك الجريء.. التي تتمناه أي واحدة يكون شريك حياتها.. كُنَّ يحسدنني أنني أختك، حتى جواري القصر.. لو كانت الظروف مختلفة وقت زواجنا.. كان من الممكن أن أحبك بصدق.. بدلًا من ضياع عمري في كرهي لتصرفاتك".

- "هذه مراهقة متأخرة.. كبرتي وتملَّكك الهذيان يا (نفتيس)"

- "الوحدة.. طيلة عمري وأنا حبيسة دائرة الوحدة والحزن.. وشعرت بعد ما (بعل) أمسى زوج وهناك أمل أن أرى أحفاده من (تازي).. أنك على حق.. يمكن ما تفعله من أجل مستقبل ابننا جعلني أفكر كثيراَ قبل هذه اللحظة".

تجلس (نفتيس) على ساقيه، لتصبح عيناه مقابلة لعيناها تمامًا، لتصبح أنفاسه المتصاعدة يصل صوتها لأذني (نفتيس)، كما هي أصوات أنفاسها ترن داخل آذان (أبوفيس)، وبكلمات لا تحمل بين موجاتها الصوتية سوى شعور واحد؛ الشعور بالشهوة.

- "أي لحظة يا (نفتيس)؟"

وبكلمات هادئة، لا تأتي سوى من الخوف تجيب:

- "السماح.. إني أسامحك على ما فات يا (أبوفيس)"

تقترب الشفاه من بعضها، لتتلامس، لتطلق معها مشاعر جديدة في روح (أبوفيس)، لم يشعر بها من قبل، شيء مغاير لتلك الشهوة التي يشعر بها مع العذارى الذي استمر لأعوام في إفقادهم شرف العذرية، مشاعر مختلفة، مضطربة، تجعل السكون يأتي إلى قلبه، والهدوء يتسلل إلى عقله، ما كان دائمًا يريده منها، ما كان وما زال يخفيه بين طبقات قلبه، ما قرر لأعوام أن يدفنه داخل الضلوع، ووعد نفسه بالعديد من الوعود، ليبقى أمره ساكن فقط في داخله، يشعر بذلك الرضا، مع تلك القبلة الطويلة، لتصل يديه إلى شعرها، مع انتهاء القبلة، وبكلمات هادئة، لم تعتد سماعها منه:

- "طيلة عمري وأنا أحبك يا (نفتيس).. أنتِ من لم تسامحني يوم وفاة والدنا الملك".

تحاول تقبيله مرة أخرى ولكن كلماته الأخيرة توقفها لتسأله بمشاعر مختلفة، وهي مغادرة لساقيه:

- "أكنت تعلم؟"

ينظر (أبوفيس) إلى عينيها، يبحث داخلها، عن تلك المسامحة التي تحدثت عنها له، فلا يجدها..

- "صدقيني لم يكن هذا قراري.. كان قرارهم".

تفهم (نفتيس) من يقصد بقرارهم، قرار الجماعة، جماعة الإله

(ست)، فتسأله ودموعها تسقط من عينيها وهي لا ترى أمام أعينها سوى صورة واحدة من ذاكرتها، صورة والدها على فراش الموت، لا تسمع في أذنها سوى كلمات والدها الراحل، ما قاله لها قبل الدخول في غيبوبة الموت الأخيرة: (الجماعة كانوا أقوى مني يا إبنتي.. إحذري منهم.. لأني أحذر من غدرهم).

وتسأله (نفتيس) وهي تبكي بكلمات متقطعة:

- "كلام الخدم كان صحيح وقتها.. كلام الطبيب الذي قتل وقتها كان صحيح.. افهمني يا (أبوفيس).. أنت كنت تعلم بأنهم دسّوا له السم؟"

فتنزل الدموع من عينيه ولأول مرة ترى (نفتيس) ذلك من زوجها، تشعر وكأنه عاد لذلك الزمن، عندما كان أخوها الصغير الذي يلعب معها بحديقة القصر، ينظر (أبوفيس) إلى أرضية الغرفة، ما بين خطوط كثيرة، تلمع أعين رأس (ست) بالصولجان، فينظر (أبوفيس) إليها، وما بين الدموع، وتلك الألوان التي أفسدت تبرجه على وجهه، تلك القرنيتان الحمراوتان، وصبغتهما تشتد حمرة، من الأحمر الفاتح إلى الأحمر الداكن، لون الدم، ويتحدث لها، ولكن بصوت مختلف، صوت أجش، أقرب إلى صوت حمار يتحدث بلغة بني البشر:

- "انسيه.. أخاك وزوجك هو ملك لي فقط يا (نفتيس).. الخيار الآن أمامك.. إذا أردتِ مضاجعتي أنا فليكن.. أو اذهبي إلى عبدي المخلص لمضاجعتك يا بنت الخاسوت، قبل غلق أبواب الفرصة".

يتنهي من كلماته تنظر خلفها لتجد أبواب الغرفة قد غلقت وحدها مع فعل الهواء لذلك، يخرج الهواء من نافذة الغرفة غالقه، لتجده أمامها مباشرة، في أقل من لحظة، ترك مقعده، وأصبحت عيناه مقابلة لعيناها، لتذوب روحها في بحر الخوف، داخل لون عيناه، الأحمر الداكن.

****

(عين شمس)، معقل التاسوع المقدس لآلهة مصر، كما هي أساطير الأولين تتحاكى، عن أولئك الآلهة، من سكنوا (عين شمس) طويلًا، حتى أفسد ما خلق من الفانين جمال الأرض، وقرروا مغادرتها، تاركين سلالتين، سلالة من الفانين مخلوقين كتوائم ملتصقة، وأخرى من الوحوش والشياطين، وعندما زادت أمور الوحوش الشنعاء، من سفك للدماء، قرروا فصل التوائم، لتصبح مخلوقات أخرى، من ذكر وأنثى، ليتناسلوا فيما بينهم، صانعين من يقف أمام شر الوحوش، بني البشر، ليعمروا الأرض بالخير دون شر، أولئك الوحوش والشياطين، مَن حكمت الآلهة عليهم، بذلك الأمر الأزلي، أن يصبحوا نوعًا واحدًا من الجنس، ذكور فقط، لينتهي نسلهم، ويبقى نسل بني البشر، هؤلاء المصريين، الذين يجتمعون اليوم بـ(عين شمس)، في قصر عائلة الأحرار، قصر الحكم لإمارة (عين شمس)، وفي ساحة القصر يجلس الأمراء الوراثيين، حكام المقاطعات، (عين شمس)، (اتيت آوى)، (أسيوط)، (طيبة)، بالإضافة إلى (نفرتاري) و(سخم - رع)، وأمامهم يقف هؤلاء الخمسة، أعضاء مجلس كهنوت معبد (رع) بـ(عين شمس) المركزي للديانة في مصر، دو ن رئيسهم (كبحن) الذي قُتل على

يد أمير (عين شمس)، مكبلين بالأصفاد أمام الأمراء، ليست مجرد أصفادهم الحديدية، ولكن أصفاد الإتهام، ما كبّل روحهم بتهمة الخيانة، والتآمر مع جماعة (ست)، منذ مئات الأعوام كما حكت برديات (سخم - رع) الكهل، يبدأ أمير (عين شمس) في الحديث إلى المتهمين بذلك السؤال الغاضب وهو يشير بأنامله إلى الصندوق الحديدي المفتوح أمامه فارغًا:

- "الصندوق فارغ مثلما قال الكاهن (سخم - رع).. هل منكم مَن يخبرني أيها الأعضاء المبجلين لمجلس كهنوت معبدنا أين الكتاب؟"

ينظر الخمسة إلى بعضهم البعض، لا يعلمون كيف سيخبرون الجالسين بما حدث بالسابق، لا يجدون الكلمات المناسبة للدفاع عن أنفسهم وعن أجدادهم من الكهنة، يقرر الأكبر سنًّا الحديث:

- "مولاي الأمير (اوزير) أمير (عين شمس).. هل سنحاسَب على أخطاء غيرنا في أرض الموتى بالغرب؟"

يبتسم (اوزير) للكاهن الكهل وهو يفهم جيدًا محاولته للهروب من التهمة الموجّهة إليه:

- "(كبحن) رئيسكم قد نال جزاءه لخيانة الأمانة.. الأمانة في الاعتراف بحقيقة ما فعله أجدادكم من كهنة المعبد.. تسليم كتاب الظلام لجماعة (ست).. لقد تحالف أجدادنا الأولين لآلاف السنين على أمر واحد.. هو أحقية (عين شمس) على حفظ ذلك السر.. بعيدًا عن أيدي من يعبث بقوى ذلك الكتاب".

يتحدث كبيرهم إلى (اوزير) أمير (عين شمس) بكل ثقة:

- "القانون لا يحاسب سوى من ارتكب الذنب.. وهذا ليس فعلنا أيها الأمير.. وبالتالي هذه التهم الموجهة إلينا باطلة.. أما بالنسبة لعدم البوح بالأمر لكم.. حتى لا نقلقكم لكي نرى كيف سنتعامل مع ما هو قادم".

فيسأل (اوزير) كبيرهم الكهل في هدوء، يسبق عاصفة غضبه:

- "وما هو القادم؟"

يبتسم كبيرهم، شاعراَ في قرارة نفسه أنه قد وصل بذلك السؤال إلى أ مر الخلاص من التهم الموجّهة إليه:

- "حدث فلكي.. ستقترب مدارات الكواكب في السماء من بعضها البعض.. لتعيد ذلك الحدث الذي تحدثت عنه أساطير الأولين.. ما نطلق عليه في معبدنا.. (يوم الظلام) .. فمع تقارب كوكبي الزهرة والمشترى ستصبح أشعة الشمس ضعيفة الوصول إلى الأرض.. سيغيب الإله (رع) عنا لبعض من الوقت ما لا يقل عن خمسة عشر يومًا.. لتعود أسطورة (ست) و(أوزوريس) إلى الحدوث مجددًا.. والمقدمات لذلك الأمر قد أتت لنا في النبوءة.. تلك التي وصل جزءاَ منها للمدعو (سخم - رع).. لقد تعاملنا جيدًا مع جماعة (ست) على مدار التسعين عامًا الماضية.. فقط لتخفيف وطأة النبوءة على عُبّاد (رع) إلهنا المُعظَّم".

يبدأ الغضب يخرج من داخل (اوزير) إلى ملامح وجهه، وينطلق إلى

الخمسة المتهمين في كلماته التالية:

- "وما هي النبوءة الكاملة أيها الكاهن؟"

يبتسم أكثر وأكثر وهو يتحدث لأميره (اوزير):

- "لا يهم.. ما يهم هو أ ن قوى الظلام ستعود مجددًا إلى الأرض.. بقيادة (ست).. ستقضي على مَن يخالفه.. وسيبقى فقط من يطيع أمره.. ونحن نريد أن لا نكون مع قائمة موتى الإله (ست)"

يقف (اوزير) تاركًا مقعده وسط الأمراء، يقف وجهًا لوجه ذلك الكاهن، ويسأله وهو في قمة غضبه:

- "وما هي قوى الظلام تلك أيها الكاهن؟"

- "إنها جميع الوحوش التي قد أخبرتك عنها أيها الأمير وأنت كنت تزال طفلًا.. كل ما تخيلته وكل ما يمكن أن لا تتخيله.. مَن سيطيع جماعة (ست) سيظل على قيد الحياة.. ومن يخرج عنها سيلاقي مصير الغذاء.. غذاء الوحوش، واليوم لا بد وأن تأخذ قرارك يا (اوزير)..هل تريد أن تبقى أم تريد الموت أنت وأمراءك؟"

ينظر (اوزير) حوله إلى الأمراء الجالسين، وعلى وجههم لا يوجد سوى أمر واحد، الصدمة جراء ما تحدث به عضو كهنوت (عين شمس)، وما تحدث عنه يوم الظلام، عن وحوشه، وعن (ست) وعن ذلك المصير الذي ينتظر المصريين، يعيد نظره مرة أخرى إلى الكاهن، يحاول

السيطرة على مشاعر غضبه ويسأل الجالسين من الأمراء ذلك السؤال القاطع:

- "هل تهابون الموت يا أمراء مصر؟"

يحل الصمت على ساحة القصر حتى يأتي ذلك الصوت من كاهن مجلس الكهنوت وهو ينظر إلى (أحمس):

- "هل تعتقدون أن (أحمس) هو (حورس) فعلًا..؟ هل تعتقدون أن القوس الذهبي سيحميكم من مصيركم؟ إذًا أنتم واهمون.. أخبرهم يا (سخم - رع).. قل لهم .."

يقطع كلمات الكاهن سيف (اوزير) الذي اخترق أحشاءه، ينظر الكاهن إلى (اوزير)، إلى تلك الدموع المحبوسة في مقلتيه، وبكلمات متقطعة بفعل سكرات الموت:

- "لن تنجو من (ست) في يومه"

يشير (اوزير) بيده، فيقوم الحراس بقطع الرؤوس، للأربعة الباقين من مجلس الكهنوت، ودموع (اوزير) تسقط من مقلتيه، لا يعلم لِمَ هي تسقط، هل هو حزين على قراره؟ أم هو يهاب ممّا هو قادم؟ ولكن يقرر أن يتحدث إلى الأمراء (أحمس) و(مرسو) و(نفرتاري) وأمير (أتيت آوى) بنبرة أقرب إلى القوة:

- "لقد علمتم مصيرنا أيها الأمراء.. هل أنتم تريدون التراجع؟"

يقف (أحمس) و(مرسو) و(نفرتاري) وأمير (اتيت اوى) تباعًا

ويتحدث (أحمس) في هدوء إلى الحاضرين وهو في قمة الثقة مما سيطرحه على الحاضرين:

- "أنا أعلم مصيري.. ما كتب من الآلهة (شوي) لقدري.. وقررت إذا كان موتي على يدهم فليكن على يد آخر جندي من الخاسوت.. مَن يريد أن يصنع أسطورته.. ما سيكتبه الأحفاد عنَّا فليأتي معي أنا و(اوزير) إلى القدر المحتوم".

ينتهي (أحمس) من حديثه ويمد ذراعه إلى الأمام، منتظرًا من ينضم له مع (اوزير) الذي فرد ذراعه، واضعًا كفه فوق كف (أحمس)، لتأتي يد (مرسو) و(نفرتاري) وأمير (اتيت اوى) إلى كف أحمس، وهنا يقرر (اوزير) من هو أكبرهم سنًّا، أن يقرر الأمر التالي:

- "أيها الحراس.. فلترسل الرسل إلى كافة أمراء مقاطعات كمت.. بموعد يوم الحرب ولتكتب ريشة الكاتب تلك الكلمات بالبرديات.. من يريد الخلاص من الخاسوت فلينضم إلينا أمام أسوار (أواريس) بجنده.. وَمن يهاب على نفسه فليبقى مختبئًا في قصره".

لينتهي من كلماته تحت أشعة الشمس الذهبية، تحت سهام معبوده (رع) .

****

الليل هو دائمًا وأبدًا ملاذ للخائنين، لفعل ما يحلو لهم، تحت سواد لونه، وظلمة سماءه، هكذا كان يفكر (بعل)، وهو يسير بين حراسه،

بعد أن نزل من عربته الملكية، فهو جاء إلى ذلك المكان، ليس من قبيل الصدفة، فلقد أكَّد له حارسه الأمر، فقرر المجيء إليهما، وهما يجتمعان بالداخل، في منزل الخطيئة، ليتأكد بنفسه، مما أخبره عدوه اللدود، (أحمس) ابن طيبة، يحاول الحراس منعه من الدخول، ولكن سيفه كان أسرع، مخترقًا جسد أحد الحراس الواقفين على باب منزل (بس)، ويضرب باب المنزل بقدمه، ليفتح أمامه على مصراعيه، تخطو خطواته متسارعه، لتصل إلى غرفة النوم، ليجد حقيقة حديث عدوه له أمام عينيه، في الفراش، تجلس أمه (نفتيس) بين أحضان (بس)، وهي تبكي، مما حدث لها من زوجها، حيث حاول مواساتها، ذلك الحبيب (بس)، من جراء فعل (أبوفيس) لها من اغتصاب، أشبه باغتصاب حيوان وليس بشر، تضربه على صدره وهي تقول:

- "ماذا فعلتم بأخي؟.. ماذا فعلتم بزوجي؟ أخبرني يا (بس)".

ينظر (بس) ليس إلى (نفتيس) ولا حتى للكدمات التي بوجهها بل ينظر إلى ذلك الواقف في فراغ الباب، باب الغرفة، غرفة منزله (بعل)، من تملكته الدهشة، الصدمة فيما رآه، لا يفهم هل هي فعلًا خائنة لأبيه فقط؟ و لا يفهم كيف علم (أحمس) بأمر الحبيبين، يحاول (بس) أن يسيطر على الموقف مما رآه على سيف (بعل) بيده، من دماء ودخول الحراس خلفه:

- "كلامه كان صحيح؟ (أحمس) كلامه صحيح؟ أجيبي يا أمي؟"

يشير (بس) لـ(بعل) محاولًا تهدئته:

- "(بعل) إهدأ وأنزل سيفك وأنا سأخبرك كل شيء"

تنظر (نفتيس) إلى ابنها، لتبتعد فجأة عن أحضان (بس) وبلهجة نادمة:

- "لا يا (بعل) لا تسيء فهمي.. إجلس وأنا سأشرح لك الحقيقة".

يسقط السيف من يد (بعل) وينزل على ركبتيه، ينظر (بس) إلى الحراس، نظرته يفهمونها جيدًا، يلتقط الحراس السيف ويخرجون من المكان، تاركين ثلاثتهم بغرفة نوم (بس) بمنزله، وهنا تتردد كلمات (بعل) ودموعه لا يستطيع السيطرة عليها، فتنزل من تلقاء نفسها على أرضية الغرفة:

- "لماذا يا أمي؟.. من أجل ماذا؟.. بم ضحك عليكي هذا الكلب؟"

يقف (بس) وأمامه الاثنين (بعل) و(نفتيس) والخوف يسيطر عليه من الاثنين في حديثه:

- "إهدأوا وأنا سأشرح لكم كل شيء"

يقولها وهو يقترب بظهره من نافذة الغرفة، ينظر بعينه للخلف، ليجد حراسه واقفين خلف النافذة، ينظر (بعل) إلى (بس) والغضب يخرج إلى عينيه، ليقف مرة أخرى، مندفعًا إلى (بس)، بكلتا يديه، قابضًا على عنقه، ما يجعل (بس) يصدر تلك الحشرجة و(بعل) يتحدث بصوت عالياَ:

- "أنا سأقتلك يا إبن الزانية"

تأتي (نفتيس) إلى ابنها، تجذب يدي (بعل) من فوق عنق (بس) باكية:

- "لا تقتله.. أرجوك لا تقتله قبل أن يخبرني كل شيء".

تنزل يداه من فوق عنق (بس)، مما يجعله مصدوم في أمر أمه:

- "ألهذه الدرجة تحبيه؟ .. لهذه الدرجة تخافين عليه؟ .. وأبي ما ذنبه؟ .. ألم تفكري في لحظة اكتشافي الحقيقة؟"

- "لا يا بني.. لا تظلمني.. أنت لا تعرف ماذا فعل أبوك فيّ؟ ولا حتى الجماعة القذرة ماذا فعلت بأبوك".

تقولها وهي تنظر إلى (بس) غاضبة:

- "أعرف أولاً من هذا الحقير ماذا فعل بأباك وبعد ذلك أنا مَن سيقتله بيدي".

يبتسم (بس) في كل ثقة أمام الاثنين على عكس ما توقعاه منه، متحدثًا بكل جرأة للاثنين:

- "تقتلا من؟! .. اجلسا أنتم الاثنين برضاكم أم أجعلكم تجلسان بأمري؟".

ينظر (بعل) و(نفتيس) ليس لذلك الواثق، بل إلى حراسهم، مَن شهروا السيوف على أعناقهما، وما هي إلا لحظات، حتى كبلوا أيدي الأمير والملكة بالحبال.

- "ماذا تعتقدون؟ .. لن أترك شيء للصدفة.. حراسكم ما هم إلا بعض من رجالي".

تبصق (نفتيس) على وجه (بس) الذي إقترب منها وهو يتحدث بكلماته التالية، يشير (بس) للحراس فيجبروا الأمير والملكة للجلوس أرضًا، يترك الحراس المكان فيما عدا اثنين من رجال (بس)، واحد خلف (بعل) والآخر خلف موضع جلسة (نفتيس) بأرضية المكان، يمسح (بس) رذاذ بصقة الملكة من على وجهه وهو ناظر إلى النافذة متحدثًا بكل هدوء:

- "لا يمكن أبدًا بعد كل ما توصلنا إليه أن تضيعوه ببعض من مشاعر الغضب تجاهي يا عُبّاد (ست)"

تتحدث (نفتيس) لـ(بس) وهي في قمة غضبها:

- "أريد معرفة الحقيقة يا (بس)"

ينظر لها (بس) متسائلاً في كل هدوء وثقة:

- "من أين تريدين البدء يا ملكة الخاسوت؟"

- "أ نتم من وضعتم السمّ لأبي الملك؟"

ينظر (بعل) إلى أمه، لا يعلم عمّن تتحدث تحديدًا، ولكن (بس) الذي يجلس على فراشه يستوعب معنى سؤال (نفتيس)، ويستوعب أن الوقت قد حان للتحدث بحرية بكل ما تخفيه نفسه لأعوام وأعوام:

- "يا (نفتيس).. الأمر مُعقَّد بعض الشيء"

- "والدك رفض قبل وفاته التعاون مع الجماعة.. اتهم (العجوز) بأن سر (أواريس) هذا ضرب من الجنون.. والنبوءة تحقيقها شيء مستحيل وهذا مجرد تضليل لنا من كهنة (رع)".

تأتي إلى ذاكرة (نفتيس)، لحظة من الماضي، ما يؤكد صحة حديث (بس)، في ليلة شجار أباها الراحل مع رئيس الجماعة السابق (العجوز) وتقطع ذاكرتها حديث (بس) التالي:

- "لكن النبوءة كان قد بدأ في الظهور منها جزء مع زواج (تيتي شري) من (تاعا الأول).. وهذا لم يكن أمر هيَن أن عرافة (آمون).. تتنبأ بموت سلالتهم على أيدينا.. مثلما أبلغنا رجلنا الراحل (يعقوب بن هر) التاجر العظيم من أخبر العجوز بذلك وأكد نفس الكلام لوالدك.. والذي اعتبره أيضا ضرب من الجنون".

تأتي إلى ذاكرة (نفتيس) ليلة أخرى كانت مع أبيها جالسة، عندما كانت فتاة مراهقة، يتحدث معها عن أمر تاجر حكيم في مدينة طيبة، من نصحه بالتريث في أمر طاعته المطلقة للجماعة، كمثال لها في الحياة، بأن تحكم على الأمور بعقلها قبل معتقداتها بالحياة ولكن كلمات (بس) التالية كانت قاطعة لها:

- "فقررت جماعتنا الانتهاء من الذين خرجوا عن معتقداتنا.. والدك و(هر بن يعقوب) الذي بكلامه أخرجه عنا.. ليكونوا عبرة لمن يخرج عنا.. لم يكن أمام (أبوفيس) إلا حل واحد لكي يحافظ على حياته وحياتك".

تتذكر نفتيس كلمات (أبوفيس) لها السابقة:

(صدقيني لم يكن هذا قراري.. كان قرارهم).

ولكن صدى كلمات (بس) التالية في أذنيها كان له تأثيرًا أقوى في نفسها:

- "كانت الصفقة إعلان (أبوفيس) ملكًا مقابل الإبقاء على حياتك يا (نفتيس).. طلباتنا منه كانت أهم من زواجكم وقبله بسنين.. كان شرط عليه كل ليلة من ليالي اختلاف القمر في السماء أن يفض بكارة العذارى لنا.. كما كانت تراتيل كتابنا تقول.. ومع تعاويذ الكتاب.. يضحى بعذرية فتيات جديدات.. تقدم لوحوشنا من السباع والقردة والغوريلات ذات رؤوس البشر.. حتى يزداد نسلهم.. إرضاءاَ لإلهنا (ست).. كما فعل بأختى عندما كنت صغيراَ يا (نفتيس)".

يقولها (بس) وتأتي إلى عينيه، تلك اللحظة من ذاكرته، ما جعلته عاجزًا عن استكمال حديثه، وهم يأخذون أخته ذات الاثني عشر ربيعًا، من بين أحضان أسرتها، هؤلاء حراس معبد (رع) بعين شمس، يتذكر بكاءه طفلاً على بكاء أبيه وأمه الراحلين، فكان الفتيات تأتين كل ليلة من مدينة مختلفة عن الأخرى من بلاد الكمت، كما حكمت التراتيل، بكتاب الظلام تقطع (نفتيس) لحظته، بسؤالها التالي:

- "لِمَ توقفت؟ أخبرتك.. أريد أن أعرف الحقيقة".

يتنهد (بس) ويستطرد في حديثه التالي:

- "عندما تبناني العجوز قال لي أنها لم تكن مجرد صدفة.. لا بد بأن يقوم بتنفيذ التراتيل الخاصة بالنبوءة واحد من أبناء مدينة (رع).. من يخرج عن تمجيده.. وهنا بدأ دوري الذي خططه معي (العجوز) قبل وفاته".

يتذكر (بس) تلك الليلة، ليلة حلم (أبوفيس) العظيم، يتذكر لحظتها، لحظة طعن (أبوفيس) للمُفسِر الحلم من معبد (رع) السابق، ويتذكر كلماته وهو يموت: (سيكون النيل لونه هو لون دمائكم لتتحقق نبوءة المطر الأحمر).

- "يوم حلم (أبوفيس).. كانت أول إشارة له بالنبوءة كما أخبرني العجوز".

يتذكر كلمات العجوز له ما زالت تتردد في أذنه حتى هذه اللحظة: (عندما تأتي الإشارة لـ(أبوفيس) لا بد وأن تتأكد بنفسك من أمر من يحمل قوس (حورس) الذهبي). يستطرد (بس) في حديثه:

- "كان لا بد أن أتأكد بنفسي من أن (أحمس) هو المقصود في جزء من النبوءة.. دبّرت محاولة اغتياله الأولى.. ولما ظهر لي (مس) خارج طيبة.. شككت في أمره.. قلت أنه من الممكن أن يكون (مس) هو المقصود بالنبوءة".

يتذكر أثناء حديثه تلك المقابلة التي حدثت بينه وبين (مس) خارج أسوار طيبة، يتذكر ما قاله له آنذاك: (معنى ذلك أن اليوم ليس يوم أميرك (أحمس)).

يستكمل (بس) الحقيقة:

- "وهنا أتى دور (سني).. رجلنا في طيبة .. خطته التي رتبها جيدًا.. بالتعاون مع (منتو بن هر).. الذي وصل إلى أعلى الدرجات بمعبد (آمون) من أجل شأن هام يخدم مصالحنا داخل المعبد".

يتذكر (بس) ما رتب معه من قبل (سني) الراحل، وهما جالسين في منزل (سني) السري، يتذكر حديث (سني) له: (سأخرج من طيبة.. (منتو بن هر) سيخبر رئيسه (مس) في جهاز المازوي بذلك.. ليخرج (أحمس) خلفي.. تاركًا له البرديات التي تحوي جزءا من مذكراتي.. ليصبح دافعه للوصول إلى (أواريس) إلي أقوى).

يتذكر (بس) سؤاله حينها: (أأنت واثق من منتو بن هر؟) ويتذكر ابتسامة (سني) له الواثقة بإجابته الشافية:

(مثلما أقنعته أن رجال (سقنن رع) هم الذين قتلوا أباه.. متأكد أنه سيأتيك بـ(أحمس) لـ(أواريس)).

يستطرد (بس) في حديثه للملكة وابنها:

- "وطبعًا كان يجب أن أضع لك الدافع يا (بعل).. من أجل تنفيذ أمر إعدامه أمام الجميع".

يقاطعه (بعل) نادمًا:

- "مهر عشتار"

يتذكر (بعل) طلب (عشتار) منه السابق ما زال يتردد صوتها الجميل

في أذنه بتلك الكلمات: (أريد رأس أحمس، وقتها قلبي سيكون ملكك)، يتذكر ما فعل معها آنذاك، كما يتذكر ما فعله معها حينما اكتشف أمرها الذي أخبرته به وهو شاهر لسيفه آنذاك: (نعم هو طلب مني هذا، وهددني بأبي وأمي لما رفضت، وأنت تعلم جيدًا أني لا أحبك)..

يقطع بحر ذكريات (بعل) كلمات (بس) التالية:

- "إعدامك لـ(أحمس) فوق أسوار (أواريس) لم يكن فقط لأمر القضاء عليه.. لكي أتأكد أنه هو المقصود بالنبوءة.. (مَن عاد من الموت)".

تأتي إلى عقل (بعل) تلك اللحظة، عندما كانوا أمام أسوار طيبة، لا ينسى تلك اللحظة جيدًا، عندما رفع (أحمس) قوس (حورس) الذهبي عالياَ بالسماء، لتلتمع سهامه الذهبية أسفل أشعة شمس (طيبة):

- "وعندما ظهر (أحمس) أمام (طيبة) يا (بعل).. حاملاً القوس الذهبي.. الذي كنا على علم بوجوده في معبد (رع) السابق.. تأكدت بالفعل أن (أحمس) هو المقصود بالنبوءة.. وعليه كان لا بد أن أسرع في التحضيرات.. تحضيرات ظهور إلهنا (ست) مرة أخرى بـ(كمت).. جعلت (حكا) يقرأ التراتيل ليلاً بمقر جماعتنا".

يتذكر (بس) تلك الليلة جيدًا، عندما جلسا سويّا، هو و(حكا)، يرتلون التراتيل من كتاب الظلام، ما يطلب حضور (ست) إلى الحياة، مختاراً من يمثله من عباده، يسترسل (بس) في حديثه إلى الملكة (نفتيس)،

وهو يتذكر يوم تقديم القرابين في معبد (ست):

- "واختار إلهنا المُعظَّم.. زوجك (أبوفيس)"

يتذكر ما حدث من أحداث في تلك الليلة، عندما تحدث لهم من خلال التمثال يتذكر بعض من كلماته جيدًا: (فلتحكم الأرض بقوتي يا أبوفيس)، يتذكر إلقاء الصولجان من تمثال (ست) إلى موضع (أبوفيس)، يقطع صور ذاكرته في كلماته التالية:

- "نفذنا أول أمر لإلهنا (ست).. حرقنا المعابد.. بدأت بمعبد (رع) خارج (أواريس)".

تأتي إلى ذهنه تلك اللحظة عندما كان واقفًا أمام معبد (رع) القاطن خارج (أواريس) ويتذكر ما شاهده من نيران تلتهمه أمام عينيه، يتذكر إبتسامته حينها فيبتسم للملكة وابنها وهو يخبرهم بمكنونات روحه التالية:

- "كل ليلة كنا نحضر أنا و(حكا) التعاويذ المطلوبة لليوم التالي لإرضاءه.. من اختار (أبوفيس) ليمثله بالحياة.. ليطلب من العذارى ما يشاء.. مثلما طلب منك يا (بعل) إنك تخرج لحرب المتمردين في (إهناسيا).. وهو متأكد إنك ستخسر هذه المعركة".

تبكي (نفتيس) من هول الصدمة، الصدمة في أمر حبيبها، مَن اعتقدت يومًا أنه يهتم لأمرها:

- "لِمَ كل هذا يا (بس)؟"

تقولها بنبرة حزينة، ما بين الدموع على شفتيها، تلك التي نطقت بكلماتها السابقة، ما يجعل (بس) يغضب من سؤالها وهو يلقي على (بعل) و(نفتيس) تلك الكلمات:

- "من أجل النبوءة.. نبوءة المطر الأحمر.. يوم العهد.. عندما يأتي جميع الأمراء الوراثيين أمام أسوار (أواريس) بكل جنودهم مجتمعين.. هنا يطلب (ست) من وحوش الظلام الخروج.. وننهي أمر أي مصري يحكم حتى مدينة في مصر.. ويأتي مجدنا.. مجد جماعتنا بعد يوم الظلام.. لنحكم جميع أنحاء الأرض.. من منابع النيل حتى بلاد ما وراء البحر الأخضر".

وهنا بعد كلمات (بس) الصادمة للاثنين، (نفتيس) و(بعل) يحل الصمت بالمكان، قبل أن يتحدث (بس) للاثنين بنبرة واثقة:

- "لا يوجد أحد منكم خاسر.. بعد يوم العهد.. سيخرج (بعل) بحمله ضد بلاد الكوش، وبعدما يصل لمنابع النيل سنتجه شمالاً إلى ما وراء البحر.. ستكون قائدًا لنا يا (بعل) في أراضي ما وراء البحر لمملكتنا".

وهنا تسأل (نفتيس) سؤالاً كان متوقعًا من قبل (بس):

- "وأبوفيس؟"

ينتقي كلماته محاولًا أن يُخفي ما رتَّب في نفسه لأمر (أبوفيس):

- "سيعود لسابق عهده بعد يوم العهد يا (نفتيس).. مصلحتكم

معي أنتما الاثنين.. إما أن تنفذوا أوامري وإما سنخسر كلنا.. ما قراركم؟"

ينظران إلى بعضهما البعض (نفتيس) و(بعل)، هما يعلمان جيدًا أنهما لا يمتلكان خيارًا آخر، فالسيوف على أعناقهما، ولا مجال للرفض لتنفيذ الأمر:

- "الصمت علامة على الرضا"

يشير (بس) إلى حراسه ليخرج بهما من المكان، ولكن (نفتيس) تريد أن تسأله ذلك السؤال الذي يدور في رأسها:

- "خدعتني بكلامك عن أختك طوال السنين الماضية.. وكنت أعتقد أنك حزين على موتها".

فتأتي لها الإجابة، ولكن ليس من (بس) ولكن من تلك السيدة ذات الملابس السوداء، التي تخفي بوشاحها تفاصيل وجهها المشوّه، وهي تقف أمام الاثنين في ساحة المنزل، لتصبح الملكة والأمير في المنتصف، خلفهما (بس) على أبواب منزله، وأمامهما تلك السيدة المُلثَّمة:

- "ومَن قال لكِ أني مت؟ .. أتت اللحظة التي أشكرك فيها على جمعنا أنا وأخي بقرارك"

يقوم الهواء بأمره، ليزال الوشاح، وتظهر التشوهات بوجهها، يسير الأسيرين مع حراسهم إلى عربتهما الملكية، تاركين خلفهم الأخوين، ذات الوجه المشوّه و(بس)، الذي يحتضنها ترحابًا بها أمام ناظري (نفتيس)، يدخل الأخوين إلى المنزل، كما اعتادا سابقًا، منذ أن أنشأ

(العجوز) ذلك المنزل لـ(بس) وأخته، طلبَا لها، ذات الوجه المشوّه، يجلسان في الداخل، محتسيان الجعة، احتفالاً بما أرادت منه أخته في السابق، ما طلبته منه وهو صغير، وتتذكر كلماتها له: (مثلما جعلني (أبوفيس) أم للوحوش.. أريدك أن تجعل زوجته أم لغير نسله)، يبـ تسم (بس) لذات الوجه المشوّه بعد أن أرتشف من كأس جعته متحدثًا لها:

- "وفيت بوعدي لكِ يا أختي.. (نفتيس) حامل مني"

تنتهي الكلمات، ولا ينتهي تخطيط الأخوين لما هو قادم، لذلك اليوم المنتظر، يوم تنفيذ عهدهم، ما اتفقا عليه سويّا منذ أعوام مضت، ما رتَّب في تلك الليلة، ليلة مرت منذ أعوام، يتذكر (بس) وذات الوجه المشوّه تتحدث له:

- "عهدنا بدأ بـ(العجوز) يا أخي الصغير".

يتذكر نزوله هو و(العجوز) سويّا من مكتب رئاسة الجماعة بالمقر، إلى سرداب مقر الجماعة، يتذكر ما حدث ليلتها، عند مقابلته لأخته هو و(العجوز)، يتذكر ذلك الحديث الذي دار بينهما:

- "هذه الليلة هي آخر ليلة في عمرك أيها (العجوز)".

يتذكر تلك النظرة، التي لم ينساها حتى اليوم، نظرة العجوز له، التي حملت الكثير من الأسئلة، أسئلة أب لابن، يتذكر (بس) تلك الدماء، التي سقطت من فوق خنجره، ذلك الذي غمد، في أحشاء (العجوز)، يتذكر إجابته له، على أسئلة عيناه:

- (هذا مصيرك الذي حددناه أنا وأختي منذ أعوام أيها العجوز).

يتذكر (بس) ما فعله بعدها هو وذات الوجه المشوه، عندما ألقيا العجوز، داخل إحدى الزنزانات، ما بها من سباع أبو الهول، يتذكر إشارة ذات الوجه المشوّه لهم، وهي متحدثة لهم في حينها:

- (هذا الرجل أذى أمكم كثيراَ)

يتذكر (بس) وهو ينظر إلى تشوّهات وجهها، ما فعلته آنذاك، عندما أشارت إلى آثار التشوهات إلى وجهها وهي متحدثة لأبنائها من سباع أبو الهول:

- (هذه أشياء فعلها بي أبيكم وأنا سامحته عليها.. لكن ما فعله (العجوز) في أبي وأمي لن أسامحه عليه).

تقطع (ذات الوجه المشوه) بحر ذكرياته، ذلك الأخ الصغير، الذي تتحدث إليه وهي حاملة كأس جعتها:

- "(العجوز) بعدما أمر رجاله بأخذي من أهلي.. قدَّمني وسط العذارى لـ(أبوفيس).. الذي بدوره أفقدني عذريتي.. وبعدها قدمني لأشرس سبع من سباع أبو الهول.. الذي شوّهني هكذا كي أتوقف عن مقاومته.. ويصل لمراده".

يفهم (بس) ما تريد إيصاله من كلماتها له فيتحدث محاولاً مواساتها:

- "مثلما قتل أ هلنا.. نحن قتلناه.. والفضل لكِ يا أختي العزيزة".

ينتهي من كلماته، ليفتح على (ذات الوجه المشوه)، ذلك الباب، باب

ذكرياتها، ما عانته كثيرًا طوال أعوام، مع وحوش الظلام، فقوتها على البقاء، دون باقي الفتيات، هو ما جعلها في ذلك الوضع الحالي، كبيرة السرداب، أماً للوحوش، لسباع من سباع أبو الهول، تبتسم لـ(بس) وهي تتحدث له:

- "عندما أتاني (العجوز) بك للسرداب.. عندما رأيتك يومها.. هذا ما جعل عندي أمل في الحياة.. لأني عرفت أني لم أكن وحدي.. وأني لا بد أن أصل لمنصب كبيرة السرداب لكي ننفذ عهدنا يا (بس)".

يرتشف (بس) من كأس جعته بعض القطرات وهو يتحدث لذات الوجه المشوه:

- "عهدنا اقتربنا لنهايته يا أختي.. العجوز قتلناه وتوليت زمام أمور الجماعة.. و(أبوفيس) قدمناه لإلهنا (ست).. مستخدمًا جسده مأوى له.. و(نفتيس) حامل في إبن للخطيئة.. مثلما (أبوفيس) و(العجوز) جعلوا منك أم للوحوش... تبقى أن ننفذ يوم العهد وبعدها سنتخلص من (نفتيس) وابنها (بعل) يا أختي".

- "و(أبوفيس) يا (بس).. أتضمن أن النبوءة ستتحقق فيه؟"

يبتسم (بس) إبتسامة واثقة وبنبرة قوية يتحدث لها:

- "بعدما يموت على يد (أحمس).. وحوشك ورجالي سيقضوا على (أحمس) يا بنت أبي وأمي.. لا تقلقي.. ما تعاهدنا عليه سيتم.. نحن الأحق بهذا.. نحن الأحق بحكم الجماعة.. نحن الأحق بحكم الخاسوت.. نحن الأحق بحكم الأرض".

ينتهي من كلماته، ليرى مشاعر الرضا على وجه من ربّته، على وجه أخته، ما تعاهد عليه، عهد (ذات الوجه المشوّه)، ذلك القلق الذي يملأ قلب (نفتيس) وهي بمضجعها بقصر (أواريس)، مما هو قادم، قلقة من أمر زوجها الذي لم يعد زوجها، قلقة من أمر ابنها الذي علم بحقيقتها مع عشيقها. (بعل) الذي ملأ قلبه ذلك الألم، وهو يرتمي بأحضان زوجته (تازي)، التي شعرت بالصدمة، فيما أخبرها بما حدث في منزل (بس)، رئيس الجماعة، وما تهابه من ذلك اليوم، اليوم الذي ينتظره (أبوفيس) في قاعة الحكم بـ(أواريس) وهو ينظر إلى رأس (ست) بصولجانه، ليبتسم بقرنيته الحمراء، لاقتراب ذلك العهد.. عهد الظلام......



الفصل الثامن

عهد الظلام

١- ظلام الحب:

الحب كما يحمل بين أيامه أيامًا من الفرح، يحمل أيضًا إلى الإنسان أيامًا أخرى، أيام من الحزن، ما يجعل القلب يتألم، يتألم لما يقع عليه من قرارات، قرارات القدر، ما يتخذه في أمر الأحباب، ما يجعل العشاق يبتعدون عن بعضهما البعض، هكذا كان يفكر، وهو يخرج من أبواب (أواريس) مُلثَّمًا، حتى لا يتعرف عليه أحد من حراس المدينة، يصل إلى تلك الأرض الزراعية، أمام أسوار المدينة، ليلاقي صديقه (مس)، يسأله عما حدث بالداخل:

- "مولاي الأمير.. أين هي؟"

مشاعر من الحزن تخرج من داخل قلبه إلى وجهه، وهو يجيب على صديقه الوفي:

- "لم ترد المجيء يا (مس).. رفضت تركهم".

يسير الملثم إلى عربته، تنطلق العربة بعيدًا عن (أواريس)، تاركًا قلبه بأواريس، يتذكر ما حدث منذ بعض الوقت، وهو معها في بيت الفينيقي، يتذكر ما دار بينهما من حديث:

- "لا يا (أحمس).. لا يمكن أن أهرب معك".

- "لماذا يا (عشتار)؟ قلت لك إجلبي والديك معك وهما مَن رفضا الخروج من (أواريس)، وهما مَن طلبا أن تخرجي معي من المدينة".

- "حبيبي أنت تعلم تماماً مدى اشتياقي للبقاء معك طوال العمر.. لكن هم أهلي.. وصدقني إذا تركتهم سأظل قلقة عليهم".

- "يا حبيبتي رجالي سيظلون معهم.. سيحرسوهم وقت الخطر".

- "وافرض أنك هُزِمت في الحرب؟"

- "لن أهزَم"

- "يا حبيبي إفترض.. ما مصيرهم لو (بعل) علم أني هربت معك؟"

- "وقتها سأعرف كيفية التصرف أنا ورجالي"

- "وإذا لم تعرف؟ .. ضع تلك الفرضية في عقلك ستجد خوفي عليهم مُبرّر"

- "يا (عشتار) أنا خائف عليكِ.. أريد أن آخذك من هنا.. بعيد عن الخاسوت"

- "بما أن لهم وجود سنبقى بلا أمان منهم"

- "يا (عشتار) أنا أريد أن أتزوجك".

يتذكر (أحمس) الملثم عناقها له، بعد طلب الزواج، يتذكر كلمات وداعها له:

- "حرر أواريس يا (أحمس) وبالتأكيد بعد ذلك سنتمكن من البقاء مع بعض طوال العمر".

أسماء زاد

يصل في طريقه إلى ذلك الجمع، الذي ينتظره من الأمراء الماضين في طريقهم إلى (أواريس)، (اوزير) و(مرسو) و(أمير آتيت آوى) وأخته (نفرتاري)، تلك الأخيرة التي سألته ليس بالكلمات ولكن بأعينها، عن مجيئه إليها وحيدًا، دون حبيبته، فترسل له تلك النظرة التي تبادلاها سابقًا في مواقف مختلفة، نظرة الطمأنينة، وهي تخبره بالكلمات التالية، بما تحمله في قلبها له:

- "لا تقلق عليها.. الآلهة معها".

على عكس ما يفكر (أحمس) بحبيبته، تفكر حبيبته في أمر آخر غير أمره، فهي تجلس أمام ذلك الأمير، من أتى إليها من الأبواب الأمامية للبيت الفينيقي بموكبه، يطلب مقابلتها على عجل، ذلك الذي تزوج حديثًا من بنت فينيقية، تسأله (عشتار) وهي قلقة من أمره:

- "مولاي الأمير (بعل).. لِمَ طلبت مقابلتي؟"

يرتشف (بعل) من كأس خمرته وهو جالس على مقعده بالمائدة الملكية بالبيت الفينيقي، ويجيب على سؤالها بنظرة لا تحمل سوى معنى واحد:

- "أنا خائف عليكِ يا (عشتار)".

تبتسم (عشتار) له محاولة إخفاء قلقها، من عدم فهمها لكلماته السابقة:

- "لم أفهم مقصدك يا مولاي الأمير.. هل طلبت لقائي من أجل ذلك

الأمر؟!".

يقترب (بعل) من أذنها وبنبرة هادئة يطلب منها:

- "تعالي معي القصر.. مع زوجتي (تازي)، ستصبحين في أمان من الأيام القادمة".

تضحك (عشتار) على إثر طلبه، وبلهجة ساخرة:

- "أنت خائف من نتيجة الحرب يا مولاي؟"

يبتسم (بعل) محاولاً إخفاء غضبه منها، وبكلمات لا تحمل سوى الثقة:

- "حربنا مع أمراء مصر نتيجتها محسومة يا (عشتار).. أنا واثق من أمر نصرنا عليهم".

تحاول أن تخفي خوفها على مصير حبيبها في ابتسامة مزيفة وتتساءل:

- "طالما أنت واثق لتلك الدرجة من حسم المعركة.. ممّ تهاب عليّ؟"

يرتشف (بعل) من كأسه، محاولًا نسيان ما مر به بليلة سابقة، في منزل رئيس الجماعة، ويتبقى من أفكاره ما يريد إخبارها به، ولكن يسألها ذلك السؤال أولًا بصوت خافت:

- "أنا على علم أنكِ ما زلتِ عذراء.. أليس كذلك؟"

تغضب من سؤاله وتهاب منه في نفس الوقت، تخاف أن يكون كشف أمرها مع حبيبها (أحمس)، ولكن غضبها تعبر عنه في وجهها من ملامح:

- "أظن أن ذلك الأمر لا يخصك يا مولاي الأمير"

يتابع ويكرر أمره في نبرته الخافتة:

- "أنا صحيح تزوجت أميرة.. لكن ذلك لا يمنع أن أتزوج ثان وثالث وعاشر.. أنا أمير البلاد.. ولي العهد.. أقدر أن أنتقي أي من النساء.. ليكُنَّ زوجات لي.. وأنتِ تعلمين ذلك جيدًا".

ينتهي من كلماته ليلقي بها أمرًا جديدًا، الخوف من إجباره لها على الزواج منه، ولكن يقطع بكلماته، ذلك التفكير:

- "أنصتي يا بنت الفينيقي.. الأيام القادمة ستصبح صعبة على (أواريس) وعلى البلد كلها.. الوحوش ستخرج من ظلامها.. ستأكل الرجال وتغتصب النساء.. وواحدة حلوة مثلك بعد معركة مثل التي ستحدث.. ستكون مكافأة عظيمة للوحوش.. بعد ما ينهوا على المتمردين.. وأنا أقلق عليكِ من ذلك المصير".

يبدأ الخوف يزيد من ضربات قلبها، لتبدأ قطرات العرق تتصبب على جبينها، ليبتسم (بعل) على إثر ما رآه منها:

- "أنا سأعرض عليكِ الأمر مرة واحدة.. تأتي القصر عندي.. كجارية من جواري أميرتي (تازي).. وبعد الحرب سنري ما سنفعل".

تتحدث عشتار وهي في قمة غضبها:

- "أنت تعلم جيدًا.. أني لن أترك أهلي.. أنا أعيش من أجلهم".

يضحك (بعل) ضحكة عصبية محاولًا إخفاء غضبه:

- "هههههه.. عمومًا باب القصر مفتوح لكِ أنت فقط حتى يوم المعركة.. إنما أمرك في أنك تعيشين من أجلهم أنا لم ولن أقتنع به ".

يقولها ليقف مستعدًا للرحيل، تاركًا (عشتار) عائمة في بحر الخوف، وقبل أن يصل لباب البيت الفينيقي، ينظر لها تلك النظرة، مثلما سبق ونظر لأمه صباح ذلك اليوم، نظرة لا تحمل في طياتها سوى إحساس واحد، إحساس الإحتقار، ويقرر قبل خروجه إغراقها في بحر خوفها، بكلماته التالية:

- "حتى أعرف مَن هو .. ستظلي على قيد الحياة.. وحينما أعلم مَن؛ سيكون يوم نهايتكم سوياً".

يخرج من الباب مع حراسه، تفهم من قصد بحديثه هذا، إنه بالتأكيد على علم بأمر (أحمس)، ولكنه لا يعلم ماهية شخصيته، تتحرك من مجلسها، تاركة الساحة لتصل إلى الداخل، وعندها يقود بعل عربته، وهو يتحدث مع حارسه، ذلك الذي أكد له خروج شخص مُلثَّم من بيت الفينيقي من الباب الخلفي فيسأله:

- "أعلمت من هو؟"

يومئ برأسه نافيًا، ليكمل (بعل) في أمره:

- "الليل هو آخر موعد لك.. تكون عندي بالخبر اليقين".

عندما ينتهي (بعل) من كلماته، تكون عشتار مع جنود المازوي، المختبئين في بيت الفينيقي، تتحدث لكبيرهم بنبرة قلقة:

- "أبلغ (أحمس) بما سأقول لك في أمر (بعل).."

****

يجلس الأمراء في تلك الخيمة، بالأراضي الزراعية، تحت لون القمر الأبيض، (مرسو) و(أوزير) و(نفرتاري) والكاهن (سخم رع)، ومعهم (نشيء) قائد الجيوش، أما خارج الخيمة، بين الجنود وفي منتصف المكان، يسير (أحمس) ورسول (أواريس) من جنود المازوي على يمينه و(مس) على يساره، يصلوا جميعًا إلى موضع (منتو بن هر)، الذي يقف أمامهم، لا يرى في أعينهم سوى شعور واحد، الخوف، ما حكاه لهم رسول (أواريس)، يسأل (أحمس) ذلك السؤال لـ(منتو بن هر):

- "أين الأمراء؟"

- "في انتظارك يا مولاي في خيمتهم"

يسير (أحمس) وخلفه (مس) و(منتو بن هر)، يسأل (منتو بن هر)، رئيسه بالمازوي (مس) بصوت خافت:

- "ما الذي أخبركم به الرسول يا سيدي؟"

- "كلام مقلق.. صدقني الأمر غير مطمئن بالمرة"

يصلوا الثلاثة إلى داخل الخيمة، وأمام الأمراء يقف (أحمس)، ناظرًا بتلك النظرة، التي تفهمها جيدًا أخته (نفرتاري) تفهم ما يخفيه (أحمس) من خوف، ليقطع (أحمس) بكلماته صمتهم:

- "أيها الأمراء.. رجالي من المازوي بـ(أواريس) جاءوا لي بكلام غير مطمئن"

ينظر الجميع له منتظرين منه تفسير معنى حديثه..

- "هذا ما جاء على لسان (بعل) إبن (أبوفيس) ومعناه وبكل بساطة أنهم يضمنون نصرهم علينا وبكل سهولة".

- "وما مصدر تلك الثقة الزيادة؟"

يقولها (اوزير) لـ(أحمس) مَن يوضح في كلماته التالية مقصده:

- "الوحوش يا سيدي (أوزير) .. وحوش الظلام التي رأينا بعضًا منها في أدغال النيل.. ومعنى الحديث أنهم يمتلكون الكثير هنا في (أواريس)، أنتظر من جلالة الكاهن (سخم رع) توضيح للأمر".

تتجه الأنظار لذلك الكهل (سخم رع)، من قلق حديث (أحمس)، فهو على عكس الأمراء المصدومين من حديث إبن طيبة، هو متوقع الأمر، فيتحدث بكل هدوء، واثقًا من كلماته التالية:

- "لو حسبنا في المائة وخمسين عامًا الماضية.. منذ تسلم الجماعة لكتاب الظلام منذ عهد (سالتيس) فإن كل غوريلا صنعوها برأس بشرية تتزوج من ثلاث إناث على أقل تقدير.. صدقوني العدد

سيكون ضخم".

يرجع (اوزير) إلى الخلف على مقعده، على عكس (مرسو) الذي يقف قلقًا من كلمات (سخم رع) متحدثًا في قمة غضبه:

- "الكاهن يتحدث عن نوع واحد فقط من الوحوش يا أمراء.. هذا غير سباع أبو الهول وغير القردة الصغيرة وكل ما نسمعه في أساطير الأولين عن شياطين الظلام.. التي تتبع إله الشر.. يا سادة لو لم ينضم لنا بالغد بقية الأمراء من مصر.. ستمسي فعلًا نتيجة المعركة محسومة".

ينظر مرسو إليهم، بعد كلماته منتظرًا منهم قرارًا منطقي، تسأل (نفرتاري) ذلك السؤال لـ(مس):

- "وبالنسبة لـ(اعح حتب) و(تحوتي) لا يوجد أخبار عنهم لديك يا رئيس المازوي؟"

- "حتى الآن لم تصلنا أي معلومات بعد وصولهم لـ(كريت)"

يشبك (اوزير) أنامله مراقبًا ما يدور حوله من حديث، الذي يستكمله (مس) في أمر معلوماته:

- "وبالنسبة لأمير (آتيت آوى) هو قادم في الغد بعدد من أمراء الجنوب الذين أعلنوا الانضمام إلينا.. هذا ما أخبره رسوله لي اليوم"

- "ورسل أمراء الشمال.. أتى لي غالبية رسلهم بإعلان الانضمام لنا في

الحرب"

يقولها (اوزير) للجميع، ولكن يسأل (مرسو) ذلك السؤال:

- "ليست تلك المشكلة.. المهم أن يصلوا هنا قبل يوم الظلام"

- "ولو لم يصلوا؟"

يقولها (أوزير) ليسود الصمت في المكان، القلق هو ما يملأ الوجوه، (نفرتاري) قلقة من شأن (اعح حتب) أمها، و(مس) قلقٌ على والده (تحوتي)، و(مرسو) قلقٌ من الهزيمة النكراء، و(أوزير) قلقٌ من أمر مختلف، ما يراه على الوجوه من قلق وخوف، ما سيجعلهم يختلفون لا يتفقون، ما يعجل بهزيمتهم الحتمية، يسأل (أوزير) ذلك السؤال لـ(أحمس):

- "مصدرك متأكد منه؟"

يومئ (أحمس) برأسه مؤكدًا

- "وأنت ما رأيك؟ .. لم نستمع له يا إبن طيبة"

يصمت الجميع بعد تلك الهمهمات التي صاحبت حديث (اوزير) من الحاضرين، منتظرين كلمات أمير طيبة، مَن يتحدث في ثقة من قراره:

- "يجب ضرب ضربتنا في الغد"

تنحدر من القلوب، تلك الجذور، ما يحدث خطوطًا بالوجوه، تلك ما تظهر بين الحاجبين المنعقدين في وجه قائد الجيوش (نشيء)،

واندهاش الأمراء، ما عدا اثنين، من ظهر على وجهيهما تلك الإبتسامة، (اوزير) و(سخم رع)، ومع تعلق العيون، بوجه المتحدث، يستطرد (أحمس) في قراره:

- "الخاسوت في انتظار لأمرين.. يوم الظلام.. وما بعده من وصول الدعم من فينيقيا.. إذًا يجب أن نهاجم (أواريس) بالغد.. نستنزف قواتهم، نربكهم.. نشعرهم بأن الأمر لا يمكن الانتظار فيه.. ومع وصول أمراء مصر بجيوش المقاطعات.. تكون قوى الخاسوت ضعفت قبل يوم الظلام.. ونبدأ في علم بأين يحتفظون بالوحوش.. محاولين القضاء عليهم قبل يوم الظلام".

ينظرون إلى بعضهم البعض، حائرين فيما عُرِضَ عليهم من (أحمس)، ولكن يقطع حيرتهم كلمات (اوزير) التالية:

- "الحدث الفلكي ما توقيته يا (سخم رع)؟"

يصمت (سخم رع) ويحاول انتقاء كلماته لتخفيف وطأة الصدمة:

- "ليلة الغد يا مولاي (اوزير)"

- "إذًا لا يوجد وقت أيها الأمراء.. يجب أن نكون فجرًا أمام (أواريس)"

يقولها (أحمس) منتظرًا منهم موافقة على قراره، ليخرج (أوزير) مَن هو أكبرهم سنا بأمره لقائد الجيوش (نشئ)

- "أمر الجنود بالاستعداد للرحيل إلى (أواريس)"

ومع كلمات (اوزير) يخرج (نشئ) من المكان، تاركًا الأمراء في جلستهم، خلفه بخطوات مهرولة يلحقه (مس) و(منتو بن هر) ذلك الأخير، الذي يتركهم بين الجنود، باحثًا عن رجإله، يعثر على مراده، ويخبره بالآتي بصوته الخافت، ما يحمل في نفسه من أمر الخيانة:

- "بلغهم برسالتي التالية...."

ومع الانتهاء من محتوى الرسالة يركض الرجل، رسوله مبتعدًا عن جمع الجيوش المصريين بطريقه الجديد إلى أسوار (اورايس).

****

(نفتيس) التي تنظر إلى بطنها، حائرة في أمرها، وأمر من تحمله، ذلك الجنين صاحب الإثم، إثم خطيئتها، مع رئيس الجماعة، تتذكر مدى حقارته، هو وأخته، من صدمت في بقاءها على قيد الحياة، على الرغم من تأكيده لها عكس ذلك، تنظر إلى خاتم زواجها، ما ربط مصيرها مع أخيها، (أبوفيس)، مَن شعرت بعد معرفتها للحقيقة، بشعور مختلف تجاهه، شعور غريب عن كرهها له في الأعوام السابقة، ما دفعها لحب (بس) والتحالف معه ضده، تفكر في أمرها، تتساءل: هل هي كانت مخطئة طوال تلك الأعوام، هل تُحمِل نفسها ذنب ما وصل إليه أخاها، أم هو ما يتحمل ذلك وحده، هل تخبره أنها نادمة على ظلمها له كل تلك الأعوام؟، أم أن أفعاله معها كفيلة بعدم مسامحته، باغتصابها للعديد من المرات، حتى تأتي له بالابن (بعل)، مَن تفكر كيف تتحدث معه بعد تلك النظرة، ما رمقها في صباح اليوم، قبل خروجه من القصر، لا تعلم كيف ستواجهه، كيف ستبرر

له أفعالها، وحبها للمخادع (بس)، يقطع تفكيرها ذلك الصوت، ما جاء لمسامعها في غرفتها:

- "أيمكن أن أجلس للتحدث معك لبرهة.. أم أنكِ رافضة وجودي؟"

تنظر لصاحب الصوت، مَن دُهِشَت من نبرته المغايرة، لما اعتادت عليه من نبرته الآمرة، طوال الأعوام الماضية، تشير له بالجلوس بالقرب منها على فراشها:

- "صدقيني يا (نفتيس) كل ما حدث لم يكن بيدي"

تضع كفها على وجنته، كما اعتاد منها أيام صباه، عندما كانا مجرد أخوين:

- "أبوفيس.. لا تبرر شيء.. أنا مَن في حاجة ماسّة لأوضح لك أمور كتيرة"

تنزل الدموع من مقلتيها وهي ترى وجهه، مختلف عن أيام سابقة، فما أسفل جفنيه ما هو إلا اللون الأسود، وعيناه لا تحمل سوى الإرهاق، ما يعانيه من عدم نومه لعدة أيام، تتحدث له، لتخرج الكلمات من بين الدموع، المختلطة بالشفاة:

- "أنا عالمة بما طلبت منك الجماعة طوال تلك السنين التي مضت.. وعلى علم بما اشترطت عليهم"

ينظر لها (أبوفيس) مندهشًا:

- "وكيف عرفتِ ذلك؟"

- "لا يهم كيف عرفت.. كنت أخبرني من أول يوم.. لم أكن طالبة منك غير إني أفهم.. صدقني معاملتي معك كانت ستختلف"

- "كنت أهاب على أمرك منهم"

- "صدقني لو كنت شاركتني السر كنا نستطيع للوصول لحلول معهم"

- "سامحيني على معاملتي القاسية لكِ طوال السنين التي مضت"

تمسح دموعها بيديها وهي تقول له:

- "أنا مَن أريد أن تسامحني.. أنا ظلمتك أكثر من ظلمك أنت لي"

يندهش من كلماتها ويستنكر ما تقوله في حديثها:

- "كيف تقولي لي ذلك.. كرهك لي ليس من فراغ.. قسوتي معكِ.. إخفائي لأمر موت أبانا عنكِ.. كل هذا أقوى بكثير من أية معاملة قاسية منكِ لي.. من.."

تقاطعه:

- "أنا خنتك"

لتصدمه بتلك الكلمة!

- "مثلما أنت كنت تخونني كل ليلة مع العذارى.. لم أكن أعلم الحقيقة.. كل الذي فكرت به لحظتها كم أنت شخص شهواني.. قلت لنفسي أن أنتقم بطريقتي.. لكن للأسف علمت بالحقيقة

متأخرة".

يسألها:

- "أية حقيقة؟"

- "اتفاقك مع الجماعة.. علمت أنه كان شرطهم"

- "مَن قال لك؟"

- "لا يهم مَن قال.. أنا مَن ظلمتك.. أرجوك سامحني"

تزول الصدمة من على وجهه، لا يظهر على وجهه سوى ملامح مضطربة، ما بين الذم وما بين الغضب، يظهر ذلك في نبرته:

- "بالتأكيد خنتني مع رجال كثر.. مثلي؟"

تنفي برأسها ذلك وتخرج من شفاهها كلمة واحدة:

- "واحد"

- "لا يهمني من هو بالنسبة لي.. المهم أني جنيت نتيجة أفعالي.. هذا هو الدافع الذي خنتني به.. هذا هو ما جعلني بالفعل أظلمك بحبي لكِ.. خلقت منك... مجرد شخص خائن"

- "أرجوك سامحني"

تنزل الدموع من مقلتيه وهو يتحدث بنبرة حزينة وغاضبة في نفس الوقت:

- "أسامحك.. كيف وأنا لا أقدر على مسامحة نفسي؟"

تزيل (نفتيس) دموعه، فهي لا ترى أمامها ذلك الملك الظالم، لا ترى الزوج الغاضب، فهي لا ترى سوى شخص واحد:

- "أنت أخي.. وستظل ابني الصغير الذي ربيته بعد وفاة والدتنا"

- "وأنا كنت أفعل كل ذلك لكي لا تصلي لما وصلت له أمّنا"

تتوقف عينيها في موضعهما..

- "ماذا تعني بخصوص أمنا؟"

يبتعد عنها (أبوفيس) مبتعدًا بناظريه عن موضع وقوفها:

- "أرجوكي إرحلي واتركيني.. إهربي بحياتك"

- "أخبرني ما حدث لأمنا"

يتحرك غاضبَا، يقبض بيديه على ذراعيها وبكل ما أوتي من قوة بصوت عالي:

- "إهربي قبل أن تلحقي بمصيرها"

يلقي بها بكل قوته ناحية باب الغرفة، لتسقط أرضًا أمام الباب، تنظر له وهي باكية:

- "إستحالة أن أتركك يا (أبوفيس) بعدما علمت بالحقيقة"

- "الحقيقة لم تعد تغير شيئًا في مصيري يا ابنة أبي وأمي.. يجب

على أحد بنا أن يعيش حتى يتغلب عليهم"

- " سنتغلب عليهم سوياً "

- "أنا أدركت كيفية قتلهم لأمنا في نفس اليوم الذي تخلصوا به من أبانا.. وأدرك أني سأفشل في أن أحميكي منهم أو من .. آآه .. آآآه .. أخرجي"

يتألم ممسكًا برأسه، تبدأ الصبغة الحمراء في التناثر، بأرجاء قرنيته، تقف مرة أخرى نفتيس على قدميها مراقبة من موضعها، أمام باب الغرفة، آلام أخيها الأصغر، الذي يقاوم ولكن بلا فائدة، تخر قواه، لا تقوى قدماه بعد على حمله، فيسقط على ركبتيه، تفتح (نفتيس) باب الغرفة لتنادي بصوت عالي:

- "يا حراس"

ينظر لها أبوفيس ولكن هذه المرة بشكل آخر، بقرينيتين حمراوتين، بعينين شخص آخر، يمتلك صوتًا مختلفًا، صوت رخيم، أشبه بصوت حيوان يتحدث، غاضباَ:

- "قال لك اهربي.. ألن تنصتي له؟"

يصل الحراس إلى باب الغرفة المفتوح، بفعل تيارات الهواء بالمكان، والصدمة على وجوههم، مما رأوه من أمر ملكهم، الذي يشير بيديه لهم على ملكته:

- "خذوها.. سلموها في السرداب.. قد تتعلم شيء عندما ينام معها

الوحوش"

يقبض الحراس عليها، بأمر ملكهم، تسير في الممر، من غرفتها إلى أبواب القصر، وفي الطريق يلاقون أناسًا آخرين، على غير ما توقعته (نفتيس)، (تازي) زوجة ابنها، وحراسها الفينيقيين، تسألهم (تازي) بنبرة هادئة:

- "إلي أين تأخذون الملكة؟ وإلى أين أنتم ذاهبون بها؟"

ينظر الحراس إلى بعضهم البعض، فهم لا يريدون البوح بسرهم، سر السرداب، تأمر (تازي) حراسها بفك قيود (نفتيس)، لا يعرف حراس الملك كيف يتصرفون ولكن واحد منهم يتحدث:

- "ولكن يا مولاتي الأميرة هذه أوامر الملك"

تستشيط غضباَ وهي تتحدث:

- "وهذه أوامر أميركم (بعل) ومن يعصاها فليلقى مصيره"

تنتهي من كلماتها لتخرج من فستانها الأرجواني ذلك السيف، وعلى إثره يفهم حراسها الفينقيين مبتغاها، لتخرج سيوفهم، أمام سيوف حراس الملك، لتبدأ المعركة داخل القصر، معركة الحراس، وأثناء ذلك تأخذ (تازي) ملكتها، تركضان بخطوات خائفة، من أمر ملكهم، تصلان إلى أبواب القصر، تجدان حراس الأبواب الأمامية أمامهما، لتتوقفا، تخبرها (تازي) بتلك الكلمات:

- "تلك رغبة (بعل).. اهربي لأي مكان، بعيد عن هنا"

تشير إلى حراسها، مَن جاءوا خلفها بعد قتل حراس الملك:

- "مهمتكم تنفيذ أوامر ملكتكم (نفتيس) مهما كانت"

تنظر (نفتيس) إلى (تازي) بنظرة نادمة وهي محاولة سؤالها، ولكن لا تقوى شفتاها على ذلك، لتأتي كلمات (تازي) إليها قاطعة لتفكيرها:

- "(بعل) حكى لي على كل ما حدث.. إهربي لفينيقيا.. إذهبي لأبي ليحميكي منهم.. هو قادر على ذلك"

- "حاولي معه يا (تازي)، أتمني أن يسامحني"

تصمت (تازي) و(نفتيس) تعطيها تلك القبلة على جبينها، يقترب صوت أقدام حراس الأبواب الأمامية للقصر فيهم حراس (تازي) الفينيقيين بالخروج مع (نفتيس) ليس من تلك الأبواب، ولكن من أبواب أخرى للمكان، لا علم للحراس بها، تاركين (تازي) وحدها في مواجهة مَ ن هو قادم إليها مع حراس القصر غاضباَ في حديثه التالي إليها:

- "ما الذي فعلته؟"

تنظر لصاحب الصوت لتجده (بس) رئيس الجماعة، جماعة الإله (ست)، فتأتيه إجابتها غاضبة:

- "ليس شأنك أيها الكاهن بما يفعله الأمراء.. بل شأنك هو إطاعتهم".

يبتسم (بس) من حديث إبنة فينيقيا ساخراَ:

- "أنصتي يا أميرة فينيقيا.. ما تربيتي عليه في (أرودا).. غير ما يحدث هنا في (أواريس).. أنا رئيس جماعة الإله (ست).. ومشيئته هي ما يتم تنفيذه.. حتى على أمراء البلاد".

تبتسم (تازي) له وهي في قمة غضبها، في محاولة منها إخفاء غضبها عن أعين (بس):

- "ماذا أنت بفاعل يا (بس)؟ هل ستقتل الأميرة؟"

يشير بيده وهو مبتسم لحراسه، فيقومون بالاقتراب منها ولكن سيف (تازي) يشق صدر أولهم ويقطع ذراع ثانيهم، ليسقط الذراع أرضًا بسيفه، فيتوقف الحراس شاهرين سيوفهم، منتظرين أمر كبيرهم له، ولكن (بس) يشهر هو سيفه قائلًا:

- "أتدركين أني أستمتع بمبارزة النساء؟"

- "أتظن أنك ستتغلب على واحدة مثلي؟"

- "بالطبع"

وتبدأ (تازي) في ضربه بسيفها، يقترب سيفها من عنقه وهو متفاديًا له، ليخدشه خدشًا بسيطًا، يضحك:

- "لم أكن أتوقع جرأتك "

يصوب سيفه تجاهها، ليتلاقى السيفان، ومع قوته (بس) يبعدها من أمامه بقدمه، التي وجهها في بطنها لتسقط أرضًا، وينزل بالسيف عليها، ولكن سيف (تازي) يقابله، ليطير سيف (بس) من يده، واضعة

سيفها على عنقه:

- "قلت لك لن تقدر عليّ"

- "أتعتقدي أنك لو قتلتني.. الحراس سيتركونك؟ .. سيقتلونك.. عزيزتي نحن جماعة واحدة.. نسير على هدف واحد.. فإذا مات واحد ستجدي المئات غيري ينقذوا يوم عهدهم"

- "كفى"

تأتي هذه الجملة من خلف المتصارعين، ليأتي صاحب الصوت إليهم واضعًا سيفه على رقبة (بس) قابضًا عليه من الخلف:

- "إذا اقترب منها أحد سأقتله"

تقف (تازي) مصوبة سيفها ناحية الحراس ويضحك (بس) له:

- "ماذا يا (بعل)؟ أتخاف على زوجتك لتلك الدرجة؟ .. ماذا لو كنت تحبها ماذا كنت بفاعل؟"

- "سأقتلك يا إبن الزانية لو فكرت من الإقتراب منها أو من أمي، صدقني أنا سأقتلك بيدي"

يتركه ويقف بجانب (تازي) مصوبًا سيفه تجاهه..

- "عمومًا هي كسرت أمر (أبوفيس) في أمر والدتك (نفتيس)"

- "أنا مَن أمرتها بذلك وهي نفذت فقط يا (بس)"

- "إذًا سأترككم الأن لوجود حرب في الصباح الباكر ونحتاج لكم في الحرب مع الجيش، وبعد الحرب سيكون لي تصرف آخر معكم"

يشير (بس) لحراسه ليغمدوا سيوفهم في نقبهم السوداء، ويسترسل في حديثه إلى الأمير والأميرة:

- "قبل مغادرتي تمنيت أن أبلغك أمر سيضجرك قليلًا ولا أعلم حقيقةً هل ستضجر زوجتك أيضًا منه أم لا"

- "اختصر يا (بس).. ماذا تريد؟"

يتحدث (بس) لهما وهو ينظر نظرته الخبيثة، ومن بين شفتيه المبتسمتين، تخرج تلك الكلمات الصادمة لهما كسم من بين أنياب الأفعى:

- "أ نت كنت تريد معرفة هوية مَن عند (عشتار) يا أميري العزيز .. أليس كذلك؟"

تنظر (تازي) إلى زوجها بنظرة تحمل سؤالًا عن ماهية (عشتار)، فيضحك (بس) ساخرًا:

- "صحيح أنت لم تخبرها عنها، معذرة يا (تازي).. (عشتار) تلك مغنية في بيت البغاء الفينيقي.. أباها قواد وأمها تعمل مع فتيات تتعارف على جميع الرجال.. وزوجك العزيز كان يعشقها منذ زمن.. لكن أمرها انتهى الآن بعد الزواج أليس كذلك؟!"

- "أهذا صحيح يا (بعل)؟"

تقولها (تازي) لزوجها، منتظرة منه إجابة بالنفي أو حتى بالإيجاب ولكن تأتي الإجابة من (بس) عليها:

- " رئيس الجماعة لا يمكن أن يتفوّه بشيء خطأ يا مولاتي الأميرة.. عمومًا هو كان متواجد عندها اليوم ووقع بلسانه في القول.. وهذا يخالف اتفاقنا أنا وهو بالأمس"

- "أأنت تراقبني يا إبن الزانية؟"

- "اسمع.. التهمة بالزنا ليست في محلها، وأنت متأكد من ذلك بنفسك مثلما أنا متأكد من أن كلامك مع حبيبتك وصل بالحرف لحبيبها".

يسأل غاضبًا (بعل):

- "من هو؟"

يخرج (بس) مع حراسه حتى يصل إلى أبواب القصر وبصوت عالي يقولها صراحة:

- "(أحمس) يا (بعل).. (عشتار) تحب (أحمس) يا إبن (أبوفيس)"

ينتهي (بس) من حديثه تاركًا (بعل) في قمة غضبه، وكذلك (تازي) التي تركته في منتصف الرواق، ذلك الحبيب المصدوم، ليقرر الحب نيابة عن الجميع قراره، فـ(تازي) التي كانت بدأت في الشعور بتلك المشاعر ناحية زوجها من حب لتتحول إلى مشاعر كره لتلك المغنية (عشتار) التي أخذت قلب زوجها، و(بعل) الذي كان يتمنى (عشتار) له، وجد أنها اتخذت ألدّ أعدائه حبيبًا لها، (أحمس) الذي قرر (بعل)

الإنتقام منه ومنها سوياّ، في ظلام خلق من نور الحب، ظلام الكره، ظلام الغيرة، ظلام الحب، في كلماته التالية بصوت لم يسمعه سواه بمنتصف الرواق:

- "سأقتلك أنتِ وهو مع بعض.. مثلما وعدتك يا حبيبتي".

٢- ظلام الحرب:

الفجر هو موعد اللقاء، هو موعد الظهور، أمام تلك الأسوار، ما تقبع خلف المجرى المائي، ما كان شُيَد منذ آلاف السنين، يرى الجنود أمامهم، أسوار (أواريس) العالية، فالمكان، مدينة (أواريس) الدائرية، حول فرع النيل الذي ينتصفها، وبالتالي بني السور حولها، دائرياّ، وخلفه خندق مائي، ترعة مائية، ما حفرت أثناء بناء السور، وذلك حتى يتحول المجرى المائي به حتى يجف الفرع الرئيسي لحين الإنتهاء من بناء السور، وصنع البوابات المائية، فأصبحت (أواريس)، محاطة بسور وأمامه مجرى مائي، والبوابات تفتح لتنزل على المجرى، ككباري يعبر فوقها الأفراد والعربات، وفي وقت مثل ذلك، وقت الحرب، تغلق جميع البوابات ليصبح السور منيع، أمامه المياه، كمانع طبيعي، يفصل ما بين الداخل والخارج، ما بين (أواريس) وخارجها من أراضي، يصل الجنود المصريين إلى الأراضي الزراعية، التي أمام (أواريس)، جيش إمارات طيبة وأسيوط وعين شمس وآتيت آوى وإهناسيا، تلك الأخيرة التي بلا أمير وراثي، بعد أن قرر مجلس الأمراء حبسه في سجن (عين شمس)، ليصبح (بيبي) أمير (اهناسيا) أسير (عين شمس)، وجيشه منضم للأمراء، ينتظر الجميع، ذلك الموعد، موعد تجمع بقية

الجيوش، جيوش إمارات الجنوب وإمارات الشمال، مَن أبلغوا مجلس الأمراء المصريين، انضمامهم لهم في حربهم، ينظر (أحمس) إلى (اوزير) قلقًا، مثل (مرسو) و(نفرتاري)، أما قائد الجيش (نشئ) فهو ينظر إلى شيء آخر، ينظر إلى ما فوق سطح المياه من سفن الخاسوت، المتراصة حول المدينة، لتصبح السفن محيطة بالسور الرئيسي للمدينة، أمام البوابات المغلقة، مترامي عليها جنود الخاسوت، يقرر (أوزير) مع أمرائه ما هو آتي، أن يتحرك الجنود ليصبحوا في صفوف، صانعين دائرة منهم على الأرض حول المجرى المائي وسور المدينة، فيشير قائد الجيش (نشيء) لـ(ابن ابانا) و(ابن بنخت)، فيتحرك كل منهم مع جزء من القوات، النصف الأيمن بقيادة (ابن ابانا) والنصف الآخر بقيادة (ابن بنخت)، ليتحرك المشاة والعربات الحربية أمامهم حتى يتقابل النصفين في الجهة الأخرى من سور (أواريس)، أما عن السفن، فهي وصلت إلى فرع النيل، أمام البوابة الرئيسية بالسور، بوابة النيل، المغلقة بسفينتين من سفن الخاسوت، يستعد الرماة خلف جنود المشاة والعربات، ينتظر قائد الجيش إشارة البدء من الأمراء، ولكن (أوزير) يشير له بالانتظار قليلًا، ساعات مضت بالأسفل، أما بالأعلى، أعلى أسوار أواريس، يقف (أبوفيس)، وعلى يمينه (بعل) الأمير وعلى يساره (بس) رئيس الجماعة وأمامهم قائد الجيش (الفينيقي)، يراقبون إستعدادات مجلس الأمراء، ويراقبون تحرك القوات، وإلتفافهم حول السور، يضحك (أبوفيس) وهو يقول:

- "هؤلاء هم فقط من قادمين لمحاربتي..؟! بالتأكيد إنها مزحة"

وما هي إلا لحظات وتظهر جيوش أخرى في ساحة المعركة، جيوش قادمة من الجنوب وجيوش أخرى قادمة من الشمال، لتزداد الأعداد، أعداد الجنود، وأعداد العربات، أعداد الرماة، أعداد الأمراء، ففي الأسفل يصل أمير (آتيت آوى) ومعه أمراء الجنوب، ومن الناحية الأخرى يظهر أمراء الشمال، الذين هم أكثر عددًا من أبيس وأتريب ومنف القديمة وإلى آخره من الإمارات المصرية يصل عدد الأمراء في ساحة المعركة حول موضع أوزير إلى ما لا يقل عن أربعين أميرٍ لأربعين إمارة مصرية. أما عن عدد القوات، فلا يقل عن خمسين ألفًا من جنود المشاة، وما لا يقل عن عشرة آلاف عربة حربية، وخلف كل ذلك أصحاب الأقواس، ما يصل عددهم إلى ألفين من رماة السهام، يبتسم (أبوفيس) وهو يرى تلك الأعداد، يراقب ما هو يخترق الصفوف، ذلك الرسول القادم فوق عربته، إلى السور، تصل العربة أمام المجرى المائي، ينزل من فوق السفينة التي تقابله، شخص.. هو جندي من جنود قائد الجيش (الفينيقي)، جيش الخاسوت، يتسلم منه البردية، التي بدورها يسلمها إلى جندي آخر فوق السفينة ليعبر بأقدامه سطح السفينة حتى يصل إلى ذلك الباب الجانبي الصغير فوق عدد من الألواح الخشبية فوق المسافة الفاصلة بين جسم السفينة والباب، يفتح له الحراس الباب الجانبي يتسلمون منه البردية، ويسير الحارس بجانب السور داخل أواريس، يصل إلى الدرج ليصعده، وأثناء صعوده يرى ذلك المشهد بداخل (أواريس) جنود الخاسوت المختبئين بالداخل، ما يصل عددهم إلى ثلاثين ألفًا من الجنود، وسبعة آلاف عربة حربية وأخيراَ يصل الحارس إلى أعلى

السور، يمر بجسده بين أجساد الرماة، ما يصل عددهم إلى ألفين متراصون فوق سور (أواريس)، يصل الحارس إلى موضع قائد الجيش (الفينيقي) و(أبوفيس) و(بعل) و(بس)، يقرأ قائد الجيش البردية، على الحاضرين:

- "نحن أمراء مصر.. قررنا نحن اليوم.. بتسلُّم سلطة البلاد منكم أنتم الخاسوت.. لذا نعلمكم بأمر محاصرة (أواريس) حتى انتصاف (رع) السماء ظهراَ.. وفي خلال ذلك الوقت.. نطلب منكم تسليمنا مقاليد الحكم لأرض مصر من (أبوفيس).. في خلال المهلة المحددة.. ضامنين لكم الخروج سالمين من (أواريس) إلى فينيقيا.. وبعد المهلة.. ستهاجم قواتنا المصرية.. بإرادة آلهة مصر.. مدينة أواريس.. توقيع: أمراء مصر".

ينتهي (نشيء) من قراءته للبردية، ناظراَ لملكه، منتظراَ قراره، ليرى على وجهه ابتسامة، وتنطلق منه كلمات ساخرة:

- "عظيم.. سوف أنتظر في قصري حتى الليل، وأنتم تعلمون ما ستفعلون حتى ذلك الوقت".

ينتهي من كلماته مغادراً المكان، تاركًا (بعل) و(بس) وقائد الجيش (الفينيقي) حائرين من ردة فعل ملكهم، أما في الأسفل، بين أولئك الأمراء الأربعون، يتحدث من هو أكبرهم عمراَ، (أوزير):

- "ردة فعل (أبوفيس) متوقعة.. لن يستسلم بسهولة.. السور منيع.. جنوده خلفه وسفنه أمامه، فليسلم جميع الأمراء قيادة

الجيوش إلى (نشيء) القائد الحربي.. تجهيزاً للهجوم في موعد الظهر.. عندما تتعامد أشعة (رع) المقدسة على الأرض".

ينظر الأمراء بعضهم إلى بعض وهم واقفين بأرض المكان، وما هي إلا لحظات ليشير كل أمير إلى حراسه لتنفيذ ذلك الأمر من (أوزير)، وفي تلك الأثناء، يأتي (إبن أبانا) بذلك الصيد الثمين، إلى الحاضرين من الأمراء، عدد من جنود الخاسوت أسرى، ومعهم سيدة أسيرة، ترتدي ملابس الملكات المزركشة، كما هو حال الفينيقيات، يأتي (إبن أبانا) إلى أميره (أحمس) الواقف بجانب (أوزير)، يسأله:

- "من هؤلاء يا (إبن أبانا)؟"

فيجيبه:

- "وجدنا هذه السيدة ومعها هؤلاء الجنود يتسللون من (أواريس) متخفيين بين أشجار الكافور"

وهنا تأتي (نفرتاري) سائلة تلك السيدة عن ماهيتها:

- "من أنتِ؟"

فتجيب الأسيرة على سؤال الأميرة:

- "أنا الملكة (نفتيس) زوجة الملك (أبوفيس) ملك البلاد"

الإجابة وقعت على مسامع الأمراء بأمر غير متوقع، ما يحمل من صدمة، على جميع الحاضرين..

****

السرداب، ذلك المكان الغامض للحاضرين على أرض المعركة، وما يدور داخله، من أصوات الوحوش، ما يرحب بكلمات ذات الوجه المشوّه، التي تسير في الأروقة والممرات، بين الزنزانات، ما بين الغوريلات ذات الرؤوس البشرية، والقردة البشرية الرأس، وسباع أبو الهول، وخلفها يسير (حكا)، ساحر الجماعة، يستمع مثل الوحوش، إلى كلمات ذات الوجه المشوهَّ..

- "اليوم هو يومكم.. بعد كل ما مرّ عليكم من أعوام، أسفل الأرض، اليوم هو يوم حريتكم، كلها ساعات وتغيب الشمس، ويأتي يومكم.. يوم الظلام، لتنطلقوا إلى الأرض، وتقتلوا المصريين، مَن حماهم (رع) للعديد من الأعوام منكم".

تخرج الزمجرات من الوحوش، تضرب الغوريلات الأبواب الحديدية بقبضاتها، وتقفز القرود، وتزأر السباع، تستطرد ذات الوجه المشوه في حديثها لهم:

- "الليلة سيأمركم إلهنا (ست) بالخروج.. لقتل الرجال وسبي نسائهم لتفعلوا بهم ما تشاؤون".

تتعالى الصيحات من الرؤوس البشرية بإسم واحد، (ست)، وأثناء الصيحات تتوقف ذات الوجه المشوه أمام أخيها (بس)، من نزل إليها بالسرداب، والابتسامة تعلو وجهه:

- "أختي العزيزة.."

تتساءل لمَ جاء إليها في ذلك التوقيت، ولكن بعينيها المندهشة، فتأتي

الكلمات على لسانه:

- "أنا عالم بموعد مجيئي غير الذي اتفقنا عليه.. لكن حبيت أبلغك أمر إختلف عن الإتفاق"

- "قل يا (بس) ما الأمر؟"

- "(نفتيس) هربت وأسرها المصريين"

فتسأله غاضبة:

- "وهل أنت ستتركها معهم؟ .. وتخبرهم سرنا قبل موعده؟"

- "وما رجالي هناك بفاعلين؟ لا تقلقي يا أختي العزيزة.. وحتى لو عرفوا لا حول ولا قوة من تغيير مصيرهم بالنبوءة"

تهدئ هذه الكلمات من أمر غضبها، وتتحدث له بنبرة هادئة بعض الشيء:

- "مَن ساعدها على الهرب؟"

- "(تازي) و(بعل)"

وبنبرة آمرة، غير التي اعتاد عليها من أخته:

- "بعد المعركة (تازي) و(بعل) ملكًا لي أنا يا (بس).. فاهم؟" ينظر لها متفاجئًا من ردة فعلها:

- "لا تستبقي الأحداث ولنركز على ترتيب ما هو قادم"

تنظر له غير متفهمة ما يريد، فهي عالمة بكل ما رُتِّب من قبل سابق لأمر الحرب، قبل حتى أن يعرض (بس) الأمر على قائد الجيش و(أبوفيس) و(بعل) ولكن تأتي كلمات (بس) تجيب على جميع تساؤلاتها:

- "أنتِ تعلمين أن الترتيب هو الدفاع من الجيش ضد المتمردين ساعات النهار.. وعندما يأتي موعدنا في الليل سيخرج (أبوفيس) بعد تراتيل (حكا) الخاصة بإلهنا (ست) والخروج لحكم الأرض في يوم الظلام.. ستعيث الوحوش في الأرض خمسة عشر يومًا تفعل ما تشاء.. تعود في ساعات الظهر فقط إلى موطنها بالسرداب حتى تضعف الشمس مرة أخرى في السماء الزرقاء.. وبعد يوم الظلام ستكون سفن فينيقيا الثلاثمائة هنا أمام (أواريس).. وفي تلك الحالة سيصعب أن نقرب من (تازي) و(بعل) لأن جنود فينيقيا ليسوا تحت ولاءنا.. ولأن ولاءهم سيكون لـ(تازي) و(بعل) بعد الانتهاء من (أبوفيس)"

تستجمع أفكارها أمام تلك المشكلة الجديدة، فعلًا كلامه يحمل الكثير من المنطق، فستكون السلطة بعد يوم الظلام في يد الأميرين.

فتأتي لها تلك الفكرة في رأسها لتحل بها الأمر:

- "إذًا يجب أن نتخلص من (تازي) أثناء ساعات اليوم"

يبتسم (بس) لأخته التي تستطرد في حديثها:

- "أخرج أنت بين جنود الجماعة والجيش واترك لي أمرها أنا

و(حكا).. لكن يجب وجود (بعل) معك فوق سور (أواريس)"

- "هذه أختي العزيزة"

يقولها (بس) وهو مبتسم من أفكار ذات الوجه المشوه، فقد حل مشكلة قد تقف عائقًا قويًا في طريقهما بعد المعركة الكبرى، معركة يوم الظلام..

****

- "هذا ما ينتظركم يا أمراء الكمت"

الصدمة والذهول، ما ارتسم على الوجوه، أولئك الأمراء الجدد، من جاءوا اليوم وهم على عدم دراية بوجود تلك الوحوش، ما أبلغتهم به (نفتيس)، أسيرتهم التي أسرها (إبن أبانا) وهي تحاول الهروب، يتساءل أمير (عين شمس) (اوزير) متحدثًا للحاضرين:

- "يا أمراء بمَ كنتم تتوقعون؟ .. عائلتكم في كل إمارة تحالفت معهم للعديد من الأعوام.. تحالفتم مع الخاسوت.. لأنهم غير قادرين على محاربتكم مجتمعين.. أما اليوم في ليلة اليوم تحديدًا.. ستخرج وحوشهم.. لهدف واحد، القضاء عليكم وعلى أسركم.. لتمسي كل مدينة تحت إمرة واحد من العامو.. ستزال معابد آلهتنا.. ما بقى لآلاف من الأعوام.. ويبقى معابد لإله واحد.. معابد (ست) فقط.. بعد اليوم لن تكون هناك حرية التحالف أو الاختيار.. بعد اليوم لن يكون هناك حرية اختيار

الإله الذي تعبده.. سنصبح مجرد عبيدًا لهم ولإلههم.. هل أنتم بذلك تقبلون؟"

الصمت، ما يدور الآن بعواصفه حولهم، يخرس الألسن، يفتح العيون، ويغلق الأفواه، حتى يأتي (أحمس) بتلك الكلمات، ما يجعل الأمر مختلفًا، مخترقًا الصمت بكلماته العالية:

- "يا أمراء مصر.. معركتنا ليست معركة سلطة أو نفوذ.. معركة اليوم هي معركة البقاء.. فما تختارون؟ .. الموت على أيدي الوحوش أو الموت في سبيل بقاء نسلنا من البشر، نسل المصريين"

يرفع (أحمس) سيفه عاليًا لتتعامد أشعة الشمس عليه، ملتمعًا في أعين الأمراء، منتظرًا منهم إجابة تعلن الانضمام له ولأعوانه من الأمراء في حقيقة الحرب، وما عرض عليهم من هول ما سيواجهون، فتعلو السيوف، واحدًا تلو الآخر، تتعالى الهمهمات، ما بين كلمات متقطعة التي يصل مسامعها للأسيرة (نفتيس)، ما بين (فلنمت مدافعين عنها)، وما بين (الموت محاربًا ولا الموت طعامًا لها) وما بين (لنفز بتلك الحرب) وما بين (كرامة الموت محاربًا هو ما يتمناه المرء للوصول لجنة الخلد بالغرب)، تأتي (نفرتاري) بأمرها في الأسيرة، أن تكرم بالمعاملة وهي تتحدث لـ(إبن أبانا):

- "فلتعامل الأسيرة كضيفة في خيمتي يا (إبن أبانا)"

وعلى إثر الكلمات، يقوم (إبن أبانا) بتسليم الأسيرة للجنديات، من

نساء الأميرة (نفرتاري) وتندهش (نفتيس) لرؤية جنديات من النساء، أمراَ لم تعتد على رؤيته، وهي تخطو بخطوات الذل كأسيرة، بعد أن كانت ملكة فوق هؤلاء القوم منذ بضعة ساعات فقط، تصل إلى الخيمة، تدخل على مقعدها، تفكر في أمر إبنها، هل تقدر (تازي) على مساعدته في مواجهة أمر الجماعة؟ هل تستطيع أن تقنعه بأمرها؟ أن تقنعه بأنها ليست خائنة، وأنها ظُلمت وخُدعت في آن واحد؟ تنظر إلى جنينها، ما حملته في رحمها بفعل خطيئتها مع (بس)، تتذكر يوم إلتقته، شاباً، يسير بجانب العجوز، تتذكر كلماته لها مغازلًا:

- "جمالك لم أشاهده في أحد من النساء"

تتذكر إجابتها له بسؤال:

- "ما مقاييس الجمال لديك؟"

تتذكر إجابته الخبيثة عليها:

- "الجمال في تلك الروح (كا) من تشرق من خلال عينيك".

تتذكر كم كانت مخدوعة في أمره، تلوم نفسها على قرار تسليمها لـ(بس) طفلًا للعجوز، هل هي ربّت وحشًا يقضي عليها وعلى عائلتها، أم ذلك هو قدرها، ما دوّنته الآلهة (شوي) لها في برديات قدرها، يقطع تفكيرها دخول ذلك الشاب إلى الخيمة متسللًا، تنظر له غير متفهمه، لتسأله:

- "ماذا تريد؟"

فيبتسم وهو يخرج خنجره من غمده وبصوت خافت غاضب:

- "أنا مصيرك أيتها الخائنة.. لقد خنتي قومك.. خنتي جماعتنا يا بنت الخاسوت"

تبتسم له ابتسامة حزينة، وتسأله ذلك السؤال الذي يجول في خاطرها:

- "أنا لمصيري متوقعة.. الموت.. ولكن أريد معرفة مَن مُخلِّصي من حياتي؟"

يتحدث واثقًا:

- "أنا (منتو بن هر بن يعقوب).. أنا مُخلِّصك من حياتك أيتها البائسة أيتها الخائنة".

يرفع (منتو بن هر) خنجره في الهواء مصاحب حركته كلماته:

- "بأمر إلهنا (ست) العظيم.. أقتل من خرجت عن عبادته بخيانتها.. (نفتيس)".

تشير له بأناملها تحاول إخباره أمرًا لم يعلمه، فهي علمت أنه هو ابن ذلك التاجر الذي أخبرها عنه حبيبها السابق (بس)..

- "إنتظر.. لا بد وأن أخبرك أمرًا لا تعلمه بشأن أباك".

يقطع الخنجر الحديث وهو ينغرس في أحشائها، لتعلو تلك الدهشة

وجه (منتو بن هر) على كلماتها الأخيرة وهي تصارع الموت:

- "سني هو مَن قتل أباك ليس.."

تخرج الروح من الجسد، مغادرة إلى أرض الموتى بالجانب الغربي، تاركة (منتو بن هر) قابضًا على رأسها بكلتا يديه، يتساءل فيما أخبرته قبل موتها:

- "أنت علمت ممّن أنه (سني)؟ أخبريني.. تفوّهي يا بنت الخاسوت".

يحاول حبس دموعه في مقلتيه، يتحول الغضب إلى وجهه، محدثًا عقدًا لحاجبيه، ويقرر الهروب من الخيمة، متناسيًا خنجره بجسدها، يسير صفوف الجنود، يصل إلى رجاله السبعين، منتظرين منه إشارته، لما تم ترتيبه بينهم سابقًا، وأثناء جمعهم يطلق (نشئ) إشارته، إشارة البدء وتبدأ الأقواس في الارتفاع، وفوق عربته، يرفع (أحمس) قوس (حورس) الذهبي، لينطلق سهمه المطلي بالذهب، عاليًا، لامعًا تحت أشعة الشمس، في طريقه إلى (أواريس) في جسد أحد الرماة أمام (بعل) واقفًا، لتبدأ المعركة، بذلك اليوم، يوم الظلام!

****

٣- يوم الظلام:

تسير بخطاها، بين رجال جماعتها، في أروقة القصر، تصل لغرفتها، يفتح رجال الجماعة الأبواب، تظهر أمامها (تازي) جالسة، تنظر لها مندهشة من وجهها، قد سمعت من زوجها (بعل) وصفًا لتشوّهات وجهها، ولكن تنظر لترى أن ما وصفه (بعل) ما هو إلا مجرد أجزاء، من بشاعة حقيقة تشوهاتها، ذات الوجه المشوّه، من تشير إلى رجال الجماعة، ليدخلوا إلى الغرفة، أشهروا سيوفهم في وجه (تازي)، المندهشة من ا لموقف وتتساءل لذات الوجه المشوّه:

- "ماذا تريدين مني يا أخت (بس)؟"

تبتسم ذات الوجه المشوّه مجيبة على تساؤل أميرة فينيقيا:

- "فلتذهبي معهم أفضل من قتلك هنا يا بنت (هاداد)"

تقف (تازي)، لتسير أمام رجال الجماعة وأمامهم ذات الوجه المشوّه، بين أروقة القصر، حتى أبواب القصر الرئيسية تتساءل (تازي):

- "إلي أين أنتِ ذاهبة بي؟"

- "كل شيء في أوانه يا بنت (هاداد)"

يخرجون من أسوار القصر يسيرون حتى أبواب معبد الإله (ست) ما أنشئ خصيصًا أمام أسوار قصر الحكم بأواريس.. بين الأروقة تقفز الأسئلة في رأس (تازي) عن مصيرها هل هم سيقتلونها هنا في معبد

(ست)، هل ستقدم قربانًا بشريًا لهم؟ أم ستقدم كأنثى للوحوش ليتناسلوا منها؟ كما حكى لها زوجها (بعل) مَن تتمنى أن تراه ولكن وسط أسواط السهام المتعالية على أسوار المدينة تعلم أنه في طور معركته ضد أمراء مصر الوراثيين يصلوا إلى غرفة المذبح، تشير ذات الوجه المشوه لرجال الجماعة ليحركوا تمثال الإله (ست) القائم أمام المذبح ويظهر أسفله فراغًا مظلم، ما ينيره رجال الجماعة بمشاعلهم، تتضح الدرجات المؤدية للأسفل لينزلوا مقتادين (تازي) للدرك الأسفل ما يؤدي إلى باطن أرض (أواريس) ليظهر ممر طويلًا لا تتحدد نهايته في ظلامه ولكن تتحدد حدوده الجانبية وجدرانه بمشاعل المتراصة على الجانبين بين أبواب زنازين الوحوش ما لم تره من قبل (تازي) في بلادها في فينيقيا، تدب الرهبة في قلبها من هول ما رأته من هؤلاء الثائرين لرؤيتها من غيلان برؤوس بشرية، قردة برؤوس بشرية، وسباع أبو الهول، يزيد من خوفها كلماتهم العالية مثل:- (هاتها لي زوجة) و(لأعاشرها أنا) و(لتنجب لي نسلًا)، تنظر ذات الوجه المشوّه لـ(تازي) لترى في عيونها تلك الدموع المحبوسة فتبتسم إبتسامة خبيثة وهي تشير لها بالدخول في ذلك الفراغ الموجود بالجدار لتدخل مع رجال الجماعة إلى ساحة كبيرة أشبه في مساحتها لقاعة القصر الملكية، يجبرها رجال الجماعة على الجلوس على إحدى المقاعد المتراصّة على جانبي ذلك العرش الخشبي القديم، الذي تجلس عليه ذات الوجه المشوه، وهي تشير للرجال بتقييد (تازي) في مقعدها بقيود حديدية تنظر لها (تازي) وهي تبكي بائسة من مصيرها:

- "متى ستقدميني للوحوش؟"

تعلو ضحكات ذات الوجه المشوه عالياَ ليصل صداها خارج جدران ساحتها:

- "هههههه صحيح أنا أقابل البنات هنا قبل تقديمهم زوجات للوحوش.. لكن مصيرك اليوم سيكون أفضل من مصيرهم"

تنظر لها (تازي) بنظرة ساخرة، فتقف ذات الوجه المشوّه وتتحرك ناحيتها بخطوات هادئة وعندما تقترب تشوهات وجهها من أعين (تازي) تشيح (تازي) بناظريها عن وجهها.. لتتحدث ذات الوجه المشوه بلهجة غاضبة من تصرفها الأخير:

- "لتلك الدرجة صعب عليك أن تنظري في وجهي؟ منذ أعوام مضت كان هذا الوجه من أجمل ما رأت عين شمس.. كان بناتها قبل شبانها يتمنوا أن يروا جمالي تحت أشعة الشمس.. قبل لحظة جلوسي على نفس هذا المقعد الذي أنت عليه الآن.. قبل أن يقدمني العجوز للوحوش.. لكي يناموا معي".

تستجمع (تازي) قواها للنظر في أعين ذات الوجه المشوّه، وبنبرة غاضبة عالية في محاولة منها لإظهار الثقة والقوة تجاه وجهها المشوه:

- "أخبريني بما تريدين مني وأريحيني من بشاعتك "

تقف ذات الوجه المشوه أمام (تازي) وبنظرة هادئة:

- "على العموم أنا لم آتِ بك إلى هنا لكي أقدمك لوحوشي الأعزاء.. أنتِ هنا أسيرتي حتى انتهاء المعركة ونرى بعدها ما سنفعل بك

أنتِ و(بعل)".

تخرج ذات الوجه المشوّه من الساحة، وعندما تصل إلى الفراغ، مدخل المكان تأتي لمسامعها كلمات (تازي) الغاضبة:

- "إذًا كنت واهمة أنكِ ستساومي (بعل) بي.. فأنتِ أكيد على علم بحُبَه للمدعوة (عشتار)".

توقفها كلمات (تازي) لتأتي لذات الوجه المشوه تلك الفكرة، لتأمر رجالها من جماعة الإله (ست):

- "يا حرااااس.. ائتوا لي بـ(عشتار) إلى هنا"

تنظر ذات الوجه المشوّه إلى (تازي) والابتسامة الخبيثة تعلو بين تشوهات وجهها:

- "لا تقلقي يا عزيزتي سأجلبها هنا لكي تتعرفي عليها بنفسك"

تقولها لـ(تازي) وتبعد عن ناظريها بين جدران الممر في ذلك السرداب.. سرداب الظلام!

****

خارج (أواريس) يتحرك الجند وأمامهم عربات الجيوش الحربية إلى الأمام بإتجاه (أواريس)، وفي الخلف النساء بآخر الصفوف جنباَ إلى جنب مع رماة السهام، يتقدم الأمراء (أحمس) و(مرسو) وأمير (آتيت آوى) الصفوف بعرباتهم الحربية صفوف الجنود وعلى جانبي (أحمس) عربة (مس) الحربية ومعه (منتو بن هر)، وعربة (ابن

أبانا) ومعه (ابن بنخت)، وفي الفوج الثاني من العربات الحربية يأتي (أوزير) بعربته الحربية وحوله عربات باقي الأمراء المصريين، ليصبح المشهد من أعلى أسوار (أواريس) أمام (بعل) و(بس) صفًّا أمامي من العربات الحربية، يليه صف من الجنود، يليهم صف من العربات مرة أخرى، ليكون المشهد أمامهم صفوفًا دائرية واحدة تلو الأخرى حول (أواريس) متلونة بلونين خطًا من العربات وخطوطًا من ملابس الجند وخطًّ ا بالمنتصف من العربات الحربية وخلفهم خطوطًا أخرى من ملابس الجند، ينتهي بصف النساء الجنود، وخلفهم خطًّا من رماة السهام كل ذلك تحت أمطار سهام الخاسوت الساقطة من أعالي السور من أقواس رماة الخاسوت بأعلى سور(أواريس) يصل (نشيء) قائد الجيوش إلى المياه الفاصلة بين جيوش الإمارات المصرية وبين السور ينظر خلفه من فوق عربته ليجد الأجساد التي تسقط خلفه على إثر ارتشاق سهام الخاسوت بأجسادهم، ينظر أمامه لسفنهم المتواجدة في المياه يرفع سيفه عند وصول (أحمس) بعربته جانبَا، الذي يصوب ثلاث من السهام بقوسه الذهبي تجاه السفينة الخاسوتية المقابلة له لتنطلق السهام في ثلاث من جنود الخاسوت فوق سفينتهم، المسافة الفاصلة بين السفن وبين الجنود المصريين القصيرة التي لا تزيد عن أربعة من الاذرع، ما يجعل المصريين طامعين في القفز من فوق الأرض فيقفز العديد من الجنود، متلاقين بعضهم مع سيوف الخاسوتيين بالسفن ملاقيين الموت، وبعضهم يقابل الخاسوتيين بسيوفهم في الصدور والرؤوس ليلاقي بعض من الخاسوتيين الموت، ينظر (أحمس) إلى (نشيء) وإلى (مس) نظرة

يفهمونها جيدًا، وعلى إثرها يضرب خيل عربته بلجامهم، لتأبى الخيل الركض لترتفع عربته في الهواء كرد فعل من حركة أرجل الخيل الرافضة مواجهة السفن، ومع إرتفاع العربة يقفز (أحمس) في الهواء مستغلًا ارتفاع العربة ليشد وتر القوس عن آخره بثلاثة من الأسهم ومع انطلاق الأسهم في أجساد ثلاثة من جنود سفن الخاسوت، تلمس قدميه سطح سفينتهم الرابضة بالماء أمام بوابة (أواريس) الرئيسية، وعلى إثر حركة (أحمس) السابقة يكررها (مس) الذي ينزل بقدميه على سطح السفينة بسيفيه في جسدي جندي من جنودها، كذلك (ابن أبانا) بحربته في جسد جندي خاسوتي و(ابن بنخت) الذي لم تطل قدميه السفينة ليتمسك بقبضتيه في ذلك السور الموجود بجسد السفينة ليضرب بقدميه في جسد السفينة فيلتف في الهواء بلفّة رأسية، يصبح رأسه بالأسفل وقدماه بالأعلى في الهواء قبل النزول فوق سطح السفينة بقدميه مرة أخرى في وضع قدميه بالأسفل والرأس بالأعلى، أما عن (مرسو) فكانت خيله أجرأ قليلًا وذلك لركضها موازية لشاطئ المياه لتنزل أقدامها تدريجيًا في قاع المياه حتى تصل المياه على رقابها، وهنا تصبح عربته ملاصقة لجسد السفينة فيقفز قفزة صغيرة ليصبح فوق سطحها، يلاقي أمامه جندًا، ليطير بسيفه الكوبيشي إثنان من الرؤوس، يأتي من خلفه اثنان من الجند شاهرين سيوفهم صوب ظهره ولكن سهام (أحمس) تنال من رأسهما دفعة واحدة، أما عن (مس)، ذلك من يلتف حول نفسه شاهرًا سيفيه، ليقطعا كل من يقابلهما من بطون، مستخرجة أحشاء الخاسوتيين، حتى يتفادى (ابن ابانا) سيفًا (مس) مبتعدًا عن مجالهما وهو يصوب

حربته لذلك الجندي، الذي يقفز في الهواء بسيفه محاولًا إنزاله برأس (مس)، ولكن الحربة في صدره تكون أسرع من سيف الجندي الخاسوتي، الذي يسقط أمام ناظري (مس) أرضًا، و(ابن بنخت) ينزل على ذراعيه ليصبحا بالأسفل موضع الأقدام على سطح السفينة، أما الأقدام هي التي تضرب ما تلاقيه من الثلاث جنود الهاجمين عليه، و(نشئ) على الأرض يشير إلى الجنود بالهجوم المستمر على السفن، ليصبح صفوف المصريين على الأرض في دوائر متقافزة على سفن الخاسوت الموجودة في المياه الفاصلة بين الأرض والسور، كالنمل الذي يعبر فوق أجزاء صغيرة فوق الماء للوصول إلى غايته سور (أواريس)، مَن يقف قائد جيش الخاسوت (الفينيقي) بجانب (بعل) و(بس) مراقبين من أعالي أواريس المشهد في خوف واضطراب، فلقد إمتلك المصريين جميع سفنهم بالماء، وباتت المسافة بينهم وبين البوابات الرئيسية لأواريس بضعة أذرع، ينظر (الفينيقي) قائد الجيش إلى الأمير (بعل) ورئيس الجماعة (بس) متحدثًا:

- "لو ظل الوضع هكذا، فمع اقتراب الشمس من مغربها سيَهشِّمون بوابات المدينة.. وسيقتحموا (أواريس) يا مولاي الأمير ويا سيدي رئيس الجماعة".

يغضب (بعل) من حديث قائد الجيش السابق وفي نبرة عالية الغضب:

- "ماذا تعني؟ .. تصرّف وإمنعهم بأية طريقة؟"

ينظر قائد الجيش إلى (بس) الذي لا يعلو وجهه سوى إبتسامة

عصبية:

- "إصبر حتى ينهوا على كل جند السفن وننفذ الخطة البديلة"

ينظر (بعل) إلى (بس) متسائلًا:

- "خطة بديلة؟"

- "إصبر يا مولاي الأمير لترى أمام ناظريك"

وفي الأسفل، في تلك السفينة التي سيطر (أحمس) و(مرسو) عليها يبدأ (أحمس) في إشارته للجند بصوت عالٍ:

- "وجِّهوا السفينة إلى السور".

وهنا يقوم الجنود، مَن إمتلكوا المجاديف الرئيسية للسفينة بتحريكها، لتتحرك السفينة تدريجيًا نحو السور، لتلتصق السفينة بجسدها، بالجدار تمامًا، فتصبح البوابة الحديدية المغلقة أمام أقدام (أحمس)، ينظر (مرسو) إلى باقي السفن، التي سيطر عليها المصريون، ليجدها تفعل الأمر ذاته، هكذا يرى (بعل) من أعلى سور مدينته، لينظر إلى (بس) غاضبَا:

- "ماذا تنتظر؟ إمنعهم بأي ثمن"

فيبتسم (بس) إبتسامته الخبيثة إلى قائد الجيش (الفينيقي) وبنبرة هادئة:

- "ماذا تنتظر يا قائد الجيش؟ نَفِّذ"

يشير قائد الجيش الخاسوتي إلى جنوده وبصوته عالياَ

- "أشعلوهم"

لتتردد الكلمة على باقي السرب من قائد المجموعة من الجند إلى قائد آخر من المجموعة حين سماعه للقريب منه لكلمة (أشعلوهم)، ليتحرك الجند حاضرين تلك القوارير الضخمة وما بها من مواد، لترفع القوارير عاليَا رأسًا على عقب، مُخرجة كل ما فيها من ذلك السائل، وخلفه تنطلق سهام الرماة من أعلى السور، سهام مشتعلة لتسقط بأجساد السفن الخشبية، لتنطلق النار في أخشابها سريعًا مع تلك الإبتسامة التي تعلو وجه (بس) ووجه أميره (بعل) فوق أسوار (أواريس) من ذلك المشهد بالأسفل، لجنود مشتعلة أجسادهم يتقافزون بالمياه لإطفاء النيران، ومع تلك الصرخات التي تصم آذان (أحمس) و(مرسو) وهم يسبحون بالماء، وتلك النظرة التي على وجه (مس) وهو يقف بقدميه على الشاطئ بنقبته المبتلة، فهم كانوا ينصبون لهم السفن ككمينٍ لهم، وفي رأسه ذلك السؤال: أهُم يضحّون بكل ذلك الجند في لقاء نصب كمينهم للمصريين؟ وسؤال آخر يدور في ذهنه عن نائبة في جهاز المازوي (منتو بن هر) الذي اختفى منذ وصوله للسفينة، يتساءل عن مكان وجوده وهو يبحث حوله في وجوه الجنود ليسأل (نشيء) الذي يقف فوق عربته الحربية:

- "(منتو بن هر) أين يا سيد (نشيء)؟"

ليجيب (نشيء) على (مس) بإجابة أقلقته أكثر:

- "لم أرَه منذ قفزه إلى المياه".

وعلى عكس حيرة (مس) كان (منتو بن هر) أسفل سطح المياه، يغوص في طريقه الجديد، طريق دافعه، ما يقوده لذلك الممر المائي أسفل السور، وفي الظلام الناتج عن قلة أشعة الشمس، تخرج رأسه من المياه، فاتحًا فمه على آخره، ليملأ صدره بالهواء وهو ينظر بعينيه إلى الأعلى لذلك الباب المعدني الذي أعلاه يتحرك جند الخاسوت بأقدامهم فوقه داخل ذلك الممر، الموجود في جسد جدار السور، وهم حاملين القوارير الفارغة، ويقرر (منتو بن هر) وهو يفتح الفوهة، قراره وهو ينظر يمينًا ويسارًا مترقب إبتعاد الجند عن موضعه، قرار الذهاب إلى معقلهم بالجماعة بأواريس، يستند بساعديه على أرض الممر، ليخرج جسده من الفوهة، ليقف بقدميه داخل السور، ويركض، ليس إلى مقر الجماعة ولكن إلى ذلك المكان الأكثر ظلمة، السرداب!

****

البكاء، وما فعله بوجنتيها هو ما يميزها، وليس عيناها ذات اللون الأزرق المميز، ما يجعل (تازي) تتحدث لها ساخرة:

- "أنتِ مَن يعشقك ويهيم بك (بعل)!"

تنظر لها ذات العيون الأعين الزرقاء، وتتحدث (عشتار) والدموع تسقط من فوق شفاهها إلى داخل جوفها أثناء ذلك..

- "نعم يا مولاتي الأميرة.. أنا (عشتار)، أنا مَن ذلَّني زوجك لأني لا

أريده.. أنا (عشتار) مَن هدَّدني زوجك بقتل أهلي لو أحببت أحدًا غيره في الحياة.. أنا (عشتار) مَن ليس لي أي ذنب في أنه يحبني وأنا لا".

فتبتسم (تازي) المُقيّدة في مقعدها أمام مقعد (عشتار) التي هي أيضًا مُقيّدة به في تلك الساحة بالسرداب وتسألها ذلك السؤال:

- "و(أحمس)؟"

تصيب الدهشة ملامح وجه (عشتار) من سؤال (تازي) المفاجئ لها، ولكن تستطرد (تازي) في حديثها:

- "الظاهر أن دور البراءة الذي تقومين بتمثيله عليّ.. لم يقنعني.. لأنك تحبين أن تختاري عُشّاقك.. من الأمراء.. كي يُرضوكِ بكل ما تريدين من جاه وذهب ونفوذ"

تنتهي (تازي) من كلماتها لتبصق على وجه (عشتار) مع تلك الكلمة:

- "حقيرة".

تتصلب ملامح وجه (عشتار) وهي محاولة في إظهار القوة، الثقة في النفس، لتخرج كلماتها من بين شفتاها في حسم لحديث (تازي):

- "نعم أنا أحب (أحمس).. وأكره زوجك.. فأمري أني بنت قواد (أواريس) وزوجته معناه أني أقوم بسبي قلوب الأمراء وراء قلبي.. قلبي إختار (أحمس).. ولم يكن يعرف أنه أمير.. وهو نفس القلب الذي رفض زوجك.. ولي عهد المملكة كلها.. وأحمس

ليس مجرد متمرد مثلما تدعونه".

تضحك (تازي) ساخرة من حديث (عشتار):

- "لا يليق عليكِ دور البراءة يا بنت القوّاد الفينيقي.. لكن صدقيني نهايتك ستكون على يدي يا (عشتار)"

تدخل ذات الوجه المشوّه قاطعة حديثهما منتصفة المسافة بين الأسيرتين في ساحة السرداب:

- "أتعارفتم جيدًا أم تحتاجون لبعض الوقت؟"

لا تجد ذات الوجه المشوه إجابة لها من قِبَل الأسيرتين (تازي) و(عشتار) وهي تجلس على عرشها بساحة السرداب، لتستطرد في حديثها:

- "إسمعا أيتها الجميلتان.. أنتما ستمكثان أسيرتين عندي حتى تنتهي الحرب.. (تازي) ستظلين حتى يعلن أبيك (هاداد) ولاءه لأخي.. و(عشتار) ستبقى حتى يسلم (بعل) السلطة لأخي (بس)".

تنظر (تازي) إلى ذات الوجه المشوه وهي تلفظ:

- "يا بنت.."

لتقطع ذات الوجه المشوه تلفظ (تازي):

- "إ ياك والتفكير حتى في سبَي.. يا إما سأجعل وحوشي يفعلوا بك

ما أريد.. يا حراس إنقلوهم لزنازينهم المختارة".

وعلى إ ثر كلمات ذات الوجه المشوّه يقوم حارس بفك قيود (تازي) من مقعدها ليجذبها هو بيديه من أغلالها وكذلك (عشتار) تصلان إلى فراغ مدخل الساحة لتتلاقى أعينهن، كلا منهما تحمل ضغينتها للأخرى، يفترقان في الممر، فكل حارس يجذب الأولى في اتجاه معاكس للثانية، بين زنزانات السرداب، بين صيحات الوحوش المتعالية، تبكي (عشتار) على ما رأته وتتصلب تعابير وجه (تازي) أمام نظرات رؤوس الغيلان البشرية لها، يصل حارس (تازي) بأسيرته إلى غرفتها المجهزة لها، يفتح الباب الحديدي، ويجذب (تازي) من قيودها لتدخل إلى غرفتها، وقبل أن يغلق الباب، يأتي ذلك السيف مُحدثًا خطًّا عميقًا من الجرح بالعنق، لتخرج نافورة الدماء من عنق الحارس في وجه (تازي) ساقطًا بأرض السرداب ليظهر صاحب السيف أمام (تازي)، لتسأله وهي تمسح الدماء من على وجهها:

- "من أنت؟"

فيجيب صاحب السيف في عجلة من أمره، وهو يفك قيودها بذلك المفتاح الذي أخرجه من جثة الحارس:

- "لا يهم ماهيتي.. لو أردتِ الخروج من هنا تعالي معي أيتها الأميرة".

تومئ (تازي) برأسها بالموافقة، مهرولة خلف هرولته في ذلك الممر الجديد عليها بالسرداب.

****

يسير هو و(مرسو) بين صفوف الجنود، بعد أن توقفت سهام رُماة سور (أواريس) عن فعلها، بعد أن احترقت السفن بأكملها، في ذهول من الحاضرين، فالوسيلة الوحيدة لهم للوصول للبوابات الرئيسية قد حُرِقت، وإذا قرروا الهجوم بسفنهم سيلاقون نفس مصير سفن الخاسوت، من ضحّى بهم قادتهم، في سبيل منع أي شخص للوصول إلى البوابات، ليظل حاجز الماء المنيع، بين السور وبين أرض جيوش المصريين قائم، ليس له من حلول، يصل هو و(مرسو) إلى الصف الثاني من العربات الحربية ما يوجد به عربات باقي أمراء مصر يبحثون عن ضالتهم، (اوزير) أمير عين شمس، ليجدوا عربته فارغة يسأل أمير (ابيس) الواقف فوق عربته:

- "أين أمير (عين شمس) يا أمير (ابيس)؟"

يجيب على سؤاله:

- "لقد أصيب بسهم في كتفه يا أمير (طيبة) ونقله الجنود إلى الصفوف الخلفية إلى الكاهن (سخم - رع) ليقوم بعلاجه".

ينظر أمير طيبة إلى (مرسو) أمير أسيوط ويقرران شق صفوف الجند إلى الخلف، للإطمئنان على أمير (عين شمس) مهرولين، يصلا إلى خيمة الكاهن (سخم - رع)، التي بها أطباء الجيش، ليدخلا فيجدا ذلك

المشهد الغير متوقع لهما، جثث الأطباء جميعهم ملقاة بأرض الخيمة، لتتزين ملابسهم البيضاء بدمائهم، يبحث (أحمس) بين وجوه القتلى عن وجه (سخم - رع)، عن وجه (أوزير) فلا يجدونهم، ليخرج (مرسو) مندفعًا من الخيمة، بصوت عالي ينادي بين الحاضرين:

- "أين (أوزير)؟ .. أين (سخم - رع)؟"

ما يصل إلى مسامع القريبين منه من جند من أمراء، لتبدأ الهمهمات في العلو بين الجند ما يصل إلى باقي الأمراء، ليشقوا بعرباتهم صفوف الجند إلى خلف الصفوف، إلى موضع الخيمة، إلى موضع (أحمس) و(مرسو)، ذلك المشهد الذي يدور أمام ناظري (بس) رئيس الجماعة بأعلى الجدار، جدار (أواريس) المنيع، مَن يتوسط المكان بين (بعل) الأمير، و(الفينيقي) قائد الجيش، غير فاهمين ما يحدث بالأسفل، على عكس (بس)، الذي يتحدث نبرة هادئة لهما:

- "أنا قلت لكم قبل سابقًا.. لن أترك شيء للصدفة"

أما في الأسفل، يركض (أحمس) و(مرسو) وأمير (أتيت آوى) و(نفرتاري) كالمجانين هم وحراسهم من الجنود، بين الخيمات الخلفية، باحثين عن (أوزير) و(سخم - رع)، بلا فائدة يصل (أحمس) إلى موضع (مس) الواقف أمام تلك الخيمة، المصدوم فيما رآه بداخلها، ليسأله (أحمس) بعينيه، فيجيب (مس) في كلماته التالية:

- "هناك مَن قتل (نفتيس)".

يخترق (أحمس) الخيمة، ليجد جثة (نفتيس) أمامه، راكدة في أرض

الخيمة في بركة دمائها، ينظر خلفه إلى (مس) و(مرسو) و(نفرتاري):

- "الخونة وصلوا لها قبل (أوزير) و(سخم - رع)"

يأتي مهرولًا أحد الجند المصابين إلى موضعهم متحدثًا إلى (مس):

- "يا سيد (مس) هناك عربات خرجت مغادرة المكان بعدد من الجند".

- "خرجوا بأي اتجاه؟".

ليشير بأنامله خلف الخيمة، ذلك ما يراه (بس) الذي يشير بأنامله أيضًا إلى تلك العربات المغادرة.. أرض المعركة بعيدًا وهو متحدث إلى (بعل) و(الفينيقي) قائد الجيش:

- "رجالي هناك معهم (أوزير) و(سخم - رع)"

فيغضب (بعل) من ثقة (بس) الزائدة في نفسه:

- " أريد فهم ما يحدث بالظبط؟"

تلتقي أنامل كفي (بس) لتلتصق راحتى كفيه مع بعضهما البعض موضحًا في كلماته التالية ما رتَّب من قبله:

- "نحن في حاجة إلى الوقت حتى يحل الظلام.. (منتو بن هر) ورجاله السبعين قاموا بخطف (أوزير) و(سخم - رع) كما رتبت معه بالسابق.. الموعد المتفق عليه بعد حرق السفن يا أميرنا العزيز".

ينتهي من كلماته ويغادر موضع الأمير وقائد الجيش الفينيقي، مَن يروا أمامهما عربات أخرى تخرج مع الصفوف مسرعة خلف الهاربين، عليها (أحمس) و(مرسو) وأمير (آتيت آوى)، وجند آخرين يبتسم قائد جيش الخاسوت، على عكس (بعل) الذي يستشيط غضباَ من ترتيبات (بس)، رئيس جماعة (ست) السرية، وفي الأسفل منطلقًا (أحمس) بعربته خلف الهاربين، رافعًا قوسه عالياَ، لينادي عليه أمير (آتيت آوى) الذي يحاول منعه من إلقاء سهمه عالياَ في اتجاه الهاربين:

- "أرجوك يا (أحمس).. حياة (اوزير) مهمة بالنسبة لي".

يفهم (أحمس) معنى حديث أمير (آتيت اوى)، لينزل بقوسه الذهبي، ويبدأ في جذب لجام خيل العربة لتسرع في طريقها وهو يقول له:

- "وبالنسبة لي أيضًا يا ابن (آتيت آوى)".

تبدأ عربات الهاربين تقترب تدريجياَ في ناظري (أحمس) ومَن معه، فالعربات انحرفت عن طريقها أمام أ حد المصارف الزراعية يمينًا، ما جعل المسافة تقل بينهم وبين عربات (أحمس) ومن معه، يشهر (أحمس) سيفه مثلما فعل (مرسو)، و(مس) و(نفرتاري) وكذلك جند العربات المصاحبين لهم، تقل المسافة تدريجياَ حتى تصبح عربة (أحمس) بجانب إحدى عرباتهم، تلك التي بها عددًا من الخائنين من الجند ومعهم (سخم - رع) مقيدًا بالحبال في العربة، وتأتي عربة (مرسو) على جانب العربة الآخر، لتصبح عربة الخائنين الأخيرة في

موكب الهاربين بين عربتهما تمام، ليقفز (أحمس) و(مرسو) على العربة، كلًّا منهما سيفيهما مغروزًا في صدر من صدور جنودها، يبدأ الاثنين الآخرين بالهجوم على (أحمس) و(مرسو)، ولكن ينخفض (أحمس) بجسده وهو يشقه بسيفه الذي يفصل الجسد عن الساقين، ويصطدم سيف (مرسو) مع سيف الجندي الآخر ليطير من يده فيفعل سيف (مرسو) ما يشاء في عنقه، يسيطر (مرسو) على العربة، ويفك (أحمس) قيود (سخم - رع)، يطمئن على (سخم - رع) الذي يومئ برأسه لـ(أحمس) مطمئنًا له على حالته، يقف (أحمس) بجانب (مرسو) ينظر إلى يمينه ليجد أمير (آتيت آوى) وعلى يساره ليجد (مس)، نظرته لصديقه رئيس المازوي تفهم جيدًا من قبله، ليسرع بعربته هو وعربات جنده على يسار عربات الهاربين وعلى اليمين تقترب عربة أمير (آتيت آوى) وعربة (نفرتاري) ومن معها من جنديات قائدات للعربات الحربية، حتى تصبح عربات الهاربين محاصرة تمامًا من الجانبين، لينادي أمير (آتيت آوى) على صديقه (اوزير)، ينام في العربة غارقًا في دماءه من كتفه المصاب:

- "(اوزير) أأنت منصت لي؟"

ليجيب عليه أحد الخائنين:

- "لا تحاول أيها الأمير.. (أوزير) يجب أن يموت"

تصل عربة (مس) إلى مقدمة العربات الحربية المسرعة لتحيط عربات الخاطفين بموضع (أوزير) من جميع الاتجاهات، من الشمال ومن الجنوب ومن الغرب والشرق، لا يجد الخاطفين مفر من التهدئة،

من الوقوف لذلك الحصار، ولكن يقوم الخائنين بإجبار (أوزير) المصاب على الوقوف على قدميه متألمًا، شاهرين السيوف على رقبته، على صدره، وعلى بطنه ملتفين حوله، وهم يخطون بأقدامهم الأرض، هابطين من عرباتهم وحولهم باقي جندهم السبعون، صانعين دائرة حول (اوزير)، خارجها شارهين السيوف إلى محاصريهم من (أحمس) وأعوانه وداخلها شاهرين السيوف إلى عنق أوزير، أما عن (أحمس) وأعوانه، مَن نزلوا مِن فوق العربات شاهرين سيوفهم إلى السبعون صانعين دائرة حولهم على الأرض، كلٌ مترقب للآخر، في صمت يحوم بالمكان حولهم، ليكسر ذلك الصمت (أحمس) بصوته الآمر:

- "اتركوا (اوزير) أيها الخونة إذا أردتم أن تحاكموا محاكمة عادلة".

يجيب كبيرهم عليه، مَن يضع سيفه على عنق (اوزير) وملتصقًا بجسده من الخلف:

- "لسنا خونة يا (أحمس).. أنت وعائلتك مَن خانوا جماعتنا وخانوا إلهكم (ست) حاكم الأرضين".

هنا يستوعب (سخم - رع) معنى حديثهم، ويفهم (مرسو) أنهم ليسوا بجنودهم، ويعلم (مس) ما سر خيانتهم ويقلق أمير (آتيت آوى) على مصير صديقه (اوزير)، وتقرر (نفرتاري) الإقتراب من هؤلاء الرجال مَن علمت بحقيقتهم، مثل أخيها (أحمس)، كما قرر (سخم - رع) أنهم من رجال جماعة (ست)، فيقرر (أحمس) سؤالهم:

- "وعندما تقتلوه ماذا ستستفيدون يا عُبّاد (ست)؟"

فيجيب كبيرهم على سؤال ابن طيبة:

- "سنحقق أسطورة إلهنا (ست)"

فيفهم (أحمس) معنى ذلك، ليترك (سخم - رع) يتحدث لهم بكلماته الحكيمة:

- "صحيح أن (ست) هو وأعوانه السبعون تخلصوا من أخيه (أوزوريس)، ولكن هذا ليس بإله، وأيضًا (أبوفيس) ليس بـ(ست)".

ينظر كبيرهم إلى شعار الشمس المحفور على رأس (سخم - رع) ويفهم أنه كاهن من كهنة (رع) المخلصين ويسخر منه:

- "أنت لا تعلم شيئًا يا عبد (رع) عن مولانا (ست)، ويكفي أن أميركم، يحمل لقبه (أوزير).. وهذا سبب كافي لتحقيق مشيئته به"

- "أبوفيس مجرد عبد مثلكم".

يضحك كبيرهم فيضحك أعوانه السبعون مثله على حديث (سخم - رع):

- "أنت ما زلت لا تفهم أي شيء.. (أبوفيس) هو المختار لتحقيق النبوءة مثلك يا (أحمس)"

ينتبه (أحمس) لحديث كبيرهم، ولكن ينتبه أيضًا إلى أعين (اوزير)، الذي ينظر عالياَ إلى السماء، لينظر موضع نظرته، ليجد أن الشمس

تقترب من المغيب عن سماء المكان، يبتسم (أوزير) إلى (أحمس)، ويحاول مقاومة آلامه بابتسامته له وبنبرة متألمة لا تحمل سوى معنى واحد..

- "كما أنت عالم لقدرك في توحيدنا يا (أحمس) ضدهم.. أنا أعلم قدري من عرافة إلهنا (رع).. تحقيق أسطورة (أوزير وست).. لا تضيع الوقت يا (أحمس) قبل مغيب الشمس".

ومع إنتهاءه من الكلمات، يمسك (اوزير) بيد كبيرهم ليضغط السيف على عنقه، لينهي آلامه، ويحقق مصيره بالنبوءة، مع صرخات (أحمس) وصديق (اوزير) الذي يحكم (آتيت آوى) تنطلق السيوف غاضبة في أجساد أعوان الجماعة، ورجالها، لتتساقط أجسادهم أرضًا، بجانب جثة (اوزير)، كبير أمراء مصر الوراثيين، ومع بكاء ابن (آتيت آوى)، على مصير صديقه (اوزير) ينظر (سخم - رع) إلى (أحمس)، مَن يرى مغيب الشمس، يأمر (نفرتاري)، قاطعًا سقوط قطرات دموعها على وجنتيها:

- "خذي النساء كلهن إلى سفننا بالماء.. موعد النبوءة قد حان".

ينتهي من حديثه وينظر الواقفون إلى السماء مثله، فموعد ظلام الليل قد اقترب، فما يهابونه قد اقترب، بيوم الظلام، لتبدأ النبوءة في تنفيذ ما وعدتهم به، نبوءة المطر الأحمر!

****

٣- نبوءة المطر الأحمر:

النبوءة، ما يأتي للعرافات، بمعابد الآلهة، تكون دائمًا في موضع من الجدل، في رياح من الشك، في أمل التحقيق للبعض، والخوف من حدوثها للبعض الآخر، هكذا كانت تفكر (تازي) التي تسير بجانب منافستها على قلب رجل واحد، (بعل) الذي هو زوج للأولى ومُحب للثانية، على عكس مصاحبهم في طرقات المدينة، المترقب لحرب الظلام، مَن يتلثم مثلهم بملابس رثة سوداء، مَن يفكر أيضًا في أمر النبوءة ولكن ليس في حدوثها، ولكن ما بعدها، ما سيرتبه في أمره، وأمر الجماعة، بعد ما علمه من ضحيته، (نفتيس)، بشأن مصير أبيه، يقطع تفكيره صوت (عشتار) ذو النبرة الخافتة، وهي تشير بأصابعها موضحة:

- "هذا هو المكان".

يسير (منتو بن هر) خلف (عشتار) و(تازي)، ملتفًا حوله، باحثًا عن أيّة أعين من المارة أو الجنود، فلا يجد، فينظر لـ(عشتار) نظرته، التي على إثرها تهرول بخطاها حتى باب المنزل الفينيقي الخلفي، يقاطع هرولتها، جثث المازوي، مَن قتلهم رجال جماعة (ست) في وقت سابق، أثناء خطفهم لـ(عشتار) سابقًا، تفتح الباب، تدخل إلى المكان، لتجد من تجلس بالأرض باكية، لينقطع بكاءها لرؤيتها، فتهم من مكانها، لتحتضن ابنتها (عشتار):

- "حمدًا للآلهة.. أأنتِ بخير؟ .. ماذا فعلوا بك؟"

تطمئنها (عشتار) بنظرتها لها وتنتهي من عناق والدتها وهي تشير إلى (منتو بن هر) و(تازي) بالدخول:

- "تفضلوا"

يدخلون إلى المكان، وتبدأ في التعريف عن ماهيتهم لأمها:

- "الأميرة (تازي) زوجة الأمير (بعل).. وهذا الشخص هو مَن ساعدنا على الخروج من الأسر".

فتبتسم الأم لـ(منتو بن هر) وهي تشكره:

- "شكرًا يا إبني أنك أنقذت حياة بنتي منهم.. يا..."

- "منتو.. منتو بن هر يا أمي"

تشير لهم الأم بالجلوس وتدخل لتحضر بعض الماء، ومع جلسة (عشتار) تندهش لرؤية أعين (تازي) الواقعة على وجه (منتو بن هر) كالمتفاجئة عند سماع اسمه وتسأله:

- "أنت منتو بن هر بن يعقوب؟"

وهنا يخرج سيفه من غمده، بعد انتهاءها من سؤالها له، وبنبرة غاضبة لا تعلو صوتها في بيت الفينيقي:

- "نعم يا أميرة فينيقيا.. ماذا تعلمين عن أبي بالتحديد؟"

ومع انتهاء كلمات السؤال، لا تجد (تازي) مفر من الجواب، لرؤية

السيف، نصله أمام العنق"

- "كل ما أعرفه.. هو أن (سني) هو مَن قتل والدك بأمر من العجوز".

يقترب نصل سيفه أكثر من اللازم ليلتصق ببشرة عنقها لترتجف (تازي) وتقلق (عشتار) من أمر ضيوفها:

- "هذا كل ما أعرفه من (بعل)"

- "ومن أين له بتلك المعلومات؟ مَن أخبره بذلك؟"

- "(بس) مَن أخبره".

ينزل سيفه لدخول أم (عشتار) عليهم حاملة أكواب الماء لهم، وتقدمها لهم متبادلة النظرات ما بين وجوه الحاضرين، وما تحمله من وجوم، تشير لها (عشتار) بعينها، لتفهم من حركة قرنيتها (أن تغادر صالة المنزل إلى الداخل)، فتبتسم الأم إبتسامة عصبية وتغادر مجلسهم، ليبدأ ذلك الحديث بين (عشتار) و(تازي) و(منتو بن هر):

- "أريد أن أدرك يا سيد (منتو) أنت مع مَن بالتحديد؟ تنتمي لأية جهة؟"

بنبرة غاضبة تقول (تازي):

- "ما شأنك أنت بذلك؟ .. أنصتي يا بنت الفينيقي.. أنا طلبت منه أن يخرجك لتجلبينا هنا فقط.. بعيد عن أعين الجماعة.. أكثر من ذلك.. لا يخصك في الأمر شيء.. أم أنكِ قلقة على حبيب القلب؟"

تبتسم (عشتار) وبنبرة واثقة:

- "ومَن قال لك أني قلقة؟ .. النبوءة تقول أنه سيخلصنا منكم يا زوجة الأمير"

تضحك (تازي) ساخرة:

- "أنتِ واهمة.. النبوءة الحقيقية أنه سيلاقي حتفه مع أمراءه ونتهي منه ومن أمثاله من المتمردين على..."

يقاطعهم (منتو بن هر) غاضباَ من جدالهن:

- "كفاكم ترهات كثيرة بأمر النبوءة.. اسمعي يا أميرة فينيقيا.. أتعلمي سبب موت والدي.. الأمير لم يخبرك عن السبب؟؟"

تحاول (تازي) أن تخفف من أثر صدمتها لـ(منتو بن هر):

- "كل ما أعرفه أنه خرج عن أمر الجماعة وعن النبوءة".

هنا يبدأ الشك يدخل إلى قلب (عشتار) عن ولاء (منتو بن هر)، هل هو للجماعة أم لـ(أحمس) حبيبها، ولكن يحيرها ذلك السؤال:

- "أنا لا أفهم شيئًا.. النبوءة تخص مَن بالظبط؟"

بكل ثقة تجيب (تازي):

- "تخص مستقبل (بعل) والجماعة طبعًا"

يضع (منتو بن هر) سيفه في غمده ويقف بالمكان ملوحًا للسيدتين بكلتا يديه:

- "أنتما الاثنتان لا تفهمان أي شيء.. النبوءة تخص مصير الجماعة فقط"

تتعلق الأنظار بـ(منتو بن هر) الواقف أمامهما في غير فهم لحديثه السابق، فيستطرد في حديثه موضحًا:

- "النبوءة هي إنهاء الجانبين.. القضاء على أمراء مصر جملة واحدة.. والقضاء على أبوفيس وعلى عائلته.. لا يبقى سوى الجماعة.. الجماعة فقط هي من ستحكم الأرض كلها".

الصدمة، هي من تملكت الوجوه، لتجعل الوجوم من شيمها في تلك اللحظة، لحظة الحقيقة لـ(تازي) الكاملة ولحظة الخوف من حقيقة أمر (أحمس) لـ(عشتار)، تحاول (تازي) أن تسيطر على مشاعر غضبها وهي تسأله ذلك السؤال:

- "ماذا تريد مني ؟"

- "التحالف"

- "بشرط.."

- "إعلمي أولًا شرطي.. بانتهاء الأمر سيبقى لك القوة في سفن الفينيقيين التي ستقدم إلى أواريس.. وهنا تساعديني بجنود السفن للقضاء على (بس) وأخته، وتُنصِّبيني رئيس للجماعة"

- "حفاظك على حياة (بعل) هو شرطي"

- "موافق"

تقف (عشتار) غاضبة وقلقة في نفس الوقت:

- "ما بالكم؟ لم أنتم واثقين هكذا من نتيجة الحرب؟ لم تلك الثقة في نصركم بكل سهولة..؟ أفيقوا من وهمكم .. (أواريس) محاصرة بالجيوش.. ليس ببضعة من الوحوش تلك التي رأيناها بالأسفل.. ما سيضمن لكم النصر على (أحمس) وجيوشه".

تغضب (تازي) من حديث (عشتار):

- "أعتقد أني سأقتلك الآن على حبك الزائد للمتمرد علينا"

- "أنتِ تقارني الجيوش التي بالخارج ببضع وحوش وتريدين النصر لكِ ولزوجك؟!"

تنظر (تازي) إلى (منتو بن هر) قلقة من حديث (عشتار)، فهي من وجهة نظرها جعلتها تقلق من الأمر، ولكن تأتي سخرية (منتو بن هر) ونبرته الواثقة بأمرٍ لا تفهمه السيدتان:

- "أتظنون أن السرداب هو كم ممر مما سرنا بهم فقط؟ .. السرداب مجرد لقب.. الحقيقة أن السرداب مدينة تحت المدينة.. حفرت وبنيت تحت أواريس في عهد (سالتيس) أثناء حفر الخندق المائي وتأسست مع بناء السور.. ببوابات أرضية للمكان على طول السور.. مدينة كاملة يعيش بها الوحوش.. مقسومة بفرع النيل.. ليس لها غير مدخلين رئيسيين معروفين.. واحد

تحت مقر الجماعة.. والآخر تحت معبد إلهنا (ست) العظيم.. وكل شعبها هو عبارة عن الوحوش مَن بقيت سنين منتظرة ذلك اليوم.. بأمر من جماعتنا وبأمر من إلهنا (ست)".

ينتهي من كلماته ويبدأ الأمر مع انتهاء غروب الشمس، ففي معبد الإله (ست) يتحرك تمثال (ست) فاتحًا فوّهته الواسعة لتنزل ذات الوجه المشوّه وسط رجالها درجات السلم، وبالجهة المقابلة لفرع النيل ينتهي (بس) من نزول الدرج أسفل مقر الجماعة إلى مدينة الوحوش، مدينة السرداب، خلفه (حكا) حاملًا نسخة من كتاب الظلام، تصل ذات الوجه المشوّه إلى ساحتها لتجلس على عرشها، يناولها رجالها نسختها من الكتاب ويبدأ (حكا) في القول خلف رئيسه (بس) لتلك الكلمات، ما يقوله (بس) وأخته في وقت واحد:

- "اقتربت الكواكب.. لتضعف قوى (رع) ابن (آتوم) الواحد.. لتحقق يوم الظلام.. نحن عبادك المخلصين.. عن عهدنا حافظين.. ما عاهدناه عليك طول سنين.. تحقيق حكمك الأوحد للفانين.. مقدمين لك قرباننا الثمين.. مَن حافظنا على نسلهم غير آبهين.. لحكم (رع) على وحوشك بالفناء.. بعد ما لاقيناه من عناء.. في عبادتك يا إلهنا العظيم.. فلتقبل منا أضحيتنا.. أولاد وحوش الظلام.. من قردة ومردة ذات رؤوس البشريين.. من غوريلات وسباع أبو الهول .. ليكونوا جندًا ضد المتمردين.. فلتساعدنا بقواك العاصفة.. في القضاء على مَن أبوا عن عبادتك.. يا إلهنا (ست) العظيم".

ينتهي الأخِ وأخته من التراتيل، لتأتي الكلمات لمسامع (أبوفيس)، من يقف عالياَ تحت ظلام سماء (أواريس)، فوق الجدار العالي، لتنتشر الصبغة الحمراء، ليس فقط في قرنيته، بل تتحرك تدريجياً بالجلد، من حول موضع عينيه بالوجه، تملأ عنقه، تتزايد ما بين عضلات الظهر والصدر، تنطلق في الذراعين، وعندما تنتهي من أنامله، تكون ملأت عضلات البطن، تخترق ساقيه، حتى لون بشرته، هو الأحمر الداكن، يرفع صولجانه ذ و رأس (ست) عالياَ صوب السماء، وبصوت أشبه إلى صوت الحيوان، ما يُ سمع صدى كلماته على جميع مَن أسفل جدار مدينته، في الداخل والخارج:

[فليخرج عبادي من الوحوش.. في يومهم المعهود.. إلى كل أنحاء الكمت.. لينالوا من الرجال الكافرين بي.. ولتأسروا نساءهم.. هدية لكم.. على تحقيق نبوءة أبي (رع) لي.. مصاحبة لكم عواصفي.. وما تحمله من أمطار.. في يوم عهدي.. عهد حكم الأرض.. كما وعدني أبي (رع).. في نبوءة المطر الأحمر،،

وعلى إثر كلماته التي سمعها الجميع، بداية من (عشتار) في منزلها، نهايةً بأحمس بين أمراءة الوراثيين، تفتح البوابات في مدينة السرداب من تلقاء نفسها، دون فعل بني الإنسان، لتتحرر الوحوش من غرف أسرها طوال أعوام، لتنطلق الأقدام في الأروقة، وما بين الممرات، يفسح الحراس طرقهم، متفادين دهسهم لهم، من سرعة ركضهم، بعد أن أصبحت الرؤوس البشرية للوحوش، لا تحمل سوى لون واحد لقرنيات أعينهم، تلك الصبغة، ذات اللون الأحمر الداكن.

****

الليل ما يهابه الأمراء، من وحوش ظلامه، مَن سمعوا (أبوفيس) ينادي بصوته الحيواني عليهم، ولكن الإستعدادات كانت قبل ذلك، نُفِّذَت على أرض المعركة، فقد رجعت جنود الجيوش مسافة ما تزيد عن ألفي ذراع للخلف عن الممر المائي المحيط بجدار (أواريس) العالي، والنساء مع (نفرتاري) في أبعد سفينتين في فرع النيل، مبتعدين عن أرض المعركة، وباقي سفن المصريين في فرع النيل، حاملة رجال الكوش الأشداء منتظرين الإشارة، يسمع (أحمس) من فوق عربته ذلك الصوت من (أواريس) فالسلاسل الحديدية الحاملة للبوابات المعدنية تتحرك بسرعة، ما يجعل ارتطام حلقاتها ببعضها البعض فوق البكرات مخيف وسط ذلك الصمت، يرى قائد الجيوش (نشيء) البوابات المعدنية تفتح، تنخفض من الإرتفاع العالي، تتحول من رأسيتها إلى الأفقية، صانعة ممر معدني من الجدار إلى الجانب الآخر من الشاطئ، يرى (مرسو) البوابات الخشبية الداخلية تفتح على مصراعيها دون فعل من بشري، أما في الداخل يبتعد الجنود الخاسوتيين عن أسفل الجدار إلى داخل أواريس، كما أمرهم قائدهم الفينيقي، مَن يقف فوق عربته بجانب الأمير (بعل) منتظرين ما هو قادم من الأسفل، وفي داخل الجدار بذلك الممر الرئيسي، تتحرك الأرضية أمام البوابات المفتوحة صانعة عدة فتحات مستطيلة بأرض الممر.. مُتَّسعة اتساع عرض البوابات، مظلمة كظلمة السماء، مخرجة أصواتًا لم يسمعوها من قبل، ما بين زمجرة الآلاف من السباع والغوريلات في آن اوحد، ومع الآلاف من أقدامهم، ومع حركتهم بالداخل، تصدر هواءًا مضغوطًا ما يجعل المشاعل على جانبي ممر

السور تنطفئ، وبعدها تتقافز من الفوهات سباعًا، ذوي رؤوسًا بشرية، قردة ذوي رؤوس بشرية، تركض منها غرويلات ذوي رؤوس بشرية في إتجاه واحد على الممرات المعدنية فوق المياة، سرعتها المخيفة يراها المبتسم (أبوفيس) من أعلى جداره، تنتشر على الأرض كما ينتشر النمل الهارب من عشه المحطم، يختفي أسفلها لون الأرض، لون النباتات الأخضر، ولا يبقى سوى ألوانهم المظلمة، محدثين دائرة من الظلام، لا تنتهي من التمدد حول (أواريس)، يستعد الأمراء الوراثيين لما هو قادم، يصوب الجنود حربهم في وضع الدفاع، وما يفصل بين تمركزهم والدائرة التي تنتشر، كالدماء السوداء، دائرة من النار المشتعلة، ما يجعل الوحوش الراكضة في سرعة تتوقف فجأة، أمام النار العالية في أشجار أمامهم، نباتات مشتعلة، أكوام عالية من الأخشاب المشتعلة، يرى الجنود أشكال الوحوش خلف ألسنة النار، يسعل البعض من رائحتهم الخبيثة تزيد ابتسامة (أبوفيس) فوق جداره العالي ليتحدث بصوته الحيواني، ما يسمعه (أحمس) وأعوانه في أرض المعركة:

،،هل تظنون أن النار ستحميكم من وحوشي؟؟ أنتم واهمون،،

ومع انتهاء جملته، وانتهاء صدى صوته بالأرض، تبدأ الغوريلات ذوي الرؤوس البشرية في النزول على الركبتين والكفين متخذة وضع أشبه بالسجود، لتبدأ سباع أبو الهول في الركض فوق ظهورها الساجدة ، لتقفز من فوقها، ليعبرون من فوق ألسنة النار، حتى يصلوا إلى موضع

الجنود المصريين، بعضًا من السباع تخترق أجساده حرب جنود المصريين، وبعضها يسقط فوق أنصال السيوف، وبعضها ينزل غارزًا مخالبه في صدور الجنود، وجزء يلتهم رؤوس الجنود، لتبدأ المعركة بين السباع والجنود، فيرى (نشيء) بضعًا من جنوده ملتفين حول سبع يحاربونه بسيوفهم ليلتقط منهم مَن يقترب منه، ويرى (مرسو) سبعًا يعبر فوق جثث جنوده ويرى (أحمس) وقوف الغوريلات حاملة القردة الصغيرة لتقذفها على الحاضرين خلف ألسنة النار، لينزل الفوج الثاني من الوحوش من القردة، منهم مَن يمسك في ظهر جندي بذراعيه يأكلها ومنهم مَن يلتهم رؤوس الجند ومنهم من يلتقط سيوف الموتى ويحارب بها وجهًا لوجه مع الباقين على قيد الحياة، فالجندي يبارز بالسيف قردًا برأس بشرية، يطلق أحمس أول سهام الرماة، كما يفعل الأمراء الوراثيين، من فوق عرباتهم الحربية، سهامًا مشتعلة نصولها لتسقط خلف الحاجز الناري من ألسنة النار تصيب النار بعضًا من الغوريلات بعضًا من السباع وبعضًا من القردة، هناك مَن يموت وصرخاته تملأ سماء المعركة، وهناك مَن يتغلب على تلك السهام ويخرجها من جسده، يرى (أبوفيس) السهام الممطرة على وحوشه من الرماة المصريين، ولكن هيهات؛ فالأعداد أكبر بكثير، فما على الأرض ما يزيد عن مائة ألف من وحوشه المتنوعة، يقلق (أبوفيس) من تحرك سفن المصريين بفرع النيل، مَن تنقسم أمامه إلى قسمين، متحولين في الممر المائي حول جدار مدينته، لتصل أول سفينة بقيادة أمير (اتيت آوى) إلى أحد الممرات المعدنية، يشير إلى رجاله من أبناء الكوش، ليتقافز ذوي الأجساد السمراء بنقبهم فوق الممر،

يجدون قائد جيش الخاسوت (الفينيقي) بعربته خلف جنوده المتمركزين في وضع الدفاع عن مدينتهم، ينطلق أمير (آتيت آوى) إلى الداخل بصرخته العالية ومع جنود الكوبيش وعلى ممر آخر بالجهة الأخرى يركض (مس) و(ابن أبانا) و(ابن بنخت) مع رجالهم من المازوي مصطدمة سيوفهم بأجساد الخاسوتيين، تتحول إبتسامة (أبوفيس) إلى غضب، ليرفع صولجانه عالياَ، صوب سماء (أواريس)، وبصوته الحيواني العالي:

،،يا عبادي من شياطين الظلام.. فلتأتوا لي مع عواصفي.. ولتهبطوا مع الأ مطار لتتخذوا من جنودي موضعًا... وتقتلوا جنود الكافرين،،

تتحرك الرياح من داخل (أواريس) إلى خارجها، ومع حركتها تبدأ جنود الخاسوت أ ولهم (الفينيقي) قائد جيشهم بالصراخ متألمًا، ما يجعل المعركة بينهم وبين المصريين تتوقف، فـ(مس) يرى الجنود ممسكين برؤوسهم وهم يصرخون من شدة الألم، وأمير (آتيت آوى) يرى قائدهم ينتهي من الصراخ، وينظر له مبتسمًا، بأعين حمراء اللون تمامًا، لا بها لون أبيض أو أسود لقرنيته، مجرد عين حمراء كاملة، لا يستطيع تحديد ملامح أو تفاصيل عينيه، ومع سقوط المطر يرى (ابن أبانا) جميع الجنود ألوان أعينهم أصبحت حمراء، وتبدأ جنود الشياطين متحولة من موضع الدفاع إلى الهجوم، يصارع أمير (أتيت آوى) بسيفه الكوبيشي، يغرز في جسد الأول، ويخرج منه السيف مخترقًا صدر مَن خلفه منهم، ولكن (مس) يرى جنودهم لا يتساقطون أرضًا من أثر جروحهم، هما كما هم أمامهم بلا أي من

الإحساس بجروحهم، أو حتى بنزيف أجسادهم بل ما زالوا يواجهونهم بسيوفهم، يأتي السيف في ظهر أمير (أتيت آوى) وسيف آخر في صدر الكوشي الذي بجانبه، لتبدأ جنود المصريين في التساقط بجانب (ابن أبانا) و(ابن بنخت)، ينادي (مس) عالياَ: (أقطعوا الرؤوس)، فأمامه جندي أطار رأسه، ليسقط جسده أرضًا فيبدأ (ابن أبانا) و(ابن بنخت)، مَن وقفا ظهراَ إلى ظهر، متحامين بأجسادهم من غدر سيوفهم بقطع الرؤوس، لتبدأ الأجساد في السقوط حولهم مُحدثين دائرة من جثثهم، ولكن يبتسم قائد الجيش الفينيقي إلى (بعل) بنظرة من عينه الحمراء لم يفهمها، ولكن ما رآه أبشع ممّا تصور، جثة أمير (أتيت آوى) ومَن معه من جنده أصبحت تقف مرة أخرى على أقدامها، بأعين حمراء اللون، مصوبة سيوفها ليس لجنوده بل صوب صدور جنود المصريين وسيوف الكوبيش، هذا نفس ما رآه (نشيء) لجثث جنوده من وقفت مرة أخرى تحت هطول المطر بأعين جديدة حمراء اللون، تصوب في صدور جنوده الأحياء، تسير جنباَ إلى جنب مع القردة والسباع، تبدأ ألسنة النار تنطفئ تدريجياَ تحت قوة الرياح، تحت سقوط المطر، لتدخل الغوريلات إلى ساحة القتال، لتبدأ الأجساد تتطاير بقوة ذراعيها أمام أعين (مرسو)، تتقاذف أجساد جنود (أحمس) من بين صفوفهم، بفعل ضرب الغوريلات لهم بأقدامهم، حتى تصل جثة أحدهم أمام أقدام أحصنة عربته، ينظر إلى الأمراء وهو ينادي: (تراجعوا)، ويلتف بعربته الحربية كما فعل الأمراء للجهة الأخرى، عكس (أواريس)، ليبدأ أمام أعين (أبوفيس) أعلى جداره، ذلك المشهد الذي ينتظره تحت هطول المطر، الكر

والفر، ما يبدأ في الأسفل، ما يضع ألوانًا أخرى في أرض المعركة، من جنود المصريين وظلام الوحوش، فما يراه (أبوفيس)، أشبه بقطرات من الزئبق يتحرك عكس قوانين طيبعة الماء، لتتفرق دائرة جنود المصريين، وتصبح دوائر أصغر متفرقة وخلفها، تتحول الكتلة السوداء من وحوشه إلى أوراق من زهرة مركزها أواريس، وأوراقها هي أفواج الوحوش اللاهثة خلف الهاربين، وعلى الأرض تركض الوحوش، فتأتي غوريلا في هرولتها بدهس أربعة من الجنود، وقردًا بالقفز على ظهر جندي راكض، ليسقطه أرضًا، ليجد نفسه فريسه أمام فكّي لرأس أبو الهول البشرية، وسبع آخر منهم ينزل بسرعته، فاصلًا لعشرة من الجنود طريقهم، وما هي إلا لحظات لتأتي غوريلا بكلتا يديها لتطيح بهم يمينًا ويسارًا، يرى (أحمس) أثناء قيادة عربته ذلك المشهد المهيب، وهو يختلس بنظرة خلفه، فالحيوانات أسرع من ركض الجنود، ويرى (مرسو) جنود الشياطين تقف مع الوحوش، تحارب جنبًا إلى جنب مع القردة والغوريلات، ويهاب (نشئ) من سرعة سباع أبو الهول، وفي (أواريس)، يزداد عدد جنود الشياطين شيئًا فشيئًا، ما يجعل (مس) يأمر جنوده الذين ما زالوا على قيد الحياة بالهرب: (تراجعوا)، يرى (ابن أبانا) قرار (مس) صحيحًا، فكل جندي يسقط منهم يتحول لجندي ضدهم، وجنودهم أصبحوا أقل عددًا في مواجهة جنود تحتلها شياطين الظلام، ويبدأوا في الهرب من أواريس وخلفهم يركض جنود الخاسوت، بأعينهم الحمراء، يصل (ابن بنخت) إلى الممر الحديدي فينادي على مَن هم واقفين على سفينتهم: (أوفروا لنا غطاء)، وعلى إثر كلمته يبدأ جنود السفن بإخراج السهام، يضعوا

نصولها الملفوف بها أجزاء من الكتان في تلك المشاعل الحديدية، المتراصّة على جانبي السفينة، ومع ملامسة الكتان الفتيل المشتعل، يشتعل السهم، وتبدأ الأسهم النارية في الإرتفاع عاليًا، لتتساقط في أجساد جنود الشياطين، منهم مَن يشتعل صارخًا، ومنهم مَن يصل إليه السهم منطفئ تحت الأمطار، فلا يحدث به شيئًا، يصل إلى السفينة، ويقفز (مس) بالمياه لعدم لحاقه بالسفينة، لتحركها بعيدًا عن الممر المعدني، ومع تجديف جنودها يقفز وراء (مس) جنود الشياطين، مَن يحاولون بالماء السباحة، لحاقًا بالسفن، ومع تحرك السفن مبتعدة عن (أواريس)، ترى (نفرتاري) أن هذه إشارة التراجع بالنساء، بعيدًا عن أيدي وحوش الظلام، فما تراه ما هو إلا بداية لأمر تهاب من حدوثه؛ الهزيمة، هذا ما يقلق (أحمس)، أن تفشل خطته، ولكن مع رؤيته لعبور العربات الحربية للعلامات المتفق عليها، يشير للعربات بالتوقف، ويشير لرماة السهام بالبدء في فعلهم، فالتراجع لم يكن هروبًا كما رأى (أبوفيس)، ولكن هي خطة (أحمس) وأمراءه البديلة، فيرى (أبوفيس) من أعلى جداره مشهدًا جديدًا بالمعركة، فموضع جنود (أحمس) وأعوانه اختلف، فآخر جندي من المصريين في موضع رماة السهام قبل التراجع للخلف، ومع انطلاق سهام رماة الأقواس من موضعهم الجديد، تنزل السهام المشتعلة في الأرض الواقف عليها وحوشه، لتنطلق النار في سرعة في أجساد الغوريلات ورؤوس السباع وأقدام القرود، تركض القردة المشتعلة بين صفوف الوحوش وما تحاول الإستنجاد بها بالملامسة تنطلق النار به مثلها، ليرى (أبوفيس) خطوطًا من النيران، في جثث من وحوشه لتصبح

فاصلًا جديدًا بينهم وبين المصريين، صرخات الجنود الشياطين المحترقة تصل لآذان (مرسو)، وزمجرة الغوريلات لا تمنع (أحمس) من نزوله من فوق عربته مشيراَ للجنود ببدء تنفيذ الأمر التالي:

- "جهزوا خطوطًا جديدة قبل انطفاء تلك النيران".

ومع أمره تبدأ الجنود في سرعة، لحمل العديد من الأواني الفخارية، المحملة بزيت سريع الإشتعال، يصلوا بها إلى الأرض الفاصلة بينهم وبين الوحوش، يبدأوا في تفريغها في سرعة على الأرض، محدثين بها خطوطًا زيتية، يرون بدء انطفاء النيران فيشير (نشيء) للرماة، لتنطلق السهام المشتعلة مرة أخرى، في الخط الزيتي الجديد، لتنطلق النيران في خطوطِ جديدة خلف الخطوط النارية المنطفئة، تحاول الغوريلات عبورها قبل الاشتعال، ولكن السهام تكون أسرع من ركضهم، فتنطلق النيران بهم، لتتوقف السباع والقردة، ليزداد غضب (أبوفيس) أعلى جداره، لتزداد سرعة الرياح، بهطول المطر ، ولكن ينتبه الملك لأمرٍ آخر داخل (أواريس)، ما يزيده غضباَ على أمر المصريين، رؤيته لذلك الابن (بعل)، مَن يهرب بعربته من أرض المعركة، يفهم سبب هروبه، ما رآه في أمر الجنود الخاسوتيين، الذين أصبحوا مجرد شياطين، فيرفع صولجانه عالياَ، ليفهم عُبّاده من الشياطين أمره، ينطلقوا خلف الهارب من ساحة المعركة بعرباتهم الحربية في طرقات (أواريس)، بين بيوت العامة، تقترب العربات من عربة (بعل)، لتصبح العربات محاطة بعربته من الجانبين، يبدأ (بعل) في إطلاق سهامه، لتخترق راكبي العربتين على يمينه، ولكن بلا سقوطهم، ويخرج إحدى الراكبين

سيفه، مقترباً من سياج خيل عربة (بعل) الأمير، لتصبح الخيل حرة من أمر الأخير، فيجد عربته تنزل أرضًا مصطدمة بوحل المطر، فيتطاير (بعل) عالياَ قبل السقوط أرضًا، أمام أقدام جنده السابقين، الذين هم حوله واقفين، حتى يأتي أمر أبيه، من فوق جداره العالي، ما يأتي إلى مسامع مَن يخترق الصفوف، حتى موضع الأمير الأسير، مَن يرى بشاعة وجهها، ذات الوجه المشوه وهي تتحدث للأمير في ثقة من أمر (أبوفيس)، الذي هو في ذاته إلهها (ست):

- "إلهنا (ست) أمر بجعلك أسيراَ لي في سرداب أواريس".

ومع انتهاء جملتها له يتحرك الجند به، في طريقه الجديد أسفل مدينته السابقة، وعلى الناحية الأخرى، خارج مدينته، يقف (أحمس) وسط أمراء مصر الوراثيين، يتساءل:

- "الزيت الذي معنا إلى متى سيكفينا؟"

ليجيب أمير (ابيس):

- "كل ما نملكه من زيوت في حالة سقوط المطر المستمر يكفينا حتى بزوغ الفجر"

- "وبعد بزوغ الفجر؟"

يقولها (مرسو) قلقًا من كلمات أمير (ابيس) السابقة، ليجيب (نشيء) قائد الجيوش:

- "ستصبح جيوشنا بلا خطوط دفاعية من النار أيها السادة

الأمراء".

ينظر الأمراء إلى بعضهم البعض، وتبدأ الهمهمات تتعالى فيما بينهم، حتى يقرر (أحمس) ذلك القرار:

- "إذًا لا نملك سوى حل واحد مع مطلع الفجر.. ونسبة النجاح به تقريباَ معدومة.. لكن هو أملنا الأخير.. فقط لكسب بعض الوقت".

ينظر الجميع إلى (أحمس) الذي يعرض قراره الجديد، الذي هو ما يجعل الأفواه تفتح من هول ما يقول، ليصبح ما يعرضه هو مجرد قرار للموت، كما قالت النبوءة.

****

يحاول ألا يبكي، يحاول أن يمنع تلك المشاعر، مشاعر الحسرة، أحاسيس الندم، يحاول أن يصبح أمامها كما عاهده (مس) دومًا، قويًا، لا يهاب من شيء، ولكن ما يراه في نفسه، أصعب مما أن يتخيل يومًا، أن يصل إلى ذلك المصير، فينظر إلى ذراعيه الممدودين على آخرهما، على ذلك اللوح الخشبي، وملتف عليهما السلاسل الحديدية، فينزل بناظريه ذليلًا إلى أسفل ساقيه، الممدودين أيضًا على اللوح الخشبي، وملتف حولها أغلالًا من الحديد، تنظر له ذات الوجه المشوّه مبتسمة وهي تراه أمامها مصلوب عاريًا، لتضحك بضحكات ساخرة من وضعه الذليل:

- "أهذا هو ولي عهد المملكة.. لست قادر على مواجهة أعدائنا

بمعركتنا المقدسة مع قوتك.. أتهرب من مجدنا؟"

- "عن أية مجد تتحدثين؟ .. أنتم لا تحاربون وجهًا لوجه.. أنتم تحاربون بوحوش وشياطين.. أنتم لستم بقادرين مواجهة المصريين دون الإستعانة بقوى الظلام.. بعد ما كنا نحن الأقوى بالسلاح والعتاد والعربات الحربية في عهد جدي الأكبر (سالتيس)".

تغضب ذات الوجه الوجه المشوه من حديث أسيرها (بعل)، فتقترب منه وبنبرة غاضبة في وجهه:

- "جدك الأكبر (سالتيس) لم يستطع أن يدخل أرض (الكمت) من غير مساعدتنا نحن.. جماعة الإله (ست) إلهك.. وعندما فكروا في الإستفاقة من ضعفهم ويحاربوننا لم يتغلبوا على سلاحنا وعرباتنا الحربية التي تتحدث عنها.. ولكن لحظة.. أخبرني (أحمس) بمَ يحاربنا.. أليس بذلك السلاح والعربات التي علمناهم كيفية استخدامها التي هي في بادئ الأمر؟ هي ملكًا لنا".

يبتسم (بعل) وهو ينظر إلى تشوهات وجهها ويجيب السؤال بسؤال:

- "وأنتي بمَ تحاربين؟ .. أليس بوحوش قوى الظلام التي تعلمتي أمرها منهم يا أخت (بس)؟"

تبتعد عنه ذات الوجه المشوّه، لتجلس على مقعدها بساحتها أمام موضع صلب (بعل) وفي كل هدوء تجيب عليه:

- "نحن تعلمنا منهم وهم تعلموا منا، إذًا الكفة متوازنة يا حفيد سالتيس".

يضحك (بعل) ساخرًا منها:

- "متوازنة؟ .. ألم تسألي في قرارة نفسك لماذا لم يستخدموا قوى الظلام طالما ستحقق لهم النصر علينا مثلما فعلنا نحن؟ .. أعندك إجابة عن كيفية التصرف في أمر وحوشك بعد المعركة؟"

- "لا يهم.. المهم النتيجة.. نقطة ضعف الخصم هي نقطة قوتك.. وهذا ما نفذناه"

يدخل أحد الحراس إلى الساحة مقاطعًا حديث ذات الوجه المشوه، لتنظر غاضبة، فيتحدث لها وهو يقترب من موضع عرشها بساحة مدينة السرداب:

- "سيدتي.. لقد اختفت (تازي) و(عشتار) من غرفتيهما".

تقف ذات الوجه المشوه، والصدمة تملأ ملامح وجهها الغاضب:

- "بمَ تقصد أنهم اختفوا؟"

يقترب الحارس منها وهو يتحدث:

- "لقد بحثنا عنهم في المكان ولا يوجد لهما أثر يا مولاتي"

- "مولاتي!".

تقولها ذات الوجه المشوه مندهشة من كلمته، فلا يوجد لديها أي

من رجالها يقول لها تلك الكلمة، ولكن سيف الحارس على رقبتها كان أسرع من محاولتها لفهم الأمر:

- "فُكِّي وثاق الأمير وبعدها نتفاهم يا أخت (بس)"

يقولها الحارس وهو يربط كفيها بحبل من الكتان خلف ظهرها، متناولًا من يدها مفتاح أقفال أغلال (بعل)، ثم يضع في فمها قطعة كبيرة من القماش، حتى لا تتمكن من الحديث، قبل أن يلقيها على أرضية الساحة، تفتح أقفال (بعل)، ليتحرر من أغلاله، يتناول (بعل) نقبته من الأرض، ليرتديها، يبتسم الحارس لـ(بعل)، الذي لا يعرف ماهية منقذه، ليفاجأه بها:

- "منتو بن هر بن يعقوب".

تفتح عيناها على آخرهما مما سمعت، ليلتفت لذات الوجه المشوه مبتسمًا:

- "نعم أنا من قتلتم أباه لخروجه عن طوعكم.. ولأن تضحيتي أكبر من تضحيتك أنتِ وأخاكي.. إذًا أنا الأحق بمكانكم يا أخت (بس)".

يقولها (منتو بن هر) وهو يجرها من شعرها أرضًا، حتى تصل لموضع عرشها، ليجلسها عليه عنوة، ويتناول (بعل) الأغلال من موضعها السابق، ويبدأ في لفها حول جسدها بعرشها وهنا بيدأ (منتو بن هر) في رفع مشاعل القاعة من موضعها المعلق بالجدار ليناوله لـ(بعل)، بنظرة يفهمها جيدًا (بعل):

- "قررت أنا ولي عهد المملكة بالحكم عليكِ بالموت يا أخت (بس)".

ومع صرخات ذات الوجه المشوه المكتومة بفعل القماش بفمها، يبدأ (بعل) في إشعال أطراف ثوبها أعلى ساقيها، بنار المشعل، تبدأ النار تتغذى على قماش الثوب وسط أنينها، وسط مقاومتها، وما هي إلا لحظات ليدخل الحراس إلى الساحة على صوت النار المتعالي، ليجدوا ذات الوجه المشوه تصارع الموت، وأثناء إلقاء المياه منهم على سيدتهم، تكون قد لفظت أنفاسها الاخيرة، ومع خروج (منتو بن هر) و(بعل) من فتحة الخروج من السرداب، خلف تمثال ذلك الإله بمعبده، الذي لا يعلم فوق جداره العالي، في جسد (أبوفيس) سوى أمر واحد، أمر عهده، بيوم لون سماء (أواريس) الأزرق، سماء الفجر، فجر (أواريس)، بين (حورس) و(ست) في أسطورتهما المعهودة.. أسطورة الآلهة.

****

٥- أسطورة الآلهة:

بزوغ الفجر، بلون سمائه الأزرق، على الرغم من الغيوم الرمادية، التي تمنع بوجودها أي مصدر للضوء، وبأمطارها المتواصلة تسقط قطراتها على آخر ألسنة النيران، لآخر حاجز بين الوحوش الجنود، وهنا يرفع (أحمس) هذه المرة شعلته عالياَ، فيرفع العديد من ركاب العربات شعلاتهم وينفذوا ذلك الأمر، ما اتفق عليه قبل سابق، بين (أحمس) والأمراء الوراثيين للمقاطعات، بأن ينقسموا إلى نصفين، عشرون مع الجند بنصف العربات الحربية، وعشرون مع (أحمس) ومن اختار الانضمام له من قائدي العربات الحربية، في تلك المهمة الإنتحارية الجديدة لينزل (أحمس) بشعلته في جدار عربته الخشبي، لتنطلق النار بذلك الجدار ذوي الثلاث أضلع، لمستطيل العربة، لتنطلق خيول عربته الاثنين هرباً من رؤيتهم للنار المشتعلة بالعربة، وهذا هو ما يريده منهم، لتنطلق العربة مسرعة بأقدام خيولها، وقعه الأمراء العشرون والمختارون من سلاح العربات الحربية، وما يراه (أبوفيس) من أعلى الجدار، بعيون (ست) الحمراء.. يرسم الابتسامة على وجهه، فالهزيل قادم إليه، وسط تلك العربات المشتعلة، ما يركض بين الوحوش، التي تبتعد عن نار عربة (أحمس)، متفادية أن تشتعل، ولكن السباع من سباع أبو الهول، تغامر بالقفز في الهواء، ليجد الأول سيف (أحمس) في بطنه مخترقها، ليسقط صريعًا، وعلى عربة أخرى من الأمراء تشتعل بنار العربة لتسقط على

قائدها ليسقط سوياً داخل العربة الراكضة بأحصنتها مشتعلين سوياً، وعربة أخرى تهاجمها الغوريلات، ليس قائدها، بل خيولها، لتمزق صدورها، مخرجة قلوبها، ليسقط أميرها بين باقي الغوريلات، مقطعين أطرافه في عنف، وفي المسافة الممتدة ينجو فقط أمام شاطئ الممر المائي حول جدار (أواريس) العالي، نصف العدد فقط، هذا هو ما توقعه (أحمس) قبل وضع خططته، ومع الاقتراب من الشاطئ، يربط راكبي العربات الحبل بالسهم، يصوبون سهام أقواسهم تجاه الجدار العالي، لتنطلق السهام، لتكون العلامة المتفق عليها مع (نشيء) قائد الجيوش للهجوم، فمعظم الوحوش تركض خلف العربات وليس الجند، الذين يبدأون بإطلاق حربهم المشتعلة في ظهور الغوريلات، وسيوفهم المشتعلة أيضًا يقطعون بها رؤوس القردة، ورماة السهام تنزل سهامهم المشتعلة في أجساد سباع أبو الهول، أما سهام (أحمس) والأمراء الباقين من العشرين يصل بعضها إلى أجساد الجنود بأعلى الجدار، لتسقط بعض الجثث بالحبال المربوطة بها في مياه الممر المائي، وجثثًا أخرى تعلق بالجدار، كما هو حال (أحمس). ومع توقف خيل عربته، أمام المياه، وثبات الجثة صاحبة سهمه، يجذب الحبل المربوط بالسهم جسد (أحمس)، المربوط أيضًا من وسطه بالحبل، ليطير (أحمس) عالياً في الهواء، متشبثًا بذلك الحبل، فوق الممر المائي، عابراً له، حتى يقترب جسده من الجدار، ليرتطم به مرة، وأخرى ليثبت بقدميه على جسم الجدار، ويبدأ في الصعود بيديه متسلقًا الحبل، يبدأ مثله باقي الواصلين في الإرتفاع على الجدار مثله، تبدأ السهام في الإنطلاق من رماة الجدار،

للأسفل على الصاعدين، يسقط من يسقط متأثرًا بجراحه، ويتفادى من يتفادى سهامهم، أما (أحمس) قبل أن يطلق عليه الرامي، تأتي ضربة صولجان مولاه له مانعة، مع جملة (أبوفيس) بصوته الحيواني: (إنه لي)، لتسقط جثة الرامي بجوار (أحمس)، ينظر (أحمس) للأعلى ليرى تلك الأعين، ذوي القرنية الحمراء، وبدون أن تتحرك شفاه، يأتي لآذانه، داخل عقله كلمات تتردد بنفس ذلك الصوت: (أنت لي أيها الهزيل)، لم يهاب الهزيل، بل ازدادت سرعته فيما يفعله من تسلق لحبله، يصل إلى أعلى الجدار، يصعد إلى أرضه، ذلك الملك (أبوفيس) يقف أمامه، لا يفصل بينهما سوى خمسة أذرع، يشير له (أبوفيس) بصوت (ست) الحيواني:

- "أنت الهزيل ابن أخي (أوزوريس)؟"

لا يستوعب (أحمس) ذلك الصوت الحيواني، فهذا ليس صوت (أبوفيس) يوم زفاف (بعل) بقصر أواريس، ويتساءل في عقله، كيف يكون (أبوفيس) أخًا للإله أوزوريس؟، لتأتي إجابة (أبوفيس) له كمن يقرأ أفكاره:

- "إذا كنت آتيًا لمحاربة (أبوفيس) فهو ملكًا لي.. أنا الإله (ست) الأحق بحكم (الكمت) عنك أيها الهزيل (حورس)"

يستوعب (أحمس) أنه لن يحارب إنسانًا، بل إله الشر عينه، وهو لا يحمل غير ذلك القوس الذهبي للإله (حورس)، الذي يقوم بصوب ثلاث من سهامه الذهبية لجسد (أبوفيس) الذي أمامه قائلًا له:

- "أنا أحمس بن سقنن رع.. من اختارني (أوزوريس) للقضاء عليك سواء كنت بشرَا أم إلهًا.. لا يهم.. فسأقضي عليك".

يطلق السهام بكل قوة لتنطلق إلى ثلاث إتجاهات مختلفة، مخترقة قطرات المطر مع سرعتها، ليدخل سهمًا في رأسه، وآخرَا في قلبه، وثالثًا في ساقه، فيبتسم (أبوفيس)، لتنير قرنيته الحمراء، كقطعتين من اللهب، فتخرج السهام من مواضعها الثلاثة، وتخرج قطرات الدماء من مواضع الجروح من فعل السهام في الهواء، ليس رأسيًا إلى الأسفل، بل أفقيًا متقاطعة مع قطرات المطر، لتمتزج بها، قبل أن تعود مرة أخرى إلى جسده، صانعة جلدًا جديدًا من اللون الأحمر الداكن لبشرته، لتختفي الجروح، ومع إشارة من صولجانه، تلتف السهام في حركة دائرية في الهواء، لتصوب تجاه (أحمس)، ومع ضرب (أبوفيس) بصولجان (ست) أرض الجدار، تشق السهام الثلاث المطر، فيلتف (أحمس) حول نفسه، فيتفادى السهم الأول بجانب أذنه، والثاني يعبر أمام صدره أثناء دورانه، والثالث يخترق قدمه، فيسقط أرضًا، يكسر السهم بيده، ويخرج نصله من قدمه وهو يصرخ متألمًا مع خروج النصل، يضحك (أبوفيس) بضحكة (ست):

- "أأنت من اختاره أخي (اوزير) للقضاء عليّ..؟ أنت مجرد فاني.. لا ترتقي حتى إلى ابن غير شرعي له".

يقف (أحمس) وهو يتألم من قدمه، يشعر ذلك الشعور وهو يخرج سيفه الكوبيشي من غمده، إن نبوءته قد حانت، وإن مصيره للموت على يد (أبوفيس) تحت المطر قد اقترب، يفكر وهو يركض بقدميه،

هل موته على يد (أبوفيس) أو كما يدَّعي (ست) سينهي أمرهم، لا يهم، بل قرر أنه سيموت وهو يحاول، ينزل سيفه على صولجان (ست) ليصطدم به تحت قطرات المطر، فينكسر السيف المنحني، ليصبح ما تبقى منه أقصر من نصل خنجر، ولكن يقوم بالمحاولة مرة أخرى، ليأتي صولجان (ست) ليطير سيفه من يده، يضحك (أبوفيس) ولكن ما زال (أحمس) واقفًا على قدميه ودماء قدمه تمتزج بمياه المطر على أرضية الجدار، ما يراه (أحمس) أنه قد حانت نبوءته، نبوءة المطر الأحمر، عندما تتساقط المياه بدمه من أعلى الجدار، ولكن يكوِّر قبضته، متحدياً ذلك الإله:

- "إذا كنت إله.. فلتحاربني دون صولجانك"

يُلقي (أبوفيس) صولجانه أرضًا، يفرد ذراعه في الهواء منتظراَ هجوم (أحمس) عليه، يوجه (أحمس) لكمته له في رأسه، ولكن ذراع (أبوفيس) تكون أسرع في توجيه لكمتها إلى رأس (أحمس)، ليطير في الهواء من إثر اللكمة، مبتعدًا عن أبوفيس، وعن أرض الجدار، ليسقط في الهواء ليس بخارج (أواريس)، ولكن بداخلها، ينظر (أبوفيس) له، وما أسفله، ما هو إلا أرض من الطين، ما سيصطدم بها (أحمس) الفاني، ليلقي مصيره لمن يتحدى إله مثله، يغمض (أحمس) عينيه، يطلق عنان فكره لتقبل مصيره، بنبوءة المطر الأحمر، ما تحقق مع اختلاط دمه بمياه المطر، ما لمس أرض (أواريس) من طينها المميز، ويحاول في تلك اللحظة أن يتذكر وجوه أعزائه، ولكن ما يراه هو ذكرى أخرى، وهو طفل، في معبد (آمون) بطيبة، جالسًا أمام ذلك

الكاهن (تحوتي)، يتذكر تلك الكلمات، ذلك السؤال الذي طال تفكيره به وهو صغير في تلك اللحظة:

- "لماذا قبلت محكمة الآلهة كلمات (ست) لـ(إيزيس) واعتبرته إعترافًا منه بحق (حورس) في حكم الأرض".

يتذكر كلمات الكاهن (تحوتي) له آنذاك:

- "لأنه اعترف بحقيقته أمام فانية ما لعبته (إيزيس) أمامه من سيدة طاعنة في السن.. على عكس ما قاله أمام آلهة المحكمة.. قال ما يشعر به من ظلم قد ظلمه لـ(حورس)".

يرى وجه (تحوتي) أصبح وجهاً آخر.. وجه أوزوريس.. إله مصر المحبوب.. أبو (حورس) المقدس بكلمات جديدة غير ما حدث في ذكراه:

- "لقد اعترفت بحقيقتك، ما شعر به قلبك دون خوف من (ست).. هذا هو مفتاح القضاء على أخي (ست).. الاعتراف بحقيقته.. الشعور بالحقيقة".

يفتح (أحمس) عيناه، مع ذلك الشعور المفاجئ، الارتطام، ليس بالأرض، بل بسطح المياه ليغوص الجسد داخلها، يصل إلى القاع، يرى بعينيه إقتراب سطح المياه، على الرغم من عدم حركته، يخترق وجهه الهواء بنزوح المياه تدريجياً من حوله، من حول رأسه، من حول جسده، أثناء رجوع الماء مرة أخرى إلى الأرض، إلى طين (أواريس)، يعتدل (أحمس) من وضع النوم إلى الجلوس، ليرى نفسه بداخل

حفرة كبيرة داخل أرض (أواريس)، ينظر إلى قدمه ليجد أن جرحه قد شُفي، يقف وقد رأى ذلك (أبوفيس) من أعلى الجدار، فصاح بصوت (ست) الحيواني غاضباَ:

- "هذا غش يا أخي (أوزوريس).. يا أبي (رع) لقد تدخل (أوزوريس) بقواه من أجل فاني".

يلتفت جنود الشياطين بأعينهم الحمراء حول تلك الحفرة الكبيرة، التي لم يفهموا متى صُنِعَت، ومتى خرج من الماء قبل أن يعود إلى موضعه بالأرض ثانية، ولكن (أحمس) يفهم الآن ما حدث، ما حدث له عند شعوره بحقيقته، وبمصيره وبدوره المطلوب منه.. يضع يده على سلة سهامه، لتلمس أنامله أنصال سهام جديدة، طولها طول نصل الخنجر، يبحث عن قوسه الذهبي، ليجده ملقى أمامه أرضًا ولكن امتد طولًا، ليصبح ضعف سابقه، يشعر بأن هناك تغير يحدث في عينيه، يصعد من الحفرة متناولًا قوسه الذهبي، يقف أمام جنود الشياطين، وقد رأى أعينهم الحمراء، ويرى ما بداخل أجسادهم من شياطين سوداء اللون، مثل الأدخنة، بلا ملامح جسدية، بل ملامح لرؤوسها فقط داخل الرؤوس، ما لم يشعر به قبلًا، أن يرى ما بداخل النفوس من شر وشياطينه، أما جنود الشياطين يروا قرنيتيه الجديدتين، اللتان قد تحولتا إلى قرصين من الذهب، الأمر الذي يعلمانه جيدًا وما يهابون رؤيته، أعين (حورس) المقدسة، يبدأ جندي منهم في تصويب سهمه تجاه تلك الأعين، ولكن قبل أن يطلق سهمه، يقابله سهمًا آخر في عينه الحمراء، ليس من الصاعد من الحفرة، بل

من خلفه، ليلتفت (أحمس) للخلف بناظريه، ليجد هؤلاء الثلاثة واقفون (ابن أبانا) و(ابن بنخت) ويتوسطهم رامي السهم، صديقه المقرب، رئيس المازوي، الكاهن الشاب (مس)، الذي يندهش لأعين حورس بوجه (أحمس) متحدثًا بثقة مختلطة بصدمته التي أفرحته مما رآه:

- "مولاي الأمير ها هي هيئتك الجديدة لكي تحقق نبوءتك كإلهنا (حورس) في الأرض".

ينحني (مس) و(ابن أبانا) و(ابن بنخت) أمام (أحمس) الذي يأمرهم بصوته عاليًا، صائحًا بصوت شبيه بزئير ألف أسد بـ(أواريس). ما يصل لمسامع الواقف بجداره العالي، وما يصل لجنود المصريين المتعاركين مع الوحوش، ما يوقف حربهم في تلك الكلمات القادمة:

- "فلنقضي على (ست) ومَن معه من أعوان يا عباد (آتوم) الواحد".

يقبض بكلتا يديه على سهمين من سلة سهامه المعلقة بظهره، فيظهر مكانهما اثنين آخرين أمام أعين (مس)، ويمسك (أحمس) السهام من أسفل نصليهما كأنهما خنجران بيديه أمام أعين (ابن أبانا) ليركض على جنود الشياطين أمام ناظري (ابن بنخت)، ليبدأ الجنود في مواجهته بسيوفهم، ومع سقوط أول رأسين بينهما أرضًا، يركض ثلاثتهم (مس) و(ابن أبانا) و(ابن بنخت)، ملتحقين بركاب مولاهم، في أمره، في صراع الشياطين، شياطين (ست).

****

يبكي بجانبها، لا يستطيع النظر إلى جثمانها المحترق، ولكن يمسك بيدها السوداء، أو ما بقى من يدها المحترقة، الممدودة على عرشها، بالسرداب يقبلها، ودموعه تنزل على يدها المتفحمة من مقلتيه، ليتفتت الفحم ويتهشم بين أنامله، ليصرخ تلك الصرخة في ساحة السرداب:

- "أختاااااااااااااااااااااااه".

ينظر إلى فحم وجهها، أو ما تبقى من ملامح وجهها المرتعبة، قبل موتها، يتذكر مقولتها له، ذات الوجه المشوه:

- "مهما حدث يا (بس).. حلمنا يجب تحقيقه"

يتذكر مقولته لها آنذاك:

- "حلمنا لن يموت أبدًا يا أختي العزيزة".

تبدأ ملامح حزنه تختفي تدريجيًا من وجهه، وتتحول إلى ملامح جديدة، ملامح الغضب، ملامح الإنتقام، الإنتقام من ذلك الأمير وأبيه الملك، (أبوفيس)، حتى لو كان إلهًا سوف ينتقم منه، هو مَن جعله موضع لـــ(ست)، وهو أيضًا من سيساعد (أحمس) للقضاء عليه، وإذا لم يستطع، فسيقضي عليهما هو وإبنه (بعل)، مَن علم من جنوده أنه كان أسيرًا لها قبل ذلك الحدث، إذًا فلا بد أنه له يد في حرقها، يصعد درجات السرداب، وهو يفكر في أمر الحرب، يأتي له (حكا) داخل معبد (ست) مهرولًا، خائفًا لدرجة يرى فيها (بس) إرتعاش يديه وهو

يخبره الكلام التالي على مسامعه:

- "(أحمس) دخل (أواريس).. يقتل جنود الشياطين كحرث الأرض.. هذا ليس بفان يا (بس)، هذا (حورس) فعلًا يا (بس)".

يبتسم له (بس) مطمئنًا:

- "هذا هو المطلوب يا (حكا).. تلك هي النبوءة.. (حورس) و(ست).. يجب أن يقضوا على بعضهم البعض في تلك المواجهة".

يقولها وهو يخرج من باب المعبد، وبالخارج يرى ذلك المشهد، ما يفعله (أحمس) بجنوده وهو يلتف حول نفسه، فاردًا ذراعيه في الهواء، يطير رؤوس من يقترب منه، وخلفه (مس) و(ابن أبانا) و(ابن بنخت) يحاربون مَن يقف ثانية على قدميه من الجنود الموتى، من الشياطين، يشير (بس) بأنامله إلى الثلاثة متحدثًا لـ(حكا):

- "استخدم سحرك ضد الثلاثة المعاونين له يا ساحرنا العظيم".

يقولها وهو يصعد فوق عربته وخلفه يصعد (حكا)، لتشق عربته الحربية طريقها إليهم، ليصل خلفهم (بس). ينادي على (مس):

- "يا (مس) معركتك معي أنا يا ابن (تحوتي)"

يلتفت (مس) إلى صاحب الصوت، ليجد (بس) رئيس الجماعة، الذي ينزل من فوق عربته مصوباً سيفه له، في وضع الاستعداد للمبارزة، يلتفت (ابن أبانا) و(ابن بنخت) مع (مس)، ليبدأ (حكا) في تحريك شفاهه، متحدثًا دون صوت، ليقرأ تراتيله السحرية، ومع انتهاء حركة

شفتاه، تتغير الرؤى في أعين (مس) و(ابن أبانا) و(ابن بنخت)، لترى أعينهم ضباباً، لا يظهر به سوى (حكا) و(بس) يبدأ (مس) في مبارزة (بس)، ولكن يمنعه ذلك المرور السريع، من خيالات سمراء، بعيون حمراء، من شياطين تتحرك بسرعة في الهواء، لتلتف حول (ابن أبانا) وتحاول الدخول داخل جسد (ابن بنخت) الذي يتألم من ذلك المرور للشيطان بجسده، صارخًا.. ينظر (مس) إلى أمر (ابن بنخت) وينقض (بس) بسيفه على (مس)، فيتفادى ضربته..

- "ركز معي أنا يا ابن (تحوتي)".

ليصطدم سيفهما مرة تلو مرة فينادي (مس) على (ابن أبانا):

- "الساحر يا (ابن ابانا)".

تنتبه الأعين الحمراء لما يقوله مبارز رئيس الجماعة، ويفهم (ابن أبانا) مقصد (مس)، وتبدأ تدريجياً أعين (ابن بنخت) في التلون باللون الأحمر، يهاب (ابن أبانا) على رفيقه من الضياع بفعل الشياطين، ويرفع (ابن أبانا) سيفه كأنه حربة، ويلقيها في الهواء، مصوبها تجاه ذلك الساحر ليخترقه، من فتحة فاه، عابراَ فكيه، خارج أسفل رأسه، ليسقط (حكا) صريعًا، فينقشع الضباب، وتختفي الشياطين السمراء، بأعينها الحمراء، فيسقط (ابن بنخت) أرضًا، يسعل كثيراَ فيركض (ابن أبانا) عليه، مساعدًا له على النهوض:

- "أنت بخير؟"

يومئ (ابن بنخت) برأسه مؤكدًا تمام صحته لـ(ابن أبانا)، ينظران إلى

(مس) الذي يبارز (بس) في قوة وعنف، وينظران إلى (أحمس) الذي يضرب بقدميه جنديين من جنود الشياطين ويقطع رأسين اثنين آخرين، لا يعلمان ما يفعلا، هل ينضما لـ(مس) أم للأمير، ينظر (بس) وهو يضرب بسيفه سيف (مس) لهما، مبتسمًا من حيرتهما في أمرهما:

- " في حيرة من أمركم على يد من تلاقون الموت؟"

فيجيب (مس) بدلًا منهما على سؤال مبارزة (بس)، وهو يدفعه بقدميه ليبعده عنه:

- "الحيرة في مَن سنبدأ تنفيذ أمر القتل يا رئيس الجماعة؟ .. إنضموا للأمير".

وعلى إثر كلماته يتحول (ابن أبانا) و(ابن بنخت) بناظريهما تجاه أميرهما، لينطلقا في ركابه، شاهرين سيوفهما، ليرى (أبوفيس) كل ما سبق من أعلى جداره، يرفع صولجانه صوب السماء، صوب غيومها، لتبدأ الريح في الزيادة من سرعتها، تأتي دوامة من الهواء كبيرة الحجم من منتصف (أواريس)، تصل إلى موضعه، لتحمل جسد (أبوفيس) عاليَا، كأنه يطير في الهواء واقفًا، لتهبط به إلى أرض (أواريس) بينما كانت صعبة تلك الدوامة على الجنود لما فعلته بجنود الشياطين، تطير بهم يمين ويسار (أبوفيس) لتفسح له مسارًا جديدا لخطاه، تجاه موضع وقوف (أحمس) أرضًا، ومع قوة صوت الرعد في السماء، تزداد الأمطار هطولًا، على شعر (أحمس) وعلى سيف (مس) وهو يضرب سيف (بس) تلك الضربة الأخيرة، قبل أ ن يتطاير جسديهما سويًا بعيدًا عن بعضهما البعض، بفعل دوامة الرياح، تلك التي تشق

طريقها حتى فرع النيل الممتد داخل (أواريس)، ومع ملامستها لسطح مياه النيل، تضعف وتنتهي تدريجيًا يمينًا ويسارًا، لإلههم (ست)، مَن يراه (أحمس) أمامه، فيرى خيال رأسه المعلوم لديه ولا يرى وجه (أبوفيس)، يرى تلك الرأس الأشبه برأس الكلب، ذات الفم الأطول، وأذنان طويلتان أطول من أذن الحمار وفمه أقصر قليلًا من فم الحمار، يتحدث (ست) بصوته الحيواني من داخل (أبوفيس) لـ(أحمس)، وهو يرى عيناه الجديدتين الذهبيتين كأعين (حورس) الذهبية:

- "أرى أعين (حورس) الهزيل بك يا ابن طيبة.. هل أنت (حورس) القادم لتبارزني على حكم (الكمت)؟"

يبتسم أحمس وتلمع عيناه الذهبيتان وبكل ثقة من كلماته يتحدث لمن يراه أمامه داخل جسد (أبوفيس):

- "مثلما قلت لك من قبل.. أنا (أحمس بن سقنن رع) الفاني.. القادم لقتل (أبوفيس)"

يغضب (أبوفيس) ولكن يرى (أحمس) حركة رأس (ست) المتسارعة بداخل (أبوفيس) في سرعة لعدة مرات قبل أن يحرك (أبوفيس) صولجانه عاليًا، ومع دقة لأرض (أواريس)، تنزل ألسنة البرق المتلألئة من بين الغيوم بالسماء لتشق طريقها في الهواء، فاصلة قطرات المطر عن بعضها البعض، قبل أن تلامس أرض (أواريس)، بالمسافة الفاصلة بين (أحمس) و(أبوفيس):

- "قلت لك أني إلهك (ست) أيها الفاني".

يوجه (أبوفيس) صولجانه صوب (أحمس)، ومع إشارته تنطلق جنود الشياطين الراكضة في سرعة صوب وقوف (أحمس) وعلى جانبيه (ابن أبانا) و(ابن بنخت) شاهراَ سيوفهم، يضع (أحمس) يده على موضع غمد سيفه، ليجد بدلًا منه اثنان من البلطات المصنوعة من الذهب الخالص، فيتناولهما بين يديه الاثنين، ويركض تجاه الجند الشياطين، وخلفه يركض (ابن ابانا) و(ابن بنخت) مصوبين سيوفهم إلى الأمام، تأتي لحظة الاصطدام، ليضع (أحمس) نصلي بلطتيه الذهبيتين في رأسي جنديين، ليشقهما إلى نصفين، فيسقط جسديهما على ركبتيهما، ليقفز في اله واء فوق جثتيهما وينطلق بأقدامه راكضًا فوق الرؤوس للجنود الشياطين، في طريقه للقابع خلف جنوده، ذلك الإله القابع في (أبوفيس)، يدور حول نفسه في الهواء، ليصبح رأسه أسفلًا وقدماه بالأعلى، قبل أن يعتدل جسده وينزل بقدميه على الأرض، وأثناء نزوله، وقبل ملامسته للأرض، ينزل ببلطته على صولجان (ست)، الذي يمتلكه (أبوفيس) بكلتا يديه، في وضع أفقي في الهواء، ومع تلامس الصولجان بالبلطتين، تحدث خلخلة بضغط من الهواء ينتج عنها ابتعاد جسديهما عن موضعهما يبتعدا على إثر الهواء المضغوط كلٌ منهما بعيدًا عن الآخر، لتزيد المسافة عن عشرين ذراعًا، ينزل (أحمس) على قدميه، وينزل (أبوفيس) على ركبتيه، وأثناء اعتداله في وقفته يتحدث له (أحمس) ساخراَ منه:

- "إني لا أرى أمامي إلهًا.. أنت مجرد (أبوفيس) الفاني".

يلتفت الجنود مرة أخرى صوب موضع (أحمس) راكضين خلفه وهو يركض للأمام صوب (أبوفيس) الذي يغضب من كلمات (أحمس)، ليتحول صولجانه لسيفين كبيرين كوبيشيين من الذهب الخالص، ترتطم كل بلطة مع إحدى السيفين، و(أبوفيس) يتحدث غاضبَ بصوت (ست) الحيواني:

- "إني إلهك (ست) اتخذت من جسد (أبوفيس) الفاني موضعًا لي".

ومع ارتطام البلطة بالسيف، تحدث خلخلة في ضغط الهواء مرة أخرى، لتغير من اتجاه سقوط الأمطار صانعة منحنيات حول موضع (أحمس) و(أبوفيس)، من يقاوما ضغط الهواء بالتشبث بالأقدام بأرض (أواريس)، على عكس جنود الشياطين، من تسقط صفوفهم خلف (أحمس)، لتبدأ سيوف (ابن أبانا) و(ابن بنخت) في اصطياد رؤوس مَن يسقط منهما، يرى أحمس بعينيه الذهبيتين، رأس (ست) داخل جسد (أبوفيس)، تتحرك في سرعة لأكثر من عشر مرات في اللحظة الواحدة، كمن يقاوم ألمًا ويرى أعين (أبوفيس) الحمراء تتحول من الأحمر الداكن إلى الأسود، ثم تعود مرة أخرى إلى الأحمر الداكن، لبضع من المرات مع حركة رأس (ست) داخل رأس (أبوفيس)، يتحدث هذه المرة (أبوفيس) بصوته هو وليس بصوت (ست):

- "استحالة أن تقتلني يا ابن سقنن رع".

ثم يعود بصوت (ست) الحيواني:

- "سأقضي عليك هذه المرة يا ابن (أوزير)"

يرفع سيفه عالياَ، فيتحولا إلى حربتين ذهبيتين خالصتين المعدن حتى النصل، ينزل بهما على (أحمس)، ليدافع عن وجوده، بضرب الحربتين ببلطتيه، ويتخلخل الهواء هذه المرة، ما يجعل (أحمس) يرتد للخلف، لعشرين ذراعًا، صانعًا بقدميه، خطين في الأرض إثر الاحتكاك، يرى أمامه (أبوفيس) وكأنه برأسين متجاورين، رأس (ست) الإله، ورأس (أبوفيس) الإنسان، ويرى عيناه قد اختلفت قرنيتها.. فاليسرى موضع خيال رأس (ست) حمراء داكنة الصبغة واليمنى سوداء موضع رأس (أبوفيس) الفانية، يخلع قوسه الذهبي من فوق كتفه، يلتقط من سلة سهامه سهمًا من سهام (حورس) الذهبية، ليصوبها نحو النصف الأيمن لصدر (أبوفيس)، ليدخل نصله داخل صدره، يتألم (أبوفيس)، على عكس ما توقعه (ست) ذاته، بصوته الحيواني غاضباَ، ما يحرك نصف شفاهه الأيسر:

- "لن تنتصر عليّ أيها الهزيل".

ينتهي من كلماته ويخرج بيده اليسرى نصل السهم من نصف صدره الأيمن، لتتطاير قطرات الدماء من صدره وتتقابل مع قطرات المياه الساقطة، وتنزل على الأرض، في هذين المجريين ما حفرتهما أرجل (أحمس) وعندها تتشبع طين الأرض بدماء (أبوفيس) وإلهه (ست) يبدأ المزيج بين الطين والدم في الخروج بالهواء، صانعًا هيكلًا عظمياّ يُكسى باللحم، فيتكون الجلد خارج منه الشعيرات الصانعة لفرو عشرات من الكائنات المفترسة، حاملة للأعين الحمراء، من كلاب (ابن آوى) المفترسه، بفم أطول من فم الكلب وأقصر من فم الحمار، وآذان

أطول من آذان الكلب وأقصر من آذان الحمار تنطلق الزمجرة من بين أسنانها صوب وقوف (أحمس)، ومع انطلاق أقدامها راكضة، بأمر من صولجان (ست) بيد (أبوفيس) اليسرى، تنقض من السماء عشرات من صقور الشاهين، ذات الريش الأزرق الداكن المائل إلى السواد المميّز لها على حيوانات (ابن آوى)، يحرك (أبوفيس) صولجانه، فتتحرك الرياح لترفع (أبوفيس) من على أرض (أواريس)، أثناء ضرب (أحمس) لرؤوس (ابن آوى) ببلطتيه الذهبيتين، يشق رأس الأول وبطن الثاني، تفترس الصقور حيوانات (ابن آوى) بمنقارها الأصفر اللون، في ظهورها ورؤوسها، تصعد الرياح بـ(أبوفيس)، تتحرك الرياح به باتجاه فرع النيل في اتجاه قصر (أواريس)، تحمل بعض الصقور (أحمس) بمخالب أرجلها بين أنامل يديه، ليصبح (أحمس) قابضًا بكلتا يديه في أرجل الصقور في الهواء، خلف (أبوفيس)، يقترب (أحمس) من موضع (أبوفيس) في الهواء، عندما يصبح (أحمس) في ارتفاع أعلى من ارتفاع (أبوفيس) عن الأرض في الهواء، يترك (أحمس) الصقور، لينزل (أحمس) بكلا ذراعيه على ظهر (أبوفيس)، لينزلا سويّاً على سطح النيل، يرتطما بالمياه، فيفترقا في اتجاهين مختلفين، يتحول (أبوفيس) إلى فرس نهر أحمر اللون، ويغوص سريعًا ناحية (أحمس) مهاجمًا له، ليصطدم برأسه بصدر (أحمس) خارجًا به من المياه ليطير (أحمس) في الهواء قبل أن يسقط مرة أخرى بالمياه، يخرج من سلة سهامه عدد إثنين من السهام الذهبية ويبحث عن فرس النهر الأحمر.. لا أثر له بالمياه .. يلتف خلفه ليجد رأسه خارجًا من المياه، فاتحًا فمه، فينقض عليه من الخلف، وقبل الاقتراب منه يلتف

(أحمس) بجسده كاملًا فاردًا ذراعيه موجهًا السهمين مخترقًا بالأول الفك الأعلى وبالثاني منتصف الفك الأسفل، يئن الفرس النهري الأحمر، ليتحول مرة أخرى إلى (أبوفيس)، متألمًا من جروح السهمين، واحدًا بالذراع الأيمن، والثاني بذراعه الأيسر، يمسك بكلتا يديه بصولجانه، فيخرج السهمين من ذراعيه ليختلط الدم من جرحيه بمياه النيل، يعوم حتى يصل للشاطئ مثلما يفعل (أحمس)، يقفا أمام بعضهما مواجهين لمصيرهما، ما أقرّته النبوءة منذ أعوام، ما يراه (بس) رئيس الجماعة من الشاطئ الآخر، اللحظة التي ينتظرها منذ أعوام، ما خطط له هو وجماعته، بأن يقضي قائد المتمردين وملكه على بعضهما البعض، طبقًا لنبوءة المطر الأحمر في ذلك الصراع الأسطوري، بين (ست) و(حورس)، العم وابن أخيه، يبتسم (بس) لذلك المشهد الذي يراه أخيرًا جرحًا بملكه، وجرحًا بـ(أحمس)، ولكن يأتي سيف كوبيشي من الخلف مخترقًا أسفل ظهره إلى أعلى صدره، ذلك ما شعر به، يسمع كلمات (مس) من خلفه:

- "إنسَ أنك ستلحق بركاب الناظرين لنتيجة صراعهم يا عبد (ست)".

تتحول ابتسامته إلى فاه مفتوح، يتساقط منه الدماء، يشعر بأن مصيره قد حان وأن كل ما خطط له قد زال، ينظر إلى قصر (أواريس) بالجهة المقابلة، ما حلم يومًا بعرشه، ومع لفظ آخر الأنفاس، تأتي آخر الكلمات:

- "العرش من حقي".

يقولها (بس) رئيس الجماعة، ليسحب (مس) من جسده السيف، فتسقط جثته في فرع النيل، وتأتي جملته وهو ينظر لأميره الطيبي:

- "العرش من حق أميري".

يرى (أحمس) بالجهة المقابلة يسير بخطى تحمل بين آثارها ألم جرح صدره، يرى (أبوفيس) ينزل على ركبتيه، متألمًا من جروح ذراعيه، ما يكثر خروج دماءه منها، يبتسم له (أبوفيس) متحدثًا بصوت (ست) الحيواني:

- "ستقضي على (أبوفيس) أيها الفاني ولن تستطيع القضاء عليّ، أنا إلهك (ست)".

يبتسم (أحمس) وهو يخرج سهمًا ذهبيًا من سلة سهامه:

- "لا يهمني.. أنت (أبوفيس) أو حتى إله.. النبوءة ستتحقق ستتحقق.. سأقضي على الخاسوت.. وأطهّر الكمت من شركم".

يلوح (أبوفيس) بصولجانه في وجه (أحمس) الذي يتفاداه برجوع للخلف برأسه متحدثًا هذه المرة من نصف شفاهه الأيمن بصوت (أبوفيس) نفسه:

- "كفى يا ابن سقنن رع.. أنا أمامك، أقتلني وأرحني من..".

يقطع صوت (أبوفيس) صوت (ست) الإله الحيواني من نصف شفاهه الأيسر:

- "لا يا ابن طيبة أترك أخي (أوزوريس) وإنضم إليّ أنا.. سأعطيك

قوة لن تحلم بها.. سأسخِّر لك وحوش الظلام.. ولتحملك عواصفي وأمطاري.. وليزلزل الرعد أراضي العالم تحت قدميك".

يهز (أحمس) رأسه بنفي العرض، ولكن يصوب (أبوفيس) رأس صولجانه صوب عينا (أحمس) الذهبية وبصوت (ست) الحيواني:

- "لا ترفض قبل أن ترى مصيرك معي ومصيرك بدوني".

ومع إضاءة أعين رأس (ست) بصولجانه يشعر (أحمس) بذلك الشعور، ما يراه من صور تأتي إلى مخيلته سريعة، يسند (أبوفيس)، يأمر (مس) بمعالجته، ينصب (أحمس) ملكًا للخاسوت، في سواحل فينيقيا، يتلون النيل بدماء (مينو بن نحت) ملك قبائل الأقواس التسعة في مملكة الكوش، يقف فوق بحر إيجه متلونًا بدماء قومه، يصل عمره ما يفوق المائة عام، إمبراطوراً للعالم وما وراءه، ويعتلي عرشه ما بعد بحر إيجه، في بلاد لا تعرف سوى الثلج الأبيض، يعود مرة أخرى إلى موضعه على شاطئ النيل بأواريس، يغوص بين ضوئي أعين رأس (ست) بصولجانه مرة أخرى، يرى نفسه يقتل (أبوفيس)، يرى نفسه يحاصر حصن (شاروهن) ببلاد الفنخو زائرًا مثل الأسد، ليقتل (بعل) ابن (أبوفيس)، يرى نفسه على فراش الموت بسن الأربعين، يعلم سبب موته، يرى (إخناتون) يغرق بلاد الكمت في الفتن الدينية، يرى آشورياً على عرش مصر، يرى نوبي على عرش مصر.. ليبي.. إثيوبي.. يوناني.. روماني.. يرى معابد قومه تهدم على يد أصحاب أديان جديدة، يرى مقبرته تنهب، يرى أشخاص يعرضون مومياءه بين جدران من الزجاج، كقطعة أثرية لهؤلاء، يرى لغطًا في

تاريخه وتاريخ قومه، تنقطع الصور فجأة من رأسه، مع نزول الصولجان من أمام عينيه ويجيب على (ست) داخل (أبوفيس) ما يرى رأسه هو فقط وجسده هو فقط ليرفع بكلتا يديه قوس (حورس) الذهبي مصوباً سهمه الذهبي على صدره قائلًا تلك الكلمات:

- "سأختار مصيري في أسطورتي كما قرر إلهنا الواحد (آتوم)".

لينطلق السهم في تلك المسافة القصيرة، مخترقًا صدر (أبوفيس) بموضع القلب، خارجًا من ظهره أسفل كتفه الأيسر، لتنطلق الدماء بالهواء مختلطة بقطرات المطر، ساقطة على سطح مياه النيل، لتنضم لدماء (أبوفيس) الجارية من شاطئه إلى مياهه، ليتلون النيل بدماء (أبوفيس)، على يد نسل (سقنن رع)، لتحقق نبوءته، نبوءة المطر الأحمر.

****

"هل تظن أنك قضيت عليّ؟ .. هل تظن أنك قضيت على أتباعي؟ .. سنأتي إليك في كل خاسوت آخرين.. في جنسيات أخرى.. تحت أديان أخرى.. المتعصب منها.. والضعيف فيكم.. لن تنتهي الحرب.. ولن تنتهي محاولاتي.. في حكم الكمت".

يقولها ذلك الإله (ست)، بعد أن خرج من جسد عبده المتوفي (أبوفيس)، ما يراه (أحمس) بعينا حورس الذهبيتين، ما يسمعه (أحمس) فقط في أذنيه، دون (مس)، فيجيب (أحمس) عليه بين شفتي ابتسامته:

- "سأكون في انتظارك وإنتظار عبادك.. لأقضي على مَن يتجرأ على المصريين سواء في الداخل أو الخارج .. سأموت وسيأتي غيري وغيري من حاملي صفات (حورس).. لندافع عن الكمت.. مهما كلفنا الأمر".

يقولها (أحمس) ليختفي من أمامه (ست) الإله، متلاشياَ في الهواء، لتتحول عيناه من ذهب (حورس)، إلى عسلي لون (أحمس)، أمير طيبة، العائد من الموت.

****

تبكي (عشتار)، الجالسة بين الدماء، الناظرة لذويها، من الأب والأم الجثتين، خلفها (منتو بن هر) حاملًا ذلك السيف، الملوث بدماء الوالدين، على مسرح غناءها الذي اعتادت أن تغني عليه طوال الليل في بيت الفينيقي.

قائد الجيش الفينيقي، يشعر بذلك الدوار، تحت سفح الأمطار، لا يفهم ما حدث طوال الليل، ينظر لجنوده، ليجدهم صرعى وبعضهم على الأرض غير مدركين، لما حدث لهم طوال ليلة الظلام..

- "ملككم (أبوفيس) مات.. رئيس جماعتكم مات.. أميركم تخلى عنكم في ساحة القتال.. وإلهكم ذهب بلا رجعة إلى زوال.. فمَن ستحاربون من أجله؟"

ينظر الفينيقي إلى صاحب الصوت، ليجد أمامه جندي من جنود طيبة، لا يعلم أنهما (ابن أبانا) و(ابن بنخت)، ولكن يتذكر رؤيتهما يوم إعدام (أحمس) أعلى جدار (أواريس)، فيسألهم عن العائد من الموت:

- "وأميركم؟"

- "أميرنا (أحمس) يقف فوق جثة مولاك (أبوفيس) على شاطئ النيل يا قائد جيش الخاسوت".

****

(تازي) وزوجها (بعل)، مَن يقفان بأعلى جدار (أواريس) يرون السفن الفينيقية الثلاثمائة قد اقتربت بفرع النيل، تبتسم (تازي) وهي تبحث بين وجوه الراكبين، عن وجه أبيها (هاداد)، حكم اتحاد مدن الفينيقيين، لا تراه، ويرى (بعل) ذلك الكاهن العجوز، من رآه من قبل أمام أسوار طيبة، المدعو (تحوتي)، وبجانبه سيدة، لا يعلمها (بعل)، ولكن يعلمها (تحوتي) جيدًا، الملكة (اعح حتب)، متوسطة جنود ذوي شعور صفراء اللون، ولحى أيضًا صفراء مجدولة، ما يميز أهل جزيرة كريت، تقترب السفن من البوابات المكان الذي يسمح للعبور من ذلك الجدار المنيع، تشير بيدها على إثرها ترفع الأقواس عالياَ، ما يراه ما تبقى من جند جيوش المصريين، الذين ما زالوا يصارعون البقاء على قيد الحياة، في تلك المعركة المستمرة من الليل، ولكن لا يشغلهم أمر تغير أسلوب الوحوش في العراك، بعد أن زالت الصبغة الحمراء

الداكنة من أعينهم، فقد تصارعت الغوريلات فيما بينها، وتكالبت السباع على مَن فيهم الأحق بالقيادة، وتوالت القردة في الهروب، لما رأوه بأعين رؤوسهم البشرية في السماء، من بدء انقشاع الغيوم، لتشق أشعة (رع) الذهبية من بين السحب، لتقل تدريجياً قطرات المطر، لتصل إلى حبات الندى، ينتبه الوحوش لأشعة الشمس، ما تحدثه بساعة الظهر، عندما تتعامد من فوقهم، تبدأ الأشعة إختراق جلد البعض من الغوريلات لتبدأ جثامينها في الإشتعال، صارخة من رؤوسها البشرية، لتبدأ سباع أبو الهول في الركض من ساحة القتال، هرباً من الشمس إلى مدينة السرداب، أسفل (أواريس)، ليجدوا سفن (اعح حتب) واقفة في النيل ويبدأ رماة الأقواس في إطلاق أسهمهم المشتعلة، باتجاه الوحوش الراكضة، فمن ينجو من الاحتراق بفعل أشعة الشمس، يلاقي مصرعه بنار سهام سفن (اعح حتب)، التي تبدأ سفينتي (نفرتاري) من النساء في الإنضمام إليها، يرى قائد الجيش الخاسوتي ذلك، ليأمر ما تبقى من جنده:

- "أغلقوا البوابات"

يقولها وهو يرى جند المصريين، يلاحقون فلول سباع أبو الهول وغوريلات الظلام وقرودها ، تشير (اعح حتب) لجند الكريتيين قائلة لهم:

- "أهجموا على أواريس"

وما هي إلا لحظات ليبدأ جند السفن الكريتيين في القفز من فوق سفنهم، ما استولوا عليها من أهل (أرودا) ومدنها، لينزلوا بأقدامهم

الكباري المعدنية، ليعبروا إلى أرض (أواريس) والبوابات الخشبية، يحاول حراسها في غلقها، ولكن ما يأتي من طعنات سيوف الكريتيين يكون أسرع من أمر غلق الأبواب، تصل بعض الوحوش المشتعلة إلى مياه الممر المائي، قافزة سباعهم بالمياه محاولة إطفاء حريقها، ولكن بلا فائدة، ليخترق جند المصريين، حرائق جثث الوحوش، فتضمن لجند جزر بحر إيجه والبحر الأخضر العبور فوق الممر المعدني، عابرين بوابات (أواريس)، عاصمة الخاسوت السابقين، لا يرى قائد جيش الخاسوت (الفينيقي) من فوق عربته، سوى سقوط المئات من جنوده، لا يرى في أمره سوى قراره بنفسه، ذلك الأمر الحتمي، فيلقي سيفه أرضًا، لينزل من فوق عربته رافعًا ساعديه إلى السماء، يرى جنده ما فعل قائدهم، ليفهموا ما طلب منهم في كلماته التالية:

- "نحن نستسلم.. فلتتوقف حربكم ضدنا أيها المصريين".

تطأ أقدام الملكة (إعح حتب) أرض (أواريس) بين جندها من المصريين والكريتيين، تشير لهم بإشارة من أناملها، بيدها اليمنى المرفوعة عاليَا، ليتوقف القتال، ليلقي جند الخاسوت ما حملوا من سيف وقوس وسهام أرضًا، راكعين أمام سيوف المصريين وأعوانهم من الكريتيين، تنظر الملكة (إعح حتب) حولها يمينًا ويسارًا، ليس بعين ملكة، بل بعين أم تبحث عن طفليها، (أحمس) و(نفرتاري)، ترى (مس) مَن يلقي بنفسه بين ذراعي أبيه (تحوتي) في شوق وفرحة باللقاء، أثناء الانتصار، تسأله (إعح حتب):

- "أحمس؟"

يبتسم (مس) لـ(اعح حتب) لتفهم من ابتسامته قبل إجابته بقاء (أحمس) على قيد الحياة.

- "مولاي الأمير حقق نبوءته ويبحث مع (ابن أبانا) و(ابن بنخت)، على ابن (أبوفيس) الهارب".

يأتي صوتًا مميزاً لها من خلفها بكلمة (أمي)، تلتفت بناظريها، لتحتضن صاحبة الصوت.. ابنتها (نفرتاري)، أما ابنها (أحمس) فهو يصل لأعلى الجدار مع (ابن أبانا) و(ابن بنخت) رافعًا سيفه عالياَ، مُعلنًا نصر قومه على قوم الخاسوت، ليرفع من وقف أسفلًا من جنود وأمراء سيوفهم، مع تلك الصيحات المتبادلة بينهم، ما يعبر عن نصرهم، يأتي له ذلك الصوت من جانبه:

- "أنت صحيح انتصرت بتلك المعركة.. لكن لم تنتصر عليّ أنا يا ابن الأشراف".

ينظر إلى صاحب الصوت، ليجد (بعل) وبجانبه (تازي) فيتحدث له بكل ثقة:

- "جيشك استسلم يا ابن (أبوفيس).. فما تريد لكي تغتر بإنتصاري عليكم؟!"

تنظر (تازي) إلى زوجها (بعل)، يعلم جيدًا ما سيقايضه على حياته وحياة قومه من الخاسوت:

- "ألم تسأل نفسك.. أين (عشتار) يا ابن الأشراف؟"

الغضب.. ما يتملكه ويجعله يتحرك بخطوات سريعة وعنيفة تجاه (بعل)، واضعًا سيفه على عنقه:

- "ماذا فعلت بها يا ابن (أبوفيس)؟ .. انطق قبل أن أقطع رقبتك".

تقلق (تازي) من ردة فعل (أحمس) وتهاب على زوجها المبتسم لـ(أحمس) في ثقة من أمره، فتأتي إجابتها على سؤالها بدلًا من زوجها:

- "حياة (عشتار) مقابل خروجي أنا وزوجي من (أواريس) سالمين".

ينزل (أحمس) السيف وتأتي كلمة (ابن ابانا) الغاضبة على (بعل) وزوجته:

- "أنتم أسرى لا يحق لكم المقايضة.. تستحقون فقط الموت".

يشير له (أحمس) الأمير وينظر إلى (بعل) محاولًا السيطرة على غضبه، وإخفاء قلقه على حبيبته (عشتار)، يسأل (بعل):

- "ماذا تريد يا (بعل)؟"

- "أخرج أنا وزوجتي ومَن أسرت من جنودي.. ومَن يريد الانضمام إلينا من أهل (أواريس) سالمين.. إلى أرض الفيروز، وبعدها تستلم مني حبيبتك".

تأتي كلمات (أحمس) قوية:

- "لا.. خارج مصر كلها.. أضمن لك عدم تعرّض أي أحد لكم في طريق (حورس) القديم.. إلى أن تصل أرض الفنخو بالشرق..

وبعدها أوعدك بإستحالة أن أضيع فرصة واحدة قبل أن أقضي عليك يا (بعل)، بكلتا يداي يا ابن الخاسوت".

يبتسم (بعل) إبتسامة عصبية بعد ذلك التهديد منه، وبكل ثقة وهدوء:

- "إتفقنا.. مكان تسليم حبيبة القلب في أرض الفناجين.. بعد أن أصل سالمًا لحصن (شاروهن) العظيم بأرض الفنخو"

ينتهي من كلماته ويبدأ (ابن أبانا) و(ابن بنخت) بعد إشارة (أحمس) لهم، بأسر الأمير والأميرة راحلين عن مكان وجود (أحمس) أعلى الجدار، تاركين أميرهم الطيبي يقلق فيما سيحدث من أمور، ما رآه في تلك اللحظات السريعة من مستقبله على يد الإله (ست)، من ذلك الخائن (وازد) والجبان (ببي) اللذان سيذهبان سويًا إلى (مينو بن نحت) للثورة عليه، يقلق على مصير حبيبته (عشتار)، التي لم يرها في تلك اللحظات من مستقبله، لا يعلم هل هي ستظل معه أم لا، هو قد رأى لحظة قضاءه على (بعل) في (شاروهن)، رأى تلك الثلاث أعوام من حصار (شاروهن)، ما زال يتردد في آذانه صوت زئيره عليهم في أرض (الفنخو)، يسمع كلمات (مينو بن نحت) له جيدًا وهو يصارعه أسفل طيبة، وسط جنود قبائله التسعة: "لن نعود عبيدًا لكم أيها المصريون"، يرى لحظة الاحتفال بالانتهاء من ترميم معبد الإله (آمون بطيبة)، يرى ذلك اللقب الجديد المدون على بوابة المعبد لإله دولته الجديدة، (آمون رع)، ذلك التوحيد للشمال والجنوب على يديه، يرى توغله في تلك الحروب على جيوش (هاداد) بفينيقيا، يرى

ما أعاد تدوينه على حوائط الكرنك، لتاريخ الأسرات الحاكمة لأرض الكمت، يتساءل في قرارة نفسه، وهو ينظر إلى أشعة (رع)، ما يحيره كثيراَ، ما يسمع داخل عقله وقلبه فقط:

- "يا ترى هل ما رأيت على يد (ست) هو الحقيقة؟"

قطع حبل تفكيره وقع تلك الأقدام على أرض الجدار، أعلى (أواريس)، يلتفت بناظريه لأصحاب الخطوات، (اعح حتب) وعلى جانبيها بضع من الأعزاء، على اليمين (نفرتاري) و(تحوتي) و(سخم رع) وعلى اليسار صديقه (مس) وقائد جيشه (نشيء)، تأتي أمه (اعح حتب) بذلك السؤال على مسامعه:

- "ما هو أمرك الملكي الأول يا ملك مصر؟"

فيجيب بكلمات تصم آذان الحاضرين أعلى (أواريس):

- "كما حرق (سالتيس) معابدنا ومدننا في سابق العهد.. آمر بحرق معابد (ست) وبيوت جماعته أمام أعين الخارجين من عباده المذلولين.. من الخاسوت".

****

أرض الفناجين، تلك البقعة العجيبة بأرض الفيروز، التي لا بها زرع ولا ماء، قاحلة كسيدة عزباء، لا تجد بها صريخ لرضيع، ولا أصوات من ماشية أو حيوانات مجرد رمال قليلة وسط الكثير من القطع الملونة من الخزف، ما بين الأبيض والأصفر والأحمر، تشعر وكأنك ترى الآلاف من قطع الأطباق والأكواب المتكسرة، تشعر بخطاك كأنها تكسر ما

تراه بالأرض، ما يجعلك تهاب أن تخطو بتلك الأرض، هكذا هي الأسيرة، عندما تخطو بين الحراس باكية، ترى أمامها على الجهة المقابلة، حبيبها المنتصر، بين جنوده، بين (ابن أبانا) و(ابن بنخت)، على يمينه قائد الجيش (نشيء) وعلى يساره (مس) الشاب، ينظر لآسرها، ليس (بعل) الأمير، الذي يقف فوق عربته الحربية ناظرَا لخادمه، بل لرئيس جماعته الجديد (منتو بن هر)، الذي يتحدث لصديقه السابق الذي يرى في أعينه مفاجأة خديعته طوال الأعوام السابقة، (مس) الذي تفتح عيناه من هول الصدمة، فمن كان يحارب طوال أعوام بجانبه، من اصطفاه ليكون نائبَا له بجهاز المازوي، ما هو إلا جاسوس عليه طوال أعوام، من عبيد (ست) الإله. يتحدث (منتو بن هر) صديق الأمس وعدو اليوم بعد إشارة (بعل) له:

- "بأمر مولاي ملك الخاسوت.. أبلغكم أنا (منتو بن هر) رئيس جماعة إلهنا (ست) المُعظَّم.. بتسليم (عشتار) لكم.. كما هو ما تم من اتفاق بين ملككم (أحمس) وملكنا المُعظَّم (بعل)".

ومع انتهاء (منتو بن هر) من كلماته السابقة، ذات الصوت العالي، يفك حراسه قيود (عشتار)، تتحرر ذراعيها، تطلق العنان لأقدامها مهرولة بإتجاه حبيبها الذي يفتح ذراعيه لها فترتمي بين أحضانه ذلك الشوق بين الحبيبين ما يطفئ نار قلبه تنزل دموعها على كتفه وهو يضع أنامله على شعرها، مربتًا، مطمئنًا لها، ينظر لها وهو متساءل عن سبب بكاءها، فتجيب عليه بكلماتها الحزينة بنبرة متألمة:

- "فلتأتِ لي بثأر والداي يا (أحمس)".

ينظر قائد الجيش (نشيء) له، منتظراَ أمره بالهجوم على (بعل) و(منتو بن هر)، فيومئ برأسه نافياَ ذلك الأمر، لقد اتفق مع (بعل) على سلامته فقط داخل أراضي الكمت، ولن يخالف اتفاقه، يهدئ (أحمس) من بكاء حبيبته، وهو يمسح بأنامله قطرات الدموع، من فوق وجنتيها:

- "كيف تبكي عيناك وأنا موجود؟"

- "أنا حامل يا (أحمس)"

تقولها وهي تقبض بيدها على يده في رقة، لتضعها على بطنها، ما يجعل (أحمس) يشعر بمشاعر مختلطة ما بين الفرح والصدمة، وبكلمات لا تحمل في طياتها سوى طعم السعادة:

- "سنعود لطيبة.. وستصبحين ملكة للبلاد.. زوجة ملكية لي.. سنحتفل بميلاد طفلنا في قصر طيبة.. سيولد أمير أو أميرة".

تضع يدها على شفاهه ليصمت، قاطعة سيل كلمات فرحته:

- "احبك وسأظل أحبك يا ابن القمر".

يتحرك بعل مغادراً بعربته وخلفه (منتو بن هر) من فوق عربته قبل المغادرة يصوب قوسه عالياَ عكس طريق حركة عربته الراحلة.. يطلق سهمه، ويركض (مس) محاولًا أن يبعد (أحمس) وحبيبته عن اتجاه السهم الغادر، ليعبر السهم من كفه مخترقًا جسد (عشتار) من ظهرها، خارجاَ من قلبها، ما تمناه يوماً (بعل)، وناله (أحمس)، ليجرح

صدر (أحمس) أمام قلبه النابض، بحب (عشتار)، لينتهي احتضانه لها وهو يرى دماء قلبها على عضلات صدره، يفتح شفاهه، ليصرخ عليها، ولكن حنجرته لا تطاوعه على إخراج صوته من عنقه، تسقط (عشتار) بين ذراعيه متألمة، تحاول البوح بمكنونات قلبها قبل لفظ آخر أنفاسها، أمام دموع (أحمس) المحبوسة بمقلتيه، التي تنظر إلى قرنيتيها الزرقاء:

- "شكرًا على الأيام التي قضيتها معك".

يتوقف الصدر عن الحركة، خارجًا آخر زفير لها في أرض الأحياء، يصرخ (أحمس) بكل ما أوتي من قوة، ما يجعل صدى صوته يصل إلى مسامع (بعل):

- "عشتاااااااااااااااااااااااااااار"

يبتسم (بعل) لانتقامه منها، وبين طيات قلبه يحاول أن يخفي حزنه عليها، بين مشاعر فرحه لانتقامه من (أحمس)، تسقط دموع (أحمس) من فوق قرنية عينه على شفاها، تلك التي تجلَّت بغناء أجمل الأغاني السابقة له، يتذكر تلك الكلمات، ما غنته له وحده بغرفة نومهما سويًا، وهي بين أحضانه بالسابق..

- (يا قلبي التائه / ها قد آتى العاشق / يا حبي الدائم / ها قد أتى مرادي / يا عيني الفرحة / املأي جفنيك بصورته / يا أنفي الفرحة / املأي نفسك برائحته / يا أناملي الصغيرة / اشعري بوجوده / ارتمي بين أحضانه / ارتشفي من حرمة آهاته / ما

صدر من لقاءه).

يحتضن (أحمس) جثمان حبيبته بقوة، يعِدها في أعماق قلبه الغاضب بالإنتقام لها ولوالديها، ولمقتل جنينه، ما صنعه بين أحشاءها، يصدر لـ(نشيء) أمره التالي:

- "يا قائد الجيش.. جهِّز حملتنا على حصن (شاروهن).. للقضاء على ما بقيَ في الفنخو من الخاسوت".

****

تعاليم أحمس الاول

"أنا أحمس بن سقنن رع بن تاعا الشجاع، سليل عائلة الأشراف، حاكم طيبة، ملك مصر الحديثة، أدوِّن هذه البردية وأنا أعلم أن موعدي قد اقترب كما أراني الإله (ست)، أثناء حربي معه، لقد حققت أسطورتي، كما طلب إلهنا المحبوب (أوزوريس)، لقد عدت من الموت على يد حبيبتي (عشتار)، كما أعادت الآلهة (إيزيس) إلهنا (أوزوريس) للحياة، لقد حاربت (أبوفيس)، كما حارب الإله (حورس) عمه الإله (ست)، لقد طردت العامو من أرض الكمت، كما قضى (حورس) على أعوان (ست) القادمين من الشرق، لقد نصبت ملكًا لتميرا، كما نصّبت آلهة مصر (حورس) ملكًا للكمت، لقد قمت بإعادة إعمار البلاد، لما نشب من خراب على يد الخاسوت، رممت المعابد، وطمست تاريخهم بمصر، صحيح أني حاربت (بعل) وأعوانه بـ(شاروهن)، وقضيت عليه، صحيح أني قضيت على المتمردين من ما بقى من أعوانه بالداخل، (بيبي) و(تتاعن) وغيرهم من أمراء وراثيين، وصحيح أني أخضعت قبائل الأقواس التسعة لحكمنا حتى الشلال الثاني، ولكن الخطر ما زال قائمًا، فالخاسوت لن ينتهوا، فهم متربصين دائمًا بنا، منتظرين لحظة ضعفنا، فوضانا، تقاتلنا على السلطة، الدين، سلاحهم طمعنا في أنفسنا، وسلاحنا هو توحدنا.

لقد دفنت سلاح كتاب الظلام بعيدًا عن أيدي المحتالين، أعلنت توحد آلهة الشمال والجنوب تحت شعار واحد (آمون رع)، فنحن دائمًا،

مهما تعددت إتجاهاتنا، لنا إله واحد (آتوم) الأوحد والأعظم، لقد وهبت لولدي (آمنحتب) من زوجتي وأختي (نفرتاري)، ولاية العهد من بعدي، و(تحتمس) من حبيبتي (سنست) الفينيقية، من ألتمس فيها روح محبوبتي (عشتار)، ولاية العهد من بعد أخيه (أمنحتب الاكبر) .

آمركم يا ولديّ، بمحاربة الخاسوت وغيرهم من الطامعين، من حدود بلادكم الأربعة، آمركم بتوصية أحفادكم بالسير على خطاي في حرب الغازين، في بسط نفوذكم على العالم وما وراءه، ليس كغازين، بل كمعلمين، لمبادئنا العظيمة، علموا شعوب الأرض، السلام، احترام الأديان، حرية العقيدة، كيفية الزراعة، كيفية الكتابة، انشروا حضارتنا، ما علمته لنا آلهتنا، ومن يأبى التقدم، ويرفض التطور، ويريد محاربتكم، فلا تجعلوه يعود بكم للوراء إلى ما قبل ما صنعه أجدادنا من حضارة، ولتصنعوا أسطورتكم كما صنعت أسطورتي، حتى لو كان مصيركم بكتاب القدر، الموت على يد المرض ويد أقوامٍ أخرى من.. الخاسوت.

****

ينتهي من قراءة البردية، يعطها لذلك الكهل، من طعن به العمر، حتى وصل إلى الثمانين من الأعوام، يسأله:

- "هل انتهى رجال (ابن بنخت) من نقش الكلمات على اللوح؟"

يجيب الكهل (ابن أبانا) على ملكه، ذلك الابن الثاني لصديقه الراحل (أحمس الاول):

- "مولاي الملك (تحتمس الاول).. القائد (ابن بنخت) ينتظركم أمام لوح الحدود".

يصعد ذو السادس والأربعين فوق عربته الحربية، ليشق طريقه مع صديق والده، بتلك البلاد الغريبة عليه، ما اعتقدوا يومًا أنها ما وراء العالم المعروف لهم، يصل إلى شاطئ ذلك النهر، ببلاد النهرين، كما لقبها (ابن بنخت) في بادئ الأمر، النهرين اللذان يجريان من الشمال إلى الجنوب، عكس ما يفعله الإله (حابي) إله النيل بمياهه، التي تأتي من حدود إمبراطورية ملك الأشراف، من وراء الشلال الثالث ببلاد الكوش بالجنوب إلي البحر الأخضر شمالاً، ينزل من فوق عربته، وعقله يفكر في مصيره، كما أخبرته عرافة معبد الإله، (آمون رع) متسائلًا؛ هل سيلقى نفس مصير أباه؟ هل سيموت على يد شخص من أتباع الخاسوت كما تحدث عامة الشعب فيما بينهم آنذاك؟ بتلك الأقاويل التي قرر إطلاق عليها إنها مجرد بضع إشاعات، عن موت (أحمس) و (امنحتب) على يد عُبّاد (ست)، من قوم الخاسوت، يقف أمام صديق (ابن ابانا) العجوز، و(ابن بنخت) قائد الجيوش، ليقرأ (ابن بنخت)، ما دوّنه رجاله بلغة هيروغليفية صحيحة التعبير:

- "في عهد ملكنا تحتمس بن أحمس بن سقنن رع سليل الأشراف، تشهد الآلهة بأن هذه حدود مصر، من منابع النيل جنوبًا إلى بلاد النهرين شرقا، بعد القضاء على ما بقي من فلول الخاسوت، على

يد ملكنا المحبوب (تحتمس) المحبوب، (حورس) الكمت.."

يشير (تحتمس) بأنامله، ليقطع قراءة (ابن بنخت) بما ورد من محتويات لوحة الحدود الرسمية على شاطئ نهر الفرات، ليسأل صديقا والده (ابن أبانا) و(ابن بنخت):

- "أتظنان أن الخاسوت قد انتهوا بالفعل؟"

لا يجد (تحتمس) منهما سوى الصمت، على الجانب الآخر من البحر الأخضر، بين شعوب بحر إيجه، يتحدث ذلك المهاجر من سواحل فينيقيا، إلى أفراد منهم، عن بلد وراء البحر، لا يوجد بها مجاعات مثل مجاعتهم، كما يتحدث ذلك المهاجر الآخر إلى شعوب اللوبيين، عن نهر يجري في بلاد تدعى الكمت، عذبة مياهه، كما يؤكد المهاجر الثالث لأفراد من الأثيوبيين سطوة شعب الكمت على قبائل الكوش التسعة، ويطلب المهاجر الأول من قبائل الخاسوت من ملك شعب بحر إيجه بسواحل اليونان، الاستماع له فيما يعرض عليه، بركوب البحر، ومهاجمة شعب كريت، حلفاء مصر، ومن بعدها يسير تحت لواء إلهه (ست) عابراَ البحر الأخضر، لنيل الرخاء، ما لا يستحقه شعب الكمت، محارباً ملك مصر، ولكن هذه رواية أخرى، لشعوب أخرى... من الخاسوت.

النهاية،،،

احمد كاشف

يونيو ٢٠١٩

---

*الفنخو: هي الآن دولة (فلسطين)



المراجع

١- موسوعة مصر القديمة _ سليم حسن_هيئة الكتاب ٢٠٠١ (ما يلزم في الأجزاء)

٢- ديانة قدماء المصريين_استندرف_ترجمة سليم حسن _دار البستاني ٢٠٠٠

٢- متون هرمس (حكمة الفراعنة المفقودة) _تيموثي فريك وبيتر غاندي _ ترجمة عمر الفاروق عمر _المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢

٣- كتاب الموتي الفرعوني (عن بردية آني بالمتحف البريطاني)_ترجمة عن الهيروغليفية السير :والس بدج_ترجمة للعربية : د.فيليب عطية _مكتبة مدبولي

٤- فرعون ذو الأوتاد _أحمد سعد الدين_دار الكتاب العربي

٥- آلهة مصر القديمة وأساطيرها _روبرت آرموار_ترجمة مروة الفقي_المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥

٦- تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية_جان مازيل _ترجمة ربا الخش _دار الحواربسوريه

٧- الجبتانا _مانيتون _على على الألفي

٨- الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من كريت حتى قيام الامبراطورية)_سيد أحمد على الناصري_دار النهضة العربية

٩- الجنس في العالم القديم _بول فريشاور_ترجمة فائق

دحدوح_نينوي
١٠- آلهة المــصرييــن _والاس بيدج_ترجمة محمد حسين يونس_مكتبة مدبولي.
١١- تاريخ هيردوت_ترجمة عبد الإله الملاح_أبوظبي المجمع الثقافي
١٢- تاريخ الماسونية العام_جرجي زيدان_مؤسسة هنداوي
١٣- آلهة مصر_فراتسوا ديماس_ترجمة زكي سـوس_هيئة الكتاب ١٩٩٨
١٤- الحضارة الفينيقية _ج.كونتو_ترجمة محمد عبد الهادي ود.طه حسين_مركز كتب الشرق الأوسط.
١٥- روح مصر القديمة _آنا رويـــز_ترجمة إكرام يوسف_المجلس الأعلى للثقافة.

